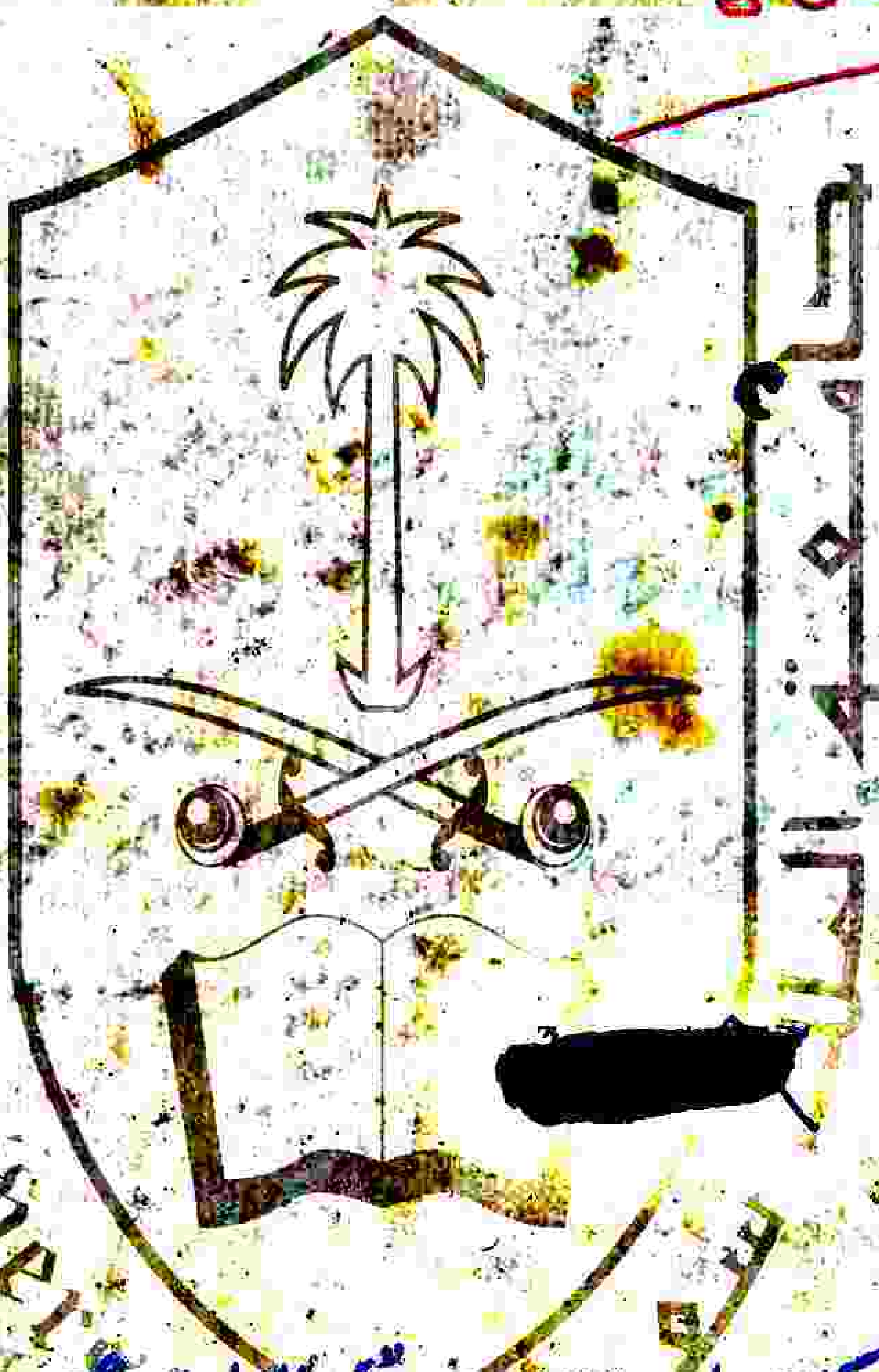

٩١

٢١٨ شرح الحكم العطائيه لابن عطاء الله السكندري، تأليف ابن
ش ع عباد، محمد بن ابراهيم ... ٧٩٢هـ، بخط أحمد بن
الحوراني سنة ٩٨٥هـ .
٥٥٣٦ ٢٤٨ق ٢٣س ٥ر٢٠×١٥سم
نسخة جيده، خطها تعليق مقروء باخرها فاشده طمس .
الاعلام ط٤ ٦: ٢٩٩ نشره دار الكتب المصرية ٢: ١٥٧؛
١- الشعائر والتقاليد والأخلاق الاسلامية أ- المؤلف
ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ د- غيث المواهب العليه في
شرح الحكم العطائيه لابن عطاء الله السكندري


King Saud University

وجد بخط حروف اول

الحمد لله الموفق للصواب

الحمد لله الموفق لله

وجد بخط حروف اول

شرح الحكم للعلامة محمد بن ابراهيم بن عباد النفزي

الحمد لله الموفق للصواب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم قال العبد الفقير إلى الله المعتمد
في غفران ذنوبه على الله محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي
لطف الله سبحانه به الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال المتوحد
باستحقاق نعوت الكمال المنزه عن الشركاء والنظراء
والأمثال المقدس عن سمات الحدث من التغير والانتقال
والانفصال والاتصال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال
والصلاة على سيدنا محمد الهادي من الضلال وعلى آله وأصحابه والسلام
الذين خلصت لهم الأعمال وصفت لهم الأحوال وعلى جميع
من اتبعهم فيما لهم من محاسن الصفات ومحامد الخلال
وسلم تسليما كثيرا أما بعد فإنا لما رأينا كتاب الحكم المنسوب
للشيخ الإمام المحقق العارف المحقق الولي أبي الفضل تاج الدين
أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري رضي الله
عنه ونفعنا به من أفضل ما صنف في علوم التوحيد وأجل ما اعتمد
بالتفهم والتحفظ كل سالك ومريد لكونه صغير الحجم عظيم العلم الجرم
ذا عبارات رائقة ومعان حسنة فائقة قصد فيها إلى إيضاح
طرقات العارفين والموحدين وإبانة منهاج السالكين والمتجردين
أخذنا في وضع تنبيه يكون كالشرح لبعض معانيه الظاهرة وكالكشف
للمعة يسيرة من أنواره الباهرة وما تضمنه من لباب الألباب
لأن أكثر الإرادات والإشارات منطوية على أسرار مصونة وجواهر
حكم مكنونة لا يكشفها إلا هم ولا يتبين حقائقها إلا بالتلقي عنهم

ونحن

ونحن في هذه الكلمات التي نوردها والمناحي التي نعتمدها غير
مرتعين لشرح كلام المؤلف ولا أن ما نذكره فيه هو حقيقة
مراده نصرح بها بفعله كل مصنف فإنا لو ادعينا ذلك لكان منا
إساءة أدب يؤول بنا والعياذ بالله إلى العطب وكنا قد تعرضنا
للخطر والضرر في تعاطينا لما لا يليق بنا من شرح كلام السادة
من أهل الله تعالى من غير خوف ولا حذر وإنما نورد ذلك على
حسب ما فهمناه من كلامهم وما انتهى إلينا علمه من مذاهبهم
فإن وافقنا فيه حقيقة الأمر وعثرنا على مكنون السر كان ذلك من
خالفنا النعم التي لا نحصي لها شكرا ولا نقدر لها قدرا وإن أخطأنا ذلك
في ذلكم ولم نهتد إلى تلك المسالك حملنا على نقصنا وجهلنا وانتفى
عنا التغرير بقولنا وفعلنا واقتصر الأمر علينا وكانوا هم
مبرئين مما قلنا ونوينا فأحرى إذ كان هذا مقصدنا لوجود السلامة
التي جعلناها معتبرنا فتسوغ لنا أن نقدم كلام المؤلف رحمه
الله مستوفى ثم نتبعه كلامنا بصيغة الخبر لا الدعوى فيأتي
بعبارة أسلك من عبارته وإشارة أجلى من إشارته ليفهم
بذلك ما عندنا في تفسير ما ذكره لا أنه تفسيره حقيقة مقدرة
ونذكر في أثنائه كثيرا مما يتعدى الكلام المنبه عليه لتتم
بذلك الفائدة في الغرض المتوجه إليه ويطول ... في كلامه من تكرار
معان وتداخل فروع ومبان رأيت التنبيه عليه كالغرض وإحالة
بعضه على بعض وعلى الناسخ لهذا المجموع أن يتبع فيه ما رسمناه
ويكتب كلام المؤلف بصبغ يخالف لونه لون ما يكتب به سواه أو يكتب

في

بتقلبهم مختلفين في الفلك والرفه ويوفي في ذلك كلا منهما حقه ليكون
ذلك اقرب الى الحصول المرام واستخراج فايدة ترتيب الكلام
والله الموفق لا رب غيره ولا خير الا خيره والذي حملني على صنعه و
وتكلف تصنيفه وجمعه بعد تقدم ارادة الله تعالى التي تغلب
وتقديره الذي ليس للعبد منه منجا ولا مهرب ثم الراي الذي
رايناه من المقاصد المعظمة ونبهنا عليه في صدر هذه المقدمة
الحاح بعض الاصحاب في ذلك علي وترداده بالمسلة الى لكونهم
على اعتقاد صحيح في هذه الطريقة ومحبة خالصة لاهل الحقيقة
فاسعفتهم بما طلبوه وحققت لهم الامل فيما رغبوه كما شا الله
وحكم وقضى به علينا وحتم نفعنا الله واياهم بما يجري منه
على ايدينا ولا جعله حجة عليهم ولا علينا ونحن نستغفر الله تعالى
مما تعاطيناه من الامر العظيم واقتحمناه من الخطر الجسيم ونستعيذ
به من الوقوع في حبايل العدو الرجيم ونساله توفيقا يوقفنا منه
على جادة الاستقامة ويصرفنا عن العمل بما يعقب ملامة وندا
ونرجوه مع هذا ان يمن علينا بالانتما الى مذاهبهم والانتساب
الى كرايم مناسبهم والتعلق باذيالهم ومحاولة التشبه بهم على منوالهم
ويرزقنا شيا من تعظيمهم وحبهم وقسطا من تكريمهم وبرهم
ان لا يحرمنا من شفاعتهم ولا يخرجنا من كنفهم ولا بينهم ولا يطردنا
عن بابهم الكريم ولا يصرفنا عن منهجهم القويم فهم القوم
لا يشقى جليسهم لي سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباه
ان لم اكن منهم فلي في ذكرهم عز وجاه اللهم نتوسل اليك بحبهم.

فانهم

فانهم احبوك ولم يحبوك حتى احببتهم فبحبك اياهم وصلوا
الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك الا بحبك منك فتمم لنا ذلك
حتى نلقاك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
خاتم النبيين وعلى اله الطيبين الطاهرين وتابعيهم باحسان
الى يوم الدين وسلم عليهم كثيرا وهذا حين ابتدي وبالله نفعنا به
التوفيق والهداية الى سوا الطريق قال المولف رحمه الله

من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجا عند وجود الزلل

اقول الاعتماد على الله نعت العارفين الموحدين والاعتماد على
غيره وصف الجاهلين الغافلين كما نبا ما كان ذلك الغير
من علومهم واعمالهم واحوالهم اما العارفون الموحدون
فانهم على بساط القرب والمشاهدة ناظرون الى ربهم فانون عن
انفسهم فاذا وقعوا في زلة او اصابتهم غفلة شهدوا تصريف
الحق تعالى لهم وجريان قضايه عليهم كما انهم اذا صدرت
منهم طاعة او لاح عليهم لايح من يقظة لم يشهدوا في ذلك انفسهم
ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم لان السابق الى قلوبهم ذكر
ربهم فانفسهم مطمينة تحت جريان اقداره وقلوبهم
ساكنة لما لاح لها من انواره ولا فرق عندهم بين الحالين
لانهم غرقا في بحار التوحيد وقد استوى خوفهم ورجاهم
فلا ينقصه من خوفهم ما يجتنبونه من العصيان ولا يزيد
في رجايهم ما ياتون به من الاحسان قال شارح المجالس
العارفون فانيون بانه قد تولى الله امرهم فاذا ظهر منهم

طاعة لم يرجوا عليها ثوابا لانهم لم يروا انفسهم عمالا لها وان
ظهرت منهم زلة فالدية على العاقلة لم يشاهدوا غيره في الشدة
والرخا فيامهم بالله ونظرهم اليه وخوفهم هيبته ورجاهم
الانس به انتهى واما غيرهم فبقوا مع نفوسهم في نسبة
الافعال اليها وطلب الحظ لها عليها فاعتمدوا على اعمالهم وسكنوا
اليها وحالهم فاذا وقعوا في زلة نقص بذلك رجاهم وان انهم اذا
عملوا طاعة جعلوها من اعظم عددهم واقوى معتمدهم فتعلقوا
بالاسباب وحجبوا بتصرفهم بها عن رب الارباب فمن وجد هذه
العلامة في نفسه فليعرف منزلته وقدره ولا يتعدى طوره
فيدعي مقامات الخاصة من المقربين وانما هو من عامة اصحاب
اليمين وسياتي ان شا الله تعالى اشارات الى هذا المعنى
في مواضع من كلام المولف رحمه الله وقد ذكره الشيخ ابو عبد
الرحمن السلمي والحافظ ابو نعيم الاصفهاني عن يوسف بن الحسين
الرازي رضي الله عنهم قال عارضني بعض الناس في كلام وقال
لا تقدر ان تكرم اذ كرمت عملك الا ان تتوب فقلت مجيبا لو ان
التوبة تطرق بابي ما اذنت لها على انها من ربي ولو ان الصدق
والاخلاص كانا عبدين لي لبعتهما زهدا فيهما لاني ان كنت عند
الله في علم الغيب سعيدا مقبولا لم اتخلف بافتراف
الذنوب والماتم وان كنت عنده شقيا مخذولا لم تسعدني
توبتي واخلاصي وصدقي وان الله خلقني انسانا بلا عمل ولا شفيع
كان لي اليه وهداني لدينه الذي ارتضاه لنفسه فقال ومن يبتغ

غير

غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من
الخاسرين فاعتمادي على فضله وكرمه اولى بي ان كنت
حرا عاقلا ~~من مقابلته فضله وكرمه~~ من اعتمادي على افعالي
المدخولة وصفاتي المعلولة لان مقابلة فضله وكرمه
بافعال الناس قلة المعرفة بالكريم المتفضل قلت هذه
الحكاية وامثالها ربما تقرع سمع من لا تحقيق عنده
من طريق القوم فينكر معناها ولا يعتقده او يسلمه
ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا الحالتين مودية بصاحبها
الى ضرر وخطر فليتق الله تعالى عبد ليس له بصر في
هذه الطريقة ان ينكر ما ذكرناه فيقع في الاعتراض
على السادة والاولياء وفي ذلك بعده من الله تعالى او يدعي
مقاما لنفسه من غير ان يستظهر عليها ويتوثق منها ويزنها
بالمعيار الذي نبهنا عليه ومع وجود ذلك ممن لم يصح
مقام الفناء عن النفس فيتلبس حينئذ بمساخط الله تعالى
ويتعدى حدوده فيجعل ذلك حجة لنفسه غلطا وجهلا
ويفتح ابابا من الزندقة والعياذ بالله تعالى
ارادتك التجريد مع اقامة الله تعالى اياك في الاسباب
من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله تعالى
اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية الاسباب ههنا
عبارة عما يتوصل به الى غرض ما ينال في الدنيا والتجريد
عبارة عن عدم تشاغله بتلك الاسباب لاجل ذلك فمن اقامه

الله تعالى في الاسباب واراد هو الخروج منها فذلك من
شهوته الخفية وانما كان من الشهوة لعدم وقوفه مع الله
تعالى وارادته هو خلاف ذلك وانما كانت خفية لانه لم
يقصد بذلك نيل حظ عاجل وانما قصد بذلك التقرب
الى الله تعالى بكونه على حال هي اعلى في زعمه لكن فاته الادب
لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى في اقامته اياه فيما اقامه
فيه وتطلعه لمقام رفيع لا يليق به في الوقت وعلامة اقامته
اياه في الاسباب ان يدوم له ذلك وان يحصل له ثمرته ونتيجته
وذلك بان يجد عند اشتغاله بالاسباب سلامة في دينه وقطعا
لطمعه عن غيره وحسن نية في صلة رحم او اعانة فقير معدم
الى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة بالدين ومن اقامه
الحق تعالى في التجريد واراد الخروج منه الى الاسباب فذلك
من انحطاط همته وسوء ادبه وكان ذلك من شهوته الجلية
لان التجريد مقام رفيع اقام الحق تعالى فيه خواص عباده من
الموحدين والعارفين فاذا اقامه الحق تعالى مقام الخواص
فلم ينحط عن رتبتهم الى منازل اهل الانتقاص قال الشيخ
ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من لم يانف من مشاركة
الاضداد في الاسباب فهو خسيس الهمة وعلامة اقامته اياه
في التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات
ذلك خفت رقت التجرد وصفا قلبه ووجدان راحته من الالتفات الى
الخلق ومخالطتهم والهمة حالة للقلب وهي قوة ارادة وغلبة

انبعاث

انبعاث الى نيل مقصود ما وتكون عالية ان تعلقت بمعالي
الامور وسافلة ان تعلقت باداينها قال الشاعر
وقايلة لم عرتك الهموم   وامرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على حالتي   فان الهموم بقدر الهمم وقال اخر
اذا اعطشتك اكف اللئام   كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى   وهامة همته في الثريا
وما ذكرته من معاني الاقامة في نوعي الاسباب والتجريد
هو شي فهمته مما يقوله بعد هذا من علامة اقامة الحق
لك في الشي ادامته فيه مع حصول النتايج فالله اعلم وقد   اياه
ذكر في التنوير هذه المسالة بنصها حكاية عن هذا الكتاب
وقال باثره وافهم رحمك الله ان من شان العدو ان ياتيك
فيما انت فيه مما اقامك الله فيه فيحقره عندك
لتطلب غير ما اقامك الله فيه فيشوش عليك قلبك وينكدر
وقتك وذلك انه ياتي للمتسببين فيقول لهم لو تركتم   للمتسببين
الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار ولصفت منكم
القلوب والاسرار وكذلك صنع فلان وفلان
ويكون هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له
به انما صلاحه في الاسباب فيتركها فيتزلزل ايمانه
ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب من الخلق والى
الاهتمام بالرزق فيرمي في بحر القطيعة وذلك قصد العدو
منه لانه انما ياتيك في صورة ناصح كما اتى ابويك فيما اخبر الله

نعم
كل
سايله

فنقلناه بلفظه ووددنا لو ان جميع مسئلة تكون هكذا
سوابق الهمم لا تخرق اسوار الاقدار
الهمم السوابق هي قوى النفس التي ينفعل عنها بعض
الوجودات باذن الله تعالى وتسميها الصوفية همة
ويقولون احال همته على امر ما فانفعل له ذلك وهذه
الهمم السابقة وهو معنى قولنا باذن الله تعالى فهي على حال
سبقتها ونفوذها لا تخرق اسوار الاقدار ولا تنفذ
وهذه الهمم قد تكون للاولياء كرامات وقد تكون
لغيرهم استدراجا ومكرا كما تكون للمعاين والساحر
وقد ثبت ان العين والسحر حق ومعناه انها اسباب
لا تاثير لها ولا فاعلية وان الفاعل هو الله وحده عندها
لا بها وكان المولف رحمه الله انما اورد هذه المسئلة
بين يدي كلامه في التدبير ليعرفك بذلك ان وجود التدبير
لا جدوى له ولا فائدة لان الهمة الفعالة اذا لم تنفذ
في خرق اسوار الاقدار شيئا فكيف يفيد ذلك التدبير
وما لا فائدة فيه فضول لا ينبغي ان يشتغل به ويتعب فيه
ذوو العقول ولذلك قال ارح نفسك من التدبير فما
قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك تدبير الخلق
لامور دنياهم على الوجه الذي يقوله مذموم لان الله
تعالى قد تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم ان يفرغوا
قلوبهم منه ويقوموا بحق عبوديته ودوام التعلق بطاعته وهو
ان

لا تنفعل الاشياء عنها الا بالقضاء والقدر ح

ما ذكرناه من حاصل ذلك انه يجب ان يعتقد ح

ان يقدر العبد لنفسه شيئا مما يكون عليها من امور دنياه
على ما تقتضيه شهوته وهواه ويدبر لها ما يليق
بها من احوال واعمال ويستعد لذلك ويهتم لاجله
وهذا تعب عظيم تتعجله لنفسه ولعل الذي يقدره
لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه لما فيه من ترك
العبودية ومضادة احكام الربوبية ومنازعة
القدر واضاعة العمر فيما يجب العاقل على تركه والاجتناب به
وقطع مواده واسبابه قال سهل بن عبد الله رضي الله
عنه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على
الناس عيشهم وقال ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
ان كان ولا بد من التدبير فدبروا ان لا تدبروا وهذه
المسئلة اساس طريق القوم وبالحري جملته وكليته
والكلام فيها طويل عريض وانما اقتصرنا فيها على هذا
القدر اليسير منه للتنبيه لان المولف رحمه الله افرد
لهذا المعنى كتابا سماه التنوير في اسقاط التدبير احسن
فيه غاية الاحسان وقرب الامر فيه بحيث يستغني به
عما سواه في هذا الطريق عن ديوان في تحصيله متعين
على كل مريد نجيب اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك
فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك
الشيء المضمون للعبد هو رزقه الذي يحصل له به قوام
وجوده في دنياه ومعنى كونه مضمونا ان الله تعالى تكفل

بذلك وفرغ العباد عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد في السعي
فيه ولا الاهتمام له والشي المطلوب من العبد هو العمل
الذي يتوصل به الي سعادة الاخرة والقرب من الله
تعالي من عبادات وطاعات ومعني كونه مطلوبا انه
موكول الي اكتساب العبد له واجتهاده فيه ومراعات
شروطه واسبابه واوقاته بهذا اجرت سنة الله
تعالي في عباده قال الله تعالي في المعني الاول الذي ضمنه
للعبد وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
واياكم وقال تعالي في المعني الثاني الذي طلب منه وان
ليس للانسان الا ما سعي وقد روي في بعض الاثار
عن الله تعالي عبدي لحقي فيما امرتك ولا تعلمني فيما
يصلحك وذكر في الخبر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال
ما بال اقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين
ويعملون بالقران ما وافق هواهم وما خالف اهواهم
تركوه فعند ذلك يومنون ببعض ويكفرون ببعض
يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والاجل
المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك
الا بالسعي من الخير الموفور والسعي المشكور والتجارة
التي لا تبور وقال ابرهيم الخواص العلم كله في كلمتين
لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فمن قام بهذا الامر
علي ما ينبغي له من الوجه الذي ذكرناه من الاجتهاد في الامر
المطلوب

المطلوب منه وتفريغ القلب من الامر المضمون له فقد
انفتحت بصيرته واشرق نور الحق في قلبه وحصل علي
غاية المقصود ومن هذا الامر فهو مطموس البصيرة
اعمي القلب وفعله دليل علي ذلك والبصيرة ناظر القلب
كما ان البصر ناظر العين وناظر القلب انما ينظر الي العاقبة
والعاقبة للمتقين فالتقوي هي التي يجب علي العبد ان
يجتهد فيها لا غير وتعبير المولف رحمه الله تعالي
بالاجتهاد اشعار بان طلب الرزق من غير اجتهاد غير
مقصود بالكلام وهو كذلك لانه مباح ومأذون فيه
فلا يدل ذلك علي انطماس بصيرة صاحبه الا ان اقترن
به تقصير فيما امر به قال في التنوير وامر اهلك
بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك
اي فهم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيان شي ضمنه
الله لك فلا تتهمه وشي طلبه منك فلا تهمله فمن اشتغل
بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته
وقل ما يتنبه لمن يوقظه بل حقيق علي العبد ان يشتغل
بما طلب منه عما ضمن له اذ كان سبحانه قد رزق اهل
الجحود كيف لا يرزق اهل الشهود اذا كان سبحانه قد
اجري رزقه علي اهل الكفران كيف لا يجري رزقه علي
اهل الايمان فقد علمت ايها العبد ان الدنيا مضمونة لك
اي مضمون لك منها ما يقوم باودك والاخرة مطلوبة منك

ولا ينبغي ان يقصر فيما يمنع منها

وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وهذا الحديث في الاحياء للغزالي

اي العمل لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا فان خير
الزاد التقوى فكنو بنيت لك عقلا وبصيرة واهتماما
فيما ضمن لك فانقطعا عن اهتمامك بما طلب منك من امر الاخرة
حتى قال بعضهم ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الاخرة
فليته ضمن الاخره وطلب الدنيا انتهى لا يكن تاخير
امد العطا مع الالحاح في الدعا موجبا ليا سك فهو ضمن
لك الاجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت
الذي يريد لا في الوقت الذي تريد حكم العبد ان لا
يتخير شيا على مولاه ولا يجزم بصلاحية حال من الاحوال
له لانه جاهل من كل وجه فقد يكره الشيء وهو خير له
ويحب الشيء وهو شر له قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه
لا تختر من امرك شيا واختر ان لا تختار وفر من ذلك
المختار ومن فرارك اليه ومن كل شي الى الله تعالى
وربك يخلق ما يشا ويختار ودخل رجل على سيدي ابي العباس
المرسي رضي الله عنه وهو متالم لما به فقال ذلك الرجل
عافاك الله يا سيدي فسكت ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل
ساعة وقال الله يعافيك يا سيدي فقال الشيخ ابو العباس
وانا ما سالت الله العافية فقد سالته العافية والذي
انا فيه هو العافية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سال
العافية وقال ما زالت اكلة خيبر تعاودني والان قد قطعت
الابهري ابو بكر الصديق رضي الله عنه سال العافية وبعد
ذلك

ذكر مات مسموما عمر رضي الله عنه سال الله العافية
وبعد ذلك مات مطعونا عثمان رضي الله عنه سال
الله العافية وبعد ذلك مات مذبوحا علي رضي الله عنه
سال الله العافية وبعد ذلك مات مقتولا فاذا سالت
الله العافية فسل الله العافية من حيث يعلمها لك انها
عافية انتهى فعلى العبد ان يسلم نفسه الى مولاه ويعتقد
ان الخيرة له في جميع ما به يتولاه وان خالف ذلك مراده
وهواه فان دعا وطلب من مولاه شيا يرى ان له فيه
مصلحة ايقن بالاجابة لا محالة قال الله تعالى وقال
ربكم ادعوني استجب لكم وقال تعالى واذا سالك عبادي
عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان وعن جابر
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من احد يدعو بدعاء الا اتاه الله ما سال او كف عنه
من السوء مثله ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وعن انس
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو
الا استجاب الله دعوته او صرف عنه مثلها سوءا وحط
من ذنوبه بقدرها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فاذا
الاجابة المطلقة حاصلة لكل داع بخصوصها وورد الوعد الصدق
الا ان الاجابة امرها الى الله تعالى يجعلها متى يشا وقد يكون
المنع وتاخير العطا اجابة وعطا لمن فهم عن الله تعالى
في ذلك فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى اذا راى منعا

اوتاخيرا او ان الح في دعايه وسؤاله وقد يكون تاخير
ذلك الى الاخره خيرا له فقد جا في بعض الاخبار يبعث عبدا
فيقول الله تعالى له الم امرك برفع حوايجك الي فيقول
نعم قد رفعتها اليك فيقول الله تعالى ما سالت شيا
الا اجبتك فيه ولكن نجزت البعض في الدنيا وما لم انجز
في الدنيا فهو مدخر لك تجده الان حتى يقول ذلك العبد
ليته لم يقض لي حاجة في الدنيا وقد ورد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني النهي عن الاستعجال في اجابة الدعا
في قوله يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم
يستجب لي وقد دعا موسى وهرون عليهما السلام على فرعون
كما اخبر الله تعالى به عنهما حيث قال ربنا اطمس على
اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب
الاليم ثم اخبر انه اجاب دعاهما في قوله سبحانه قال قد
اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
قالوا وكان بين قول الله لهما قد اجيبت دعوتكما وهلاك
فرعون اربعون سنة قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه
في قوله تعالى فاستقيما اي على عدم استعجال ما طلبتما
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون
الاجابة وناهيك شرفا وجلالة ما يتحصل له بسبب مداومة
الدعا من التحقق بمحبة الله تعالى وموافقة رضاه فقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الملحين في الدعا

حـ اي تعيين مطلوبه

وقد

عبدك
وقد جا في الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب فلان
اقض له حاجته فيقول دعوا عبدي فاني احب ان اسمع صوته
رواه انس بن مالك رضي الله عنهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا ان من الناس من يعجل
الله له قضا حاجته لكراهته صوته وقد روي هذا المعنى
ايضا منصوصا فليتلق العبد خايفا من ذلك عند تعجيل
اجابة دعايه قال ابو محمد عبد العزيز المهدوي
رضي الله عنه كل من لم يكن في دعايه تاركا لاختياره وراضيا
باختيار الحق فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته
فاني اكره ان اسمع صوته فاذا كان في دعايه مع اختيار
الحق تعالى لا مع اختياره لنفسه كان مجابا وان لم يعط والاعمال
بخواتيمها انتهى وقد تكون الاجابة متوقفة على شروط
لا علم للداعي بها فتتاخر لعدم وقوع ذلك او بعضه
وذلك مثل وجود الاضطرار قال الله تعالى امن يجيب
المضطر اذا دعاه فرتب الاجابة على الاضطرار وقال بعض
العارفين اذا اراد الله تعالى ان يستجيب دعا عبد رزقه
الاضطرار في الدعا والاضطرار لا يتحققه العبد من نفسه
في جميع حالاته قال بعضهم المضطر الذي اذا رفع الى الله
يديه لم ير لنفسه عملا وهذا حال شريف ومقام منيف
يعز على اكثر الناس الوصول اليه فكيف يتحقق في الاجابة
ما ينبني عليه وفي المسالة التي بإثر هذا تنبيه على هذا المعنى

حـ اي تعيين ما يطلبه

لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود وإن
تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك وإخمادا
لنور سريرتك الحق سبحانه لا يخلف الميعاد فمن
وعده مولاه شيئا وإن كان معين الزمان ثم لم يقع
ذلك الموعود فلا ينبغي أن يشكك في صدق ربه ويجوز أن يكون
وقوع ذلك الوعد معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق
تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد أن يعرف قدره
ويتأدب مع ربه ويسكن إليه فيما وعده به ويطمئن إليه
ولا يشكك في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على
هذا الوصف فهو عارف بالله تعالى سالم البصيرة منور
السريرة والأمر بالعكس إذا فتح لك وجهة من التعرف
فلا تبال معها إن قل عملك فإنه ما فتحها لك إلا وهو
يريد أن يتعرف إليك ألم تعلم أن التعرف هو
مورده عليك والأعمال أنت مهديها إليه وأين
ما تهديه إليه مما هو مورده عليك معرفة الله
تعالى هي غاية المطالب ونهاية الآمال والمآرب فإذا
واجه الحق تعالى عبده ببعض أسبابها وفتح له باب التعرف
منها فذلك من النعم الجزيلة عليه فينبغي أن لا يكترث
بما يفوته بسبب ذلك من أعمال البر وما يترتب
عليها من جزيل الأجر وليعلم أنه سلك به مسالك
الخاصة المقربين المؤدي إلى حقيقة التوحيد واليقين

من

صابر

ورأيت الذي لا كلفة أنت قادر عليه ولا غنى بعضد أنت
وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل به منهم الإياس
وذلك من أعظم فوائد العزلة عند العقلاء الأكياس
ولا تتم له منفعة العزلة إلا باشتغال القلب بالفكرة
وهي المقصودة ههنا وكانت العزلة المقدمة لها ومعينة
عليها وذلك بعد تقرير ما يحتاج إليه من علوم الشرع
الظاهرة والقيام بمراعاة آداب الخلق وقد ذكر منها
أبو حامد الغزالي قدس الله روحه جملة شافية في كتاب
العزلة من الإحياء فلتنظر هنالك وقد جاء في الخبر تفكر ساعة
خير من عبادة سبعين سنة كذا هو والله أعلم وكان عيسى عليه
السلام يقول طوبى لمن قلبه ذكر وصمته فكر ونظره
عبرة إن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
وقال بعضهم من أراد شرف الآخرة فليكثر التفكر وقيل لأم
الدرداء ما كان أفضل عمل أبي الدرداء قالت التفكر
وذلك لأنه يصل بها إلى معرفة حقائق الأشياء ويتبين
الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع بها أيضا على
خفيات آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا
ويتعرف بها وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة منها قال
الحسن الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك ويطلع بها أيضا
على عظمة الله تعالى وجلاله إذا تفكر في آياته ومصنوعاته
ويطلع بها أيضا على آلائه ونعمائه الجلية والخفية فيستفيد

بذلك احوال الاجنبية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بسببها
على طاعة ربه قلت والعزلة التي ذكرها المولف رحمه
الله تتضمن وجود الخلوة وهي احد الاركان الاربعة
التي هي اساس المريدين ويلزم عنها منه الثلاثة الثاني
الصمت اذ لا يتاتى من اكثر الناس الا بالخلوة والعزلة
فان اضاف اليها المريد الركنين الباقيين وهما الجوع
والسهر فقد حصل على كلية الدوا والتحق بزمرة الاوليا
البدلا قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اجتمع الخير
كله في هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا اخماص
البطون والصمت والخلوة والسهر وقال العارف في المعنى
يا من يريد منازل الابدال من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعن فيها فلست من اهلها ان لم تزاحمهم على الاحوال
بيت الولاية قسمت اركانه ساداتنا فيه من الابدال
ما بين صمت واعتزال دايم والجوع والسهر النزيه
كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته كيف
يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ام كيف يطمع
ان يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته
ام كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب
من هفواته الجمع بين الضدين محال كاجتماع الحركة
والسكون والنور والظلمة وهذه الاشيا التي ذكرها
المولف رحمه الله اضداد لا تجتمع فان اشراق القلب

بنور

بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التي استولت
عليه من ركونه الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها
والسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد
لاعتقاله في حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة
الله المقدسة المقتضية للطهارة الداخل [illegible]
مضاد لما هو عليه من جنابة غفلاته التي مقتضاها
الانفصال والابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفادة من
التقوى مضاد للاصرار على المعاصي والهفوات
واليه الاشارة بقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم
الله ومما روي في بعض الاخبار من عمل بما علم ورثه
الله علم ما لم يعلم قال يحيى بن معاذ رحمة الله التقى
احمد بن حنبل احمد ابي الحواري رضي الله عنهم
فقال ابن حنبل [redacted] الحواري يا احمد حدثنا بحكاية سمعتها
من استاذك ابي سليمان فقال يا احمد قل سبحان الله بلا
عجب فقال احمد بن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب
فقال احمد بن الحواري سمعت ابا سليمان يقول اذا
اعتقدت النفوس على ترك الاثام جالت في الملكوت
وعادت الى ذلك العبد بطرايف الحكم من غير ان يودي
اليها عالم علما قال فقام احمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا
وقال ما سمعت في الاسلام بحكاية اعجب الي من هذه ثم ذكر
الحديث الذي ذكرناه من عمل بما يعلم اورثه الله علم

احمد ابن حنبل

ما لم يعلم ثم قال لاحمد بن ابي الحواري صدقت يا احمد وصدق
شيخك ولا تكون هذه الاشيا اضدادا عند المولف رحمه
الله ممن يعتقد صحة اجتماعها وممن طمع في نيل مراتب
الرجا مع كونه على اقبح الخلال الكون كله ظلمة وانما انار
ظهور الحق فيه فمن راى الكون ولم يشهده فيه او عنده
او قبله او بعده فقد اعوزه وجود الانوار وحجبت
عنه شموس المعارف بسحب الاثار العدم ظلمة والوجود
نور فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم وباعتبار تجلي
نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلف
احوال الناس ههنا فمنهم من لم يشاهد الا الاكوان وحجب
بذلك عن روية المكون فهذا تايه في الظلمات محجوب
بسحب الاثار الكاينات ومنهم من لم يحجب بالاكوان عن المكون
ثم هم في مشاهدتهم اياه فرق فمنهم من شاهد المكون
قبل الاكوان وهولاء هم الذين يستدلون بالموثر على
الاثار ومنهم من شاهده بعد الاكوان وهولاء الذين يستدلون
بالاثار على الموثر ومنهم من شاهده مع الاكوان والمعية
ههنا اما معية اتصال وهو شهوده في الاكوان واما معية
انفصال وهو شهوده عند الاكوان وهذه الظروف المذكورة
ليست بزمانية ولا مكانية لان الزمان والمكان من جملة
الاكوان والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم
من معانيهما فانهما ايضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل
هذه

هذه الامور والتفرقة بين هذه الحقايق على ما هي عليه
موكول الى اربابه فلنقتصر على ما ذكرناه فههنا زلت
اقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا
بعبارات منكرة في الشرع فكفروا بذلك وبدعوا مع اعتقاد
كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسكا بقوله تعالى
ليس كمثله شي وهو السميع البصير مما يدلك على وجود
قهره سبحانه وتعالى ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه
اتفقت مقالات العارفين والمحققين واشاراتهم
ومواجيدهم على ما ذكرناه قبل هذا من ان ما سوى
الله عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله
سبحانه قال الله سبحانه كل شي هالك الا وجهه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قالته الشعرا
الا كل شي ما خلا الله باطل قال بعض العارفين اي المحققون
ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية
واحاطة الديمومية وقال سيدي ابو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه انا لننظر الى الله ببصر الايمان والايقان
فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به على الخلق
هل في الوجود شي سوى الواحد الحق فلا نراه وان كان
ولا بد فنراه كالهبا في الهوا ان فتشته لم تجده شيا
وقال رضي الله عنه قوي على الشهود مرة فسالت ربي ان يستر
ذلك عني فقيل لي لو سالته بما ساله موسى كليمه عليه السلام وعيسى روحه

ومحمد صفيه صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين لم يفعل الله
ولكن سلبه ان يقولوا فما الته فهو اني قال ابن عطا في التنوير
فما سوى الله عند اهل المعرفة لا يوصف بوجود ولا فقد
اذ لا يوجد معه غيره لثبوت احديته ولا فقد لغيره
لانه لا يفقد الا ما يوجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع
العيان على فقد الاغيار ولاشرق نور الايقان فغطى
وجود الاكوان وبعد الكلام هو بسط ما ذكرنا في هذا
هذا الكتاب وقال بعضهم لو تكلفت ان ارى غيره لم استطع
فانه لا غير معه حتى اشهده معه وقال الشاعر
مذ عرفت الاله لم ار غيره وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا وانا اليوم واصل مجموع
وقال غيره الله قل وذر الوجود وما حوى
ان كنت مرتادا بلوغ كمال فالكل دون الله ان حققته
عدم على التفصيل والاجمال واعلم بانك والعوالم كلها
لولاه في محو وفي اضمحلال من لا وجود لذاته من ذاته
فوجوده لولاه عين محال فالعارفون فنوا ان لم يشهدوا
شيا سوى المتكبر المتعال ورأوا سواه على الحقيقة هالكا
في الحال والماضي والاستقبال وقد صنفوا في بيان هذا
الامر مصنفات وتفننوا في الكلام في هذا المعنى نظما ونثرا
وكل عبر على حسب ما رزق جزاهم الله عنا خيرا فاذا
تقرر هذا ووجدنا الترامهم قد حجبوا عن الله تعالى بشهود الخلق

الدنياويه ودرجاتهم الاخراويه ومقاماتهم العلويه
فكان ذكرهم الاغيار العدميه والوجودات الوهميه
علما بان لا وجود فهو من اسمايه تعالى القهار ومنه التمتع
الحجاب عنهم ليفنوا عن انفسهم وارادتهم ويبقوا به وبعد
وكانوا عباد الله حقا وقد سيل ابو سعيد الاعرابي رضي الله عنه
عن الفنا فقال الفنا ان تبدو العظمة والاجلال على العبد
فتنسيه الدنيا والاخرة والاحوال والدرجات والمقامات
والاذكار تفنيه عن كل شي وعن نفسه وعن عقله وفناءه
عن الاشيا وعن فنايه عن الفنا لانه يغرق في التعظيم انتهى
قال والفنا على ثلثة اوجه فنا في الافعال ومنه قولهم
لا فاعل الا الله وفنا في الصفات لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد
ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله وفنا في الذات
لا موجود على الاطلاق الا الله وانشد وا في ذلك فيفنى ثم يفنى ثم يفنى
فكان فناه عين البقاء وقال الشيخ محي الدين
رضي الله عنه من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم
لا حيوة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل
من ثم الخلق كالسراب فتترقى عن الحجاب الى وجود
مراه رتقا بلا ابتعاد ولا اقتراب ولم نشا نقدمه سواه
هناك المهدي الى الصواب فلا خطاب بدا لديه ولا تخيير
الى الخطاب [illegible]
بما اشرق عليهم من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم

كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي اظهر كل شي حتى يستدل
عليه المستدلون بالاشيا كما قال تعالى سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي انفسهم كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر
في كل شي اذ هو المتجلي فيها [illegible] بمعاني صفاته واسمايه
كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر لكل شي في ظهوره طور
ذلك الشي ولذلك كانت ساجدا له ومسبحا بحمده ولكن لا
تفقه ذلك كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الظاهر قبل وجود
كل شي لتحقق هذا الاسم له ازلا وابدا كيف يتصور ان يحجبه
شي وهو اظهر من كل شي لان الوجود اظهر من العدم على كل حال
كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الواحد الذي ليس معه شي
اذ كل ما سواه عدم لا وجود له على التحقيق كيف يتصور
ان يحجبه شي وهو اقرب اليك من كل شي لثبوت احاطته
بك ووجود قيوميته عليك كيف يتصور ان يحجبه شي
ولولاه لما كان وجود كل شي حتى اعتد به الشاهد و
على الاشيا كما قال تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي
شهيد يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم لان العدم ظلمة
بيان الحق والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان ام كيف يثبت الحادث
مع من له وصف القدم لان الباطل لا يثبت مع ظهور الحق كما قال
الله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
وقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو
زاهق قلت وهذا الفصل من قوله الكون كله ظلمة الى هنا بديع
فيه

فيه المولف غاية الابداع واتى فيه بما تقر به الاعين وتلذ به
الاسماع فانه رضي الله عنه ذكر جميع متعلقات الظهور
والبطون وحجابية كل العالم ونوره وادراك فيه الحق ورؤيته
عيانا وبرهانا ورفع همتك عن مقام الايمان الى اعلى مراتب
الاحسان كل ذلك في اوجز لفظ وافصح عبارة واتم تصريح
والطف اشارة فلو لم يكن في هذا الكتاب الا هذا الفصل
لكان كافيا شافيا جزاه الله عنا خيرا ما ترك من الجهل
شيا من اراد ان يحدث في الوقت غير ما اظهره الله فيه
اذا اقام الله تعالى العبد في حال من الاحوال التي لا يذمها
ورضاه بها الشرع فليلتزم حسن الادب في اختيار البقاء عليها وليترك
الله تعالى في مراعاة ادابها وليوافق مراد الله تعالى
في ذلك حتى يكون هو الذي ينقله عنها قال ابو عثمان رضي
الله عنه منذ اربعين سنة ما اقامني الله في حال فكرهته
ولا نقلني الى غيره فسخطته وقد تقدمت حكاية المولف
مع شيخه ابي العباس رضي الله عنهما حين عزم على التجريد
وتركه لما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما جاء به
الشيخ وهذا من نتائج العلم بالله تعالى ومعرفة ربوبيته
فان سخط تلك الحال والتشوف الى الانتقال عنها بنفسه وارادة
ان يحدث غير ما اظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه
واساء الادب في حضرة مولاه عز وجل وهذا من معارضة
حكم الوقت الذي تشير اليه الصوفية وهو عندهم من اعظم

ذنوب الخاصة فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله
تعالى في ذلك الوقت فهو ادب العبودية ومقتضى
العلم بالله فهذا هو احد معاني لفظ الوقت في اصطلاحهم
قال الامام ابو القسم القشيري رضي الله عنه وقد يريدون
بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون
لانفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت اي انه مستسلم
لما يبدو من الغيب من غير اختيار وهذا فيما ليس لله عز وجل
عليهم فيه امر او اقتضا بحق شرع اذ التضييع لما امر
به واحالة الامر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك
من التقصير خروج من الدين ومن كلامهم الوقت
سيف اي كما ان السيف قاطع فالوقت بما يقتضيه الحق
ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن
لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من استسلم لحكمه
نجا ومن عارضه بترك الرضا انتكس وتردى وانشدوا
وكالسيف ان لاينته لان مسه وحداه ان خاشنته خشنان
ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت
فالوقت عليه مقت هذا كلام ابي القاسم رحمه الله وهو
موافق لما ذكره صاحب الكتاب والله اعلم احالتك
الاعمال على وجود الفراغ من رعونات
النفس اذا كان العبد متشاغلا بحال من احوال دنياه وكان له
فيها شغل يمنعه من العمل بالاعمال الصالحات واحال ذلك العمل
على

يقتضيه

بحكم الرضا

على فراغه من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت فذلك من
رعونة نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وهي قبيحة
من وجوه الاول ايثار الدنيا على الاخرة وليس هذا شان
عقلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلبه منه قال الله تعالى بل تؤثرون
الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى الثاني تسويفه بالعمل
الى اوان فراغه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك
ويزداد شغله لان اشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض
كما قيل فما قضى احد منها لبانته ولا انتهى ارب الا الى ارب
والثالث ان تفرغ منها ما الذي يؤمنه من تبدل عزمه
وضعف نيته ثم فيه من دعوى الاستقلال ورؤية الحول
والقوة في جميع الاحوال ما يحتقر في جنبه جميع الاوزار بل
الواجب عليه ان يبادر الى الاعمال على اي حال كان وان
ينتهز فرصة الامكان قبل مفاجاة الموت وحلول الفوت
وان يتوكل على الله في تيسيرها عليه وصرف الموانع الحايلة
بينه وبينها وما احسن قول ابن الفارض رحمه الله
في هوا المعنى وعد من قريب واستجب واجتنب غدا
اشمر عن ساق اجتهاد بنهضة وكن صارما في الوقت
فالمقت في عسى واياك علا فهي اخطر علة
وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك البطالة ما اخرت عزما لصحة
وجد بسيف العزم سوف فان تجد تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت
لا تطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو اراد ل

هذا

كما انه اذا كان المريد على حالة لا توافق غرضه كانت متعلقة
بالدين او الدنيا لا ينبغي له ان يروم الخروج منها بنفسه
ويعارض حكم وقته فيحدث فيه غير ما اظهره تحكما تقدم
في قوله ما ترك من الجهل شيئا من اراد ان يحدث في الوقت
غير ما اظهره الله فيه مع الشرط المتقدم وهو ان لا يكون
في ذلك مخالفة امر او ارتكاب نهي فينبغي له ايضا ان
لا يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه ان يخرجه منها ويستعمله
فيما سواه لان هذا من التخيير على الله تعالى لا خير له في ذلك
بل ينبغي له حسن الادب معه وايثار مراده على اختياراته
هو وحينئذ يتحقق بحال يتعرف فيها محبة الله تعالى ان اراد
له فيستعمله الله الا محجوبا بمراده مع بقائه على حالته التي هو عليها
فيكون اذ ذاك مرادا لله تعالى له لا مريدا لنفسه
وخير مما اختاره تاج في التنوير يحكى عن بعضهم انه
كان يقول وددت لو اني تركت الاسباب ومن عجيب
كان يوم رغيف يريد بذلك ان يستريح من تعب الاسباب
قال فبعثت تركت في المسجد يوتى لي في كل يوم رغيفين فطال
ذلك علي حتى ضجرت ففكرت يوما في امري فقيل لي انك
طلبت منا مثله يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية فاعطيناك
ما طلبت فاستغفرت من ذلك ورجعت الى الله تعالى فاذا
بباب الرزق يقرع فتحا لي قد خرجت قال فيه يقادر بهذا
ايها المومن ولا تطلب ان يخرجك من امر ليستعملك فيما سواه

اذا

اذا كان ما انت فيه مما يوافقك فان العلم فان ذلك
من سوء الادب مع الله تعالى فاصبر لئلا تطلب الخروج
بنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك
شيئا او داخل في غيره ليجد الثروة والراحة فتعب
وعوقب بوجود التعب عقوبة لوجود الاختيار واشبه
كلامه في التنوير وهو كالتنبيه لما ذكره هنا فلذلك
ما ارادت همة سالك ان تقف عند ما كشف لها الا ونادته
هواتف الحقيقة الذي تطلب امامك ولا تبرجت ظواهر
المكونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر
السائر الى الله تعالى تتجلى له في اثناء سلوكه انوار وتبدو له
اسرار فان ارادت همته ان تقف عندما كشف لها من ذلك
لاعتقاده انه وصل الى الغاية والنهاية من المعرفة نادته
هواتف الحقيقة الذي تطلب امامك فجد في السير ولا تقف
وان تبرجت لك ظواهر المكونات بزينتها وجمالها الى حسنها
وجمالها نادتك حقائقها الباطنة انما نحن فتنة فلا تكفر
وغمض عينيك عن ذلك ولا تلتفت اليه ودم على سلوكك
وسيرك واعلم انه ما دامت لك همة وارادة فانت
بعد في الطريق لم تصل فلو فنيت عنها لوصلت وما احسن
قول الشيخ ابي الحسن الششتري في هذا المعنى
فلا تلتفت في السير غيرا فكل ما سوى الله غير فاتخذ ذكره
وكل مقام لا تقم فيه انه حجاب فجد السير واستنجد العونا

كلاما حسنا مناسبا لما ذكره المؤلف رحمه الله

اعلم

حلنا

ومهما ترى كل المراتب تجتلى عليك فحل عنها فعن مثلها
وقل ليس في غير ذاك طلبت فلا صورة تجلى ولا طرفة تحنى
وقد رأيت لسيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ههنا من
الترقي في الاحوال وعدم النقص في رؤية الكمال فرأيت
ان اذكره ههنا تنبيها لما فيه من سني الفوائد وشريف المقا
قال رضي الله عنه اعلم انك اذا اردت ان يكون لك نصيب
مما لاولياء الله تعالى بالشارة فعليك برفض الدنيا جملة
الا من يدلك على الله باشارة صادقة واعمال ثابتة
لا ينقضها كتاب ولا سنة واعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن
ممن يعرض عنها ليعطى شيئا على ذلك بل كن في ذلك عبد الله
امرك ان ترفض عدوه فان كنت في هذين الخصلتين لا بمرا عق
من الدنيا والزهد في الدنيا فاقعد مع الله بالمراقبة والتزام
التوبة بالرعاية والاستغفار بالانابة والخضوع
للاحكام بالاستقامة وتفسير هذه الوجوه الاربعة
ان تقوم عبد الله فيما تأتي وتذر وتراقب قلبك ان
لا ترى في المملكة شيئا لغيره فان رأيت هذا ناداتك
هواتف الحق من انوار العز انك قد عميت عن طريق
الرشد فاين لك القيام مع الله بالمراقبة وانت تسمع
قوله وكان الله على كل شيء رقيبا فهنالك بادر لك من الحيا
بالمحبة الى التوبة مما ظننت انه قريب فالتزم التوبة
بالرعاية لقلبك ان لا تشهد ذلك منك بحال فتعود الى ما
خرجت

خرجت عنه فان صحت هذه منك ناداتك الهواتف
ايضا من قبل الحق التوبة منه بذاتك ولا يتيه والانابة
منه تتبعها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك
منها لك تطهر اوصافك فتستعيذ بالله منها وتأخذ في
الاستغفار والانابة والاستغفار طلب الستر من اوصافك
بالرجوع الى اوصافه فان كنت بهذه الصفة اعني الاستغفار
والانابة ناداك من قريب اخضع لاحكامي ودع عنك
منازعتي واستقم مع ارادتي برفض ارادتك وانما
هي ربوبية تولت عبودية وكن عبدا مملوكا لا يقدر
على شيء فمتى رأيت منك قدرة وكلتك اليها وانا بكل شيء
عليم فان صح لك هذا الباب ولزمته اشرقت عليك هناك
على اسرار لا تكاد تسمع من احد من العالمين للطلب منه
انواع له وطلب له غيبته عنه منك وطلبه لغيره لعلمه بحاجتك منه
وطلبه من غيره لوجود بعدك عنه الطلب يتصور من
العبد على اربعة اوجه كلها مدخول معلول الطلب من الله
والطلب له والطلب لغيره والطلب من غيره فطلبه من الله تهمة
له اذ لو وثق به في ايصال منافعه اليه من غير سؤال
لما طلب منه شيئا وطلبه له غيبة عنه اذ الحاضر لا يطلب
وطلبه لغيره قلة حياء منه اذ لو استحيا منه لانقبض
عما يكرهه له من طلبه لغيره ومن حظ الحياء منه ان لا يذكر
معه غيره ولا تؤثر عليه سواه وطلبه من غيره لوجود بعده

عنه فلا تخلو منه في الحلية كله عند الموحدين العارفين
معلول كان الطلب تعلقا بالحظ او بالخلق الا ما كان من
الطلب على وجه التعبد والتأدب واتباع الامر واظهار
الفاقة والفقر فحينئذ تزول عنه العلة ما من نفس تبديه
الا وله قدر فيك يمضيه الانفاس ازمنة دقيقة تتعاقب
على العبد ما دام حيا فكل نفس يبديه ومنه ظرف لقدر
من اقدار الحق تعالى ينفذ فيه كما انها اماكن نفاذ الكائنات
جزئيات العبد ودقائقه قد تتفرق فيها احكام الله
تعالى واقداره وكان جميع ذلك يقتضي منه حقوقا لازمة
من حقوق الله تعالى يقوم بها وهو مطالب بذلك ومسؤول
عنه وعن انفاسه التي هي امانة الحق عنده لم يبق
له اذ ذاك مجال لتدبير امور دنياه ولا اهمال لمتابعة
شهوته وهواه لا تترقب فروغ الاغيار فان ذلك
يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه اذا اقام
الله تعالى عبدا في سبب من الاسباب فالواجب عليه ان
يوفيه حقه ويلتزم فيه الادب ولا يترقب وقتا ثانيا
يكون به فارغا منه فان تأجيله للوقت الثاني يمنعه
من القيام بحق الوقت الاول فيما اقيم فيه وتوفيته ما يجب
له وهو خلاف الامر المطلوب منه فليجتنب ذلك المريد
قال ابو حفص رضي الله عنه الفقير الصادق الذي يكون
في كل وقت بحكمه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته
يستوحش

باب لا تترقب فروغ الاغيار صح

يستوحش منه وينفيه وقال سهل بن عبد الله رضي الله
عنه اذا جنك الليل فلا تأمل النهار حتى تسلم لليلتك
وتؤدي حق الله فيها وتنصح فيها النفس واذا اصبحت فكذلك
وقيل لسهل متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير وقتا
غير الوقت الذي هو فيه لا تستغرب وقوع الاكدار
ما دمت في هذه الدار فانها ما ابرزت الا ما هو مستحق
وصفها وواجب نعتها جعل الله الدنيا دار فتنة وابتلاء
ليعمل كل احد فيها بمقتضى ما سبق له ويوفي جزاءه في الدار الآخرة
قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وعمل كل احد
فيها انما هو مخالفة شهوات نفسه او موافقتها وذلك
لا محالة يستدعي وجود محبوب او مكروه بفعل او ترك
فمن ضرورات الدنيا وجود المكاره والمشاق فيها
فيقع الاكدار بسبب ذلك وايضا فجميع الدنيا امور
وهمية انقادت طباع الناس اليها وهي لا تفي بجميع
مطالبهم فتتكدر عيشتهم ولم يحصلوا الا ببلية اغراضهم
كما قيل ارى اشقياء الناس لا يسأمونها على انهم فيها
عراة وجوع اراها وان كانت تحب فانها سحابة
صيف عن قليل تقشع فلا تستغرب وقوع امثال هذا
فانه ما ظهر الا ما يستحق وصفها وواجب نعتها من وجود
المكاره التي هي لازمة لها قال بعض الحكماء لولا ان الدنيا
مبنية على المكاره لجعلت منفعة الاصلية في اللون ع

في الازل

تعالى

لضيقها وقلتها
وسرعة تقضيها
وتقلبها فتجاذبها
بينهم صح

وسيأتي التنبيه على الحكمة في هذا عند قوله إنما جعلها
محلا للأغيار ومعدنا لوجود الأكدار تزهيدا لك فيها
وفي بعض الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق رضي
الله عنه أنه قال من طلب ما لم يخلق له أتعب نفسه ولم يرزق
وقيل له وما ذاك قال الراحة في الدنيا وفي معناه أنشدوا
تطلب الراحة في دار الفنا خاب من يطلب شيئا لا يكون
وقال بعض البلغاء ملتمس السلامة في دار الدنيا كالمتعرض للمعاطب
كالمتمرغ على مزاحف الحيات ومذاب العقارب وقال
بن مسعود رضي الله عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها في
سرور فهو ربح وقال الجنيد رحمه الله لست أستبشع ما يرد
علي من العالم لأني قد أصلت أصلا وهو أن الدنيا دار هم
وغم وفتنة وأن العالم كله شر واحد ومن حكمه أن يتلقاني
بكل ما أكره فإن تلقاني بكل ما أحب فهو فضل وإلا فالأصل
هو الأول وقال أبو تراب رضي الله عنه يا أيها الناس إنكم
تحبون ثلاثة أشياء وليس هي لكم تحبون النفس وهي لله وتحبون
الروح وهي لله وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون
اثنتين ولا تجدونهما الراحة والفرح في الدنيا وهما
في الجنة فالواجب على العبد أن لا يوطن على الراحة في الدنيا
نفسه ولا يركن منها إلى ما يقتضي فرحا وأنسا ويعمل على قول
النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه
الدنيا سجن المؤمن فتوطين العبد على المحن في دنياه يهون
عليه

عليه ما يلقاه ويجد السلوان عند فقدان ما يهواه كما
قيل يمثل ذو اللب في نفسه شدائده من قبل أن تنزلا
فإن نزلت بغتة لم ترعه لما كان في نفسه مثلا رأى
الأمر يفضي إلى آخر فصير آخره أولا وذو الجهل
يأمن أيامه وينسى مصارع من قد خلا فإن دهمته صروف
الزمان ببعض مصائبه أعولا ولو قدم الحزم في نفسه
لعلمه الصبر عند البلا فليتلق المريد ما يرد عليه
من ذلك بالصبر والرضا والاستسلام عند جريان
القضا فعن قريب إن شاء الله تعالى يتجلى الأمر
ويستوجب من الله تعالى جزيل الأجر والله تعالى ولي
التوفيق قال أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه قال لي
أبو سليمان الداراني جوع قليل وعري قليل وذل قليل وصبر
قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا واعلم أن ما ذكرناه
من الصبر هو جماع كل فضيلة وملاك كل خلق فايدة جز بليه
ومكرمة نبيلة قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى
على بني إسرائيل بما صبروا وقال تعالى وجعلنا منهم
أيمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال تعالى إنما يوفى
الصابرون أجرهم بغير حساب وفي وصية رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما إن استطعت
أن تعمل لله بالرضا في القضا فافعل وإن لم تستطع فاصبر
فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع

بلغ
في [illegible]

مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال عمر
بن الخطاب رضي الله عنه ان صبرت مضى امر الله وكنت
ماجورًا وان جزعت مضى امر الله وكنت مازورًا وقال
علي رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو وقال
ابن عباس رضي الله عنهما افضل العدة الصبر عند الشدة وفي
بعض الاخبار انتظار الفرج بالصبر عبادة وقد قال الشاعر
ان الامور اذا اشتدت مسالكها • فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا •
لا تياسن وان طالت مطالبة • اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا •
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته • ومدمن القرع للابواب ان
يلجا • فمن جعل الصبر عمدته في نوازله واعتمده من اعظم
عدده ووسايله فهو مصيب في رايه منجح في سعيه
ومن جزع من المصايب واضطرب عند وقوع النوايب
كان عاملا فيما يريده نكرا ويكسبه وزرا ويفوته اجرًا
وناهيك به خسرًا يا غافل • واذا تصبك مصيبة فاصبر
لها • عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر • وكما قيل ايضا
وعوضت اجرا من فقيد فلا تكن • فقيدك لا ياتي واجرك
يذهب • ما توقف مطلب انت طالبه بربك ولا تيسر مطلب انت
طالبه بنفسك ومن نزل حوايجه بالله تعالى والتجا اليه وتوكل
في امره عليه كفاه كل مؤونة وقرب عليه كل بعيد ويسر عليه
كل عسير ومن سكن الى عمله وعقله واعتمد على قوته
وحوله وكله الله تعالى الى نفسه وخذله وحرمه توفيقه
واهمله

واهمله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه وهذا معلوم على
القطع من نصوص الشريعة ولوائح التجارب قلت وكلام
المولف رحمه الله تعالى في هذه المسالة عام يتناول كل
مطلب من المطالب الدينية والدنيوية التي اهمها الى
الدين واشرف تلك المطالب واكثرها نفعا واعم ومعالجة
اخذ المريد في سلوك سبيل التوحيد ففيه التعلق بالله
احق واصوب وفي جميع حركاته الرجوع الى الله تعالى
اولى واوجب فالاجدر كان من الراي للمريد والاحرى
لابد ان تخصص من ذكر العام وان يفرده عقيب هذه
المسالة بمزيد من الكلام فلذا ذكرها لصقها من علامات
النجح في النهايات الرجوع الى الله في البدايات للمريد
بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله
فمن صحت بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة
به كما ذكرناه افلح ونجح في نهايته وكان وصوله الى الله
تعالى وامن عليه من الرجوع والانقطاع قال بعض المشايخ
ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا ومن
لم يصح ذلك منه بما ذكرناه من تعلقه بالحق وفراره اليه من
نفسه والخلق انقطع ورجع من حيث جا قال بعض العلماء من ظن
انه يصل الى الله بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة
الله تعالى بنفسه وكله الله تعالى الى نفسه ابدا السالك ان يجعل
معتمد امره الاستعانة بالله على ما هو بسبيله ولا يرى

حول نفسه ولا قوتها في كثير عمله ولا قليله فهذا هو اساس
السلوك الذي تنبني عليه قواعده ومن اشرقت بداياته
اشرقت نهاياته هذه عبارة اخرى موافقة لمعنى ما تقدم
فاشراق بداية المريد برجوعه الى الله تعالى في مهماته
وتثبيته في ملماته واشراق نهاية المريد برجوعه الى الله
تعالى ونهايته الوصول الى قربته والحصول الى حضرته
ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر
هذا بيان علامة يعرف حال المريد السالك وما يظهر به
باطنه من المزيد المتعدد لان الظاهر مرآة الباطن فكما
قيل الاثر يدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجوه
يلوح اثره فما اودعه الله تعالى القلوب والاسرار من
لابد وان تظهر اثار ذلك على الجوارح فيستدل بشاهد
العبد على غايبه من ارادة محبته والوصلة اليه وما اشبه هذا
من الاغراض والمقاصد قال ابو حفص حسن ادب الظاهر
عنوان حسن ادب الباطن فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقيل لما ورد ابو
حفص العراق جاء اليه الجنيد فراى اصحاب ابي حفص وقوفا
على راسه يأتمرون بامره ولا يخطي احد منهم فقال يا ابا
حفص ادبت اصحابك ادب الملوك فقال لا يا ابا القاسم
ولكن حسن الادب في الظاهر عنوان ادب الباطن قلت
والمراد من ذلك ان يعرف المريد نفسه ويكون من اسرها
علي

من غير اكتساب من العبد ولا تعمل والاعمال التي
من شأنها ان يلتبس بها شيء بالتشابه وبعمله فلا تسلم
من دخول الافات عليها والمطالبة بوجود الاخلاص فيها
وقد لا يحصل له ما يريد من الثواب عند مناقشة الحساب
وابين احدهما من الاخر ومثاله ما يصاب به الانسان
من البلايا والشدايد التي تنغص عليه لذات الدنيا
وتمنعه من تكثير اعمال البر فانه مراده ان يستمر
بقاه في دنياه لحب العيش بنعم البال ويكون حاله
في طلب سعادة الاخرة حال المترفين فلا تسخو نفسه
الا بالاعمال الظاهرة التي لا كبير مؤنة عليه فيها ولا
مشقة ولا تقطع عليه لذة ولا تفوته شهوة ومراد
الله منه ان يطهره من اخلاقه اللئيمة ويحول
بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من وجوده
الى متسع شهوده ولا سبيل له الى الوصول الى هذا
المقام على غاية الكمال والتمام الا بما يضاد مراده
ويشوش عليه معتاده ويكون ذلك حينئذ المعاملة
بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الاعمال الظاهرة فاذا
فهذا علمت ان اختيار الله تعالى له ومراده منه خير
له من اختياره لنفسه ومراده لها وقد روي ان الله
تعالى اوحى الى بعض انبيائه عليهم السلام انزلت
بعبدي بلاء فدعاني فماطلته بالاجابة فشكاني فقلت

عبدي كيف ارحمه من شي به ارحمه وفي حديث
ابي هريرة رضي الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدي المومن
فلم يشكني الى عواده انشطته من عقالي وبدلته لحما
خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ويستانف العمل
وروي عن سعيد المقبري قال سمعت ابا هريرة
يقول قال الله تعالى اذا ابتلى عبدي المومن فاذا لم
يشك الى عواده حللت عنه عقدي وبدلته لحما خيرا
من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت استانف العمل قال
ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه ولقد مر
في سالف ايامي مرضة فلما شفاني الله تعالى منها مثلت
في نفسي ما دبر الله تعالى لي من هذه العلة في مقدار هذه
المدة وبين ان يكون لي عبادة الثقلين في ايام علتي
فقلت لو خيرت بين هذه وبين ان يكون لي عبادة
الثقلين في مقدار مدتها الى ايهما اميل اختيارا فصح عزمي
ودام يقيني ووقعت بصيرتي على ان مختار الله تعالى
اكثر شرفا واعظم خطرا وانفع عاقبة وهي العلة التي
دبرها لي ولا شوب فيه اذ كان فعله فشتان بين فعله
بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رايت ذلك ذوقي
عني عبادة الثقلين مقدار تلك المدة في جنب ما اتاني
فصارت العلة عندي نعمة وصارت النعمة منة وصارت
المنة

المنة املا وصار الامل عطفا فقلت في نفسي بهذا كانوا
يستمرون في البلاء على تجنب النفوس مع الحق وبهذا الذي
انكشف كانوا يفرحون بالبلاء انتهى فهذه وجهة التعرف
التي فتحها الله تعالى وحصلت له الغبطة بها واثرها
على عبادة الثقلين والله اعلم فاذا ورد تعالى شيئا
من البلاء فليستشعر ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه
وليجدد تذكاره على نفسه حتى يحصل له من السلوة والطمانينة
ما يحمل عنه اثقال ذكره ويزيل عنه مرارته ويوجد حلاوته
وعند ذلك يكون حاله في بلائه حال الشاكرين من الفرح
والاغتباط به فيدرك من حق شكره ان ياتي بما يمكنه
من اعمال البر واعتبر جميع ما قلناه في هذه المسالة بالحكاية
التي ذكرها ابو العباس بن العريف رحمه الله تعالى في
كتابه مفتاح السعادة ومنهاج طريق الارادة قال فيه
كان بالمغرب عمره الله بالاسلام رجل يدعى با الجيار
رحمه الله تعالى ونفع به اصله من صقلية وموطنه بغداد
وجاور الشعين وهو في الرق لم يعتقه مولاه وذكر منه
عن قصد واختيار وعم جسده الجذام ورائحة المسك
توجد منه على مسافة بعيدة قال الذي يحدث عنه رايته
يصلي على الماء ثم لقيته بعد ومحمد الاشجعي فاذا هو
دابو فقلت له يا سيدي كان الله تعالى لم يجد للبلاء محلا
من عباده حتى انزله بكم وانتم خاصته واوليائه فقال

بلى اسكت لا تقل كذلك انه لما اشرفنا على خزائن العطا
لم نجد عند الله تعالى اشرف ولا اقرب اليه من الافتقار اليه
الا اياه ولكن بك لو رايت سيد الزهاد وقطب العباد وامام
الاوليا والاوتاد في غار بارض طرسوس وحبالها كحيه
يتتبع اثر وجده ببيل قيحا وصديدا وقد احاط به الذبا
والنمل فاذا كان الليل لم يقنع بذكره الله وشكره على
ما اعطاه من الرحمة واسكن جنده من العافيه حتى يشد
نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة الليل حتى يطلع
الفجر انتهى وسياتي شي من كلام المولف رحمه الله في هذا
المعنى والتنبيه عليه والله ولي التوفيق تنوعت
اجناس الاعمال لتنوع واردات الاحوال واردات
الاحوال هي ما يرد على القلوب من المعارف الربانيه
والاسرار الروحانية وهي توجب لها احوالا حميده
فمنها وارد يوجب قبضا ومنها وارد يقتضي بسطا ومنها
وارد يوجب هيبة ومنها وارد يوجب انسا الى غير
ذلك من مختلفات الاحوال ولما كانت هذه الواردات
ايضا متنوعة كانت اجناس الاعمال التي تقتضيها هذه
الاحوال الواردات ايضا متنوعة والاعمال الظاهرة
ابدا تابع لاحوال القلب الباطنة كما سيقول المولف
بعد هذا في قوله حسن الاعمال نتايج حسن الاحوال
الاعمال صور قايمة وارواحها وجود سر الاخلاص فيها

الاخلاص

اخلاص كل عبد في اعماله على حسب رتبته ومقامه فاما
من كان منهم من الابرار فمنتهى درجة اخلاصه
ان تكون اعماله سالمة من الريا الجلي والخفي وقصد
موافقة الهوى النفسي طلبا لما وعد الله به المخلصين
من جزيل الثواب وحسن الماب وهربا عما اوعد به
المخلطين من اليم العذاب وسو الحساب وهذا من
التحقق بمعنى قوله تعالى اياك نعبد اي لا نعبد الا
اياك ولا نشرك في عبادتنا غيرك وحاصل امره اخراج
الخلق عن نظره في اعمال بره مع بقا رويته لنفسه
في النسبة اليها والاعتماد عليها واما من كان منهم
من المقربين فقد جاوز هذه الى عدم رويته لنفسه
في عمله فاخلاصه انما هو شهود انفراد الحق تعالى
بتحريكه وتسكينه من غير ان يرى لنفسه في ذلك حولا
او قوة ويعبر عن هذا المقام بالصدق الذي به يصح مقام
الاخلاص وصاحب هذا مسلوك به سبيل التوحيد واليقين
وهو من التحقق بمعنى قوله تعالى واياك نستعين اي لا نستعين
الا اياك لا بانفسنا وحولنا وقوتنا فعمل الاول هو العمل لله
تعالى وعمل الثاني هو العمل بالله فالعمل لله يوجب
المثوبة والعمل بالله يوجب القربة والعمل لله
يوجب تحقيق العبادة والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة
والعمل لله قيام بالاحكام نعت كل قاصد والعمل بالله لله
نعت كل عابد والعمل بالله

بيان المثوبة

قيام بأحكام الظواهر والعمل بالله قيام بالضمائر
وهذه العبارات للإمام أبي القاسم القشيري رضي الله
عنه وبها يتبين الفرق بين المقامين وتباينهما
في الشرف والجلالة فالإخلاص لكل عبد هو روح أعماله فبوجود
ذلك يكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ويكون
فيها أهلية وجود القبول لها وبعدم ذلك يكون موتها
وسقوطها عن درجة الاعتبار وتكون إذ ذاك أشباحا
بلا أرواح وصورا بلا معاني قال بعض المشايخ صحح عملك
بالإخلاص وصحح إخلاصك بالتبري من الحول والقوة
ثم المؤلف رحمه الله أراد أن يذكر الحالة التي إذا
كان العبد عليها كان مخلصا فقال **ادفن وجودك في
أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه**
لا شيء أضر على المريد من الشهرة وانتشار الصوت لأن ذلك
أعظم حظوظه التي هو مأمور بتركها ومجاهدة النفس فيها
وقد تسمح نفس المريد بتركها ما سوى هذا من الحظوظ
ومحبة الجاه وإيثار الاشتهار مناقض للعبودية التي
هو مطالب بها قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه ما صدق
الله من أحب الشهرة وقال بعضهم طريقتنا هذه
لا تصلح إلا لأقوام كنست أرواحهم المزابل قال أيوب
السختياني والله ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر
بمكانه وقال رجل لبشر بن الحارث أوصني فقال أخمل

ذكرك

ذكرك واطلب مطعمك قال بشر رضي الله عنه ما أعرف
رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد
حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس وقال الفضيل ابن عياض
رضي الله عنه بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما يمن
به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك
ثم إن محبة الاشتهار مما يقدح في إخلاص العبد لأن صاحبه
لا ينفك عن الأعراض التي تبعثه على استمالة قلوب
الخلق فتدعوه نفسه إلى ذلك دعاء خفيا فينصبغ عمله
بالرياء انصباغا لا يتفطن له كما سيأتي عند قوله ربما دخل
الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق إليك وبقدر تحققه
بوصف الخمول يتحقق له مقام الإخلاص حتى يتخلص
من رؤية إخلاصه وبهذا يتبين حكم إفلاس
جميع الناس إلا من رحمه الله تعالى وإن الإخلاص
في غاية الصعوبة على النفس والذ الأشياء في الوجود
قيل لسهل بن عبد الله رضي الله عنه أي شيء أشد على
النفس قال الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب وقال يوسف
بن الحسين أعز شيء في الوجود الإخلاص وكم أجتهد في إسقاط
الرياء عن قلبي فكأنه ينبت فيه على لون آخر قال الشيخ
أبو طالب المكي رضي الله عنه والإخلاص عند المخلصين
إخراج الخلق من معاملة الخالق وأول الخلق النفس
والإخلاص عند المحبين أن لا يعمل عملا لأجل النفس والادخار

على اختلاف مراتبه لأنه إما سقوط الناس عن النظر إليه أو سقوط النفس عن النظر إليها ولا يستثبت للمريد جميع ذلك إلا بالجمع على سقوط المنزلة عند نفسه وعند الناس لأنه إن لم يكن بجمع المشاهدة صح

عليه مطالعة العوض او فتنوق الى حظ بلبغ والاخلاص
عند الموحدين خروج الخلق من النظر اليهم في الافعال
وترك السكون والاستراحة فيهم في الاحوال انتهى
فاذا احملا العبد نفسه والزمها التواضع والمذلة وسهم
على ذلك حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا يجد لضعته المًا
ولا لمذلته طعما فحينئذ تتزكى نفسه ويتنور بنور
الاخلاص قلبه وينال من ربه اعلا درجات الخصوصية
والحصول على الوفر نصيبه من المحبة الحقيقية قال الشيخ ابو
طالب ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد لذلته ثبات الضعة
طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل والتواضع لونه
فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب
المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه فصارت
الذلة والضعة صفة لا تفارقه لازمة لزوم الزبالة للزبال
والكساحة للكساح هما صنعتان له كسائر الصنائع وربما
فخروا بهما لعدم النظر الى نقصهما فهذه ولاية عظيمة
لهم من ربه قد ولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بعزه
وهذا مقام محبوب وبعده المكاشفات بسرائر الغيوب كان
ثم قال ومن حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه صح
كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فان فارق
ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما ان المتعزز
ان فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك عيش نفسه
انتهى

انتهى فاذا لا بد للمريد من اسقاط جاهه واخمال
ذكره وفراره عن مواضع اشتهاره وتعاطيه امورا
مباحة تسقطه من اعين الخلق كقصة السائح الذي سمع به
ملك زمانه فجاء اليه فلما علم بذلك السائح استدعا بقلا
وجعل ياكل اكلا عنيفا بمرى من الملك فلما راه على تلك
الحالة استحقره واستصغره وانصرف عنه ذا ما له وسياتي
نص هذه القصة بعد هذا عند قوله ربما دخل الريا عليك
حيث لا ينظر الخلق اليك وقد بالغ بعض ائمة الصوفية
رضي الله عنهم في هدم الجاه الذي علق بالقلوب حتى
استعملوا في ذلك اشيا منكرة في ظاهر الشرع واوفى لك
جايز للمهرات يفعلوه ويامروا به وذلك مثل قصة
الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس
تحت ثيابه بحيث تظهر ومشى يذكرها متمهلا بحيث يرى
ويتخذ به السرقة فلما راه الناس اخذوه وصفعوه
ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة حتى كان
يعرف بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه مثل ما يروى عن
ابي يزيد رضي الله عنه في قصة الزاهد الذي امره بحلق
راسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه واعطايه
من ذلك لمن يصفعه من الصبيان وطوافه على تلك الحال
في المحافل والمحاضر والحكايات في هذا مشهورات ذكرهما
الامام ابو حامد الغزالي قدس الله روحه قال بعض المصنفين

واذا جاز لمن غص بلقمة من طعام حلال ان يسيغها
بجرعة من الخمر اذا لم يجد غيره مع ان تحريمه مقطوع به
ولا يفوته الا حياة فانية فلان يجوز مثل هذا اذا تعين
اولى اذ يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله
تعالى فاذا التزم العبد بهذا الطرف من الرياضات ماتت
نفسه وحيي قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنا ثمرة غرسه
على غاية الكمال والتمام وتلك الثمرة اخلاق الايمان
التي تكيفت بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهي
نتيجة الحكمة التي انبتها الله في قلوب عباده المتواضعين
ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال عيسى عليه
السلام لاصحابه اين تنبت الحبة قالوا في الارض فقال
عليه السلام كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب مثل الارض
قلت وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول وذم الشهرة
احاديث كثيرة منها ما روى ابو امامة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائي عندي لمومن خفيف
الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه في
السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان
رزقه كفافا فاقتصر على ذلك ثم نقر بيده فقال عجلت فصبر
منيته قلت بواكيه قل تراثه وفي حديث ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث
اغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره

5917

وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان يسير الرياء شرك وان من عادى
اولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب بالعبادة
الاخفياء الاتقياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا
حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى
يخرجون من كل غبراء مظلمة وروى ابو هريرة رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي
لون فيه باسم اويس القرني رضي الله عنه واشار
بذكره وفيه على عظم امره رضي الله عنه انه قال بينما
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة من اصحابه
اذ قال ليصلين معكم غدا رجل من اهل الجنة قال ابو
هريرة فطمعت ان اكون ذلك الرجل فغدوت فصليت
في المسجد خلف النبي صلى الله عليه وسلم فما قمت في المسجد
حتى انصرف الناس فبقيت انا وهو فبينما نحن كذلك اذ دخل
رجل اسود متزر بخرقة مترد برقعة فجا حتى
وضع يده في يد النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبي الله
ادع الله لي بالشهادة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم له بالشهادة وانا
لنجد منه ريح المسك الاذفر فقلت يا رسول الله اهو هو
قال نعم انه لمملوك بني فلان قلت افلا نشتريه فنعتقه
يا نبي الله قال واني لك بذلك ان كان الله يريد ان يجعله
من ملوك الجنة وسادات اهلها يا ابا هريرة ان الله يحب

من خلقه الاصفيا الاخفيا الابريا الشعثة رؤوسهم المغبرة
وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال الذين اذا استاذنوا
على الامراء لم يؤذن لهم وان خطبوا المتنعمات لم ينكحوا وان غابوا
لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان طلعوا لم يفرح
بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا
قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك اويس
القرني قالوا وما اويس القرني قال اشهل ذو صهوبة بعيد
ما بين منكبيه معتدل القامة آدم شديد الادمة
ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده
واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه ذو
طمرين لا يؤبه له متزر بازار صوف ورداء صوف مجهول
في اهل الارض معروف في اهل السما لو اقسم على الله
لابر قسمه الا وان تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه
اذا كان يوم القيمة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويقال
لاويس القرني قف فاشفع فيشفعه الله في مثل عدد
ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا
اليه ليستغفر لكما يغفر الله لكما وذكر باقي الحديث
وفي حديث اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون
في امتي رجل يقال له اويس القرني يدخل في شفاعته
عدد ربيعة ومضر لو اقسم على الله لابر قسمه فمن لقيه
بعدي فليقراه مني السلام ثم سيل عن علامته فقال
رجل

رجل اصهب اشهل ذو طمرين ابيض به أثر وقد كان به
بياض فدعا الله عز وجل فاذهبه عنه الا مقدار الدينار
او الدرهم لا يؤبه له مجهول في الارض معروف في السماء
وكان قد بلغ من شدة خموله ونهاية ضعته ان الناس
كانوا يسخرون منه ويستهزؤن به ويرون فيه البلهة
الخداع والتلمس ينسبونه الى ذلك فقد روي انه دفع
اليه بعض فقها الكوفة ثوبين وكان بها السهر فانقطع
من مجلسه لاجل العري فردهما عليه بعد ان اخذهما
منه وقال ان الناس يقولون من اين له هذان الثوبان
ترى من خدع عليهما وكان في ذلك الوقت يجالس الفقها
ويظهر للناس ذلك فيما ان يعرف برفعة القدر
وجلالة الخطر وتنويه عمر رضي الله عنه به على المنبر
فلما راى الناس عرفوا حاله هرب عنهم وتخفى منهم
ولبس امره عليهم برعاية الابل وغير ذلك وقيل لعمر
رضي الله عنه لما سال عنه قومه ما فينا احد اخمل منه ذكرا
فلما لقيه هو وعلي رضي الله عنهما وساله من هو فقال له
راعي غنم واجير قوم وستر ذكر اويس فلما ساله عن
اسمه قال له عبد الله فلما ساله عن اسمه الذي سمته
به امه امتنع ان يجيبه على ذلك فلما اخبره بصفة
النبي صلى الله عليه وسلم له وانهما عرفاه بذلك قال لهما عسى
ان يكون ذلك غيري فلما قالا له اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان تحب دنياك الا بيسير لمعة بنعيما وكلما منه ان توجهها
لهما لم تجد بدا من ان يوجههما وذلك والله اعلم لترتيبهما
رؤية عينية صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه في اخباره
بالغيب وذلك امر واجب عليه والا فلعله كانت تتعلق
لهما بما فعل في كل ما يسال عنه ثم بعد ذلك لما ساله عمر
رضي الله عنه ان يلتقي معه وجعل ذلك الموضع ميعادا
بينه وبينه قال له يا امير المؤمنين لا ميعاد بيني
وبينك ولا اعرفك ولا تعرفني بعد اليوم ثم الا بال الى اصحابه ثم دفع
هرم وخلى عنه الرعاية وكذلك فعل هرم بن حيان رضي الله عنه
لما لقيه بجانب الفرات ووقع بينهما التعرف قال
له حدثني بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظه عنك
قال لا احب ان افتح هذا الباب على نفسي لا احب ان اكون
محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا فلما فرغا من الكلام الذي
كانا بصدده ساله مداومة الاجتماع به فابى وامتنع
وقال له لا اراك بعد اليوم تطلبني ولا تسال عني انطلق
انت ههنا حتى انطلق انا ههنا ثم بعد ذلك اجتهد
في طلبه والبحث عنه فلم يقع على خبره ومن عجب امره
ان حقق الله له بهذا الحال منه لتحقق التستر والتمله
لعدم معرفته مع ما اظهره الله من سيد من الايات خوارق العبر
حينئذ قال عبد الله بن سلمة غزونا اذربيجان زمن
عمر رضي الله عنه ومعنا اويس القرني فلما رجعنا مرض فمات

فنزلنا

فنزلنا فاذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه
وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض لو رجعنا
فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لا قبر ولا اثر قلت والحكايات
والاثار في مدح الخمول وذم الاشتهار اكثر من ان ياتي
عليها الحصار وقد اورد كثيرا منها الائمة المصنفون
في هذا العلم فليطالع ذلك المريد المستمد من الله
تعالى حسن التوفيق والتاييد وتعبير المؤلف رحمه
الله تعالى ههنا بالوقت والارض والنبات والنتاج
من مليح الاستعارات مداواة القلب شرعا عزلة فيرحل
مما يفيد ان فكره مداواة امراض القلب واجبة على
المريد واعراضه مما تلوث من علة احكام الطبع عليه
من صحبة الاضداد ووقوفه مع المعتاد وانقياده الى
هوى النفس وانسه بعالم الحس ومداواة هذا المرض
يتاتى من وجوه كثيرة وابلغها في ذلك وانفعها العزلة
عن الناس المصحوبة بالفكرة فبالعزلة يتقيد الظاهر
عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا يامن من دخول
الافات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي
التي يتعرض لها بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة بالمخالطة
والرياء والتصنع ويحصل له بذلك السلامة من مسارقة
الطبع الطباع الردية والاخلاق الدنية ويستفيد بذلك
ايضا صيانة دينه ويقينه عن التعرض للخصومات وانواع

الشرور والفتن فان للنفس تولعا وتسارعا الى الخوض
في امثال هذا فواجب على المعتزل ان يكون لسانه عن السوال
عن اخبار الناس وما هم مشغولون به وما هم مكبون فيه
ومقبلون عليه ويصون سمعه من الاصغاء الى اراجيف
البلد وما اشتملت عليه من الاحوال التي ذكرناها وليحرص
على ان لا يغشاه في خلوته وعزلته من شانه التطلع لذلك
والبحث عنه وليجتنب صحبة من لا يتورع في منطقه
ولا يضبط لسانه عن الاسترسال في دقائق الغيبة والتوسعة
والتعريض بالطعن على الناس والقدح فيهم فان ذلك مما
يكدر صفاء القلب ويؤدي الى ارتكاب مساخط الرب
فليحذره المعتزل وليفر منه فراره من الاسد ولا يجتمع
معه في مكان البتة وليتنكر الى كل من تعرف له من شانه هذه
من المنسوبين الى الدين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم
انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف وفي الخبر مثل
الجليس السوء كمثل القين ان لم يحرقك بشرره علق بك من
ريحه وفي الاخبار السالفة ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه
السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل
اخ وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو عدو لك واوحى الله
تعالى الى داود عليه السلام فقال يا داود ما لي اراك منتبذا
واحديا فقال الهي قليت الخلق من اجلك فقال يا داود
كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل خدن لا يوافقك على
مسرتي

القين هو الحداد

مسرتي فلا تصحبه فانه عدو لك ويقسي قلبك ويباعدك مني
وما احسن قول ابي اسحق ابرهيم بن مسعود الالبيري في
العزلة محق ابا حسن واخشهم كما تخشى الضراغم والسبنتا
وخالطهم وزايلهم حذارا وكن كالسامري اذا لمستا
وبالعزلة ايضا تجتمع همه ويقوى في ذات الله عزمه بخلاف
الخلطة فانها تفرق الهم وتضعف العزيمة فقد قيل ان العبد
ليعقد في خلوته على خصال من الخير يعملها فاذا خرج الى الناس
حللوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى يرجع الى بيته وقد انحلت
العقد كلها وروي عن عيسى عليه السلام انه قال لا تجالسوا
الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا
الراغبون فيها وفي الخبر المروي عن نبينا صلى الله عليه وسلم
اخوف ما اخاف على امتي ضعف اليقين وضعف اليقين انما
يكون من رؤية اهل الغفلة ومخالطة ارباب البطالة
والقوة قال ابو طالب المكي رضي الله عنه واضر ما ابتلي
العبد به وادخله واعله في صلاته وفتره عن تهجده وابعاده
ضعف يقينه لما عزب عنه من الغيب وتوعد عليه بالشهادة وقوة
اليقين اصل كل عمل صالح وقال بعض هذه الطائفة قلت لبعض
الابدال المنقطعين الى الله تعالى كيف الطريق الى التحقيق
والوصول الى الحق قال لا تنظر الى الخلق وان النظر اليهم ظلمة
قلت لا بد لي منهم قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران
وحسرة ووحشة قلت انا بينهم بين اظهرهم ولا بد لي من معاملتهم

قال فلا تسلت اليهم فان السكوت اليهم هلكة قلت هذا
لعله قال يا هذا تنكر الى الاعيبت وتسمع كلام الجاهلين
وتعامل البطالين وتسلك الى الهالكين وتريد ان
تجد حلاوة الطاعة وتلذذ مع غير الله عز وجل هيهات
هذا ما لا يكون ثم بدا وما العزلة فيما يتعلق بصرف
النظر الى زينة الدنيا وزهرتها وتنصرف خاطره
عن الاكتساب لما ذمه الله تعالى من زخرفها فتمتنع
بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراق لها ومنافسة
اهلها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم الاية ولا ينبغي لاحد ان يستحقر هذا فانه
يودي الى امراض عظيمة في القلب ومن اعتزل الناس
سلم باذن الله تعالى منها قال القشيري رضي الله عنه
فارباب المجاهدات اذا ارادوا صون قلوبهم عن
الخواطر الردية لم ينظروا الى المستحسنات قال وهذا
اصل كبير في المجاهدات في احوال الرياضة انتهى
وقال محمد بن سيرين رضي الله عنه اياك وفضول النظر
فانها تودي الى فضول الشهوة وقال بعض الادباء من
كثرت لحظاته دامت حسراته وقال [illegible] لعين
الحسن ومن اطلق عينه اتعب جفنيه وان النظر الى الاشيا
بالنهار يوجب تفرقة القلب وقد انشدوا في المعنى
وانك ان ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر

رايت

على بصيرة ولا ينخدع بما يتوهم من صلاح سريرته دون علانيته
فمن ادعى بقلبه معرفة الله تعالى ومحبته ولم يظهر على ظاهره
ثمرات ذكره واثاره من اللهج بذكره والمسارعة الى اتباع
امره والاغتباط بوجوده والاستيناس [illegible]
شهوده والفرار من القواطع الشاغلة منه والاضراب
عن الوسايط المبعدة منه فهو كذاب في دعواه متخذ الهه
هواه فان كان موصوفا باضداد هذه الخصال متخرفا
بظاهره عن جادة الاعتدال فهو في دعواه كذاب وحاله
للنفاق والشرك اقرب قال ابو طالب المكي رحمه الله
وقد جعل الله تعالى وصف الكافرين انهم اذا ذكر الله
وحده في شي انقبضت قلوبهم واذا ذكر غيره في شي فرحوا
وجعل من نعوتهم انهم اذا ذكر الله بتوحيده وافراده
غفلوا لذكره وكرهوه واذا اشرك غيره في ذكره صدقوا به
عنا فقال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب
الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم
يستبشرون وقال ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم وان يشرك به تومنوا اي الشرك الخفي اي تخلط
بذكره ذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلي الكبير يعني
لا يشركه خلقه في حكمه لانه العلي في عظمته الكبير في
لا شريك له في ملكه وعنايته ولا تدبير له من عباده فمعنى
هذا الكلام وفحواه من الخطاب ان المومنين اذا ذكروا

الله بالتوحيد والافراد في شيء انشرحت صدورهم وانعشت
قلوبهم واستبشروا بذكره وتوحيده واذا ذكرت الاوثان
والاسباب التي دونه ونكرهوا ذكرها واشمازت قلوبهم وهذه
علامة صحيحة فاعرفها من قلبك وقت فلتتخبر لتستدل
بها على حقيقة التوحيد في القلب او وجود خفي الشرك في السر
ان كنت عما ذكرناه تنتهي قلت وهذه المسألة التي تضمنها كلام
الشيخ ابي طالب رضي الله عنه من اعظم المسائل وعلى صدق الصادق
وكذب الكاذب من اوضح الدلائل ولما كان قصدنا في هذا
التنبيه على انتفاع من ذكر الفوايد العجيبة والحرص على رسم
المقاصد الغريبة لغربة الدين في هذا الزمان الذي كثر فيه الا
الغرة والجهل على المنتسبين الى العلم والفضل حسن منا ايراد
هذه المهمات على جهة قرب المثال والاكتفاء بالتنبيه عن
الطال ليعمل بمقتضى ذلك مريد سالك ولينتبه من نصيحة
ربه في دينه وقلبه اوضح المسالك واجمل على هذا الاسلوب
كل كلام لم تظهر لك محاسنه ولم يتم في نظر المنتسبين
للتشبه كالعدم الاعتراض ونغفل عما نولع به اصحاب
القلوب المراض عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه

شتان بين من يستدل به او يستدل عليه يستدل به
او يستدل عليه المستدل به عرف الحق لاهله واثبت
الامر من وجود اصله والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه
والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الاثار هي

[margin: النهل اول الشرب والعلل اخر الشرب من الشبع والري]

التي توصل اليه بنو آدم في اول نشأتهم ومبدأ خلقتهم
وخروجهم من بطون امهاتهم لا تعلمون شيئا ثم ارت رحمة
تعالى لما اختص بعضهم بخصوصية عنايته واختار منهم
من اهله لولايته وما ذكر الا بحصول العلم الذي يتضمنه
قوله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الذي يحقق
لهم النسبة ويوجب لهم القرب الزمني والقرب المشار الى ذلك
بقوله لعلكم تشكرون وجعلهم قسمين مرادين
ومنفردين وان شئت قلت مجذوبين وسالكين وكلاهما
مراد ومجذوب على التحقيق قال الله يجتبي اليه من يشاء
ويهدي اليه من ينيب فالمريدون السالكون الى الله
تعالى في حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الاغيار
فالاثار والاكوان ظاهرة لهم وموجودة لديهم والحق
تعالى غائب عنهم فهم يستدلون بها عليه في حال ترقيهم
والمرادون المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه
الكريم وتعرف اليهم فعرفوه به فلما عرفوه عمي هذا الوجه
الحجاب الاغيار عنهم فلم يروها فهم يستدلون به عليها في حال
تنزلهم فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما اي بعد
ما بينهما وذلك ان المستدل به على غيره عرف الحق الذي
هو الوجود الواجب لاهله وهو المتصف بوصف القدم
واثبت الامر المشار اليه اي الاثار القديمة من وجود
اصله المشار به الى المؤثر المتحقق وجوده المستدل بغيره

[margin: من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ... وعدم العلم قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم صح]
[margin: الله عز وجل صح]
[margin: نسخة توصلهم]

عليه على عكس ما ذكرناه لانه استدلال بالمجهول على المعلوم
وبالمعدوم على الموجود وبالامر الخفي على الظاهر الجلي وذلك
لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب وعدم احتفاله به
بالوصول والاقتراب والانفي غاب حتى يستدل عليه
بالاشياء الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الاثار القريبة
هي التي توصل اليه ام وقف حتى تكون الاثار الموجوده هي
التي تدل عليه عجبت لمن يبغي عليك شهادة وانت الذي
اشهدته كل شاهد قال في لطايف المنن واعلم ان الادلة مشهد
انما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن يشهده لان الظاهر
غني بوجوده بوضوح ظهوره عن ان يحتاج الى دليل فتكون
المعرفة باعتبار توصل الوسايل اليها السببية ثم تعود
الى نهايتها ضرورية اذا كان من الكاينات ما هو غني
بوجوده عن اقامة دليل والمكون اولى بغناه عن الدليل
منها ثم قال ومن اعجب العجائب تكون الكاينات موصلة
اليه فليت شعري هل لها وجود معه حتى توصل اليه وهل
لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له وان
كانت الكاينات موصلة اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها
لكن هو الذي ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل
اليه غير الهيته ولكن الحكيم هو واضع الاسباب وهي لمن
وقف عندها ولم ينفذ الى قدرته عين الحجاب لينفق ذو
سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السايرون اليه هذه
من سعته
اشارة

اشارة مليحة الى حال الفريقين فالواصلون الى الله تعالى
لما خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضاء التوحيد وكمال
الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم فانفقوا من سعتهم
وتصرفوا في عوالمهم كيف شاؤوا والسالكون اليه مقدور
عليهم في ارزاق العلوم والفهوم ومحبوسون في مضيق
الخيالات والرسوم ينفقون مما آتاهم الله من
الرزق المعلوم المقدار المضيق اهتدى الراحلون
اليه بانوار التوجه والواصلون لهم انوار المواجهة
فالاولون للانوار وهؤلاء الانوار لهم لانهم لله
لا لشيء دونه انوار التوجه هو ما ينتهم الى الله تعالى من عبادات
ومعاملات ومجاهدات ومكابدات وانوار المواجهة
ما من الله لهم من تعرف وتقرب وتودد وتحبب فالاولون
عبيد للانوار لوجود حاجتهم اليها في الوصول الى مقصودهم
والاخرون الانوار لهم لوجود غناهم عنها بربهم فهم
لله لا لشيء دونه وسياتي هذا المعنى عند قوله انت مع الاكوان
ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون افراد التوحيد بعدم
ملاحظة الاغيار وهو حق اليقين ورؤية ما سوى الله تعالى
خوض ولعب وهما من صفات الكافرين والمنافقين قال الله تعالى
اخبارا عنهم وكنا نخوض مع الخائضين وقال تعالى بل هم
في خوض يلعبون تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك
الى ما حجب عنك من الغيوب
تشوفك

حكم المريد ان يتشوف الى معرفة ما غاب عنه من معايب
نفسه ويتطلبها ويبحث عنها فان ذلك هو حق الحق تعالى منه
فينبغي ان يحرص عليه ويصرف عنان اعتنائه اليه ليحصل له
صفاء اعماله من الآفات ونقاء احواله من الكدورات وينتفي
عنه الجهل والغرور وينقطع من باطنه مواد الشرور وقد ذكر
الشيخ ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب رياضة النفس
فصلا في الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه
فلينظر فيه المريد وقد جعل حاصله اربعة اوجه احدها
ان يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب والآفات فيحكمه
على نفسه ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثاني ان يصاحب
صديقا يجعله رقيبا على احواله واعماله لينبهه على ما
يخفى عليه من مذام خلاله والثالث ان يستفيد معرفة
عيوبه من اعدائه اذ لا بد من جريان ذلك على السنتهم عند
ثلبهم وغيبتهم والرابع ان يستفيد ذلك من مخالطة الناس
اذ يطلع بذلك على مساويهم فاذا اطلع عليها منهم علم انه
لا ينفك هو عن شيء منها لان الطباع البشرية في ذلك متقاربة
وقد يظهر له في نفسه ما هو اعظم مما يراه في غيرها فتطالبه
نفسه حينئذ بالتطهر منها والتنزه عنها هذا مختصر ما ذكره
ثم قال وهذه كلها حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب (حيل)
النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغولا
بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجد فقد وجد الطبيب

فليلازمه

فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من
الهلاك الذي هو بصدده انتهى واما الطلب للعيوب
المحجوبة عنه من خفايا القدر ولطائف الغيب فانه حظ
نفسه لا حق عليه فيه للحق تعالى فليحجبه عنها نفعا ولا يشغل
بها عقلا ولا حسا وما ظهر له منها لا يسكن اليه ولا يعول
عليه فان ذلك من المعايب القادحة في عبوديته ولهذا
قال ابو علي كن طالبا للاستقامة ولا تكن طالبا للكرامة
فان نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك
بالاستقامة ولان تكون بحق مولاك اولى بك من ان تكون
بحظ نفسك ومن الحكايات في هذا المعنى الذي ذكرناه
ما روي في الاسرائيليات عن وهب بن منبه ان رجلا من بني
اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة ايام فسال الله
تبارك وتعالى ان يريه كيف يغوي الشيطان الناس
فلما طال ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي
وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي
طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال له ان الله تعالى ارسلني
اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به احب (بصيرتك)
الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود (فنظر)
ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس الا
والشياطين حوله كالذباب فقال اي رب من ينجو من هذا
قال الورع اللين وسياتي بيان ان الكرامات غير مطلوبة

التحميد ولا منضبط يرجو دبها لذي كلها المريبا عند
قوله ليس كمثله شيء تنزيه تخصيصه كما هو تخليصه الحق ليس
بمحجوب وانما المحجوب انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شيء
لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر
وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده
الحجاب على الحق محال وقد تقدم الكلام على ذكر بما ذكره
ههنا وهو بين لا اشكال فيه والحجاب على العبد واجب
من حيث ذاته اذ هو عدم كما تقدم ولا نسبة بين العدم
وبين الوجود فان اراد الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن
شاء كشف له انه ليس كمثله شيء وهذا مما يجب
اعتقاده اخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف
مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته
قريبا اوصاف البشرية المتعلقة بامر الدين نوعان
احدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهي الاعمال
والثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه وهي العقود فاما ما
يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم قسمين ما وافق الامر
ويسمى طاعة والثاني ما خالفه ويسمى معصية واما ما يتعلق
بباطنه فينقسم ايضا الى قسمين احدهما ما وافق الحقيقة
ويسمى ايمانا وعلما والثاني ما خالفها ويسمى نفاقا
وجهلا والنظر فيما يتعلق بباطنه يسمى في الاصطلاح تصوفا
فهذان الامران هما حلية العبد وبظاهره تبع لباطنه بالضرور

والنظر فيما يتعلق بظاهر العبد يسمى في الاصطلاح تفقها صح

لان

لان القلب هو الملك والجوارح جنوده ورعيته
ومن شان الرعية الطاعة للملك فيما يامرها به وينهى عنه وقد
نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت
فسد الجسد كله الا وهي القلب انما يكون بطهارته من
الصفات المذمومة كلها دقيقها وجليلها وهذه هي الصفات
المناقضة للعبودية من اوصاف البشرية التي اشار اليها
المؤلف رحمه الله تعالى وهي التي تسم صاحبها بسمة النفاق
والفسوق وهي كثيرة مثل الكبر والعجب والريا والسمعة
والحقد والحسد وحب الجاه والمال ويتفرع من هذه الاصول
فروع خبيثة من العداوة والبغضا والتذلل للاغنيا
واحتقار الفقرا وترك الثقة بمجي الرزق وخوف سقوط
المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الامل والاشر
والبطر والغل والغش والمباهات والتصنع والمداهنة
والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة والجفاء والطيش
والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة
الحيا وترك القناعة وحب الرياسة وطلب العلو والانتصار
للنفس اذا نالها الذل وذهاب ملكها للنفس مما ارد عليه
قوله الى غير ذلك من النعوت الذميمة والاخلاق اللئيمة
واصل فروعها وعنصر نباتها انما هو رؤية النفس والرضا
عنها وتعظيم قدرها وترفيع امرها بهذه الامور كلها من

وصلاح القلب

وجليلها

والتصنع صح

وما فوقه من نافق وعصى ومن عصى عن ربها خلع منا عنقه ربقة
العبودية لربه عز وجل ومن خلع حبها يغفر له المولف رحمه
الله بانه هذه وشان الصوفي مما هو النظر فيما يطهرها
ويزكيها من انواع الرياضات والمجاهدات وقد بينوا
طرق ذلك في كتبهم خالف الشيخ الوظايف ولا يكون المريد
به لاحقا حتى يمحو من معاني صفات الربوبية صفات العبودية
وبا خلاق انبياء الله اوصاف المومنين ويطالع البهائم
اوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعند ما يكون
به لا مفر بالعادل والطريق الى هذا بان يملك نفسه فيملكها
فتسخر له ويتسلط عليها فان اردت ان تملك نفسك فلا تملكها
وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها ملكتك وان لم تضيق
عليها انسعت عليك واذا اردت الظفر بها فلا تعرضها
لهواها واحبسها عن معتاد ملاذيها فان لم تحسن تملكها
انطلقت بك وان اردت ان تقوى عليها فاضعفها تنقطع
اسبابها وحينئذ يسير دها والا قويت عليك فصرعتك انتهى
فاذا تم قادر بذلك المريد على الوجه الذي رسمه
له من التزم الوظائف التي امر بها لطهر قلبه ونزلت نفسه
واتصف بها من الصفات التي تزينه بين العباد ونيا لتهاه
من قرب ربه غاية المراد فتظهر عليه حينئذ اثار حميدة
من التواضع لله والخشوع بين يديه وهو التعظيم لامره
والحفظ لحدوده والهيبة له من الخوف والتذلل لربوبيته

والا

والاخلاص في عبوديته والرضا بقضائه ورؤية المنة له
ويتصف عليه في صنعه وعطاياه فيما بين خلقه بالرحمة فيه والرحمة
واللين والرفق وسعة الصدر والحلم والاحتمال والصيانة
والنزاهة والامانة والثقة والعطف والتاني والوقار
والسخاء والجود والحياء والبشاشة والنصيحة وسلامة
الصدر الى غير ذلك من اخلاق الايمان التي بها ينال العبد
غاية السعادة والحسنى والزيادة قلت وهذان المعنيان
هما اللذان يعبر عنهما ائمة الصوفية رضي الله عنهم
بالتحلي والتخلي اي التخلي عن الصفات المذمومة والتحلي
بالصفات المحمودة ويعبرون عنها ايضا بالتزكية
والتحلية وهما حقيقة السلوك الذي يعبرون عنه ايضا
وسياتي الاشارة الى كيفية ذكره عند قوله لولا ميادين النفوس
ما تحقق سير السائرين فاذا صح للمريد هذا السفر
وانقلب منه الى افضل مستقر تحققت عبوديته لربه عز وجل
فلم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وارتقى في القرب
من ربه الى اشرف محل فيكون هنالك منزله ومثواه
فيكون حينئذ كما قال المولف رحمه الله ليكون عبدا
فيقول الحق للحق محبا لانه اذ ذاك يناديه باسم العبد له يا عبدي الحق تعالى
فيجيب حينئذ مولاه باسم الرب فيقول له لبيك يا ربي فيكون
صادقا في عبادته متحققا في نسبته ويكون ايضا من حضرة
قريبا الوجود بعده عن نفسه التي من شانها النفور عنها

والغرار منها فاذا اقامه الحق تعالى مقام العبودية
وجاز مرتبة القرب من حضرة الربوبية كان محفوظا
من الاقتحام في الاوزار المصرة عليه اعمال الاخيار متجليا في
الظاهر والباطن باشرف الحلي متحليا بفضيلة الشبه
بالملا الاعلى قال الله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن
عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وقد قال تعالى عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه — ان الذين صح
وله يسجدون وقال عز من قائل لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون فمرتبة العبدية انا انتهت هذه — وكذلك من تشبه بهم في محاسن صفاتهم من الصوفية
الخصوصية الآن هؤلاء محفوظون لا معصومون على ما اصطلح
عليه من الفرق بين الحفظ والعصمة والفرق بينهما ما قاله
الامام ابو القسم القشيري ان المعصوم لا يلم بذنب — يلم
البتة والمحفوظ قد تحصل منه هنات وقد يكون له في الندرة
زلات ولكنه لا يكون له اصرار اولئك الذين يتوبون من — الى الله
قريب وقد وصف الله عباده المخصصين اولي التمكين والتمحيص
في ايات كريمة بصفات جليلة عظيمة وامتن لهم على ذلك
خيرات جسيمة فقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون
على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى قوله
حسنت مستقرا ومقاما والكلام لنتكلم فيما قاله فيها اهل التعبير
وما استنبط منها ارباب الاشارات والتذكير واما من
عن هؤلاء فهم عبيد نفوسهم الهوائية ومسترقوا حظوظهم

الدنياوية

الدنيا وبه قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه تعس عبد الدينار تعس عبد
الدرهم الحديث وهؤلاء هم من عبيد الغير والمعتبين لقوله
عز وجل ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا
لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيمة فردا
واعلم انه لا يتهيأ هذا السلوك الى حضرة ملك الملوك
الا لمن وفقه الله لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من ذمائم الصفات
ومن عرف ذلك من نفسه لا يزال متهما لها مسيئا الظن بها اخذا
حذره منها والا وقع في المعاصي والذنوب من حيث لا يشعر
وقد نبه المولف رحمه الله على هذا بقوله اصل كل معصية
وغفلة وشهوة الرضا عن النفس واصل كل طاعة ويقظة
وعفة عدم الرضا منك عنها الرضا من النفس اصل جميع الصفات
المذمومة وعدم الرضا عنها اصل الصفات المحمودة وقد اتفق
على هذا جميع العارفين وارباب القلوب وذلك لان الرضا — جميع صح
عن النفس موجب لتغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها
حسنا كما قيل ، وعين الرضا عن كل عيب كليلة ، وعدم — تمامه كما ان عين السخط تبدي المساوي
الرضا عن النفس على عكس هذا لان العبد اذ ذاك يتهم
نفسه ويطلب عيوبها ولا يغتر بما يظهر من الطاعة والانقياد
وكما قيل في الشطر الاخير ، ولكن عين السخط تبدي المساويا ،
فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن
حال نفسه استولت عليه الغفلة وبالغفلة ينصرف قلبه

وسكن اليها

عن التفقد والمراعاة لخواطره فتقوى حينئذ دواعي
الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتدبر ما يدفعه
به ويقهرها فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبت
شهوته وقع في المعاصي لا محالة واصل ذلك كله رضاه عن نفسه
ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان
بهذه الوصوفات متيقظا للخواطر والعوارض وصار
متنبها
باليقظة والتنبيه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها
ويمنع ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها غلبة ولا قوة
عليه
فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا صار عفيفا كان
مجتنبا لمحارم ما نهى الله عنه محافظا على جميع ما امره به وهذا
هو معنى الطاعة لله عز وجل واصل هذا كله عدم رضاه عن
نفسه فاذا الاهم شيء وجب على العبد من المعرفة بنفسه
ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها وبقدر تحقق العبد في
معرفة نفسه يصح له حاله ويعلو مقامه وقد ورد عن
الكبار والائمة الاخيار من الكلمات المتضمنة لعيوبهم
نفوسهم والتهمة منهم لها وعدم رضاهم عنها اكثر من
ان يحصى ولذلك قال ابو حفص من لم يتهم نفسه على دوام
الاوقات ولم يخالفها في جميع الحالات ولم يجرها الى مكروهها
في سائر ايامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء
منها فقد اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم
يقول وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وقال

ايضا

ايضا ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله
تعالى ينظر اليها نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وقال الجنيد
رحمه الله لا تسكن الى نفسك وان دامت لك طاعتها لك في
طاعة ربك وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه
ما رضيت عن نفسي طرفة عين ويحكى عن سري السقطي رحمه
الله انه قال اني لانظر الى انفي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة
ان يكون قد اسود لما اخافه من العقوبة وقال ايضا
من الناس من لو مات نفذ اجرهم ما انزجر الناس لاخر
ولا احسن الا منهم الى غيرهم هذا من العبارات الصادرة
من المشايخ رضي الله عنهم في هذا المعنى وقد الف ابو عبد
الحجم
الرحمن السلمي جزءا صغير الحجم عظيم الفوائد في عيوب النفس
وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد وكذلك الف قبله
الامام ابو عبد الله الحارث المحاسبي كتابا سماه بالنصائح
جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة
شافية كافية ونبه فيه على سنن دارسة عاقبة مما كانت
عليه سلفنا الصالح من التفتيش والتفقد والنظر فيما يصلح
به اعمالهم واحوالهم وتفقد والمحافظة على تطهير
الاسرار والقلوب والمبالغة في الحذر من محقرات
الذنوب ونقل الامام ابو حامد الغزالي قدس الله سره
منه فصلا في كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه ونصه حكاية
بعد ان اثنى على مؤلفه بما هو اهله بان له جلالة علمه و فضله

فقال في حقه والمحاسبي رحمه الله خير الامة في علم المعاملة
وله السبق على جميع المباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال
واغوار العبارات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه ثم
ذكره وقد كان اوحد زمانه علما وعبارة ونخبة اوانه ورعا
وزهدا سيدي الحاج ابو العباس بن عاشر رحمة الله عليه
ورضوانه يكثر من التحريض على مطالعة ذلك الكتاب والعمل
بما تضمنه من حق وصواب والحض عليه ذات يوم يقول المريد
لا يعمل بما فيه الا ولي او كلاما نقلنا معناه فليتخذ المريد
مطالعته وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله
تعالى وسائلا منه توفيقا ورشدا النصح لمولاه في مرامات
اصلاح باطنه والقيام على قدم الصدق في مراقبته ويجعل
مجراه مطالعة كتب التصوف وموالاة اهله باتنالو
والتعرف عنده لكي يتقوى ميزان ايمانه ويقينه وتنتفي
العزة في عمله بوثائق دينه ولا يقدم على ذلك الا فرض
العين وما تسمح به نفسه من مكابدة التعب والاين ولا
يشغل نفسه بعلم بغير في وجه مقصوده ويوجب له انتكاث
مواثيقه وعهوده وهو مما اكب الناس عليه اليوم وحادوا
به عن سنن القوم حتى تتطرق لهم ذلك من رذائل الصفات
وعظائم الافات ما اطارهم الى المهالك والشقا فغلبهم
النفاق في قلوبهم الى يوم اللقاء وسجل عليهم بالكذب في دعواهم
انهم قاصدون بعلمهم رضا مولاهم فاياك واياهم انهم لقد
بمعز

سبقت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي
ولا تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من ان تصحب عالما
يرضى عن نفسه فاي علم لعالم يرضى عن نفسه واي جهل لجاهل
لا يرضى عن نفسه فايدة الصحبة انما هي الزيادة
في الحال وعدم النقصان فيها حسبما ياتي الكلام عليه عند قوله
لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبتك
من رضي عن نفسه وان كان عالما شر محض ولا فايدة فيها
لان علمه غير نافع وجهله الذي يوجب رضاه عن نفسه
ضار غاية الضرر وكانه اذا فاته بهذا العلم الذي من يريد
عيبه حتى لا يرضى عن نفسه لا علم عنده وصحبة من لم يرض عن
نفسه وان كان جاهلا خير محض وفيه كل الفايدة لان
جهله غير ضار وعلمه الذي اوجب له عدم رضاه عن نفسه
نافع غاية النفع وكانه اذا حصل له هذا العلم لا جهل عنده
شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة تشهدك
قربه منك بوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده
لا عدمك ولا وجودك شعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة
نور العلم وحق البصيرة نور الحق فالعقلاء بنور عقولهم
شهدوا انفسهم وشاهدوا ربهم قريبا منهم اي بالعلم
والامداد والعلماء بنور علمهم شهدوا انفسهم عدما في وجود
ربهم والمحققون بنور الحق شاهدوا الحق وحيدا فردا
معه سواه كان الله ولا شيء معه وهو الان على ما هو عليه كان

الا ان منه نعتنا امور وهمية لا وجود لها على التحقيق
والمقصود انه لا شي معه لثبوت احديته فلم يبق
الا الحق لم يبق كاين فما ثم موصول وما ثم بائن بذا جا
برهان العيان فما ارى بعيني لا شيء اذ عاينت وسياتي
من كلام المولف رحمه الله تعالى الاكوان ثابتة باثباته
وممحوة باحدية ذاته وقال رضي الله عنه لا تتعد نية همتك
الى غيره فالكريم لا تتخطاه الامال الهمة العلية تانف ان ترفع
حوائجها الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة سوى الله تعالى
قال الجنيد الكريم الذي لا يحوجك الى الوسيلة وقال الحارث
المحاسبي ~~رجا المومنين~~ الكريم الذي لا يبالي من اعطى وقيل
الكريم الذي لا يخيب رجا المومنين واجمع العبارات في
معنى الكريم ما قيل الكريم الذي اذا قدر عفى واذا وعد
وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم اعطى ولا لمن
اعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب
وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسايل
والشفعا فاذا كانت هذه الصفات لا يستحقها احد سوى
الله تعالى فينبغي اذا ان لا تتخطاه امال المومنين
الى غيره كما قال بعضهم حرام على من وحد الله ربه
وافرده ان يجتدي احدا رفدا ويا صاحبي قف بي مع الحق
وقفة اموت بها وجدا واحيى بها وجدا وقل لملوك
الارض تجهد جهدها فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

لا

لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف
يرفع غيره ما كان هو له واضعا من لا يستطيع ان
يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون
لها عن غيره رافعا اذا اورد الله تعالى عليك حاجة
وانزل بك نازلة فاعلم انه لا رافع لها سواه اذ يستحيل
ان يرفع غيره ما كان هو له واضعا لثبوت توحيده فانه
لا فاعل سواه واذ هو غالب على امره لا يغالبه احد ويستحيل
ايضا ان يرفعها غيره ممن لا يستطيع ان يرفعها عن نفسه
لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه وهذا الحال تعلقك
في حاجتك بمن هو محتاج مثلك قال بعضهم من اعتمد على
غير الله فهو في غرور لان الغرور ما لا يدوم ولا يدوم
شي سواه وهو الدايم الذي لم يزل ولا يزال وعطاه
وفضله دايمان فلا تعتمد الا عليه ومن عليه منه
الفضل والعطا في كل نفس وحين واوان وزمان وقال
عطا الخراساني لقيني وهب بن منبه في الطريق فقلت له حدثني
حديثا احفظه عنك في مقامي هذا واوجز قال اوحى الله
تعالى الى داود عليه السلام يا داود اما وعزتي وجلالي
لا يعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي اعرف ذلك من نيته
فتكيده السموات السبع ومن فيهن والارضون السبع ومن
فيهن الا جعلت له منهن فرجا ومخرجا اما وعزتي وعظمتي
لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني اعرف ذلك من نيته الا قطعت

اسباب السموات من يده واسفل الارض من تحته ولا
ابالي اي واديه هلك وقال بعضهم كنت في مجلس يزيد
بن هرون وكان الى جانبي رجل فسالته عن قصته وخبره
فقال افتقرت نفقتي فقلت ومن تومل لما قد نزل بك
فقال يزيد افعلت وما علمك يرحمك الله تعالى قلت اني قرات
في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي
وجودي وكرمي وارتفاعي فوق عرشي في علو مكاني
لاقطعن امل كل مومل لغيري بالاياس ولاكسونه ثوب المذلة
عند الناس ولانحينه من قربي ولاقطعنه من وصلي ايومل
غيري في النوائب والشدايد بيدي وانا الحي ويرجو غيري
ويطرق الفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي
مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني من ذا الذي املني لنائبة
فقطعته دونها ومن ذا الذي قرع بابي فلم افتحه له
جعلت امال خلقي بيني وبينهم متصلة فتعلقت بغيري
وجعلت رجاهم مدخرا لهم عندي فلم يرضوا بحفظي وملات
سمواتي ممن لا يملون تسبيحي ملايكتي وامرتهم
ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي
الم يعلم من طرقته نايبة من نوايبي انه لا يملك كشفها احد غيري
فمالي اراه بامالة معرضا عني ومالي اراه لاهيا الي سواي
اعطيته بجودي ما لم يسالني ثم انتزعته عنه فلم يسالني رده
وسال غيري افتراني ابدا بالعطية قبل المسالة ثم اسال

فـ ١٨

اذا لا يسعفك لحاجتك ولا تنجح طلبتك ولا يبلغك املك قال صح

ومن ذا الذي رجاني لعظيم جرمه فقطعت رجاه مني صح

يغلقوا صح

فلا اجيب سائلي اابخيل انا فيبخلني عبادي اليس الدنيا
والاخرة لي اوليس الرحمة والفضل بيدي اوليس الجود
والكرم لي اوليس انا محل الامال فمن ذا الذي يقطعها
دوني وما عسى ان يومل المومّلون لو قلت لاهل سمواتي
واهل ارضي املوني ثم اعطيت كل واحد منهم من الفكر مثل
ما اعطيت الجميع ما انتقص ذلك من ملكي عضو ذرة كيف
ينقص ملك كامل انا قيّمه فيا بوس القانطين من رحمتي
ويا بوس من عصاني ولم يراقبني وتوثب على محارمي ولم
يستحي مني قال رحمك الله امل هذا الحديث علي فاملته عليه ثم
قال والله لا كتبت حديثا بعده قلت والامل الذي ينبغي
هذا المعنى هو تحقيق العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى
وقد اخذ المولف رحمه الله في ذكره باثره فقال ان لم تحسن
ظنك به لاجل حسن وصفه حسن ظنك به لوجود معاملته
معك فهل عودك الا احسانا وهل اسدى اليك الا مننا
حسن الظن بالله تعالى احد مقامات اليقين والناس فيه
على قسمين خاصة وعامة فاما الخاصة فحسنوا الظن به لما
هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة
حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل
والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر ولذلك لا يخاف
من الانقلاب والتغير في حقهما ما يخاف في الاول لان ارباب
المقام الاول انما تحققوا في المعرفة بالله تعالى واعتقدوا

بانوار اليقين به اطمانت قلوبهم وسكنت نفوسهم
فلم يبق متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء ظن وارباب المقام
الثاني لم يرتقوا عن نظرهم الى الافعال وهي متلونة
عليهم في كل حال وعند وقوع بعض ما لا يلايمهم منها
ربما تضعف عن تحمل مكارهها قلوبهم فلا تحمل لهم
البراة من خواطر سوء الظن ونجدث النفس بما يقتضي
وجود هلع وجزع فليكن العبد عند ذكرنا هذا معنى
قوله عز وجل وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وما
اشبهه وليعقل النادر على الغالب قال ابو محمد عبد العزيز
المهدوي رضي الله عنه حسن الظن عبارة عن قطع الوهم
ان يكون او لا يكون لان الوهم قاتل وهو لو وقفت ثان
فمتى اعطيته اذنك الوهم هلكت وحكت وكذلك الاصغا
بالاذن الى الشيطان والنفس جنس واحد فنتهض فلتحسن
الظن بالله من العبد في امر دنياه وامر اخراه اما امر دنياه
فان يكون واثقا بالله تعالى في ايصال المنافع والمضار فتنفق
اليمين عن كد ولا سعي فيها او بسعي خفيف ماذون فيه وما
جور عليه وبحيث لا يفوته ذكرا شيئا من نفل ولا فرض فيتوجه
له ذلك سكونا وراحة في قلبه وبدنه فلا يستفزه الطلب ولا يبرز
سببه واما امر اخرته فان يكون قوي الرجاء في قبول اعماله الصالحة
وتوفية اجوره عليها في دار الثواب والجزا فيوجب له ذلك
المبادرة لامتثال الاوامر والتكثر من اعمال البر بوجدان

اعمال حلاوة

حلاوة ما اعتقبه ولذاذة والتذاذ وقال يحيى بن معاذ
رضي الله عنه اوثق الرجا رجا العبد ربه تعالى الذي
ينبغي للعبد ان لا يفارقه فيها اوقات الشدايد والمحن
وحلول المصايب والشدايد وياتي هذا المعنى في كلام المولف
رحمه الله وهو قوله من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك
لقصور نظره ومن اعظم مواقع حسن الظن بالله تعالى حالة
الموت وقد جا في الخبر لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله
تعالى وقد رجا ابن عباس من استطاع منكم ان لا يموت الا وهو
يحسن الظن بالله تعالى فليفعل ثم تلا هذه الاية وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم اردكم ولانه تعالى قال فيما
يروي عنه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا قال ابو طالب
رضي الله عنه وعنا به وكان ابن مسعود يحلف بالله تعالى ما
احسن عبد الظن بالله تعالى الا اعطاه الله عز وجل ذلك لان الخير
كله بيده فاذا اعطاه حسن الظن به فقد اعطاه ما يظنه لان
الذي حسن ظنه به هو تعالى الذي اراد ان يحققه له انتهى
وقد روي عن ابي النضر بن حيان قال خرجت عايدا ليزيد
بن الاسود فلقيت واثلة بن الاسقع وهو يريد عيادته
قال فدخلنا عليه وهو في فراشه فلما راى واثلة بسط يده
وجعل يشير اليه فاقبل واثلة حتى جلس على الفراش ثم اخذ
يزيد بن الاسود بكفي واثلة حتى جعلهما على وجهه فقال له
واثلة اسالك عن شي تخبرني به قال لا تسالني عن شي الا اعلمه

في الحال والبدن لان لا يقع بسبب عدم ذلك في الجزع صح

الا اخبرتك بمقاولة ثلثة كيف ظنك بالله عز وجل فان حسن الظن
بالله ثمن الجنة قال فابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدى بى ان ظن
خيرا وان ظن شرا وروى عن ابى سعيد الخدرى عاد رسول
الله صلى الله عليه وسلم مريضا فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف تجدك من ربك قال يا رسول الله حسن الظن
قال صلى الله عليه وسلم فظن به ما شئت فان الله تبارك وتعالى
عند ظن المومن به وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله تعالى
قلت والاخبار في الرجاء وحسن الظن بالله وسعة رحمته والآثار
اكثر من ان تحصى ومطالعتها مما يزيد المريد قوة في هذا
المقام فمن اراد الشفا في ذلك فعليه بمطالعة كتاب
الرجاء من قوت القلوب وكتاب الاحياء ثم بين رحمه الله
تعالى الحالة التى بمنازلتها يتحقق العبد مقام حسن الظن
بالله تعالى وهو عكوف العبد بباب الله تعالى وتعلق
قلبه موحدا بنيته واشار الى ان ذلك هو غاية النعم
ومنتهى الامانى لا ما تتوهمه النفس وتخيله من النعيم
المعقول والامنيات التى تفنى وتزول وحجاب هذا
من نعيم القلب وبما يتحقق بمعرفته كل ذى لب قال
العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له
معه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور

مطلب فيمن اراد الشفا في ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجاء من قوت القلوب

هرب

هرب العبد من مولاه باقباله على شهواته ومتابعة هواه
وذلك نتيجة عمى قلبه ووجود جهله بربه لانه استبدل الذى
هو ادنى بالذى هو خير واثر الفانى الذى لا بقاء له على الباقى
الذى لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لاثر الباقى الحق
على الفانى ولفعل ما فعله سحرة فرعون لما امنوا بربهم
اذ لم يحتفلوا بما وعدهم به فرعون من الاحسان والانعام
والتقريب والاكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به من
العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل بل قالوا
لن نوثرك على ما جانا من البينات والذى فطرنا الى ان
قالوا والله خير وابقى فهولاء استنارت قلوبهم وشهدوا
محبوبهم فكان منهم ما كان لا ترحل من كون الى كون فتكون
كحمار الرحى يسير والذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه
ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وان الى ربك المنتهى
العامل لطلب الجنان والدرجات او نيل المراتب العلية والمقامات
نقصان في الحال وشوب في اخلاص الاعمال وهو معنى الرحيل
من كون الى كون وسبب ذلك بقاء اعتبار النفس في ان يحصل
لها رتبة وان تفاوت بعضها مرتبة وهذه كلها من الاكوان
والاكوان كلها متساوية في كونها اغيارا وان كان بعضها
اسنى في كونها اغيارا وان كان بعضها انوارا وتمثيله بحمار
الرحى الغاية في تقبيح حال العاملين على رؤية الاعمال
وتحقق ذلك هو دعاؤهم الى الحق الادب فيه يدركهم الواحد

الفهاء حتى يتحققوا بمعنى قوله تعالى وان الى ربك المنتهى
فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون
اعمالهم اذ ذاك وفا بمقتضى العبودية وقياما بحق الربوبية
فقط من غير التفات الى النفس على اي حالة تكون وهذا هو
تحقيق الاخلاص الكامل اعنشا هذه التوحيد الخالص وجعلنا
من اهله بمنه وفضله وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن
كانت هجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم
قوله عليه الصلاة والسلام فهجرته الى ما هاجر اليه وتامل
هذا الامر ان كنت ذا فهم والسلام في هذا الحديث النبوي
تنبيه على المعنى الذي ذكره وموضع الاعتبار لزوم التامل والله
اعلم قوله في القسم الثاني فهجرته الى ما هاجر اليه اي لا نصيب
له من القرب والوصول الذي حظي به من هاجر الى الله ورسوله
وهو قوله فهجرته الى الله ورسوله وهذا من باب حصر المبتدا
في الخبر كما تقول زيد صديقي اي لا صديق لي غيره وكانه صلى الله
عليه وسلم نبه في القسم الثاني بالدنيا الذي يريد ان يصيبها
والمراة التي يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف معها
والعمل عليها كائنة ما كانت وان كان ظاهرها طلب الحظ
العاجل فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال
من الاكوان الى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مصرح
به غاية التصريح وقوله فهجرته الى ما هاجر اليه هو البقاء نه

الاكوان

الاكوان والتنقل فيها وهو الذي نهي عنه وهو منشا رويه
غير صحيح فيكون المريد عالي الهمة والنية حتى لا يكون له
التفات الى غيره ولا لون النية ولقد احسن الشاعر في قوله
وكل ما خلق الله وما لم يخلق محتقر في همتي كشعرة في مفرقي
قال رجل لابي يزيد اوصني فقال له ان اعطاك من العرش
الى الثرى فقل له انت اريد وقال ابو سليمان الداراني
رحمه الله لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس
لاخترت ركعتين لاني في الفردوس بحظي وفي الركعتين
بربي وقال الشبلي رحمه الله احذر مكره ولو في قوله كلوا
واشربوا يريد لا تستغرق في الحظ وكن في كل شي به
لا بنفسك فقوله تعالى كلوا واشربوا وان كانت هذه الداما
وانبا لحنه ابتلا واختبارا حتى تنظر من هو معه ومن هو
مع الحظ لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله
تكلم ههنا في الصحبة وهي اصل كبير من اصول القوم وفيها
مصالح ومنافع وفوائد ولذلك استمر عليها شانهم قديما
وحديثا وقد نبه المولف رضي الله عنه على فايدتها في قوله
لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فانهاض
الحال ودلالة المقال على الله تعالى هي فايدة الصحبة ومعنى
الحال المنهض ههنا هو ان تكون همته متعلقة بالله
تعالى مرتفعة عن المخلوقين لا يلتفت في حوائجه الا الى الله
ولا يتوكل في امور الاعمال الا على الله فقد سقطت الناس من عينه فلا يري

مشهدهم ضرا ولا نفعا وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها
فعلا ولا يقتضي لها حظا ويكون في اعماله كلها جاريا على مقتضي
الشرع وهذه صفة العارفين والموحدين فصحبته من هذه
حاله محمودة وان قلت عباداته ونوافله مامونة الغايلة
محمودة العاقبة جالبة لمنافع دينية ودنيوية لان
الطبع يسترق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتدا بمن
تحسنت حاله ولا يشترط في المصحوب اتصافه بتلك الصفا
على غاية الكمال والتمام فان ذلك متعذر وانما يشترط فيه
ان يقوم منها بما يفوق صاحبه فقط بحيث يكون اعلى منه
حالا واصوب منه مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف وكان
شانه المعاملة بالظاهر لا غير فليس له فايدة في صحبته بل ربما
زادته شرا لان خلطته تدعوه الى التصنع له والتزين
وتوديه ذلك الى كباير معاصي القلوب وهي اشد عليه من
معاصي الجوارح بكثير قال ابو يوسف بن الحسين الرازي رحمه
الله لان القي الله بجميع المعاصي احب الي من ان القاه بذرة من
التصنع فيدخل بذلك عليه النقص في حاله من حيث رجا
الزيادة منها قال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا
من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك
وعليك وانت عنده سوا وقال بعضهم كن مع ابنا الدنيا
بالادب ومع ابنا الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شيت وقيل
لبعض العارفين ان فلانا يحبك ويكثر ذكرك فقال انه لحبيب
الي

في غير افراط ولا تفريط

الي ومحله واعرف قدره ولكن يموت على ان القاه الف
ماية مرة ولا القاه مرة واحدة فقيل له كيف ذلك قال اخشى
ان اتزين له ويتزين لي قال الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله
وكانت هذه الطايفة من الصوفية لا يصطحبون الا على استوا
اربعة معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون منها اعتزا
من بعضهم لبعض ان اكل صاحبهم النهار كله لم يقل له صاحبه
صم وان صام الدهر كله لم يقل له صاحبه افطر وان نام
ليله كله لم يقل له صاحبه قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم
بعضه وتستوي احواله عنده فلا مزيد لاجل صيامه وقيامه
ولا نقصان لاجل افطاره ونومه قالوا وان كان يزيد عنده
بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة اسلم للدين وابعد
للمراياة من قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهية
الذم ومبتلاة بان تترك حالها التي عرفت به وان تتظهر
احسن ما يحسن عند الناس منها وان تجتلب ما يوجب المدح منهم
وتجتنب ما يوقع الذم عندهم فاذا صحبت من تقع معه هذا
فليس ذلك طريق الصديقين ولا بغية المخلصين فمباينة هولا
الناس اصلح للقلوب واسلم للدين وفي معاشرة امثالهم
فساد القلب ونقصان الايمان وضعف اليقين لان هذه
الاسباب الريا والريا محبط الاعمال ومخرج من راس المال
والسقوط من عين ذي الجلال وكان الثوري رضي الله عنه
يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن

صحبت

رأياهم ووقع فيما وقعوا فيه فهلك كما هلكوا وكان بعض الحكما
يقول لا تواخ من الناس من يتغير عليك في اربع عند غضبه
ورضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعاني تتغير بها الطباع
لدخول الضرر منها على الناس ويفقد الانتفاع وقال في موضع
اخر من كان ناظرا في اخوة اخيه او في صحبته لكثرة اعماله
او وافقه مع اجمال احوال الاخلاء الجهلة بهذه الطريقة التي تنتقل
الى التحقيق لانها تحول وانما العمل على حقائق القلوب لانها
ثابتة في الاصول فان اقترن الى جهله نقص معرفة الاخوة
دخل التزين له والتصنع عنده لتعلو منزلته ويحسن عنده
اثره فيدخله ذلك في الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة
التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها ويسقط من عين مولاه
فلا يتولاه لان النفس مبتلاة بحب الثنا والمدح واثبات
المنزلة باظهار الوصف فيكون بهذا الصاحب حينئذ من اشام
الناس عليه واضرهم له ويصير احدهما بلا انه صاحبه فليفارقه
حينئذ لانه جاهل فلا يصحبه لانه يجد النقصان بصحبته ويدخل
عليه الافات بمقاربته ولينفرد بنفسه ويصدق في حالته
عالية كانت او دنية وضيعة كانت او رفيعة من غير مقارنة
لاحد ولا مباينة فهو خير له واحمد عاقبة انتهى ويدل على
ارادة صاحب الكتاب بهذا المعنى الذي ذكرناه في التنبيه
على قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله اما عقبه به من قوله ولا يدلك على
الله مقاله فيكون الحال والمقال متناسبين في كون كل واحد
منها

منها متعلقا بالله تعالى بعبودية ودلالة قال سهل
بن عبد الله رضي الله عنه وعنا به احذر صحبة ثلاثة من اصناف
الناس الجبابرة الغافلين والقرا المداهنين والمتصوفة
الجاهلين وقال يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله
قلت لذي النون المصري من اصحب فقال من لا تكتم شيا يعلمه
منك وقال حمدون القصار اصحب الصوفية فان للقبيح عندهم
وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك
به اشارة الى ان العجب بالعمل منفي في صحبتهم وقال الجنيد
اذا اراد الله بالمريد خيرا اوقعه الى الصوفية ومنعه صحبة
القرا وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقاء من احوجك الى المداراة
والجاك الى الاعتذار وقال مرة شر الاصدقاء من تكلف لك
وانشد ابو يوسف بن الحسين الرازي • احب من الاخوان
كل مواتي • وكل غضيض الطرف عن هفواتي • يوافقني في كل
امر اريده • ويحفظني حيا وبعد مماتي • فمن لي بهذا ليتني
قد وجدته • فقاسمته مالي من الحسنات • والحاصل من هذا
ان صحبة الصوفية هي التي يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب
دون من عداهم من المنسوبين الى الدين والعلم لانهم
خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهمهم
فيها احد وسريان ذلك من الصاحب الى المصحوب هو غاية الامل
والمطلوب فقد يغنيه عن تحقق بحالة لم يكن حاضره منها
ومن جلس على دكان العطار لم يفقد الرايحة الطيبة هذا في

الحضور صح

المقارنة والمجالسة وما اشبه ذلك في الصحبة والمؤانسة
وقد وصفهم بعض العلماء فقال الصوفي هو الذي لا يعرف في
الدارين احدا غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله
قد سخر له كل شيء ولم يسخر هو لشيء وسلط على كل شيء
ولم يسلط عليه شيء يأخذ نصيبه من كل شيء ولا يأخذ النصيب
منه شيء يصفو به كدر كل شيء ولا يكدر صفوه شيء قد شغله واحد
عن كل شيء وكفاه واحد عن كل شيء فانظر رحمك الله هذه
الصفات ما اعظمها واجلها واشرفها لمن اتصف بها
وما اعزه في هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من بركاتهم
وفي صحبة امثالهم يحصل للمريد من المزيد ما لا يحصل
له بغيرها من فنون المجاهدات وانواع الحكايات
حتى تبلغوا من ذلك ما لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط
به علم عالم [illegible] ناقل قال سيدي ابو العباس
المرسي قدس الله روحه ماذا اصنع بالكيمياء ولقد صحبت
اقواما يعبر احدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها
فتثمر رمانا في الوقت فمن صحب مثل هؤلاء الرجال ماذا
يصنع بالكيمياء وقال ايضا رضي الله عنه والله ما سار
الاولياء والابدال من قاف الى قاف الا ليلقوا واحدا
مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم وقال ايضا الولي اذا اراد
الغنى وقال ايضا والله ما بيني وبين الرجل الا ان انظر اليه
نظرة وقد اغنيته وقال رضي الله عنه فيه شيخه ابو الحسن
قال
الشاذلي

فتثمر
سار صح

الرحلة صح

الشاذلي رضي الله عنه ابو العباس هو الرجل الكامل والله
انه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المساء
الا وصله الى الله تعالى وسيأتي ذكر بعض رجال الموفق
في صحبته وما وصله اليه ببركة رؤيته منه قوله كل كلام يبرز
وعليه كسوة القلب الذي برز منه ربما كنت مسيئا فاراك
الاحسان منك صحبتك من هو اسوء حالا منك هذه اعظم
آفة تدخل على من خالط من هو اكبر وصحب من هو دونه في الحال
وهو استحسانه لما هو عليه فيؤديه ذلك الى رضاه عن نفسه
ورؤية الآفات لاحسانها وهو اصل كل شر كما تقدم
مقادير ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل
عمل برز من قلب راغب مقادير الاعمال على حسب
قلوب العمال فما صدر من الزاهدين في الدنيا من عمل
طاعة وان كان قليلا في الحس فهو كثير عند التحقيق وما
صدر من الراغبين فيها من عمل بر وان كان كثيرا في
الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لان الزاهدين سلموا
من الآفات التي تقدح في اخلاص اعمالهم من رؤيات
الناس والتصنع لهم وطلب الاعواض الدنيوية عليها
منهم لانهم زهدوا فيها فيتحصل لهم قبول اعمالهم بتنوير
قلوبها بحسب ذلك وبالضد والراغبون تعتريهم الآفات
المبطلة لاعمالهم القادحة في اخلاصهم بسبب رغبتهم
في الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير من اعمالهم لوجود

المنقصات فيها وقد قال امير المومنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كونوا لقبول العمل اشد اهتماما منكم
للعمل فانه لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل
وقد وصف الله تعالى ذكر المومنين بالكثرة لما تضمنه
من وجود الاخلاص وعدم رياء الناس فقيل في قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قيل
يعني خالصا فسمي الخالص كثيرا وهو ما تخلصت فيه النية
لوجه الله تعالى ووصف ذكر المنافقين بالقلة لما اشتمل
عليه من عدم الاخلاص ووجود رياء الناس فقال تعالى يراوون
الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعني غير خالص
وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال
ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين
المجتهدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض
الصحابة رضي الله عنهم للصدر الثاني انتم اكثر
اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذا قال كانوا ازهد منكم في الدنيا
وعن بعض الصحابة رضي الله عنه عندنا افضل الاعمال كلها فلم نر كابدنا
في امر الاخرة ابلغ من الزهد في الدنيا وقال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه سالت الكرخي عن الخلق بعض لله
تعالى باي شي تجد رب الى الطاعة فقال باخراج الدنيا
عن قلوبهم ولو كان منها في قلوبهم ما صحت لهم سجدة
وقال

وقال ابو عبد الله القرشي تشكي بعضهم الى رجل من الصالحين
انه يعمل اعمال البر ولا يجد حلاوة في قلبه فقال لان عندك
بنت ابليس وهي الدنيا ولا بد للاب ان يزور ابنته
في بيتها وهو قلبك ولا يوثر دخوله الا فسادا وكان ابو
محمد سهل رضي الله عنه يقول يعطي الزاهد ثواب العلماء
والعباد ثم يقسم على المومنين ثواب اعماله فاز ولا
يري في القيامة احد افضل من ذي زهد عالم ورع
حسن الاعمال نتائج حسن الاحوال وحسن الاحوال من
التحقق في مقامات الانزال حسن الاعمال توفيتها بما
يجب لها من شروط وادب عبودية لله تعالى لا لطلب
حظ عاجل ولا ثواب اجل وحسن الاحوال ان تكون
سالمة من العلل والدعاوى وموسومة بسمة الصدق
والتحقق ومقامات الانزال هي ان تتلقى القلب بما
ينزله الحق تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف
بحيث ينتفي عنه كل شك وريب وهذه الثلاث المذكورة
مرتب بعضها على بعض وهو معنى ما يقوله الامام ابو حامد
رضي الله عنه لا بد في كل مقام من مقامات اليقين من علم
وحال وعمل فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا
الكلام الذي ذكره المولف نوع منه ولا تعلق له في الزاهد والراغب
لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود
ذكره اشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى ان يرفعك من

الذكر مع وجود ... صح

ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر
مع وجود يقظة حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر
مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز
الذكر اقرب الطرق الى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته
كما قيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد اعطي
المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل وقال الشاعر
والذكر اعظم باب انت داخله لله فاجعل له الانفاس حراسا
قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه الذكر عنوان
الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة
البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شيء وجميع
الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشاها عن الذكر
وفضائل الذكر اكثر من ان تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله
تعالى في كتابه العزيز فاذكروني اذكركم وقوله عز وجل
فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عند ظن
عبدي بي وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وان تقرب
مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت
منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة لكان ذلك كافيا
والفضيلة وهذا الحديث متفق على صحته قالوا ومن فضائله
انه غير موقت بوقت فما من وقت الا والعبد مطلوب به
اما وجوبا واما ندبا بخلاف غيره من الطاعات قال ابن عباس

رضي

كالصلاة

رضي الله عنهما لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا
جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير
الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولا عذر احدا في
تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم بذكره في الاحوال
كلها فقال عز من قائل فاذكروا الله قياما وقعودا
وعلى جنوبكم وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا اي بالليل والنهار والبر والبحر والسفر
والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية
وعلى كل حال وقال مجاهد رضي الله عنه الذكر الكثير
ان لا تنساه ابدا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون فينبغي للعبد ان
يستكثر في كل حال لانه ويستغرق فيه جميع اوقاته ولا
يغفل عنه وليس له ان يتركه لوجود غفلته فيه فان تركه
له وغفلته عنه اشد من غفلته فيه فعليه ان يذكر الله
تعالى بلسانه وان كان غافلا فيه ولعل ذكره مع وجود
الغفلة يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة ولعل ذكره
مع وجود اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور ولعل
ذكره مع وجود الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة
عما سوى المذكور وهي صفة العارفين المحققين
من الاولياء قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت
اي اذا نسيت ما دون الله عند الله ذكره فتكون ذاكرا

لله تعالى وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان
ويكون العبد محواً في وجود العيان وفي هذا المعنى
انشدوا ما ان ذكرتك الا هم يلعنني سري
وقلبي وروحي عند ذكراكا حتى كأن رقيباً منك
يهتف بي اياك ويحك والتذكار اياكا اما ترى
الحق قد لاحت شواهده وواصل الكل من معناه
معناكا وقال الواسطي رحمه الله يشير الى هذا
المقام الذاكرون في ذكره اكثر غفلة من الناسين
لذكره على مقدمة كتاب ابي العز تقي الدين ابن المظفر
الشافعي وهو كتاب الاسرار العقلية في الكلمات النبوية
ورأيت هذا الكلام بخطه رحمه الله وهو من احسن
الذكر ما هاج عن خاطر وارد من المذكور جل ذكره
وهذا هو الذكر الخفي عند المتصوفة على الاشتهار
والتمكن في الاسرار واما قولهم حتى يتمكن الذاكر
الى حالة يستغرق به عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول
ولا اتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز عليم وبيان
غور ذلك ان يكون القلب عند الذكر في الذكر فارغاً
من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره فيصير القلب
بيت الحق وممتلئاً منه فيخرج الذكر من غير قصد
ولا تدبر وحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق
به فان رطب هذا الذاكر بالحركات يده التي يبطش بها ان سمع
كان

كان ذكره سواه
قال ابو العباس
بن البنا في
كلام ذكره م

كان سمعه الذي يسمع به فقد انتوى المذكور العلي
على الفؤاد فامتلكه وعلى الجوارح تصرفها فيما
يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها كيف شاء
في مرضاته فلذلك يخرج الذكر منه غير تكلف وتنبعث
الاعمال بالطاعات نشاطاً ولذة من غير ملل ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ان الله
مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله
تعالى قلب ام موسى عليه السلام بمعنى ذكره في قوله
الحق واصبح فؤاد ام موسى فارغاً اي فارغاً من كل شيء
الا من ذكر موسى فكادت ان تبدي بقصد به من غير
قصد منها لذكره ولا تدبر بل كانت تركها للتصرف في
تذكره صبراً بما ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين
بما اوحى الله اليها من قبل في شأن موسى وبانه من المرسلين
على السعلية وكم وبذلك يندفع الاشكال الذي في ذكر ابي
العز ووصفه بالعظمة وهو اجتماع الضدين في بادي
الرأي وهما الذكر والغفلة عند الذكر وهذه المعالم
والمراقي لا يعرف حقيقتها الا السالكون وجداناً والعلماء
ايماناً وتصديقاً فاياك والتكذيب بايات الله فتكون
من الصم البكم في الظلمات والملكات المذكورة لا يجوز
عليه وصف الفقد والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان
ولا يشتمل عليه زمان فلا يجوز عليه الغيبة بوجه ولا ينقص

بحوادث المحدثين ولا تجري عليه صفات المخلوقين فهو
حاضر عيانا ومعنى شاهد سرا ومخبر الذهو الغريب
من كل شي اقرب الى الذاكر له من نفسه معه حيث الايجاد له
والعلم به والمشية فيه والقدرة والتدبير له والقيام
عليه خلق الخليقة فلا تلحقه اوصافها ولا وجد الاعراض
فلا تحصره معانيها سبحانه وهو العلي الكبير انتهى كلام
الشيخ ابي العباس رحمه الله في معنى المقام الثالث من مقامات
الذكر وهو غاية الحسن والتحقيق مشيرا الى نحو حد
الخواص من اهل هذا الطريق فلا ينبغي ان ييأس العبد
من الوصول الى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز
على الفتاح العليم فعلى العبد القيام بحسن الاسباب ومن
الله رفع الحجاب من علامة موت القلب عدم الحزن على
ما فاتك من الموافقات وترك الندم على ما فعلته من
وجود الزلات القلب الذي كان حيا بالايمان حزن على ما فاته
من الطاعات وندم على ما فعله من الزلات ومقتضى هذا
وجود الفرح مما يشتغل فيه من الطاعات وبما يوفق له
من اجتناب المعاصي والسيئات وقد جاء في الخبر من سرته
حسنته وساءته سيئته فهو مومن فان لم يكن العبد بهذا
الوصف وعدم الحزن على ما فاته والندم على ما اتاه فهو
ميت القلب وانما كان ذلك من قبل ان اعمال العبد الحسنة
والسيئة علامة على وجود مرضاة الله تعالى عن العبد

وسخطه

وسخطه عليه فاذا وفق الله عبده للطاعات سره ذلك
لانه علامة على رضاه عنه وحينئذ رجاؤه واذا خذله
ولم يعصمه فعمر بالمعاصي ساءه ذلك واحزنه لانه
علامة على سخطه عليه وعند ذلك خوفه والرجا يبعث
على الاجتهاد في الطاعات وليس من مقتضاه الاكثر كها
وعدم الحزن على ما فاته منها ثمنا واغترارا والخوف
يبعث على المبالغة في اجتناب المعاصي والسيئات
وليس مقتضاه فعلها وترك الندم عليها اياسا وقنوطا
وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينما
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه
فتى شاحب شاحبا وراى اجتماعنا فاناخ راحلته ومشى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى
راحلتي من مسيرة تسع فيرتها الليل ستا واسهرت
ليلي واظمات نهاري وانضيت راحلتي لاسالك
عن شيئين اسهرتاني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
من انت قال انا زيد الخيل قال بل انت زيد الخير
فرب معضلة قد سئل عنها قال جئت اسالك عن علامة
الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا زيد قال اصبحت احب الخير
واهله واحب ان يعمل به واذا فاتني حننت اليه واذا عملته
عملا قل او كثر ايقنت بثوابه قال هو ذاك بعينها يا زيد

بل مقتضاه فعل الطاعات والتلذذ بفعلها وترك الطاعات المأمور بها وارتكاب المنهيات المأمور باجتنابها طامعا في حسن الظن بالله راجيا من المغفرة مع هذه الحالة فيحسب العدل ان هذا الرجل من الاشقياء المغرورين وليس طمعه ذلك من قبيل حسن الظن والرجا بل من قبيل الغرور والتمني انتهى

ولو ان ذلك الله لا اخزى عبادا كل لهما ولا يبالي في اي
واد هلكت قال زيد حسبي حسبي لو ان تجل ولم يتق
لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن
بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه
ذنبه عظم الذنب عند من تأمله على وجهين احدهما ان يعظم
عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق
العزم على ان لا يعود الى مثله فهذه عظمة محمودة
وهي من علامات ايمان العبد كما قلناه قال عبد الله
بن مسعود ان المومن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف
ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنبه كذباب وقع على انفه
قال به هكذا فاطاره ويقال ان الطاعة كلما صغرت
عظمت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت
عند الله تعالى والثاني ان يعظم عنده عظمة توقعه
في الياس والقنوط وتوديه الى سوء الظن بالله تعالى
فهذه عظمة مذمومة قادحة في الايمان وهي شر عليه
من ذنوبه وسبب ذلك وجود جهله بصفات مولاه الحميد
الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه
ولو كان عارفا بالله تعالى حق المعرفة لاستصغر ذنوبه
في جنب كرمه وفضله فاي قدر للعبد وقيمة حتى يقع
في ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه ان يغفر له تعالى
مع التوبة واعلم انه لا بد في مملكته من عباده من نصيب الحلم
ومحل

ومحل لظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم
ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم
تذنبوا لذهب الله بكم ولجا بقوم يذنبون حتى يستغفرون
الله فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل
الكباير من امتي وجا رجل الى الشيخ ابي الحسن رضي الله عنه
فقال يا سيدي كان لي البارحة بجواري ناس من المنكرات
كيت وكيت وهم من الرجال فتغرب ان يكون هذا فقال
يا هذا كانك تريد ان لا يعصى الله في مملكته من احب ان لا
يعصى الله في مملكته فقد احب ان لا تظهر مغفرته وان
لا يكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم من مذنب
كثرت اساته وذلته مع الفتنة اوجبت له الرحمة من ربه
تلك له راحما ويقدر به بما نوه وان عصيها الماله فلا ينبغي
للعبد ان يستعظم ذنبه استعظاما يوديه الى ان يلقي
بيده الى الياس من روحه والقنوط من رحمته وسوء ظنه به
ان عليه من يتوب اي رحمه منه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة
الله تعالى في تسليطه عليه وتخليته بينه وبينه وفي الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الذنب خير
للمومن من العجب لما خلى الله تعالى بين مومن وبين
ذنبه ابدا فتبصر بهذا ان الذنب مانع من وجود
العجب الذي هو اعظم حجاب بين العبد وبين ربه لانه
لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لطاعته وعبادته

ملاحظة الذكر ومشاكلة له بخلاف الذنب فلانه يوجب له
الخوف والحذر والالتجاء الى الله تعالى والاعتذار اليه
من نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب
يصرفه اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به
على ربه والعجب يورثه الاستغناء والذنب يورثه الى
الافتقار والاضطرار وما اقرب العبد الى الله تعالى افتقاره
اليه ومن اشرف احوال المؤمن ما يرده اليه ويقبل به عليه
لا صغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله
اذا ظهرت الصفات العلية تلاشت اعمال العاملين وان ا
ظهرت صفة العدل على من ابغضه ومقته تلاشت حسناته
وعادت صغارها كبايرا وان ظهر وصف الكرم والفضل
لمن احبه اضمحلت سياته ورجعت كبايره صغايرا قال يحيى
بن معاذ رضي الله عنه ان وضع عليهم عدله لم يبق لهم
حسنة واذا نالهم فضله لم يبق لهم سيئة ومن دعايه
رضي الله عنه الهي ان احببتني غفرت سياتي وان مقتني
لم تقبل حسناتي وما احسن قول سيدي ابي الحسن الشاذلي
رضي الله عنه في دعايه ومناجاته واجعل سياتنا سيات
من احببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضت
فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساة لا تضر مع
الحب منك [illegible] المؤلف رحمه الله تعالى
في مثل هذا المعنى قوله الحكم [illegible] بينها وحال تشيدها

همم

اعتمادي

هم من اعتقادي عليها عدم كر بدا انا ابني منها فضلكم [illegible]
لا عمل ارجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر
عندك وجوده في النسخ الموجود فبانه نيلا عمل ارجى
للقلوب ومعناه على هذا الوجه ان العمل الموصوف
بهذه الصفة لا يلتفت اليه القلب ولا يعتبره من عدم
التفاته واعتباره صلاحه وتحرزه من ترك رويته فيبقى
حينئذ مع ربه لا مع عمله ويكون ذلك على هذا المعنى في
تقديره لا عمل ارجى لصلاح القلوب وما معناه وباقي
من كلام المؤلف ما يناسب هذا المعنى وهو قوله قطع السايرين
له والواصلين اليه عن رؤية اعمالهم ورؤية احوالهم
الى اخره والغالب على الظن ان الذي قصده المؤلف من كلامه
انما هو لفظ القبول فغلط الناسخ فغلب حروفه ولا يحتاج
في هذا الى حذف وتقديره على هذا ان يقول سلامة العمل
من الافات سبب في قبوله لان صاحبه متق لله تعالى وقد
قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين وان اسلم العمل
من الافات اتهام النفس في القيام بحقه ورؤية تقصيره
فيه فيغيب عنه اذ ذاك شهوده ويتحقر عنده وجوده
فلا يسكن اليه ولا يعتمد عليه وان لم يكن على هذا الوصف
ما كان ناظرا اليه ومستغنيا به غايبا عن شهود منة الله
تعالى عليه في توفيقه له واوقعه ذلك في العجب بعد كل
عمله وخاب سعيه قال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه

ما استقبحت من شيء فاجتنبه وقال أبو الحسين
رضي الله عنه كل شيء من أفعالكم إذا اتصلت به رؤيتك
فذلك دليل على أنه لم يقبل منك لأن المقبول مرفوع
مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على
القبول وقد قيل لبعض العارفين ما علامة قبول
العمل قال نسيانك إياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية
مثلا له قوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه قال فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل أنه
لا يبقى عندك منه شيء فإنه إذا بقي عندك أو نظرك منه شيء
لم يرفع إليه لبينونته بين عنديتك وعنديته
فينبغي للعبد إذا عمل عملا أن يكون عنه متبرئا متهما
بما ذكرناه من اتهام النفس ورؤيتها للتقصير حتى يتحصل
إليه قوله إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه
واردا الوارد عبارة عما يرد على القلب من المعارف
الربانية واللطائف الروحانية ليطهره بذلك ويزكيه
حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول إلى حضرته لأن
الحضرة منزهة عن كل قلب متكدر بالآثار متلوث بأقذار
الأغيار فإذا إنما أورده عليك لتكون عليه واردا
أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار وليحررك
من رق الآثار الآثار والأغيار عاصية ومشركة لك ودك
لوجود حبك لها وسكونك إليها واعتمادك عليها فإذا أورد
عليك

عليك الوارد ليتسلمك من يد غصبك وليحررك
عن ملكية من استرقك والإشارة إلى هذا المعنى بما
ضرب الله تعالى من المثل للكفار في قوله تعالى ضرب
الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
هل يستويان مثلا فمن سلم من يد الأغيار وحرر
من رق الآثار لا يكون لمخلوق فيه نصيب ولا شركة
كان سالما لله تعالى أورد عليك الوارد ليخرجك من
سجن وجودك إلى فضاء شهودك سجن وجوده هو شهوده
لنفسه ومراعاته لحظه وفضاء شهوده أن يغيب عن ذلك
بشهود عظمة الله تعالى وجلاله ورؤية تصاريف حركاته
وسكناته قال أبو القاسم النصرآباذي رحمه الله سجنك
نفسك إذا خرجت منها وقعت في راحة الأبد وسيأتي
من كلام المؤلف رحمه الله ما يعني قوله سجن وجودك
الكائن في الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون
بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته الأنوار مطايا القلوب
والأسرار الأنوار الإيمان واليقين مطايا حاملة للأسرار
والقلوب إلى حضرة علام الغيوب وكذلك هي الواردات
المذكورات النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس
فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع
عنه مدد الظلم والأغيار نور التوحيد واليقين
ظلمة الشرك والشك جندان للقلب والنفس والحرب

بينهما سجال فاذا اراد الله تعالي نصر عبده امد
قلبه بجنوده وقطع عن نفسه مدد جنودها واذا اراد
خذلان عبده فعلي العكس فاذا مال القلب الي العمل
بامر محمود مؤلم في الحال ملتذ به في المال ومالت
النفس الى العمل بامر مذموم ملتذ به في الحال مولم به
في المال وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذي هو من
امر الله ورحمته الي نصرة القلب وبادرت الظلمة
التي هي من وسواس الشيطان ولمته الى نصرة النفس
وقام صف القتال بينهما فان سبقت للعبد من الله
تعالى سابقة السعادة اهتدي القلب بنور الله تعالى
واستهان بالعاجلة ورغب في الاجلة وعمل القلب بما
مال اليه وان اله في الحال لما يرجوه من التنعم
به في المال وان سبقت له من الله تعالى سابقة الشقاوة
والعياذ بالله خذل القلب عن النور واعتمته
الظلمة عن منفعة الاجل واغتر بلذة العاجل وعمل بما
مالت اليه نفسه وان اله في المال لما تحصل فيها من
لذة الحال وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين
الجند بين لا نجية للعبد الا فزعه الى الله تعالى ولياذه
به وكثرة ذكره له وصدق توكله عليه واستعاذته
من الشيطان الرجيم وهذه العبارات الخمسة من قوله
الفا اورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الى هنا
تفنن

تفنن فيها صاحب الكتاب وكررها بالفاظ مختلفة والمعاني
فيها متقاربة وهذه عادته في مواضع كثيرة عن هذا
النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال
والادبار هذه الفاظ مختلفة لمعان متغايرة فالنور
يفيد كشف المعاني المغيبات حتى تتضح وتشاهد
والبصيرة التي هي ناظر القلب فتفيد الحكم بصحة
ما شاهدته والقلب له الاقبال عملا بمقتضى ما شاهدته
البصيرة وله ايضا الادبار تركا للعمل بمقتضى
ما شاهدته البصيرة لا تفرحك الطاعة لانها برزت
منك وافرح بها لانها برزت من الله اليك قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون الفرح
بالطاعات على وجهين فرح بها من حيث شهود نعمة
من الله تعالى ونعمته وفضله وهذا هو الفرح المحمود
وهو الذي يليق بالعبد وذلك مقتضيها شكرها وفرح
بها من حيث ظهورها من العبد باختياره وارادته
وحوله وقوته فهذا الفرح مذموم منهي عنه وهو كفران
النعمة وهو العجب المحبط للعمل فالفرح بها على هذا
الوجه فرح بلا شيء وسيأتي في اخر الكتاب انواع الفرح
بالنعم وما يحمد منها وما يذم تامة مستوفاة قطع
السائرين عن الواصلين اليه ... انما ...
احوالهم اما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق

مع الله فيها واما الواصلون فلانه غيبهم شهوده عنها
لقد سبغ الله نعمته على الفريقين حيث فعل معهم ذكر
لانه ابقاهم معه ولم يرد عنهم سواه فالواصلون
فعل ذكر بهم طوعا منهم والسالكون فعل ذكر بهم
كرها ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها
فالواصلون قطعهم عن ذكرهم وهم الى حضرة قربه
ومن شاهده لم يراهم معه سواه والسالكون قطعهم
عن ذلك عدم تحققهم بالصدق والبراءة من اعمالهم
الدعوى فهم ابدا متهمون لانفسهم في توفية اعمالهم
وتصفية احوالهم قال ابو حفص من علامة من تولاه
الله في احواله ان يشهد التقصير في اخلاصه والغفلة
في اذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهدته
وقلة المراعاة في فقره فيكون جميع احواله عنده
غير مرضية ويزداد فقرا الى الله في قصده وسيره حتى
يفنى عنه كل ما دونه وقال ابو عمرو اسماعيل بن نجيد
لا تصفو لاحد قدم في العبودية حتى تكون افعاله كلها
عنده رياء واحواله كلها عنده دعاوى وقال ابو يزيد
لو صفت لي تهليلة واحدة ما باليت بعدها بشيء والى
هذين العاملين تشير الحكاية التي تروى عنه انه لو استجيب
وذلك انه لما دخل ... اصحاب ... ان رضي
الله عنه باذا يا امير المؤمنين فقال لو كان يامرنا بالتزام

الطاعات

الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال لو امركم بالتحقق
في الحقيقة لما امركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها
قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رحمه الله سمعته يقول اذا اراد
الواسطي يقول اصبنا نشهد من محل الاعجاب الى نفرجا في
او كان التقصير او تحذيرا للاخلال لواجب من الادب
ما بسقت اغصان ذل الا على بذر الطمع الشرف به لطول
يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت قال الله تعالى
والنخل باسقات والاغصان جمع غصن وهو ما
تشعب عن سوق الشجر ويجمع ايضا على غصون
والبذر الحب الذي يزرع وهذه كلها استعارات مليحة
والطمع من اعظم آفات النفس وعيوبها والقادحة
في عبوديتها بالعبودية جميع الآفات لا ... تعلق بالناس
والتجا اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من
المذلة والمهانة ما لا مزيد عليه ولا يحل للمؤمن ان
يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذي يقتضي
وجود العزة والعزة التي بها المؤمنون انما تكون
برفع هممهم الى مولاهم وطمانينة قلوبهم اليه
وثقتهم به دون من سواه فهذه هي العزة التي منحها
الله عباده المؤمنين قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين وبحارات العزة من صفات المؤمنين
كذلك الذلة من اخلاق الكافرين والمنافقين قال الله

تعالى انا الذين بها دون ان يسمو بحر لهم ولمكان
في الاذلين وقال ابو بكر الوراق الحكيم لو قيل للطمع
من ابوك قال الشك في المقدور ولو قيل ما حرفتك
قال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك قال الحرمان
وقال ابو الحسين الوراق النيسابوري من استشعر
في نفسه محبة شي من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع
ووضعها في شي ذل وبذلك بفكر وقد بيننا قبل ان الطمع في
لباب وتعلم انما يقطع اعناق الرجال الا المطامع فان امره
الاعمال فاسد الدين مفلس من انوار اليقين فان
التوحيد وتفقد وجود الطمع من نفسك اكثر مما تتفقد
ما سواه ونظهر صفة الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع
فيهم سبحة اكبرها ظهره الا الياس منهم ورفع الهمة
عنهم قال وقدم علي رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها
فوجد القصاص يقصون فاقامهم حتى جاء الى الحسن
البصري فقال يا فتى اني سائلك عن امر فان اجبتني عنه
ابقيتك والا اقمتك كما اقمت اصحابك وقد راى عليه
سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت فقال ما ملاك
الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال
اجلس فمثلك من يتكلم على الناس قال وسمعت شيخي يقول
كنت في مبدا امري بثغر الاسكندرية جئت الى بعض من
يعرفني فاشتريت منه حاجة بنصف درهم فقلت في نفسي

فلعله

فلعله لا ياخذه مني فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك
الطمع في المخلوقين قال بعضهم مثل صاحب الطمع لا يشبع
ابدا الا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطا والميم والعين
ثم قال بعضهم بعد هذا فعليك ايها المريد برفع
همتك عن الخلق ولا تذل لهم فقد سبقت قسمتك وجرى بك
وتقدم ثبوتك قبل وجودك واسمع ما قال الشافعي ايها
الرجل ما قدر لماضغيك ان يمضغاه فلا بد ان يمضغاه
فكله بعز ولا تاكله بذل قلت تقدم الان كلامه
في التنوير بذكر الورع في مقابلة الطمع وكذلك في جواب
الحسن لعلي رضي الله عنهما لما سأله مختبرا له عن صلاح الدين
وفساده في الكلام الذي حكاه عنهما ولا شك ان الورع الظاهر
لعامة الناس وهو ترك الشبهات والتحرج من اقتحام المحظورات
لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع ما هو وانما
يقابله ورع الخاصة وهو عندهم صحة اليقين بالله وكمال
التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه والتوكل
عليه وطمانينة القلب به ولا يكون لهم ركون الى غيره
ولا انتساب الى خلق ولا كون فهذا هو الورع الذي يقابل
الطمع المذموم ويصلح كل عمل مقرب وحال مسعد كما نبه عليه
الحسن في جوابه المذكور وقال يحيى بن معاذ الورع على
وجهين ورع في الظاهر ان لا تتحرك الا لله وورع في الباطن
وهو ان لا يدخل قلبك الا الله وذكر ان بعضهم كان حريصا

[illegible]

على ان يرى احدا منه هذه صفته فهو المجتهد في طلبه
ويحتال على التوصل اليه بالتسبب لاخذ الذي يعد الذي من ماله
ويقصد به الفقراء او المسالين ويقول لمن يعطيه منهم حين
التناول له خذ لا كثر فكانوا ياخذون ولا يجمعون احدهم جوابا
مطابقا لما اراده بالاعطاء اذ قرر ذات يوم بغيبته
وحمل على مقصوده ومنيته وذكر انه قال لاحدهم خذ لكثر
فقال انت لا تفتقر ان كان للعبد استشراق الى الخلق وسبقة
نظر اليهم فيما هي الرزق او بعده فمقتضى هذا الورع
والواجب في حق الادب ان لا يفيد نفسه شيئا مما يا تيه على
هذه الحالة عقوبة لنفسه في نظره الى اسبابهم كقصة ايوب
الحمال مع احمد بن حنبل رضي الله عنهما وهو معروفه وكما روى
عن الشيخ ابي مدين رحمه الله انه اتاه حمال القمح فنا زعته
نفسه وقالت له يا ترى من اين هذا فقال لها انا اخرجه من اين
هو باعد والله وامر بعض اصحابه ان يدفعه لبعض الفقرا
عقوبة لها كلونها رات الخلق قبل روية الحق تعالى وقد قيل
احد الحلال ما لا يخطر لك ببال ولا سالت فيه احدا من الناس
والرجال ولو صح هذا المعنى الذي ذكرناه واوضح النص
الذي قصدناه شيخ الطريقة وامام اهل الحقيقة من المتاخرين
ابو محمد عبد العزيز المهدوي رحمه الله قال اعلم ان الورع ان لا
يكون بينك وبين الخلق نسبة في اخذ او عطا او قبول او رد وان
يكون السبق لله تعالى وهو ان تاتي اليه الاشياء من جميع

وقصة ايوب مع الحمال هو انه استاجر حمالا لحمل شي للمنزل فلما وصل الحمال للمنزل دون ضع المحمول وجدهم يخبزون خبزا ورايحته خارجة الى الصحن الذي فالطبع البشري اشتهت نفسه من ذكر الخبز وكان من الصوفية فلما ذهب الحمال امر ايوب بعض اولاده انه يدفع له كعكة من ذكر الخبز فذهب ولده ودفع له الخبز فلم يقبله فرجع واخبر ابيه بذلك فقال له ارجع وادفعه له فانه يقبله لانه في المرة الاولى كانت نفسه متشوقة لاخذه فلم ياخذ عقوبة لها واما الان فانه ايست نفسه من الخبز واذا دفع اليه لم يعرفه الا من الله تعالى علي يد ذلك الدافع لانه وقت الدفع لم يخطر بباله الا الله تعالى ثم يعلم ان فلانا دفعه له بالعلم ...

[illegible]

الاشيا والعلم والعمل وقال ايضا وقد جيتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة وقال ايضا الورع ان لا يخطر الرزق
بباله ولا يكون بينك وبينه نسبة لا في التحصيل ولا عند
المباشرة لانك لا تدرك انك اكلته ام لا وقال ايضا الورع ان لا يتحرك
ولا يسكن الا ويرى الله في الحركة والسكون فالحركة طرف
لما بينهما كما قال بعضهم ما رايت شيا الا ورايت الله فيه
فاذا راى الله ذهبت الاشيا وقال ايضا اجمع العلما ان
الحلال المطلق ما اخذ من يد الله بسقوط الوسايط وهذا
مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال الذي يخبرهم الذي
لا ينسى الله فيه الى خبرهم اهل العبادات التي عبروا بها في هذا
المعنى وقال بعضهم هذه الطايفة العبيد كلهم ياكلون ارزاقهم
ثم يفترقون في المشاهدات فمنهم من ياكل رزقه بذل
ومنهم من ياكل رزقه بامتهان ومنهم من ياكل رزقه
بانتظار ومنهم من ياكل رزقه بعز لا مهنة ولا انتظار
ولا ذلة فاما الذين ياكلون ارزاقهم بذل فالسوال
يشهدون ايدي الخلق فيذلون لهم واما الذين ياكلون
ارزاقهم بامتهان فالصناع ياكل احدهم رزقه بمهنة
وكد واما الذين ياكلون ارزاقهم بانتظار فالتجار
ينتظر احدهم نفاق سلعته فهو متعذب القلب
معذب بانتظاره واما ياكلون ارزاقهم بعز من غير
مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية يشهدون العزيز

ممتان

بعز

اي تعب

الذين

فيأخذون قسمتهم من يده بعزة وقال سهل بن عبد
الله ليس مع الايمان اسباب انما الاسباب في الاسلام
قال الشيخ ابو طالب رحمه الله معناه ليس في حقيقة الايمان
رؤية الاسباب والسكون اليها اثبات وتعلق او الطمع
في الخلق يوجد في مقام الاسلام وقد تقدم لمولانا رحمه
الله في لطائف المنن فصلا في هذا المعنى وجعله من جملة
وظائف الاداب الدينية اصلا ومنهجا قرانيا نقله في هذا
الموضع متصورا بالعمل المشتغل ان شاء الله تعالى بنجاح
الامل قال رضي الله عنه واعلم رحمك الله تعالى ان ورع الخصوص
لا يفهمه الا قليل فان من جملة ورعهم تورعهم ان يسكنوا
لغيره او يميلوا بالحب لغيره او تمتد اطماعهم بالطمع
في غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع
الوسايط والاسباب وخلع الانداد والارباب ومن
ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على
الطاعات والسكون الى انوار التجليات ومن ورعهم
ورعهم عن ان تفتنهم الدنيا او توخيهم تفوتهم الاخرة
تورعوا عن الدنيا وفازوا عن الوقوف مع الاخرة صدقا قال
الشيخ عثمان بن عاشور رحمه الله خرجت من بغداد اريد
الموصل وانا اتحير واذا بالدنيا قد عرضت علي بعزها وجاهها
ورفعتها ومراكبها وملابسها ومراتبها وشهواتها فاعرضت
عنها فعرضت الجنة بحورها وقصورها وانهارها وثمارها فلم التفت
بها

اليها فقيل لي يا عثمان لو وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانية
ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من
الدارين يأتيك وقال الشيخ عبد الرحمن المغربي رحمه
الله وكنت مقيما بشرقي الاسكندرية مجاورا سنة من السنين
فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية
فاذا هاتف يقال لي انك العام القابل عندنا فقلت في نفسي
اذا كنت العام القابل ههنا فلا اعود الى الاسكندرية
فخطر لي الذهاب الى اليمن فانبعثت عزمت فانا يوما
على ساحلها واذا بالتجار قد اخرجوا بضايعهم ومتاجرهم
ثم نكرت فاذا برجل فرش سجادته على البحر ومشى عليها
الما فقلت في نفسي لم اصلح للدنيا ولا للاخرة فاذا هاتف
يقال لي من لم يصلح لا للدنيا ولا للاخرة يصلح لنا وقال الشيخ
ابو الحسن رضي الله عنه الورع نعم الطريق لمن عمل
ميراثه واجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ
من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على
البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في عموم اوقاتهم
وسائر احوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون
ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون
ولا ينطقون الا بالله ولله من حيث يعلمون فهم بحكم العلم
في حقيقة الامر فهم محجوبون بعين الجمع لا يفرقون
فيما هو اعلى ولا فيما هو ادنى واما ادنى الا في ذات الله

عنه ثوابا لورعهم [illegible] الحقك لنازلات
الشرع عليهم ومن لم يكن لعمله مبتورا فهو محجوب بتريبا
او مصرو غير بعرى و ميراثه العلم لحلقته لاستكبار
على مثله والدلالة على انه بعمله فهذا هو الخذلان المبين
والعياذ بالله من ذلك والاكياس يتورعون من هذا
الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه
وعمله احتقار النفس وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان
من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع
كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله
انه هو السميع العليم قال فانظر رحمك الله سيدا وليايه
ومن عليك بمتابعة احبابه هذا الورع الذي ذكره
الشيخ رضي الله عنه هل كان يعلمه فهمك اي مثل هذا
النوع من الورع الا ترى قوله قد انتهى بهم الورع
الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله
وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا ورع
الابدال والصديقين لا ورع المتقشفين الذين بينا عن
عن سوء الظن وغلبة الوهم والتيه وانما اوردنا هذه
المعاني ههنا تتمة للفائدة المتعلقة بكلام صاحب
كتاب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وبان موجب
بيانه فيها في موضع انسب من هذا عند قوله لا تمدن يدك
الى الاخذ من الخلائق الى اخره فانظر فيه

ما

ما قاد كل شيء مثل الوهم الوهم امر عدمي وهو ضد الحقيقة
الوجودية والنفس الناقصة انقيادها الى الامور الوهمية
الباطلة اشد من انقيادها الى الحقائق الثابتة لوجود المناسبة
بينهما والطمع في الناس انما ذلك الاوهام الباطلة
لان الطمع تصديق الظن الكاذب والطمع فيهم لطمع
في غير مطمع وارباب الحقائق بمعزل عن هذا فلا تتعلق
همتهم الا بالله ولا يتوكلون الا عليه ولا يثقون الا به
قد تعطلت عنهم احكام الوهم والخيالات التي هي متعلقة بالاغيار
عن قلوبهم فزال عنهم الطمع واتصفوا بصفات القناعة
والورع فكانت لهم الحيوة الطيبة والمعيشة الراضية والقناعة
مقام عظيم من صفات اليقين وهي من ثمرات احوال الغنا فيه
وقال بعض العارفين لا يكون العبد قانعا حتى لو جاء الى
باب منزله جميع ما يرغب فيه اهل الدنيا من الامتاع
والنعمة فعرض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح له بابه تنزها
منه تحاله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى قوله
تعالى فلنحيينه حيوة طيبة قال هي القناعة انتهى انت حر مما انت
عنه آيس وعبد لما انت له طامع الطمع في الشيء دليل على الحب
وفرط الاحتياج الى نيله وذلك عبودية لتحكم ارادة الباعث
الشيء دليل على فراغ القلب عنه وغناه عنه وذلك حرية منه
فالطامع عبد واليائس حر ولهذا قيل العبد حر ما قنع والحر
عبد ما طمع وقيل لولا الاطماع الكاذبة لما استعبد الاحرار

بكل شي يخطر له وقيل ان العقاب يطير في فضاء عزه بحيث
لا يرتقي طرف الى مطاره ولا تسمو همة الى الوصول اليه فيرى
قطعة لحم معلقة على شبكة فيتدلى فينزل له الطمع من مطاره
فيتعلق بالشبكة جناحه فيصيره صيدا يطلب به وقيل ان
فتحا الموصلي رأى قاعدا فيما عمت تابع الشهوات كيف
صفته وكان يقرب به صبيان مع احدهما خبز بالادم ومع
الاخر خبز بكامخ فقال الذي لم يكن معه كامخ لصاحبه
اطعمني من الكامخ فقال بشرط ان تكون كلبي فقال لصاحبه
نعم فجعل خيطا في فمه وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال القايل
لو رضي بخبزه ولم يطمع في كامخه لم يصر كلبا لصاحبه وحكي عن
بعضهم انه دخل على تلميذ فقدم التلميذ اليه خبزا قفارا
ولم يكن له ادم فاخذ يتمنى ليعلم ان لبيته لو كان اداما
يقدمه الى استاذه فقام الاستاذ وقال تعال معي فحمله
الى باب الحبس فرأى الناس يضرب واحد ويقطع اخر
ويعذب كل واحد بانواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ
ترى هولا الذين لم يصبروا على الخبز القفار وقيل ان رجلا
اخرج من السجن في رجله قيد يسأل الناس فقال لا سائل
اعطني كسرة فقال لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد في رجلك
ورأى رجل من الحكماء يأكل ما تساقط من البقل على رأس
الماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال
الحكيم وانت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد

اردت

اردت ان اذكر ههنا حكاية مناسبة لما نحن فيه لتتعرف
بها كيف تكون الهمة السنية والاداب المرضية في اخذ
البلوغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشيا ورؤية منة
الله تعالى وتيسير القليل والتشكر له على ذلك قال بعضهم
خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالروحاء نزلنا فوق بناء
رجل عليه رثة له منظرة وهيبة ومروة فقال من يبغي خادما
من يبغي ساقيا فقلت دونك هذه القربة فاخذها فانطلق
فلم يلبث الا يسيرا حتى اقبل وقد امتلات اثوابه طينا
واثرت القربة في كتفه فوضعها وهو كالمسرور الضاحك
ثم قال الكم غيرها قلنا لا واطعمناه قرصا باردا فاخذه
وحمد الله سبحانه وشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد ياكله
اكل جايع فادركني عليه الشفقة فقمت اليه بطعام طيب كان
معنا وكثير منه فقلت قد علمت انه لم يقع منك الغرض
بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال
يا عبد الله انما هي فورة جوع فما ابالي باي شي رددتها
تمن فرجعت فقال رجل الى جنبي اتعرفه فقلت لا فقال
انه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب هذا
ابن ولد سليمان بن جعفر المنصور كان يسكن البصرة فتاب
فخرج منها ففقد فما عرف له اثر قال فما اعجبني قوله ثم ربه وانسته
وقلت يا رجل فتية انا رجل من اخوانكم وقد بلغني من نعتك
واحببت الاتصال بك فهذا الكرا تعادلني فانت في فضل امة

ثياب خ
قوع نسخة
كلامه نسخة
اجتمعت خ

تجزى خيرا وقال لو اردت هذا لكان معك انعم الي
وجعل يحدثني فقال انا رجل من ولد العباس كنت اسكن
البصرة وكنت ذا كبر شديد وتجبر وبذخ واني امرت
خادما لي ان يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد
نثير فبينما انا نايم اذا القمع ورد قد اغفلها الخادم
فقمت اليها واوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج
القمع من المخدة فاتاني في منامي في صورة فضيعة فهزني
وقال افق من غشيتك وانتبه من حيرتك ثم انشا يقول
يا خدّ انك ان توسد لينا . وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به . فلتندمن غدا اذا لم تفعل
فانتبهت جزعا فخرجت من ساعتي الى ربي هاربا فهذا خبري
قال الراوي فلما فرغ حديثه هذا الخبر عني ومضى
من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل
الامتحان . النفوس الكريمة تقبل على الله تعالى بملاطفات
احسانه وموالاة فضله وامتنانه والنفوس اللئيمة لا تنقاد
اليه الا بسلاسل الامتحانات ووقوع المصايب في الاموال والابدان
والقود بالسلاسل استعارة حسنة قال سيدي ابو مدين
سنته عز وجل استدعاء العباد لعبادته بسعة الارزاق
ودوام المعافات ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا
ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده
عز وجل رجوع العبد اليه طوعا او كرها من لم يشكر النعم
فقد

فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها
شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها
موجب لزوالها وانتقالها قال الله تعالى لئن شكرتم
لازيدنكم وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم اي اذا غيروا ما بهم من الطاعات وفي شكر
النعم غيرة لله تعالى ما منه من الاحسان والكرم وقد جمعت
حكما العرب والعجم على هذه النكتة فقالوا الشكر قيد النعم
وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وكانت
يقال النعم اذا روعيت بالشكر فهي الحوائق واذا قوبلت
بالكفر فهي اغلال والشكر على ثلثة اوجه شكر بالقلب
وشكر باللسان وشكر بساير الجوارح فشكر القلب ان
يعلم ان النعم كلها من الله وشكر اللسان الثنا على
الله تعالى وكثرة الحمد والمدح له ويدخل فيه التحدث
بالنعم واظهارها ونشرها قال الله تعالى واما بنعمة
ربك فحدث وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تذاكروا
النعم فان ذكرها شكر ومن شكر اللسان ايضا شكر الوسايط
بالثنا عليهم والدعا لهم وفي حديث النعمان بن بشير ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم
يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن اسامة
بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشكر الناس لله اشكرهم للناس وياتي الكلام على هذا في اخر

قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله صح

ان شاء الله تعالى عند عدم المؤلف عليه وشكر سائر الجوارح
ان يعمل بها العمل الصالح قال الله تعالى اعملوا آل داود
شكرا فجعل العمل شكرا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قام حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله تفعل
هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال
افلا اكون عبدا شكورا وسأل رجل ابا حازم رضي الله
عنه فقال له ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا
اعلنته واذا رأيت شرا سترته قال فما شكر الاذنين
قال ان سمعت بهما خيرا وعيته واذا سمعت بهما شرا دفنته
قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع
حقا هو لله فيهما قال فما شكر البطن قال ان يكون اسفله
صبرا واعلاه علما قال فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال
ان رأيت شيئا غبطته استعملتهما عليه وان رأيت شيئا مقته
كففتهما عن عمله وانت شاكر لله تعالى فاما من شكر
بلسانه ولم يشكر بجميع اعضائه فمثله كمثل رجل له كساء
فاخذه بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد
والثلج والمطر وجميع العبارات للشكر قول من قال الشكر
معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل بالاركان والقدر الاعلى
من شكر النعم ما قاله الجنيد رضي الله عنه حين سأله

السري

السري رضي الله عنه قال الجنيد كنت بين يدي السري وانا
ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر
فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا تعصي الله بنعمه
فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا ازال
ابكي على هذه الكلمة خوفه وجود احسانه الكبير ودوام
اسبابها وبعد ان يكون ذلك استدراجا كما سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون الخوف من الاستدراج هكذا النعم من
صفات الموقنين وعدم الخوف منه مع الدوام على الاساءة
من صفات الكافرين يقال من علامات الاستدراج ركون
البائس والاغترار بزمن المهلة وحمل تأخير العقوبة
على استحقاق الوصلة وهذا هو الجهل الحقيقي قال الله تعالى
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي لا يعرفون بذلك
وهو ان يأتيهم في كل ما همّوا النعم على شيء ولينسوا الذكر
ذلك سنستدرجهم شيئا فشيئا حتى يأخذهم بغتة كما قال تعالى
فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى مخالفتهم وعصيانهم
فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي فتحنا عليهم ابواب العوافي
وابواب الرفاهية حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الحظوظ
الدنيوية ولم يشكروا عليها بالرجوع منها الينا اخذناهم
بغتة اي فجاءة فاذا هم مبلسون اي آيسون قانطون من
الرحمة قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه في قوله سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها

فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال
ابو علي رضي الله عنه كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة
وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ومن جملة المريد
ان يسيء الادب فتوخر العقوبة عنه فيقول لو كان
هذا سوء ادب لقطع الامداد واوجب البعاد فقد
يقطع المدد عنه وهو لا يشعر ولو لم يكن الا منع
المزيد وقد يقام مقام البعد من حيث لا يدري
ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد هذا نوع من
الاستدراج الذي تقدم ذكره وسوء ادب المريد موجب
لعقوبته وتلك العقوبات مختلفة فمنها معجلة ومنها بيان
موجلة ومتاجلة ومنها خفية فالعقوبة الجلية العقوبة المؤجلة
بالعذاب والعقوبة الخفية العقوبة بوجود الحجاب
فالعقوبة بالعذاب لاهل الخطايا والذنوب والعقوبة
بالحجاب لاهل اساءة الادب بين يدي علام الغيوب والموجلة اشد على المريد من العقوبة الجلية والمعجلة
وقد تكون العقوبة الخفية ومثال العقوبة الخفية
ما ذكره من قطع المدد عنه واقامته مقام البعد منه
وهذا هو مبدا وقوع الحجاب الذي ذكرناه فاذا
امتد له المدد ولم يتدارك برحمة من الله تعالى في صح ابتلي
الحال العتيد كان ذكره مرجيا لسقوطه من عين الله
تعالى ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة
وانتساخ الضيا بالظلمة ولم يمكنه بعد ذلك معاودة
الحال

الحالة الاولى لانه اذ ذاك تنقطع عنه الامدادات المتصلة
والواردات المتحصلة فتنكشف عنه جنينة شجر العرفان
وتستتر عنه الكشوفات والبيان وهذه جنود الله
تعالى في قلب العبد فاذا فقدها انحرف من الله تعالى
بذلك ووقع في الخذلان واستحوذ عليه الشيطان وانساه الذكر
وحاق به سيء المكر ورجع الى متابعة هوى نفسه الامارة
وخرج عن دائرة الصفوة المختارة ونعوذ بالله من
سوء المقدور وعدم التوفيق الى مرضاة ولي الامور
وما ينبغي للمريد لنفسه من الكلام الذي ذكره
المولف يقتضي توجه هذه العقوبة اليه عقوبة لاذنب كان
لان قوله لو كان هذا سوء ادب الى اخره دليل على رضاه
بحاله واستحسانه لاعماله وهذا هو الموجب له عدم المزيد
الذي اقتضاه قطع المدد عنه ولو كانت المدد متواصلة
اليه لازداد عند ما يقع منه سوء الادب توجعا منه
وافتقارا اليه وخوفا من مكره واستحقارا لنفسه ولكن
مرضها في اليسير اليوم العبا سر قدس الله روحه كان سوء ادب
يتمم كمالا بما هو ادب وهو الذي اوجب له ايضا التخلية
بينه وبين ما يريد الذي اقتضاه اقامته مقام البعد
اذ لو كان مقاما في القرب لبعد عن روية نفسه وكانت منه همة
لما في ارادتها وكانت واقفا مع مراد الله به فان اقدر
علي من جار ارادته وشهوته تداركه الله تعالى بالعصمة وعوق

عليه ما اراده وشق عليه مسالكه واشغله وما اراد
الخوض في ذلك ويقال من علامة التوفيق ثلثة دخول
اعمال البر عليك من غير قصد منك اليها وصرف المعاصي
عنك مع السعي فيها وفتح باب اللجا والافتقار الى الله
تعالى في كل الاحوال ومن علامة الخذلان ثلثة تعسر
الطاعة عليك مع السعي فيها ودخول المعاصي عليك مع
الهرب منها وغلق باب اللجا الى الله تعالى وترك الدعاء
في الاحوال والادب له موقع عظيم في التصوف ولذلك
قال ابو حفص رحمه الله التصوف كله ادب لكل وقت
ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم
اداب الاوقات بلغ مبالغ الرجال ومن ضيع الاداب
فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن
القبول وقال ابو عبد الله بن خفيف قال لي رويم يا بني
اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا وقال بعضهم الزم
الادب باطنا وظاهرا فما اساء احد الادب باطنا الا عوقب
باطنا وقال ذو النون المصري رحمه الله اذا خرج المريد عن حد
الادب فانه يرجع من حيث جاء وقال النوري رحمه الله
من لم يتادب للوقت فوقته مقت وقال ابن المبارك
رحمه الله نحن الى قليل من الادب احوج الى كثير من العلم
وقيل لبعضهم يا سيئ الادب فقال للسائل ليس لي ادب فقيل له
ومن ادبك فقال الصوفية والاداب الملازمة للمريد

عامة

عامة في ظاهره وباطنه واداب الظاهر تبع لاداب الباطن
واداب باطنه هي التحلي بمحاسن الاخلاق كلها وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ادبني ربي
فاحسن تاديبي ثم امرني بمكارم الاخلاق فقال خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ولا يحصل
له ذلك بعد توفيق الله وتاديبه الا بالرياضة والمجاهدة
قال ابن عطا رحمه الله النفس مجبولة على سوء الادب والعبد
مامور بملازمة الادب فالنفس تجري بطبعها في ميدان
المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المخالفة فمن اطلق
عنانها فهو شريكها في فسادها ويختلف ما ذكرناه من
المجاهدة والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص
زكي الفطرة كريم السجية سهل المقادة لا يحتاج في ذلك
الى كثير معاناة ولا تعب ورب شخص يكون حاله على
عكس هذا فلا جرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسة
وشدة مجاهدة لرداءة فطرته ونقصان غريزته وبين
هذين درجات لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة
المشايخ والتادب بادابهم واتباع اوامرهم ونواهيهم
لانه ان لم يجر افعاله على مراد غيره لا يصلح له الانتقال عن
الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة ما بلغ وذلك لكثافة
حجاب نفسه وقد سئل الزقاق عما ذا يلزم المريد اعني
فقال بالتادب بامام فمن لم يتادب بامام ومربي باطلا

بطالا

فإذا دام العبد على ذكر تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت
أخلاقه وتطهر على ظاهره أنوار ذلك فتكون حركات
ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الأدب حتى تنتهي إلى
المحافظة على تجنب أمور غير مستنكرة في ظاهر العلم ويكون
ترك محافظته عليها ذنبا من مثله وقد يعاتب عليه
ويعاقب من أجله قال سري صليت وردي ليلة من الليالي
ومددت رجلي في القبلة فنوديت يا سري هكذا تجالس
الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي
أبدا قال الجنيد فبقي أربعين سنة ما مد رجله ليلا ولا نهارا
وقال أبو القاسم القشيري رحمه الله كان الأستاذ أبو
علي الدقاق لا يستند إلى شيء فكان يوما جالسا في جمع فأردت
أن أضع وسادة خلف ظهره لأني رأيته غير مستند فتنحى
عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لأنه
لم يكن عليها خرقة ولا سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت
بعد ذلك فعلمت أنه لا يستند إلى شيء أبدا وقال أبو القاسم
الجنيد رحمه الله كنت جالسا في مسجد الشونيزية أنتظر
جنازة رجل أصلي عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون
الجنازة فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت
في نفسي لو عمل عملا يصون به نفسه كان أجمل فلما انصرفت
إلى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة
وغير ذلك فثقل علي جميع أورادي فسهرت وأنا قاعد

فغلبني

فغلبتني عيني فرأيت ذلك الفقير جاءوا به على خوان ممدود
وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن الحال فقلت ما اغتبته
إنما قلت في نفسي شيئا فقيل لي ما أنت ممن يرضى منك بمثله
اذهب واستحله فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيته في موضع
يلتقط من الماء عند تردده كما أوراقا من البقل مما تساقط
من غسل البقل فسلمت عليه فقال تعود يا أبا القاسم فقلت
لا فقال غفر الله لنا ولك أو غير ذلك رمت أن أبتهم رضي الله
عنهم وما الظاهر أن مراد المؤلف رحمه الله بإساءة
الأدب ما كانت فيه نوع من الرعونة والإظهار والدعوى والاتصاف
العبد بصفة المولى وانسلاخه وإذلاله في موقف الهيبة
والحياء وما أشبه هذا مما يخاف على صاحبه وقوع الاستدراج
والمكر به ولكن ينبغي للمريد أن لا يتهاون بشيء من
الآداب ولا يستحقرها فإن التهاون بها والاستحقار
له من مخامرة الجهل وعدم المعرفة بالله تعالى وهذا
أقبح أنواع سوء الأدب فإن وقعت منه إساءة أدب فليكن
خائفا من ذلك مستحضرا لا مصرفه وليبادر إلى التوبة
والاعتذار لئلا يتفاقم منها خشية أن تتوجه إليه العقوبة
من حيث لا يشعر وأكثر ما ينبغي أن يجتنبه المريد من
مقتضيات هذه الجملة التي هي لنا ظاهر مراد المؤلف رحمه
الله من أنواع سوء الأدب أن يوطن بخاطره على طريق الاعتراض
على الله تعالى ومطالبته بما لم يبرمه والتبرم بأحكامه

المؤلمة في نفسه او غيره وان يصرح لسانه بالشكوى
الى الخلق والعتب بما لا يوافق هواه ونقص في
نظره بما دون الحق فان خطر بباله او جرى على
لسانه شيء من ذلك فليبادر الى الاستغفار منه
والتفصي عنه وليعلم ان اشتغاله بذلك من احسن — يدخله في مقام الرضى ويوصله الى غاية النعيم والعطا ح
الحسنات وافضل القربات وذلك كان ان لو لجنبه عليه
وتهاونه به من اعظم خطاياه واكبر ذنوبه ويؤديه ذلك
الى تحكك الاقدام والوقوع في دركات النار ونعوذ
بالله من ذلك وذكر ان ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فلم يعرف
له خبر ثلثة ايام فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده — اشد علي من ضياع ولدي
عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى فقد دنيا فانا ابكي — وقال بعض السادة اذنبت ح
عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل
التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة
لشيء ليته كان وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض
كان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه
وقال بعضهم مرض الجنيد رضي الله عنه فقال اللهم — يقول
عافني فسمع هاتفا ما لك والدخول بيني وبين ملكي
ومن مقتضياتها ايضا ان يتعلق بقلبه شيء من الاعتراض
على المشائخ والاولياء ويترك تعظيمهم واحترامهم
وانه لا يقبل اشارتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا
عقوق الاستاذين لا توبة لها وقالوا ايضا من قال

لاستاذه

لاستاذه لم لا يفلح قال ابو القاسم القشيري من
صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد
الصحبة ووجب عليه التوبة وان يفهم هذا اهل السلوك — يكون
قاصد المريد يصل الى مقصوده فليعلم ان موجب حجبه اعتراض
خاطر قلبه على بعض شيوخه في بعض اوقاته فان الشيوخ
بمنزلة السفراء للمريدين قال وفي الخبر الشيخ في اهله
كالنبي في امته ومن ذلك من سود به تصدره للتعليم والهداية — اية
وتصديه للامر والولاية ومحبته للاستتباع والرياسة
وتربية الجاه والحشمة والقبول بين الناس واستدعاؤه
بتره ان يكرم ويعظم ويتبرك به وتقبل يده ويسارع
في قضاء حوائجه وذلك من الاشياء عليه وهو نتيجة استحسانه — اضر ح
لما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه واتهامه نفسه في كل حال
من احواله وذلك مذموم منه قال ابو عثمان لا يرى
احد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيئا وانما يرى
عيوب نفسه من اتهمها في جميع الاحوال وقال ابو عبد الله
السجزي من استحسن شيئا من احواله في حال ارادته فسد
ارادته الا ان يرجع الى ابتدائه ويعود نفسه
تائبا وقال ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه
سمعت جدي يقول آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه
فان استشعر المريد من نفسه شيئا مما ذكرناه فليبادر الى
قطع مواد ذلك واستيصال عروقه من قبل ان يتحكم

ذلك عنه ويتبرم فبدايات الأمور هي التي ينبغي
أن تراعى كثيرا ومن أنواع سوء أدب المريد الخطية
العظيمة نزوله عن مقتضيات الحقيقة إلى رخص
الشريعة فقد عدوا هذا من الخيانات العظيمة الموجبة
لانحطاط المرتبة والبعد عن محل القربة ولهذا قالوا
إذا رأيت المريد ينحط من رتبة الحقيقة إلى رخصة الشريعة
فاعلم أنه قد نقض عهده مع الله تعالى وفسخ عقد ما
بينه وبين الله تعالى وقال ابن خفيف الإرادة استدامة
الكد وترك الراحة وليس شيء أضر على المريدين من
مسامحة النفس في قبول الرخص والتأويلات وقال
يوسف بن الحسين رحمه الله إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص
فاعلم أنه لا يجيء منه شيء وقال أبو إسحق بن شيبان رحمه الله
من أراد أن يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص ونعني بالرخص
ههنا ما كان ضد حال المريد من تناول الشهوات
واللذات والميل إلى المألوفات والمعتادات والركون
إلى الدعة والراحات وارتكاب الشبهات والتأويلات
فإن حال المريد يقتضي مباينته لهذا كله وإن كان
بعض ذلك مباحا في رخصة الشرع لعامة الناس كان إبراهيم
الخواص رضي الله عنه يقول إن هذه الشهوات التي
أظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاء نورها وفترت أبدانهم
بعد اجتهادها وحجبت قلوبهم بعد قربها والحالة أنها بهم

بعد

بعد

بعد قصرها وأنسوا بالمخلوق أيقظت منهم وفرقوا
القدسي بعد الفكر لها فسقتهم الدنيا بكأس سمها فنظروا
إليها [illegible] فناموا بعد السهر وشبعوا بعد الجوع
واتكلوا بعد العزم وقال أبو سليمان الداراني رضي الله
عنه أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام إني إنما خلقت
الشهوات لضعفاء خلقي فإياك أن تعلق قلبك منها
بشيء فأيسر ما أعاقبك به أن أنزع حلاوة حبي من قلبك
وفي أخبار داود عليه السلام يا داود وإن تمسك بكلامي
وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب محبتي عنك
اقطع شهوتك إلي فإني إنما أبحت الشهوات لضعفة
خلقي ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة
مناجاتي فإني لم أرض الدنيا لحبيبي وتنزعه عنها يا داود
لا تجعل بيني وبينك عالما مسكرا فيحجبك بسكره عن محبتي
أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن
على ترك الشهوات والركون إلى الدعة والراحات
وارتكاب الشبهات والتأويلات فإن حال المريد يقتضي
مباينته لهذا كله وإن كان بعض ذلك مباحا في رخصة
الشرع لعامة الناس كان إبراهيم الخواص رضي الله
عنه يقول إن هذه الشهوات التي أظلمت قلوب
المتعبدين بعد صفاء نورها وفترت أبدانهم بعد اجتهادها
وحجبت قلوبهم بعد قربها بادمانهم الصوم يا داود

واستوحشوا بعد القرب

تجبه الى العبادة وقد غسلوا انفسها المتمنين عن نظر
اليك ويتدرن الحجب بينهم ولا يشبك من فرعه وقال ابرهيم
بن ادهم رضي الله عنه لن ينال الرجل درجة الصالحين
حتى يجوز ست عقبات اولها يغلق باب النعمة ويفتح
باب الشدة والثاني ان يغلق باب العز ويفتح باب الذل
والثالث ان يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد
والرابع ان يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس
ان يغلق باب الغنا ويفتح باب الفقر والسادس ان
يغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد للموت
وقال ابرهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرايت
رمانا فاشتهيته فدنوت منه فاخذت واحدة فشققتها
فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا
مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال
وعليك السلام يا ابرهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف
الله لا يخفى عليه شي فقلت لك حالة مع الله تعالى فقال
وارى لك حالا مع الله تعالى فلو سالته ان يقيك منه لذع
شهوة الرمان فان لذع الرمان يجد الانسان المه في الاخرة
ولذع الزنابير يجد المه في الدنيا وقال السري رحمه
الله ان نفسي تطالبني منذ ثلثين سنة او اربعين سنة
ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها فلما كان ترك الشهوات
والتنعمات من شان المريد ومن مقتضى حاله لزمه الوفا
به

[margin: اي ج لذع الزنابير ... [illegible] 5 ٩]

به وكان عمله على خلافه نقضا وفسخا كما تقدم وقال جعفر
بن نصير دفع الي الجنيد درهما وقال اشتر لي به التين
الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها
في فيه ثم القاها وبكى فقال احمله فقلت له في ذلك
فقال هتف في قلبي هاتف اما تستحي شهوة تركتها من اجله
ثم تعود اليها وعن شقيق ابن ابرهيم قال لقيت
ابرهيم بن ادهم بمكة في سوق الليل عند مولد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق يبكي
فعدلت اليه وجلست عنده وقلت اي شي هذا البكا يا ابا
اسحق فقال خير وعافية فعاودته مرة واثنتين
وثلثا فلما اكثرت عليه قال يا شقيق استر علي فقلت
يا اخي قل ما شيت فقال اشتهت نفسي سكباجا فمنعتها جهدي
فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني النعاس فاذا
انا بفتى شاب وبيده قدح اخضر يعلو منه بخار ورائحة
سكباج قال فاجتمعت بهمتي عليه فقرب مني وقال يا ابرهيم
كل فقلت ما اكل قد تركته لله تعالى فقال قد اطعمك
الله تعالى فما كان لي جواب الا اني بكيت فقال لي يرحمك
الله كل يا ابرهيم فانما اعطيته وقيل لي يا خضر اذهب
بهذا واطعم نفس ابرهيم بن ادهم فقد رحمها الله
من طول صبرها على تحملها من منعها اعلم يا ابرهيم اني
سمعت الملايكة يقولون من اعطي فلم ياخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان

[margin: وهو صحيح وخل مطبوخ]
[margin: قال ابراهيم قد امرنا الله لا نسلم نفي ... الا من حيث نعلم فقال يرحمك الله كل م]

كذلك فما انا بين يديك لا احل العقد مع الله تعالى
ثم التفت فاذا انا بفتى اخذ زنا وله شيا وقال يا خضر ته
لقمه انت فلم يزل يلقمني شي حتى شبعت فانتبهت وحلاوته
في فمي قال شقيق فقلت اري كفك فاخذت كفه بكفي
فقبلتها وقلت يا من يفوح بطعم الجايع الشهوات اذا
صححوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يسقي
قلوبهم من محبته اتري لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد
ابراهيم الى السما فقلت لقد رفعنا الكف وبقدر صاحبها
وبالجلد الذي وجد منه كل منكر جعل عبدك الفقير
بفضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال
فقام ابراهيم ومشي حتى دخل المسجد الحرام وقال عتبة
الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه
منزلة ما اعرفها قال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو
لا يزيد على الخبز شيا فقال ان تركت اكل التمر عرفت
تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض
اصحابه لا ابكى الله عينك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه
فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك فهو اذا ترك
شيا لم يعد اليه ابدا وقال احمد بن ابي الحواري
تشتهي ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت اليه
به فعض عليه عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت الي شهوتي
بعد طول جهدي وشقوتي وقد عزمت على التوبة فاقلني قال

احمد

احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال ابو بكر
ابن الجلا اعرف من تقول له نفسه انا اصبر لك عن الطعام عشرة
ايام ولا تطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها — انسانا ح
لا اريد ان تطوى عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة
وقال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع
للقلب من صيام سنة وقيامها قال ابو حامد الغزالي
قدس الله روحه وقد اشتد خوف السلف رضي الله عنهم — نحه
من تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وقالوا — وراوا
ان ذلك علامة الشقاوة وراوا ان منع الله منه غاية
السعادة حتى روي عن وهب بن منبه قال التقى ملكان
في السما الرابعة فقال احدهما للاخر من اين فقال
امرت ان اسوق حوتا من البحر اشتهاه فلان اليهودي
وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتراه فلان العابد
قال وهذا تنبيه على ان تيسير الشهوات ليس من علامة
الخير قال ابو حامد الغزالي قدس الله روحه والاصل
المهم في المجاهدة الوفا بالعزم فاذا عزم على ترك
شهوة فقد تيسرت اسباب ذلك فيكون ذلك من الله تعالى
ابتلا واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود
نفسه كسر العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق نقض
العزم عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه
في معاقبة النفس من كتاب المراقبة فاذا لم تخوف النفس

بعقوبة عاجلة وحسنت عنده تناول الشهوة وتعوده
الرياضة عليه بالكلية هذا كلام الإمام أبي حامد
الغزالي وهو حسن ومعناه صحيح مجرب فلتعول عليه
أيها المريد وقد يجعل الله تعالى لبعض هؤلاء العقوبة
رحمة له ومنة عليه قال أبو تراب النخشبي ما تمنت
نفسي شهوة من الشهوات إلا مرة واحدة تمنيت خبزا
وبيضا وأنا في سفر فعدلت إلى قرية فقام واحد وتعلق
بي وقال هذا كان مع اللصوص فضربوني سبعين درة فعرفني
رجل منهم فقال هذا أبو تراب النخشبي فاعتذروا إلي
وحملني رجل منهم إلى منزله وقدم إلي خبزا وبيضا فقلت يا
نفسي كليها بعد سبعين درة قال بعضهم تمنى أبو الخير
العسقلاني السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال
فلما مد يده إليها ليأكل أخذت شوكة من عظامه إصبعه ونابت
فذهبت في ذلك يده فقال يا رب هذا لمن مد يده بشهوة
إلى الحلال فكيف بمن مد يده بشهوة إلى الحرام وقال إبراهيم
الخواص رضي الله عنه كنت جائيا في الطريق فتعرض لي
الترك فخطر ببالي أن بها معاصي فإذا دخلتها أخافوني
ويكرموني فلما دخلت البلد رأيت فيه منكرا فأخذت
أن آمر فيه بالمعروف فأخذوني وضربوني فقلت في
نفسي من أين أصابني هذا الضرب على جرمي فنوديت
في سري إنما أصابك ذلك لأنك سكنت إلى معارفك فتكلمك
وقلت

وقلت إنهم يكرموني إذا دخلت البلد وحكي عن إبراهيم
بن شيبان أنه قال كنت بحلب واشتهيت شبعة من الخبز
والعدس فاتفق ذلك لي فأكلت حتى شبعت فرأيت على
باب المسجد قوارير معلقة شبه أمور دجاجات فتوهمتها
خلا فقال لي المتعاين أما تنظر إليها إنها خمر فقلت أريقها
فرضا فدخلت الحانوت فلم أزل أصب دنا دنا حتى
أتيت على الجميع فأخذوني وضربوني خشبة وطرحوني
في السجن أربعة أشهر حتى دخل أستاذي أبو عبد الله
المغربي البلد فسمع بحالي فتشفع إلى حاكمها ووقع بصره علي قال
ما شأنك قلت شبعة خبز وعدس وضربت مائتي خشبة وسجنت
أربعة أشهر فقال الحكمة نجانا أي وردت عقوبة
هذه الأكلة على ظاهر كل ولم تقدح فيما كنت فيه من سرائر
نكات ذكرك فقامت الله فيك قال الإمام أبو القاسم
القشيري وما أصدقها قال فإن من أذنب في دنياه
فيما يتعاطاه من متابعة هواه فقد خفف عنه في عقباه
بل أخذ بالتأديب جرهره ومعناه وحكاية خير النساج
المشهورة من معنى ما ذكرناه فانظرها ففيها عبرة للمعتبرين
قال الحافظ أبو نعيم حدثني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه
قال سألت خير النساج أكان النسج حرفتك قال لا قلت
فمن أين سميت خير النساج قال كنت عاهدت الله عز وجل
أن لا آكل الرطب أبدا فغلبتني نفسي يوما فأخذت نصف

ومائتي خشبة

خير

رحال رحلت فلما كملت واحدة اذا رجل نظر الي وقال يا
ابن هربت مني كان له عبد اسمه خير فوقع علي شبهه
وصورته فخنقني فاجتمع الناس فقالوا هذا والله
غلامك خير فبقيت متحيرا وعلمت بما اذا اخذت وعرفت
جنايتي فحملني الى البيت الذي كان ينسج فيه غلامه وقالوا
يا عبد السوء الهرب من مولاك ادخل واعمل عملك الذي
كنت تعمل وامرني بعمل الكرباس فدليت رجلي على
ان اعمل فاخذت بيدي القرف فكانني كنت اعمل سنين
فبقيت معه اشهرا انسج له فقمت ليلة وتمسحت وقمت
الى صلوة الغداة فسجدت وقلت في سجودي الهي لا اعود
الى ما فعلت فاصبحت فاذا الشبه قد ذهب عني وعدت الى صورتي
التي كنت عليها فاطلقت فثبت علي الاسم فكان سبب النسج
اتباع شهوة عاهدت الله تعالى ان لا اكلها فعاقبني
بما سمعت وفي بعض الاخبار عن الله تعالى ان ادنى ما
اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ
مناجاتي وسياتي ان شاء الله تعالى تفصيل مجاهدة النفس
عند عود الكلام الى اديبات النفوس ما تحقق ساير الابرار
ولهذا المعنى كره اهل التزويج من غير ضرورة محققة
لانه انما يقصد لذلك قضا الشهوة ورسوخ نهمته وذلك
في المضرة بمنزلة السحر القاتل وقد قالوا اذا وافق
شهوته عدم صفوته وقال بعضهم من نهر بشي مباحا حه

العلم

العلوم لذا عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب
الهمو بالدنيا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه
ثلث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا
او تزوج امراة او كتب الحديث وقال ما رايت احدا
من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته وكان ابن عبيد
بن عمير رضي الله عنه يقول من تعود افخاذ النساء لا يفلح
وقيل لبعضهم الا تتزوج فقال المراة لا تصلح الا للرجل
و انا ما بلغت مبلغ الرجال تم فيه هذه مكابدة امر
غيره ومراعاة توفير حقوقه ومقاسات اخلاقه و
ومنها من ضالته ما يشوش على المريد حاله ويكدر
عليه وقته وقد كان في معناه ان من مرتبة العظم شاغل
من ان ينضاف اليه نفس اخرى مع ما يشتمل على باطنه
من خوف الفقر ومحبة الجمع والمنع وما يزكيه بسبب ذلك
من الثنا وبيلات والرخصة وذلك كله دخل على حال المريد
وقد قالوا اذا تزوج الصوفي فقد ركب السفينة فان ولد
له ولد فقد غرقت السفينة وكان بشر الحافي يقول لو كنت
اعول دجاجة خفت ان اكون جلوازا على الجسر وفي
الخبر في فتن اخر الزمان قال وفي ذلك حلت العزوبة فقيل
وكيف قال يعيرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد
الهلكة وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين
رجل خفيف الحال قيل يا رسول الله وما خفيف الحال قال الذي

لا أهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله إياكم والاستمتاع
إلى النساء والميل إليهن فإن النساء مبعدات من الحكمة
قريبات من الشيطان وهن مصايده وحبائله من بني آدم
ومن غلظ إليهن بكليته فقد انقاد إلى حظ الشيطان ومن
حاد عنهن يئس منه الشيطان وما أتى الشيطان إلى أحد
من سبيل إلا هن استرق بالنساء وإن المكر معهن حيث كن
فإذا ابتليتم فتنتكم من قد ركنت إليهن فايئسوا منه
قيل الحديث النبي صلى الله عليه وسلم حبب إلي من دنياكم
ثلاث فذكر النساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم معصوم
وقد علم ما كان فيه معهن هي عروة الرجل الظاهرة
وبأمثالنا إن المحبة أهلكته وإن أضمرها له أغرته
وإن الله عز وجل جعلهن فتنة فنعوذ بالله من فتنتهن
فانتهوا قال حذيفة المرعشي كان ينبغي للرجل لو خير
بين أن تضرب عنقه وبين أن يتزوج في الفتنة لاختار
ضرب العنق على تزويج امرأة في الفتنة وإنما قال ذلك
لما يلزم المتزوج من اكتساب الحرام وارتكاب الآثام
في زمان الفتنة وضرب العنق أحسن حالا وأحمد عاقبة
من التعرض لارتكاب شيء من معاصي الله تعالى فإن
قارف المريد شيئا من ذلك فهو داء عضال قرحته فقد
قالوا زلة بعد الإرادة أقبح من سبعين زلة قبل الإرادة
وفي المعارف من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه بالأمانة وقال
بعض

بعض الأنبياء عليهم السلام في مناجاته لربه لو عفوت
عن فلان ذنوبه بعد عظيم نعمائي فأوحى الله إليه ليس الذنب
في القرب كالذنب في البعد وقيل لبعضهم هل يجد العاصي
حلاوة الطاعة فقال لا ولكن من هم بالمعصية ومن عظيم
سوء أدب المريد أن يميل إلى أهل الدنيا وأن يتقرب
منهم وأن يصاحبهم قال الإمام القشيري رضي الله
عنه ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا فإن صحبتهم
سم مجرب لأنهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم قال الله
تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان
أمره فرطا وقد تقدم من كلام المولى رحمه الله تعالى
لا تصحبن إلا بمن يقبل حاله ومن ذكر معاشرة الأحداث
والشبان وقبول إرفاق النسوان فإن تعرض لا يجتلب
ذكر ومنهن فهو أشد قال يوسف بن الحسين الرازي
رأيت آفات الصوفية في صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد
ورفق النسوان قال الإمام أبو القاسم أصعب الآفات
في هذه الطريقة صحبة الأحداث ومن ابتلاه الله بشيء من
ذلك فبإجماع من الشيوخ أن ذلك عبد أهانه الله عز وجل
وخذله بل عن نفسه شغله ولو بألف كرامة أهله ثم قال
بعد كلام كثير فليحذر المريد من مجالسة الأحداث
ومن الخصومات اليسيرة فتح باب الخذلان وبدء الحال
الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء ومن أدب المريد التبرؤ

وانما نبهنا ههنا على بعض ما يتكلم فيه الخطر والغرر
مما حذر منه المشايخ رضي الله عنهم وبالغوا في التوصية
به والنهي عنه وجميع ذلك محتمل لان يكون مراد المولف
رحمه الله في قوله من جهل المريد ان يسي الادب بحضرتها
ان لا يخلوا منه هذا الموضع من هذا التنبيه لان ذكره يقع
للمريد كثيرا والله ولي التوفيق اذا رايت عبدا اقامه
الله بوجود الاوراد وادامه عليها مع طول الامداد فلا
تستحقرن ما منحه مولاه لانك لم تر عليه سيما العارفين
ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد عباد الله
المخصوصون ينقسمون الى قسمين مقربين وابرار فالمقربون
هم الذين اخذوا من حظوظهم واراداتهم واستعملوا
في القيام بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته
وهولاء هم العارفون والمحبون والابرار هم الذين
بقوا مع حظوظهم واراداتهم واقيموا في الاعمال
والطاعات ليجزون عليها برفيع الدرجات في الجنات
وهولاء هم الزاهدون والعابدون وكل واحد منهم
ممد في مقامه الذي هو فيه بمدد الهي اقتضى منهم
القيام بحقوق مقاماتهم على اختلافها فاذا رايت
عبدا اقامه الله تعالى في اعمال البر الظاهر ومواصلة
الاوراد المتواترة وامده في ذلك بالمعونة والتيسير
فذلك من اختيار الله تعالى له فلا تستحقرن ذلك لاجل انك
لم

لم تر عليه سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ
والارادات بين يدي المريد ولا بهجة المحبين
من التعلق لمرضاة محبوبهم والانسلاخ والاتكال
بين يدي حبيبهم فلولا الوارد الالهي الذي ورده
تعالى عليه ما استقام على عمله ووروده فهو لم يخرج عن
دائرة عنايته وحيطة رعايته فلم تستحقر خيرا ما منحه
وتستقل كثيرا ما رزقه وهذا نكتة لاحت وجود جهلك وقصور
عقلك وسياتي من كلام المولف رحمه الله تعالى لا يستحقر
الوارد الا جهول قوم اقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم
بمحبته كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا
الحق تعالى له الاختيار التام والمشية النافذة لا يسال عما
يفعل وهم يسالون فطائفة اقامهم الحق تعالى لخدمته
حتى يدخلوا الجنة وهم الزاهدون والعابدون كما تقدم
وطائفة اختصهم بمحبته حتى يصلحوا للقربة والدخول الى حضرته
وهم العارفون والعلماء قال يحيى بن معاذ الزاهد صيد الحق
من الدنيا والعالم صيد الحق من الجنة فاذا شهد العبد
انفراد الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص صفة ذكرهما
ذكرنا نفى الاستحقاق ووكل الامر لمن بيده التدبير والاختيار
قال ابو يزيد رحمه الله اطلع الله تعالى على قلوب اوليائه
فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة
وذكر الحافظ ابو نعيم رحمه الله في كتابه حلية الاولياء

عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال ان لله
تعالى يطلع على اهل قرية او بلدة فيريد ان يقسم لهم
من نفسه قسما فلا يجد قلوب العباد ولا قلوب الزهاد
موضعا لتلك القسمة من نفسه فيمن عليهم ان يشغلهم
بالتعبير عن نفسه وقال ابو العباس المرسي ان لله
عبادا لم يستصلحهم لخدمته فاشغلهم بمعرفته والى الاشارة
بالاية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله مبينة في هذا
المعنى قلما تكون الواردات الالهية الا بغتة صيانة
لها ان يدعيها العباد بوجود الاستعداد الواردات
الالهية هي اياة من الله تعالى وتحف وكرامات يكرم
بها عباده فلا تكون في الغالب الا بغتة اي فجاة لئلا يدعوها
ويرون انفسهم اهلا لها بوجود استعدادهم وتهياهم
ولحق الله وجعله اياه مقدسة عن ان تعلل بامر ومنزهة
عن ان تقابل باعمال بل هي محض كرم وفضل من الكريم
المتفضل من رايته مجيبا عن كل ما سيل ومعبرا عن كل
ما شهد وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله
الاجابة عن كل سؤال والتعبير بكل مشهود والذكر لكل معلوم
امارات على وجود جهل من اتصف بها كما قال اما الاجابة
عن كل سؤال فلا تقتضيها منه الاحاطة بجميع العلم وما
وذلك محال فحقه ان يقصر منه مع هذا الاجابة عن كل سؤال
لولا وجود جهله وايضا فانه يجب عليه ان يعلم عن حال السايل

من

مطلب فتامله

لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته وله عباد

صح

مطلب الواردات

مطلب تامله الى اخر المقولة ترشد

قال الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا تكليف صح

بيانه يستصلحهم

من وجود الاهلية لما سال عنه فيمتنع من اجابة من لا
اهلية فيه لذلك ويفعل ما فعله رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما روي عنه مع السايل الذي جا يساله ان يعلمه
من غرايب العلم فانه نغصه وقال له ما فعلت في راس
العلم وهو كذا وكذا فاجابه السايل فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم اذهب فاعلم ما هنالك ثم تعال حتى اعلمك
من غرايب العلم وكما اخذ الله تعالى على العلماء ان لا يكتموا
العلم اهله كذلك اخذ عليهم ان يصونوه عن غير اهله
فمن لا يسلك هذا المسلك فهو جاهل واما التعبير لكل
مشهود فلان فيه نوعا من افشاء السر الذي يجب كتمه
وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر امانة
الله تعالى عند العبد فاشهاره بالتعبير عنه خيانة والله
لا يحب الخاينين وايضا فان الامور المشهودة لا يستعمل فيها
الا الاشارة والايما واستعمال العبارات فيها افصاح بها
واشتهار لها وفي ذلك ابتذالها واذاعتها لان العبارة يمنعها
لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا لان الامور الذوقية تستحيل
ادراك حقايقها بالعبارات المختلفة فيودي ذلك الى الانكار
والقدح في علوم السادة الاخيار قال ابو علي الروذباري
رحمه الله علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي واما
الذكر لكل معلوم فلعدم تفرقته بين المعلومات وقد يكون
له علم يختص به فاذا ذكره لغيره استغربه وان كان ينتفع

النطقية صح

به هو فقدم تفريقه بين المعلومات في ذكرها من جحود
انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين
لان هذه الدار لا تسع ما يريد ان يعطيهم ولان الله
تعالى اجل اقدارهم من ان يجازيهم في دار لا
بقا لها انما جعل ثواب المؤمنين في الدار الآخرة فيما
ظهر لنا لوجهين احدهما ان الدنيا لا تسع ما يريد ان
يعطيهم من انواع النعم حسا ومعنى اما الحس فلان الدنيا
متناهية المسافة ضيقة الاقطار وقد يعطي الله تعالى لآحاد
المؤمنين في الدار الآخرة في ملك واحد منهم كما ورد في الخبر
مسيرة خمسمائة عام وفيها من خواصهم فتضيق لا محالة مسافة الدنيا
عن تحمل جزائهم واما المعنى فلان الدنيا موسومة بالدناءة
والنقص في الخساسة والحقارة والاشياء التي يتنعم بها اهل
الجنة امور شريفة رفيعة كما في الاخبار ان موضع سوط خير
من الدنيا وما فيها وان نور شعر حوراء يطمس نور الشمس
وما اشبه هذا ويكفي في ذكره قوله فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقول النبي صلى
الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
والثاني ان الله تعالى اجل اقدار عباده المؤمنين فلم
يجعل لهم الجزاء على طاعاتهم في دار فانية منقضية
منصرمة لان ما يعطيهم ان كان لا بد مدته فلا شيء بل اعطاهم
الخلود

مطلب شريف

بعشر

في النعيم والبقاء الدائم في لما النعيم وناهيك تسميته ايام
باسمه الكرام وهو الحي الذي لا يموت حاكى لتفسير
في قوله تعالى وملكا كبيرا انه يرسل الله تعالى ملكا
الى وليه ويقول له استاذن على عبدي فان اذن لك فادخل
والا فارجع فيستاذن عليه من سبعين حجابا ثم يدخل عليه
ومعه كتاب من الله عز وجل مكتوب على عنوانه من الحي
الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت فاذا فتح الكتاب وجد
مكتوبا فيه عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول هل جئت بالبراق
فيقول نعم فيركب البراق فيغلب الشوق على قلبه
فيحمله شوقه ويبقى البراق الى ان يصل الى ساحة اللقاء
مسئلة ثمرة عمله عاجلا فيجد فيها لذة ووجدان الحلاوة
ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والتنعم وتيسير ذلك
في اكثر الاعمال ان العامل تحمله عليه على حال تكره واستثقال
له هذا هو غالب الامر فان بعض العارفين يقول بقيت
من البلاء ودونه عقبة تحتاج الى الصبر فيها فمن صبر
على شدتها افضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة
النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم
اللذة والتنعم وقال عتبة الغلام كابدت الليل عشرين
سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال بعض العلماء كنت
اقرا فلا اجد حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه

واستثقال

وقال ثابت البناني كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة صح

جمله

به هو فقدم تفريقه بين المعلومات في ذكرها من وجود
انما جعل الدار الاخرة محلا لجزاء عباده المومنين
لان هذه الدار لا تسع ما يريد ان يعطيهم ولان الله
تعالى اجل اقدارهم من ان يجازيهم في دار لا
بقا لها انما جعل ثواب المومنين في الدار الاخرة فيما
يظهر لنا لوجهين احدهما ان الدنيا لا تسع ما يريد ان
يعطيهم من انواع النعم حسا ولا معنى اما الحس فلان الدنيا
متناهية المسافة ضيقة الاقطار ان يعطي الله تعالى لاحاد
المومنين في الدار الاخرة في ملكه واحد منهم كما ورد في الخبر
مسيرة خمسماية عام فرفعنا لكنا بخواصهم فتضيق لا محالة المسافة (الدنيا)
عن كليتها جزائهم واما المعنى فلان الدنيا موسومة بالدناءة
والنقص في الخساسة والحقارة والاشياء التي يتنعم بها اهل
الجنة امور شريفة رفيعة كما في الاخبار ان موضع سوط خير (في الجنة صح)
من الدنيا وما فيها وان نور سوار حوراء يكسف نور الشمس
وما اشبه هذا ويكفي في ذلك قوله فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقول النبي صلى
الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
والثاني ان الله تعالى اجل اقدار عباده المومنين فلم
يجعل لهم الجزاء على اعمالهم في دار فانية منقضية
منصرمة لانها لا تفي وان طالت مدته كلا شي بل اعطاهم
الخلود

مطلب شريف

بعد شروا

في النعيم والبقاء الدائم في الملك المقيم وناهيك تسميته ايام
باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت جاء في تفسير
في قوله تعالى وملكا كبيرا انه يرسل الله تعالى الملك
الى وليه ويقول له استاذن على عبدي فان اذن لك فادخل
والا فارجع فيستاذن عليه من سبعين حجابا ثم يدخل عليه
ومعه كتاب من الله عز وجل مكتوب على عنوانه من الحي
الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت فاذا فتح الكتاب وجد
مكتوبا فيه عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول هل جئت بالبراق
فيقول نعم فيركب البراق فينطلق الشوق على لمح
فحمله شوقه ويبقى البراق الى ان يعود الى ساحة اللقا
ثم يحكى ثمرة عمله ما جاء فهو ملذة بها ووجدان الحلال
ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والتنعم والتنعم بذلك
في اكثر الاعمال لان العمل الجبلة عليه على حال تكره واستثقال
له هذا هو غالب الامر قال بعض العارفين ليس شي
من البر الا ودونه عقبة تحتاج الى الصبر فيها فمن صبر
على شدتها افضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة
النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم
اللذة والتنعم ثمرة العقبة العلا وكابدت الليل عشرين
سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال بعض العلما كنت
اقرا فلا اجد حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله (القران)
صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه

وقال ثابت البناني كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة صح

فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا
الان كاني اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة عظيمة
ونعيما لا اصبر عنه ومما ذكرناه من الحلاوة في النعيم
انما تثمره الاعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من الرياء
والدعوى قال ابو تراب اذا صدق العبد في العمل وجد
حلاوته قبل ان يعمله والاعمال الموصوفة بهذه الصفات
مقبولة بفضل الله تعالى وورد في الخبر لا يقبل الله تعالى
من مسمع ولا مراء ولا لاعب اذا العمل السالم من
الرياء والسمعة مقبول حسن قوله عز وجل انما يتقبل الله
من المتقين وقبول ~~محبوب عز وجل~~ الله تعالى لعمل العبد
ورضاه به هو ثوابه المعجل كما يقول المؤلف رحمه الله
تعالى بعد هذا وذكر علامة عدم وجود الجزاء عليه في الدار
الاخرة حسبما ياتي في قوله وجدان ثمرات الطاعات عاجلا
بشاير العاملين بوجود الجزاء عليها اجلا وقال ابو
سليمان الداراني رحمه الله تعالى كل عمل ليس له ثواب
في الدنيا ليس له جزاء في الاخرة فتحصل من هذا ان وجدان
الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضي لوجود الرضا
والجزاء ولذلك قال الحسن تفقدوا الحلاوة في ثلاث فان
وجدتموها فابشروا وامضوا القصد وان لم تجدوها
فاعلموا ان الباب مغلق عند تلاوة القرآن وعند الذكر
وعند

اذا اخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرته العمل

وعند السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار وقيل
في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهي
حلاوة الطاعة وجنة موجلة هي فنون المقامات وعلو
الدرجات قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا في
مقام المعرفة الخاصة وهي التي تنافيها المعصية
قيل لبعضهم هل تعرف الله فغضب على القائل وقال اترى
اعبد من لا اعرفه فقال له ولم تعصي من تعرفه وقيل لبعضهم
بما تعرف انك عرفته فقال لم اقصد مخالفته الا ورد على
قلبي الحيا منه وقال اسمعيل ابن نجيد رضي الله عنه التهاون
بالامر من قلة المعرفة بالآمر فاذا العصيان في حال
العرفان بعيد فان وقعت زلة او هفوة بحكم وكان امر
الله قدرا مقدورا وجد لا محالة لذلك مرارة والما في
قلبه فوجدان هذه المرارة والالم عن المعصية علامة على
صحة ما وجد من الحلاوة والنعيم في الطاعة فهذه هي
الحلاوة التي هي المبشرة بان الاعمال مقبولة وغير المقبولة
كما ذكرناه واما الحلاوة التي يجدها من دون اهل هذا
المقام في بعض العبادات فمدخولة معلولة الا انها
من تنشيط العباد للمواظبة على العبادة والحلاوة على
الاطلاق فاذا وجدها العامل في العمل لا ينبغي له ان
يتقنعها وكان ان يفرح بها ولا يستلذ اليها وكذلك
ايضا لا ينبغي له ان يقصد بعمله ان ينال بها من

والذاذة المناجات والاختيا عن فنون المكاشفات ثم

اخلاص

منه اللذة والحلاوة ان ذلك مما يقدح في عبادته وصدق
ارادته وكيف اعتناؤه بحصولها لتكون مبرزات
لاعماله ومحكا لاحواله فلذلك قال الواسطي استحلاء
الطاعات سموم قاتلة قال في لطائف المنن وصدق الواسطي
رضي الله عنه وافهم ما في ذلك انه اذا فتح لك باب حلاوة
الطاعة تصير قائما فيها متطلبا لحلاوتها فيفوتك
صدق الاخلاص في نهوضك لها وتحب دوامها لا احتياما بالوفا
ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر
قائما بحقه وفي الباطن انما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك
ان تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته في الدنيا فتاتي يوم
القيمة ولا جزا لك اذا اردت ان تعرف قدرك عنده
فانظر فيما ذا يقيمك هذا ميزان صحيح وقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يعلم منزلته
عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان الله
عز وجل ينزل العبد عنده حيث انزله العبد من نفسه
وهذا الانزال المذكور المنسوب الى العبد هو معنى
الاقامة المذكورة لان العبد لا فعل له على التحقيق قال
الفضيل بن عياض رضي الله عنه انما يحب العبد ربه على
قدر منزلته منه وقال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله
عنه فاذا كان العبد ينظر مولاه مكرما ولشأنه معظما
والى محبوبه ومرضاته مسارعا كان الله عز وجل له على اخرته

لوجهه

لوجهه مكرما ولشأنه معظما والى مسرته من النعيم العظيم
مسارعا واذا كان العبد يحقر مولاه متهاونا وبامره
مستخفا ولنواهيه مستصغرا كان الله تعالى له مهينا
وبشأنه متهاونا والى ما يكره من العذاب الاليم مسارعا
والعياذ بالله من ذلك وقال وهب بن منبه قرأت في
بعض الكتب يا ابن آدم اطعني فيما امرتك ولا تعلمني بما
يصلحك اني عالم بخلقي انما اكرم من اكرمني واهين من هان
عليه امري لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي
متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فاعلم انه قد نعمه
اسبغ عليك ظاهرة وباطنة المطلوب من العبد ثبات
الطاعة الامر في الظاهر والتعلق بالله تعالى في الباطن
وهو الاستغناء به عن غيره فان رزق الله العبد هذين
الامرين فقد اسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة واوصله
الى غاية الامال في الدنيا والاخرة سبحانه جل وعلا
خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك ان كان لا بد من الطلب
فاطلب ما هو طالبه منك من الاستقامة على سبيل العبودية له
فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومرادك لانك حينئذ تكون
به وله ويعطيك مطلوبك عاجلا من غير تأخير واما ان
طلبت منه حظ نفسك وبلوغ مرادك فقد يحصل في ذلك تأخير
ومنع مع ما يفوتك حينئذ من حسن الادب في الطلب وحكي
عن ابي الحسين الديلمي قال وصلت بالذكر انطاكية اسود

يتكلم على القلوب قال قصدته فلما رأيته رأيت معه شيئا
من المساحات يريد ان يبيعه فساومته وقلت له بكم
تبيع هذا فنظر الي ثم قال اقعد فانك جايع منذ يومين
حتى اذا بعنا هذا نعطيك شيئا قال فمضيت الى غيره وتغافلت
كأني لم اسمع ما قال وساومت غيره ما كان بين يديه ثم
رجعت اليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي وقال اقعد فانك
جايع منذ يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئا
قال فوقع على قلبي منه هيبة فلما باع ذلك اعطاني شيئا ومضى
فمضيت خلفه لعلي استفيد منه شيئا قال فالتفت الي وقال
اذا عرضت لك حاجة فانزلها بالله الا ان يكون لك فيها حظ
فتحجب بها عن الله تعالى ومن دعاء ابي القسم الجنيد رحمه الله
اللهم وكل سؤال سائلك فعن امرك لي بالسؤال فاجعل
سؤالي اليك سؤال محتاج اليك ولا تجعلني ممن يعتمد بسؤاله
مواضع الحظوظ بل بسؤال القيام بواجب حقك ومن دعايه
ايضا اللهم اني اسالك منك ما هو لك وتشهدني من نفسي امر
بنجواك اللهم ولا تخليني بشغل من شغله عنك ما اراده
منك الا ان يكون لك اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر من
لا يريد بذكره منك الا ما هو لك اللهم اجعل غاية مقصدي
اليك ما هو لك ولا تجعل قصدي اليك لما اطلبه منك
الحزن [illegible]
هذا هو الحزن الكاذب الذي يكون عند البكا الكاذب كما قالوا
كم

كم من عين جارية وقلب قاس وهو من مكر الله تعالى
الخفي حيث منعه ما ينفعه واعطاه ما يقتربه من الحزن
والبكا سمعت رابعة رضي الله عنها رجلا يقول واحزناه
فقالت قل واقلة حزناه ولو كنت محزونا لم يتهيا لك
ان تتنفس واما الحزن الصادق فنفى اللهو واحد وهو مقام
من مقامات السالكين وهو يبعث على الانكماش في الاعمال
والنهوض الى الطاعات على كل حال قال الشيخ ابو علي
الدقاق رحمه الله تعالى صاحب الحزن يقطع من السير الى الله
تعالى في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين وفي الخبر
ان الله يحب كل قلب حزين وفي التورية اذا احب الله عبدا
نصب في قلبه نايحة واذا ابغض عبدا نصب في قلبه مزمارا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم
الفكرة وقيل الحزن اذا فقد من القلب خرب ومن لم
يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة فاذا الحزن
الذي يجده العبد من نفسه ان لم يبعثه في النهوض والانكماش
والاجتهاد فذلك من علامات الاغترار وليس بمقام
السالكين الابرار وما العارف فمن اذا اشار وجد
الحق اقرب اليه من اشارته وما العارف فمن لا اشارة
له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده والاشارة الطف
من العبارة وهي كناية وتلويح وايماء لا تصريح وهي
يستعملها اهل هذه الطريقة فيما بينهم عند ذكر الاسرار

التوحيد كما تقدم عند قوله من رايته مجيبا عن كل ما سئل
ومعبرا لكل ما شهد فالمشير الى الله تعالى الملاحظ
لاشارته وان وحد الله تعالى اقرب اليه من اشارته
غير عارف على التحقيق لانه موصوف لتفرقة شهوده
للاشيا وبان العارف الفاني في وجوده المنطوي في شهوده
الذي غاب عن الاشارة والمشير والمشار به سئل الدقاق
عن المريد فقال حقيقة المريد ان يشير الى الله عز وجل
فيجده الله مع نفس الاشارة قيل له فما الذي يستوعب حاله
قال هو الذي يجد الله باسقاط الاشارة وسئل ابو علي
الروذباري رحمه الله عن الاشارة فقال الاشارة
الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار اليه لا غيره وفي الحقيقة
ان الاشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من عين الحقائق
وقال الشبلي رضي الله عنه كل اشارة اشار بها الخلق الى الحق
فهي مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق وليس لهم
الى ذلك طريق وقال ابو يزيد رضي الله عنه ابعدهم من الله اكثرهم
اشارة اليه **الرجا ما قارنه عمل والا فهو امنيه** الرجا
مقام شريف من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد
في الاعمال كما ذكرناه في الخوف لان من رجا شيا طلبه ومن
خاف من شي هرب منه واما الرجا الكاذب الذي يغتر صاحبه
عن العمل ويجترئ على المعاصي والذنوب فليس هذا برجا
عند العلما ولكنه امنية واغترار بالله تعالى وقد ذم الله
تعالى

تعالى قوما تمنوا مثل هذا واصروا على حب الدنيا والرضا
بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم الله خلفا والخلف
الردي من الناس فقال عز وجل فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون
سيغفر لنا قال معروف الكرخي رحمه الله تعالى طلب
الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجا الشفاعة بلا سبب
نوع من الغرور وارتجا رحمة من لا يطاع جهل وحمق
وقد قال لو امن زعم ان الرجا مع الاصرار صحيح فكذلك
فليزعم ان طالب الزرع في القفر وقدح النار من البحر
صحيح وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله وقال الحسن ان قوما الهتهم
اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة يقول
احدهم احسن الظن بربي كذب لو احسن الظن بربه لاحسن
العمل وتلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وكان يقول عباد الله
اتقوا هذه الاماني فانها اودية النوكى تحلون فيها والله
ما اتى الله عبدا بامانيه خيرا في الدنيا ولا في الاخرة وكتب ابو
عبيد المنصور الى بعض اخوانه اما بعد فانك قد اصبحت
تامل بطول عمرك وتتمنى على الله الاماني بسوء فعلك وانما تضرب
حديدا باردا **مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية**

مطلب العارفين منزه بهم اعلى من مطالب غيرهم سواء كانوا
عبادا او زهادا او علماء لان مطلب العارفين انما هو الصدق
في العبودية والقيام بحقوق الربوبية فقط من غير مراعاة
حظ ولا تطلع نفس وكل من عداهم لم يفارقوا الحظوظ ولا غابوا
في مطالبهم وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله خير ما تطلبه
منه ما هو طالبه منك وقال سيدي ابو مدين قدس الله روحه
شتان بين من همه الحور والقصور وبين من همته رفع
الستور ودوام الحضور بسطك كي لا يبقيك مع القبض وقبضك
كي لا يتركك مع البسط واخرجك عنهما حتى لا تكون لشيء دونه
القبض والبسط من الحالات التي يتنقل بها العارفون وهما
بمنزلة الخوف والرجاء للمريدين والمبتدئين وسببهما الواردات
التي ترد على باطن العبد وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الواردات
وضعفها والمقصود هاهنا انهما وصفان ناقصان بالنسبة الى ما فوقهما
فانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده فمن لطف الله بعبده
تلوينه فيهما ثم اخراجه عنهما لفنائه عن نفسه وبقائه بربه
قال فارس القبض اولا ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض
والبسط يقعان في الوجود واما مع الفناء والبقاء فلا وكان
الجنيد رضي الله عنه يقول الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة
تجمعني والحق يفرقني اذا قبضني بالخوف افناني عني واذا بسطني
بالرجاء ردني علي واذا جمعني بالحقيقة احضرني واذا فرقني
بالحق اشهدني غيري فغطاني عنه فهو في ذلك كله محركي غير ممسكي

مطلب القبض والبسط مثل الرجاء والخوف

ومن حيث

٨١

ومن حيث غيري مؤنسي بحضوري لذوق طعم وجودي فليته
افناني عني فمتعني او غيبني عني فروحني وقد تكلم صاحب
كتاب عوارف المعارف في القبض والبسط بكلام بديع
طويل تركت نقله هاهنا اختصارا فمن اراده فلينظره
هناك العارفون اذا بسطوا اخوف منهم اذا قبضوا ولا
يقف على حدود الادب في البسط الا قليل انما اشتد خوف
العارفين في البسط ما لم يشتد في القبض من قبل ملايمته
لهوى انفسهم بخلاف القبض بما سيقوله المؤلف الان
فيخافون حينئذ من رجوعهم اليهم وذوقهم لحظ
نفوسهم وفي ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف بن
الحسين الرازي الى الجنيد رضي الله عنهما لا اذاقك الله
طعم نفسك فانك ان ذقتها لا تذوق بعدها خيرا ومن ثم يتأكد
عليهم في ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار
وذلك امر عسير في هذا الحال ولذلك لا يقف على حدود الادب
في البسط الا قليل كما قال المؤلف وقد عبر قوم بالبسط والادلال
والانبساط وقال رجل لابي محمد الجريري كنت على بساط
الانس ففتح علي طريق البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف
السبيل اليه دلني على الوصول الى ما كنت عليه فبكى ابو محمد
وقال يا اخي الكل في قهر هذه الخطة لكني انشدك ابياتا
لبعضهم فانشا يقول • قف بالديار فهذه اثارهم •
تبكي الاحبة حسرة وتشوقا • كم قد وقفت بربعها مستخبرا • متحيرا

بيان فانك ان ذقتها

بيان بالبساط

عن أهلها وسايلا وشفقا . فأجابني داعي الهوى في رسمها
فارقت من تهوى فعز الملتقى . وسئل بعض المشايخ عن
ذلك النزلة فقال انبساط مع الحق بغير أدب . قال الأستاذ
أبو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن هذا أخشى الأكابر
والسادة قال في لطايف المنن البسط مزلة أقدام الرجال
فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجايهم والقبض
أقرب إلى وجود السلامة لأنه وطن العبد إذ هو
في أسر قبضة الله وإحاطة الحق محيطة به ومن أين
يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم
وقته والقبض هو اللايق بهذه الدار إذ هي وطن التكليف
وإبهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة ولزوم المطالبة
بحقوق الله تعالى قال وأخبرني بعض العارفين
قال رأى شيخنا شيخه في المنام بعد موته مقبوضا فقلت
له يا أستاذ ما لك مقبوضا فقال له يا بني القبض والبسط
مقامات من لم يوفهما في الدنيا وفاهما في الآخرة
قال وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حيوته البسط انتهى
البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض
لا حظ للنفس فيه في هذا إشارة لما تقدم من أن مراعات
الأدب في البسط أمر عسير وذكر أن في البسط وجود حظ
للنفس فيستولي عليها الفرح بذلك فلا تملك حتى تقع
في سوء الأدب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك
كان

المراد بالآخرة هنا البرزخ من موته إلى يوم القيمة

كان أسلم وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رضي الله عنه
يقول القبض حق الحق منك والبسط حظ العبد منه
ولأن تكون بحقه منك أتم من أن تكون بحظك منه وأما آداب
القبض والبسط فلا أعلم الآن من تعرض في الكلام فيها من
علماء الصوفية ومصنفيهم وإنما وجدنا لهم في ذلك
إشارات إلى أمور مجملة كقول الإمام أبي القاسم القشيري
رضي الله عنه بعد أن تكلم على لفظي القبض والبسط وتبيين
معانيهما إلى أن قال وقد يكون قبض يشكل على صاحبه
سببه يجد في قلبه قبضا لا يدري ما موجبه وما سببه وسبيل
صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لأنه لو
تكلف نفيه أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره
زاد في قبضه ولعل تعد ذلك منه سوء أدب وإن استسلم
لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فإن الحق سبحانه
قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة
ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف لها سببا يهز صاحبه
ويستفزه فسبيل صاحبه السكون ومراعات الأدب
فإن في هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر صاحبه مكرا خفيا
كما قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت
عن مقامي انتهى كلام أبي القاسم رحمه الله وقد
رأيت كلاما معبرا مستوفى في آداب القبض والبسط
للشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وغاية ما حببت

أي الله تعالى

لا يدري

شريف بطالع في تفصيل القبض والبسط للإمام الشاذلي قدس سره

إنما ذكرناه ههنا لتتم به الفائدة التي تعرض لها
المؤلف رحمه الله وإن كان كلام الشيخ أبي الحسن أعم
مما هو عند غيره من أئمة الصوفية قال رحمه الله
القبض والبسط قلّما يخلو العبد منهما وهما يتعاقبان
كتعاقب الليل والنهار والحق سبحانه يقتضي منك العبودية
فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلو من أن يعلم سببه
أم لا وأسباب القبض ثلاثة ذنب أحدثته أو دنيا ذهبت
عنك أو نقصت أو ظالم يؤذيك في نفسك أو عرضك أو ينسبك
لغير دين أو غير ذلك فإذا ورد عليك القبض من أحد
هذه الأسباب فالعبودية تقتضي أن ترجع إلى العلم
مستعملا له كما أمرك أما في الذنب فالتوبة والإنابة وطلب
الإقالة وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص فالتسليم
والرضا والاحتساب وأما فيما يؤذيك به الظالم فالصبر
والاحتمال واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان
ظلم غيرك وظلم نفسك فإن فعلت ما ألزمتك من الصبر
والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح وربما
أثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب
فيه دعوتك وما أحسن ذلك إذا رحم الله بك من
ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحماء وتوكل على الله إن الله
يحب المتوكلين وأما إذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا
فالوقت وقتان ليل ونهار فالقبض أشبه بالليل والبسط

بالنهار

بالنهار فإذا ورد القبض بغير سبب تعلمه فالواجب
عليك السكون والسكوت من ثلاثة أشياء عن الأقوال
والحركات والإرادات فإن فعلت ذلك فعن قريب يذهب
عنك الليل بطلوع شمس نهارك أو يبدو نجم تهتدي به
أو قمر تستضيء به والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد
والشمس شمس المعرفة وإن تحركت في ظلمة الليل فقلّما تسلم
من الهلاك واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم
الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون فهذا حكم العبودية في القبض جميعه وأما من
كان وقته البسط فلا يخلو من أن يعلم له سببا أو لا والأسباب
ثلاثة السبب الأول زيادة في الطاعة أو نوال من المطاع
كالعلم والمعرفة والسبب الثاني زيادة في الدنيا بكسب وكرامة
أو هبة أو صلة والسبب الثالث بالمدح والثناء من الناس
وإقبالهم عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يدك فإذا ورد
عليك البسط من أحد هذه الأسباب فالعبودية تقتضي
أن ترى النعمة والمنة من الله عليك واحذر أن ترى
شيئا من ذلك لنفسك وحظها وتلازم الخوف وخوف السلب
مما أنعم عليك فتكون ممقوتا هذا في جانب الطاعة
والنوال من الله تعالى وأما الزيادة من الدنيا فهي
نعمة أيضا لا ولي وخف مما يكمن في آفاتها وأما مدح الناس
لك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستر

عليك وحوصت الله ان تظهر ذرة مما يقين منك فيمقتك اقرب
الناس اليك فهذه اداب القبض والبسط في العبودية فاما
البسط الذي لا يعلم له سببا يحقق العبودية فيه ترك السوال
والادلال والصولة على النساء والرجال والادلال الذي هو
الات بقول سلم سلم الى الممات فهذه هي اداب
والسلام انتهى ما ذكره الشيخ ابو الحسن وكلامه في ذلك
حسن والحمد لله الذي انعم بما لمنن وربما اعطاك فمنعك
وربما منعك فاعطاك منع الله تعالى عبده من نيل شهواته
ولذاته والكون مع شي من عاداته عطا جزيل منه اتقاه
معه واقتطعه عن حظوظه واغراضه وحرره منها وعكس
هذا هو المنع على التحقيق وان كان عطا في الظاهر قال
الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله اذا منعت فذلك
عطاء واذا اعطيت فذلك منع فاختر الترك على الاخذ فالواجب
على العبد ان يترك التدبير والاختيار لمن بيده ذلك
فلن يعدم منه خيرا متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع
هو عين العطا سياتي بيان هذا من كلام المولف رحمه الله
في قوله متى اعطاك اشهدك بره ومتى منعك اشهدك قهره
الى اخره الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر
الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها الاكوان
ههنا ما يمكن ان يكون للنفس فيه حظ من متاع
الدنيا وزهرتها وهي رايقة الظاهر قبيحة الباطن كما قيل
عالي

بيان عقلت

بسوابغ

على وجه مميمن ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا
فهي من حيث ظاهرها حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة
قذرة فالنفس تنظر الى زينتها الظاهرة فتغتر بها فتهلك
صاحبها والقلب ينظر الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها فيسلم
من كدرها وقد روي في الكتب السالفة ان الحواريين
قالوا لعيسى يا روح الله صف لنا اولياء الله تعالى الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام هم الذين
نطق بهم الكتاب وبه نطقوا وهم علم الكتاب وبه علموا
وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا
حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا اجل الدنيا حين
عاين الناس عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم
وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم فصار تركهم فيها
فواتا وفرحهم فيها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما
اشرف منها بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم
فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت
في صدورهم فلم يحيوها هدموها وبنوا بها اخرتهم احيوا
ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره
ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم
الخبر العجيب وكان بعض العلماء يقول ما اسطع لي زينة من
زخرف الدنيا الا كشف لي باطنه فظهر لي عوره وعيبها قال
ابو طالب المكي فهذه عناية من الله تعالى لمن وليه من اوليائه

مطلب صفة اولياء الله

اي اعراض

المتزينين منه فمن شهد الدنيا باول وصفها لم يغتر باخره
ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يعجبه بظاهرها ومن كوشف
بعاقبتها لم يبتزه زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول
ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة [illegible] ظاهرها جص
وباطنها نتن ان اردت ان يكون لك عز لا يفنى فلا تستعز
بعز يفنى العز الذي لا يفنى هو العز الغنا عن الاسباب
كلها بوجود مسببها لانه باق لا يفنى فالتعلق به عز لا يفنى
والعز الذي يفنى هو الغنا بالاسباب مع الغيبة عن مسببها
لانها فانية فالتعلق بها عز فان والتعلق بالله عز لا يفنى لا يبقى صح
وليس ذلك الا لاحدهما لانهما ضدان لا يجتمعان فان اخترت
العز الباقي بالله لم يقدر احد ان يذلك كما حكي ان
رجلا امر بالمعروف لهارون الرشيد فحرد عليه هارون
وكانت له بغلة سيئة الخلق فقال اربطوه معها تقتله
برجليها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه في بيت
وطينوا عليه الباب ففعلوا ذلك فرئي في بستان وباب البيت
مسدود فاخبر هارون بذلك فاتي بالرجل فقال من اخرجك
من البيت فقال الذي ادخلني البستان فقال ومن ادخلك
البستان فقال الذي اخرجني من البيت فقال اركبوه دابة
وطوفوه في البلد وليقل قايل الا ان هارون قد اراد ان
يذل عبدا اعزه الله تعالى فلم يقدر وان اخترت العز
بالاسباب فذلك لك واسهل ما تكون اليها لمنتهى غاية
الذل

الذل والهوان حكي عن بعضهم انه قال رايت رجلا في الطواف ويبين يديه صح
شاكرية يطردون الناس فبعد ذلك بمدة رايته ونسانا
يتكفف الناس على الجسر ويسال شيا قال وكنت انظر اليه اث كرية المداد
واشبهه بذلك الرجل فقال اي شي تنظر فقلت اشبهك بعظم جماعة [illegible]
برجل رايته في الطواف من شانه كذا وكذا فقال انا ذلك
تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني في موضع يترفع
فيه الناس قال في التنوير فان اعتززت بالله دام
عزك وان اعتززت بغيره فلا بقا لعزك اذ لا بقا لمن
انت به معتز اتى لو انظر بعض الفضلا لنفسه
ليكن مدركك عزك ليستقر ويثبت فان اعتززت بمن يموت
فان عزك ميت فقال ودخل انسان على بعض العارفين
وهو يبكي فقال له ما شانك فقال مات استاذي فقال له ذلك
العارف ولم جعلت استاذك من يموت وقال لكن اذا اعتززت
بغير الله فنفدته او استندت الى غيره فعدمته انظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه
في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شي علما
الحكمي الكفيل ان لم تطو مسافة الدنيا عنك لم تطو
الاخرة اقرب اليك منك طي مسافة الدنيا انما يتصور
من العبد اذا اشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ تتعدم
الدنيا في نظره وتطوي في اعتباره ويرى الاخرة حاضرة
لديه موجودة عنده يكاد يراها اقرب اليه منه من ذاته

فانية منظور فيه بهذا الاعتبار فمن كانت هذه مشاهدته
لا يتصور منه حب الغائب الفاني وهي الدنيا ويعتبر له بالحاضر
الباقي وهو الآخرة ولذلك كانت أصل الرغبة في الدنيا وإيثارها
على الآخرة ضعف اليقين فمن لم يشرق قلبه نور اليقين
لم يشاهد الكائن الكبير ومن لم يشاهده أحب الدنيا وهي
لا شي فلم تكن قيمته عند الله تعالى شيئا فهذا هو الطي الحقيقي
لمسافة الدنيا الذي يكرم الحق به أولياءه وبه تتحقق
عبوديتهم له عز وجل لا طي مسافة الأرض الذي ربما
يكون استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والأيام بالوصال
والصيام وترك الشراب والطعام إذ لم يتمحض طاعة
ومرادا وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله لو أشرق نور
اليقين لرأيت الآخرة أقرب من أن ترحل إليها ولرأيت
محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفنا عليها العطا من الخلق
حرمان والمنع من الله إحسان عطية الخلق لك حرمان
على التحقيق لما فيه من ... بك لغير الله ووقوفك
مع حظوظك وشهواتك ومنع الله لك إحسان لأنه ألزمك
الوقوف ببابه وعاملك من وجود حجابه وإن شئت
قلت العطا من الخلق حرمان لما فيه من وجود محنتك بهم
على ذلك ونقلهم منتهم في الحط عليهم والمنع من الله
إحسان فإنه حبيبك وكما يبعد المحبوب محبوب ولله در
القائل فلا لبس النعما وغيري ملبسي ولا اقبل الدنيا وغيري
وفي

وفي وصية علي رضي الله عنه لا تجعلن بينك وبين الله
منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكما
حمل المنن أثقل من الصبر على العدم وقال آخر عز النزاهة
أشرف من سرور الفائدة جل ربنا أن يعامله العبد
نقدا فيجازيه نسيئة جزا المعاملة لا يختص بالدار
الآخرة بل ربما أظهر الحق تعالى منه لبعض أوليائه في الدنيا
أنموذجا يحملهم على الاجتهاد في الأعمال ويتحقق به
وجود قبولها على كل الأحوال وذلك لعظيم كرمه وعميم
فضله جل وعلا كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك
لها أهلا هذا بيان عجز البصر العبد وهو أنه لو فهم
من عظمته وجلاله وكبريائه ما استحقروا معه أنفسهم
أن يكونوا أهلا لأن يكلفهم القيام بطاعته ويمدهم
فيها بتيسيرها ومعونته فبأنهم حينئذ حجبه واستولى
عليهم قربه فاحتجبت إذ ذاك نفوسهم واضمحل وجودهم
وذهب عنهم الحيا كلا يذهب عن عقلا فهو غاية الجزا ونهاية
العطا عند الحكما العارفين الذين يملكهم وجدانهم
إلى التطلع إلى غيره من الحظوظ والإجالة كفى العاملين جزا
ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته وما هو مورده
عليهم من وجود مؤانسته هذا بيان آخر لما يكرمهم
به من تعجيل الجزا المعجل ومواتاة العاملين البررة مما يفتح
لهم من المعارف ويورد على قلوبهم من المواجد

الذكا يوما يتنسمون فيه روح الانس ويتنعمون به في
حضيرة القدس وهذا من علامات وجود الرضوان اعلم
الاكبر الذي بيناه لا ينبغي دونه كل جزا او يستحقر كان بعضهم
يقول ان التملق بالحبيب والمناجات للقريب في الدنيا
ليس من الدنيا هو من الجنة يظهر لاهل الله تعالى في الدنيا
لا يعرفه الا هم ولا يجده سواهم روحا لقلوبهم وقال
بعض العلما ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم لاهل الجنة الا ما بوقت
يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة
وقال احمد بن ابي الحواري دخلت على ابي سليمان الداراني
رضي الله عنه يوما وهو يبكي فقلت له وما يبكيك فقال
احمد كيف ولا ابكي انه اذا جن الظلام ونامت العيون
وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش اهل المحبة اقدامهم
وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت في محاريبهم
اشرف الجليل سبحانه فنادى يا جبريل بعيني من
يلذذ بكلامي واستروح الى ذكري واني لمطلع عليهم
في خلواتهم اسمع انينهم وارى بكاءهم فلم لا تنادي
فيهم يا جبريل ما هذا البكا هل رايتم حبيبا يعذب
احباوه ام كيف يجمل بي ان اخذ قوما اذا جنهم الليل ببكائهم فيني
تملقوا الي حلفت اذا وردوا على القيامة لاكشفن
لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا الي وانظر اليهم
من عنده لشي يرجوه او ليدفع مخافته ومن عدم العقوبة

عنه

عنه فما قام بحقه ووصافه عمل العاملين لاجل حصول
الجزاء او فرارا من عقوبة المولى عز وجل معلول ليس من
شان العارفين والمحققين لان غاية العبد بحق
اوصاف مولاه لا يقتضي ان يعمله لاجل حظه من جلب
ثواب او دفع عقاب لانه عبد يستحق عليه مولاه كل شي
ولا يستحق هو عليه شيا وهذا اسما علامة المحبة لله تعالى
لان المحب يمتثل امر محبوبه لا لامر ذاته الا ما اراد
فعلى العبد ان يعمل لربه عز وجل لاجل جلاله وعظمته
وما هو عليه من محامد صفاته الذي لا يشارك فيها فان
خالف هذا وعمل على حظه لم يقم بحق صفات مولاه
وكان ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم حجبه بحجبه معرفته
قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله ما طلعت
شمس ولا غربت على احد على وجه الارض الا وهم جهال
بالله تعالى الا من يوثر الله على نفسه وروحه ودنياه
واخرته ومن اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى
اوحى اليه ان اود الاوداء الي من عبدني لغير نوال
لكن ليعطي الربوبية حقها وفيما نقل وهب بن منبه
رضي الله عنه من الزبور ومن اظلم ممن عبدني لجنة او نار
لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا لان اطاع وقال
وقا عز وجل ومن اخبار عيسى عليه السلام ان الرابعة التي تشغل
في طلب الزهد فقد الله ذلك مما هو اه ومن عيسى عليه السلام

على طائفة من العباد قد اخترقوا من العبادة كالشنان البالية فقال من انتم فقالوا نحن عباد فقال ولاي شي تعبدتم قالوا خوفنا الله ناره فخفنا منها فقال حق على الله ان يؤمنكم مما خفتم منه ثم جاوزهم فمر باخرين اشد عبادة منهم فقال لاي شي تعبدتم قالوا شوقنا الله الى الجنان وما اعد فيها لاوليائه فنحن نرجوها فقال حق على الله ان يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم ومر باخرين يتعبدون فقال من انتم قالوا المحبون لله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته ولكن حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم فاقام بين اظهرهم وفي لفظ اخر فقال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا احببتم وقال للاخرين انتم المقربون قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وممن روي عنه هذا القول واقيم في هذا المقام جماعة من التابعين منهم ابو حازم المدني كان يقول اني لاستحيي من ربي ان اعبده خوفا من العذاب فاكون مثل العبد السوء ان لم يخف لم يعمل واستحيي ان اعبده لاجل الثواب فاكون كالاجير السوء ان لم يعط اجر عمله لم يعمل ولكن اعبده محبة له قال الشيخ ابو طالب وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وقال بعض اخوان معروف له اخبرني عنك يا ابا محفوظ اي شي هاجك على العبادة

الاجرة صح

والانقطاع

والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت فقال واي شي الموت قلت فذكر القبر قال واي شي القبر فقلت خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شي هذا ان ملكا هذا كله بيده ان احببته انساك جميع هذا وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا قال ابو طالب وحدثونا عن علي بن الموفق قال رايت في النوم كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد اخرين قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا قال هذا معروف الكرخي عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فقد اباحه النظر اليه يوم القيمة وذكر ان الاخرين بشر بن الحارث واحمد بن حنبل رضي الله عنهم قال ابو طالب وروينا عن رابعة العدوية رضي الله عنها وكانت احد المحبين كان الثوري يجلس بين يديها فيقول علمينا مما افادك الله من ظرائف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل انت لولا انك تحب الدنيا وكان يعترف لها ويسلم قولها وكان عالما زاهدا الا انه كان يؤثر كتب الحديث والاقبال على الناس

ذكر م

وهي ابواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عبد شريطة
ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدت الله
خوفا من النار فاكون كالعبد السوء ان خاف عمل ولا حبا
للجنة فاكون كالاجير السوء ان اعطي عمل ولكن عبدته حبا له
وشوقا اليه والاثار والحكايات في هذا المعنى كثيرة
لا تنحصر فاذا عمل المريد على ما ذكرناه كان عبد الله حقا
فان طلب منه الثواب او استعاذ به من العقاب فانما يطلبه
او يستعيذ به امتثالا لما دعاه ربه وفرارا من دعوى
رؤية حظه واتباعا لما احبه منه واذن له فيه من طلبه
لفضله واحسانه وكرمه وامتنانه وهذا وما اشبهه
هو المعنى بالحديث المروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في الصلوة
قال اتشهد ثم اقول اللهم اني اسالك الجنة واعوذ بك
من النار اما والله ما احسن دندنتك ولا دندنة معاذ
فقال حولها ندندن لان يكون رجاؤه لحصول ذلك وخوفه
من فقده باعثا له على القيام بطاعته وملازمة عبادته
فيكون عمله لذلك مدخولا معلولا هذا هو منزع العارفين
والمحققين وعليه تنبني قواعد التصوف وكلها متى اعطاك
اشهدك بره ومتى منعك اشهدك قهره فهو في كل ذلك
متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك المطلوب من
العباد ان يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية

لحبه يطلبه

والاسما

والاسما الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم
وتعرفه لهم انما يكون بما ينزل بهم من الشؤون
ويورده عليهم من الاحكام وهي على قسمين ما وافق
الهوى والطبع ويسمى عطاء وما خالفهما ويسمى منعا
فبوجود العطا تشهد صفاته العلية من الجود والكرم
والاحسان واللطف وغير ذلك وبوجود المنع تشهد
صفاته القهرية من الجبرية والكبريا والعزة والاستغنا
فينبغي لك ايها العبد ان لا تفرق بينهما ان اردت معرفة
ربك ولم يسترقك حب حظك اذ منعه لك عطا على
التحقيق فهو في كلتا الحالتين منعم عليك ومقبل بوجود
لطفه اليك وهذا هو بيان ما تقدم من قوله متى فتح لك
باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطا والله اعلم
قال سفيان الثوري رضي الله عنه اتينا ابا حبيبة البدوي
المغلبة ولم اكن رايته فقال لي انت سفيان الثوري
الذي يقال قال فقلت نعم اسال الله بركة عافيا قال
فقال لي يا سفيان ما راينا خيرا قط الا من ربنا قلت اجل
قال فما الذي تكره لقا من لم تر خيرا قط الا منه ثم قال يا سفيان
منع الله اياك عطا منه لك وذلك انه لم يمنعك من بخل ولا عدم
وانما منعه لك رحمة واختيار لك يا سفيان ان منعك لا سار حمل
شغل فقال ثم اقبل الى سبحته ...
لعدم فهمكم عن الله فيه اذا كان منع الله سبحانه وتعالى

الجسميات

وعطاؤه نعمتين عظيمتين كما ذكرناه الان فينبغي ان
يكون في كليهما قرة عين المريد فان فاتح باحدهما
وهو المنع وتلذذ بالاخرى وهو العطا فذلك لعدم
فهمه وقصور علمه بالله الاكمل والا فعلى له ان يلتذ
بالعطا ويلتذ بالمنع كما قال ابو الشيخ الخواص لا يصح الفقر
للفقير حتى يكون فيه خصلتان احدهما الثقة بالله
والاخرى التسليم لله فيما زوى عنه مما يبتلى به غيره
من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى يكون نظره لله تعالى له في
المنع افضل من نظره له في العطا وعلامة صدقه في ذلك
ان يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطا لا يعرف غير
بارئه الذي خصه بمعرفته واياديه فهو لا يرى سوى
مليكه ولا يجتلي الا ما كان من تمكينه وكل شي له تابع
وكل شي له خاضع ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك
باب القبول وقضى عليك بالذنب فكان سببا
في الوصول ينبغي ان لا ينظر العبد الى صور الاشيا ولينظر
الى حقايقها فصورة الطاعات لا تقتضي وجود القبول
لها لما قد تتضمنه من الافات القادحة في الاخلاص
فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود صورة
الذنب لا يقتضي الابعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا
في وصوله الى ربه وحصوله في حضرة قربه كما قيل رب ذنب
ادخل صاحبه الجنة وقد جاء في الحديث الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه

عن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي
بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون
فيستغفرون الله فيغفر لهم وذلك انه يصحبه عند عمله
بالطاعة ان يعجب بها ويعتمد عليها ويتكبر بفعلها ويحتقر
من لم يفعلها ويصحبه عند وقوعه في الذنب الالتجا الى الله تعالى
فيه والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه وتعظيم من لم
يفعله قال ابو حازم ان العبد ليعمل الحسنة تسره حين
يعملها وما خلق الله من سيئة اضر له منها وان العبد
ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله من حسنة
انفع له منها وذلك ان العبد حين يعمل الحسنة تسره فيتبختر
فيها ويرى ان له فضلا على غيره ولعل الله ان يحبطها ويحبط
معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين
يعملها ولعل الله ان يحدث له بها وجلا حتى يلقى الله
تعالى وهو خوفها في جوفه لباق ثم بين المؤلف رحمه
تعالى هذا المعنى بقوله معصية اورثت ذلا وافتقارا
خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا الذل والافتقار
من اوصاف العبودية والعز والاستكبار ضدان
لهما لانهما من صفات الربوبية ولا خير في الطاعات
اذا لزم عنها شي مما ينافي صفات العبودية لانها انما
تمحوها وتزيلها قال سيدي ابو مدين قدس الله سره
انكسار العاصي خير من صولة المطيع وكان سيدي ابو العباس

مطلب شريف [illegible]
المعول في الذل والافتقار المثمر ثمرة النجا

الحرمي قدس الله سره كثير الرجا لعباد الله الغالب عليه
شهود وسع الرحمة وكان يكرم الناس على رتبهم عند
الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يهتم به وربما
دخل عليه عاص فاكرمه لان ذلك الطايع اتى وهو متكبر بعمله
ناظر الفضله وذلك العاصي دخل عليه بكثرة معاصيه
وذلة منها لفقته وقد تقدم مثل هذا من قوله لا يتعاظم
الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله فمن هذا
المعنى ما روى عن ابان بن ابي عياش انه قال خرجت
يوما من عند انس بن مالك رضي الله عنهم بالبصرة فرايت
جنازة يحملها اربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل
اخر فقلت سبحان الله سوق البصرة وجنازة مسلم لا يشيعها
احد فلا اكونن خامسهم فمضيت معهم فلما وضعوها
بالمصلى قالوا تقدم فقلت انتم اولى به فقالوا كلنا
سوا فتقدمت فصليت عليه وقلت ما القصة فقالوا انظر
تلك المراة قال فقصدت فعرفتها فلما كان بعد ساعة
انصرفت تلك المراة وهي تضحك فدخل قلبي شي فقلت
لا ينجيك الا الصدق اخبريني بشان القصة فقالت لي ان
هذا ابني ما ترك شيا من المعاصي الا فعله فمرض ثلاثة
ايام فقال لي يا اماه اذا مت فلا تعلمي بموتي جيراني
فانهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بموتي واكتبي على
خاتمي هذا لا اله الا الله محمد رسول الله واجعليه على
كفني

كفني فلعل الله تعالى يرحمني وضعي رجلك على خدي
وقولي هذا جزا من عصى الله فاذا دفنتيني فارفعي يديك
الى الله تعالى وقولي اني رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت
جميع ما امرني به فلما رفعت يدي الى السما سمعت صوته
بلسان فصيح انصرفي يا اماه فقد قدمت على رب كريم رحيم
غير غضبان علي فانما فحملني من هذا ومن هذا المعنى
الاخر ما روى ان رجلا من بني اسرائيل اتى عابدا من
بني اسرائيل فوطي على رقبته وهو ساجد فقال له العابد
ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله عز وجل اليه ايها المتالي
علي بل انت لا يغفر الله لك قال الحارث المحاسبي رحمه
الله لانه انما تالى على الله عز وجل ان لا يغفر له لعظم قدر
نفسه عنده وان الاساءة اليه عند الله عز وجل عظيمة لا يغفرها
الله تعالى لعبادته وسجوده لانه عند نفسه عظيم القدر
عند الله عز وجل وهذا المعنيين جميعا ما روى عن عيسى
عليه السلام خرج معه صالح من صالحي بني اسرائيل فتبعهما رجل
خاطي مشهور بالفسق فيهم فقعد متنبذا عنهما منكسرا فدعى
الله سبحانه وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح وقال اللهم
لا تجمع بيني وبين ذلك العاصي فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه
السلام اني قد استجبت دعاهما جميعا رددت ذلك الصالح
وغفرت لذلك المجرم وروى عن الشعبي ايضا عن الحارث بن ابي
ايوب ان رجلا كان في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل

اي الحالف

لعبادته

لكثرة فساده مرّ رجل من بني إسرائيل يقال له عابد بني
إسرائيل على رأس العابد غمامة تظله فقال الخليع في نفسه
أنا خليع بني إسرائيل وهذا عابد بني إسرائيل فلو جلست
إليه لعل الله عز وجل أن يرحمني به فجلس إليه فقال العابد
في نفسه أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل يجلس
إلي فأنف منه وقال له قم عني فأوحى الله عز وجل إلى نبي ذلك
الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت
عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة على رأس الخليع
قال الحارث المحاسبي رحمه الله وإنما أراد الله عز وجل
من عباده قلوبهم فتكون جوارحهم تبعا لقلوبهم فإذا
تكبر العالم أو العابد وأنف وتواضع الجاهل أو العاصي
وذل هيبة لله عز وجل وفرقا منه فهو أطوع لله عز وجل
من العابد والعالم نعمتان ما خرج موجود عنهما
ولا بد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد
نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد نعمتان لازمتان لكل مكون
موجود لأنه في ذاته معدوم ومن أجل نعمة الإيجاد
أزالت العدم السابق ولولا ذلك لم يبرز معدوما ونعمة
الإمداد أزالت العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشى وفني
وقال سيدي أبو مدين قدس سره الحق تعالى مستبد والوجود
مستمد والمادة من عين الوجود فلو انقطعت المادة انهد
الوجود وهذا توطئة لما يريد بيانه من الفقر الذاتي للعبد

أنعم

قوله مستبد المستقل بذاته

أنعم عليك أولاً بالإيجاد وثانياً بتوالي الإمداد
نعمة الإيجاد جزئيات الكلية المتقدمة وهو وجودك بعد عدم
وجودك ونعمها لا ينبغي أن يتغافل عنه من التوالي هذا
الخير نعمة الإيمان ومحبة الطاعة في قلبك
وامتدادهما وكذلك كراهية الكفر والمعصية فإن ذلك
من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها ولا له الوسيلة إليها
ولولا تولي الله تعالى له بتلك النعمتين في القسمتين لبان
في ظلمات الضلالة وغرق في بحار الجهالات وقد نبه الله
سبحانه على هذا المعنى في كتابه الكريم فقال عز من قائل
ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم
الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا
من الله ونعمة قال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله
وإن من أفكر في صنوف الضلال وكثرة طرق المحال وشرد
أغاليط الناس في البدع والأهواء وما ينشعب بكل قوم من
مختلف النحل والآراء أثر أفكر في ضعفه ونقصان عقله
وكثرة تحيره في الأمور وكثرة جهله ونقصان تدبيره في
أحواله وشدة حاجته إلى الاستغاثة بأشكاله في عماه
لم يرا تخالص يقينه وقوة استبصاره في دينه ونقاء وجه
توحيده من غبرة الشرك وصفا عينه عن قذى الشك
علم أن ذلك ليس من لطائف جهده وكده بل بفضل ربه

بتمييلك

جمع نحلة وهي الطريقة المعوجة

وسابع لحوله قال الله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة فهو الظاهر بنعمائه والناشر نعمه عليك متظاهرة
والباطن بالائه ومزوايد كرمه لديك متواترة انتهى
وعلى العبد ان يعرف قدر هذه النعمة في ذلك على علمه
وعقله قال بعض العارفين من نظر في توحيده الى عقله
لم ينجه توحيده من النار وعن ذي النون المصري
ما هو قريب من هذا من كان في توحيده ناظرا الى نفسه
اياه عز وجل بهذا هو شكر بهذه النعمة العظيمة قال الشيخ
ابو طالب المكي بعد ان ذكر ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قوله احبوا الله لما اسدى اليكم من نعمه (ما) يغذوكم
به اليها فمن افضل ما غذانا به نعمة الايمان والمعرفة
له وغذاؤه لنا منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا
عليه في تصريف الاحوال اذ من اهل الاحوال التي هي مكان
النوال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب خواطرنا
في الذنوب ولو قلب قلوبنا في الكفر والضلال كما يقلب نياتنا
في الاعمال اي شيء كنا نصنع او اي شيء كنا نقول وما اي شيء
كنا نطيق ونرجو ان هذا من كبائر النعم ومعرفته هو شكر
نعمة الايمان والكفر لهذا غفلة عن نعمة الايمان
توجب العقوبة وادعاء الايمان انه عن كسب مكتسب
او استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الايمان واخاف

علي

لم ينجه توحيده من النار

حتى يكون نظره اليه في توحيده

صح وتثبيتنا

على من لم يعرف ان ذلك سلب الايمان لانه بدل شكر نعمة
الله كفرا انتهى كلام الشيخ ابي طالب وهو حسن في المعنى
فان قيل ذلك ذاتية وورود الاسباب المذكورات بما خفي
عليهم منها والفاقة الذاتية لا تدفعها العوارض
اذا ثبت ان نعمتي الايجاد والامداد لازمتان لكم وانكم
في ذاتكم عدم لولاهما فالفاقة اذا ذاتية لكم والاضطرار
لازم لوجودكم وحيث كنت غنيا بوجود النعمتين المذكور تين
فان ذلك امر عرضي والامور الذاتية لا تزيلها الامور
العرضية وانما اورد عليكم الاسباب التي تضاد وجودكم
وبقاء وجودكم ليذكركم بذلك ما خفي عليكم من وجود الفا قة
الذاتية لكم والاضطرار اللازم لوجودكم فالزموا
مركزكم وتقوموا بحقوق عبوديتكم ولا تجاوزوا حدكم وطوركم
قال بعضهم انما عمل فرعون لان قال انا ربكم الاعلى
طول العوافي والغنا اربعمائة سنة لم يتصدع
راسه ولم يحم جسده ولم يضرب عليه عرق فادعى
الربوبية ولو اخذته الشقيقة ساعة واحدة او المثلثة
يوما لشغله ذلك عن دعوى الربوبية قال في لطائف
المنن الاضطرار تعطيه حقيقة العبد اذ هو ممكن
وكل ممكن مضطر الى ممد يمده وكان الحق سبحانه هو
الغني ابدا فالعبد مضطر اليه ابدا ولا يزايل العبد
هذا الاضطرار في الدنيا ولا في الآخرة ولو دخل الجنة

صح عرق

صح والمليلة

فهو محتاج الى الله تعالى فيما غير انه عند اضطراره
فى المحنة التى فرغت عليه سلابتها وهذا هو حكم الحقايق
اذ لا يختلف حكمها لا فى الغيب ولا فى الشهادة ولا فى الدنيا
ولا فى الاخرة فانها لم ضعة الكشف اى علم كانت وفى اى وقت
كانت والارادة صفتها التخصيص اى ارادة كانت وفى اى
وقت كانت ومن انسعد الوارد عليهم بتوقت اضطرارهم بيان عاتب
وقد عاتب الله اقواما اضطروا اليه عند وجود اسباب الجالية لهم
الى الاضطرار فلما زال اضطرارهم قال سبحانه واذا مسكم زالت صح
الضر فى البحر الاية وقال فاذا مس الانسان ضر
دعانا لجنبه الاية وقال من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر الاية فى الحيز لكم من الايات الواردات فى هذا
المعنى ولما لم تصل عقول العموم الى ما تعطيه حقايق
وجود انهم سلط الحق عليهم الاسباب المثيرة للاضطرار
ليعرفوا قهر ربوبيته وعظم الاهيته انتهى خيرا وتاملك
وقت تشهد فيه وجود فاقتك وتردك الى وجود ذلتك
انما كان هذا خيرا لا وقات لك لوجود حضورك فيه مع
ربك وانقطاعك عن الوسايط والاسباب المتوجهة
لبعدك وحجبك فهو لا محالة خيرا وقاتك وهو سر اسمائك
واعيادك وحجابك قول المولف رحمه الله بعد هذا الحكى عن
عطا السلمى انه بقى سبعة ايام لم يذق شيئا من الطعام
ولم يفعل شيئا من قلبه بذلك غاية السرور فقال يا رب

ان

ان لم تكفنى ثلاثة ايام اخر لاصلين لك الف ركعة وقيل
ان فتحا الموصلى رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا
ولا حطبا فاخذ يحمد الله تعالى ويتضرع اليه ويقول الهى
لاى سبب وباى وسيلة واستحقاق عاملتنى بما تعامل به
اولياءك وقال بشر بن الحرث الحافى بلغنى ان بنتا لفتح
الموصلى عريت فقيل له الا تطلب من يكسوها فقال لا
حتى يرى الله عريها وصبرى عليها قال فكان اذا كان
ليالى الشتاء جمع عياله ومد كساه عليهم ثم قال اللهم
افقرتنى وافقرت عيالى وجوعتنى وجوعت عيالى واعريتنى
واعريت عيالى باى وسيلة توسلت اليك وانما تفعل
هذا باوليائك واحبابك فهل انا منهم حتى افرح
قيل ان الفضيل بن عياض بكى فى ليلة قرة ثم قال الهى
اجعتنى واجعت عيالى واعريتنى واعريت عيالى
واقعدتنى واقعدت عيالى فى بيت ليس لهم فيه مصباح
وانما تفعل هذا باوليائك واهل محبتك الهى باى عمل
تحققت بهذا منك حتى ادوم لك عليه وقيل للربيع بن خثيم
قد غلا السعر فقال نحن اهون على الله من ان يجيعنا انما
يجيع اولياءه ومتى وجدت من خلقه فاعلم انه يريد ان يفتح لك
باب الانس به فتح باب الانس بالله هو الاستيحاش من الناس
وكذلك قيل الاستيناس بالناس من علامة الافلاس فافهم
فتح لك هذا الباب خصوصا من الاغنيا وحققت الانكار



بربك ومعنى الوحشة منها ان تنمر عنها بقلبك وتنقبض
عنها بسرك ولا يكون الاشيا بموقع عندك فلا تجد فيها
مقنعا لحاجاتك الى من يعد حين اطلع على انواع من العجائب
ووجه بنى الرغائب وكشف له عن الملكوت الاعلى
فقيل له هل استحسنت منها شيا فقال لم ار شيا استحسنه
فقيل له انت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف
كان ذلك علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله في حضرة
القدس ويأتي هذا المعنى في قوله في مناجاته انت المونس
لهم حيث اوحشتهم العوالم دنى الملك لسانك بالطلب
فاعلم انه لم يرد ان يعطيك الا اطلاق اللسان بالطلب هو
ان يحل عقدت الصحة الذي اوجب الاستغنا بالاغيار ٧
وعدم روية الفاقة والافتقار فاذا حل عنه العقدة شهود هذه
فقره وفاقته وانطلق لسانه بالطلب كان اذ ذاك داعيا
بلسان الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق الموعد
باجابة دعوة المضطر وانه لا يخلف الميعاد وانشد
لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلبا
وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من فتح له في الدعا منكم فتحت له ابواب
الرحمة وما سيل الله شيا فيعطي احب اليه من ان يسال العفو
والعافية في الدنيا والاخرة وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من اعطي الدعا لم يحرم الاجابة قال الشيخ ابو بكر
الخفاف

الخفاف وكيف لا يجيبه وهو يحب قبوله ولولا ذلك ما فتح
الدعا وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا صب عليه البلا صبا وسحه عليه
سحا فاذا دعا قالت الملايكة صوت معروف وقال جبريل
يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول دعوا عبدي فاني احب
ان اسمع صوته فاذا قال يا رب قال الله تعالى لبيك
عبدي وسعديك لا تدعوني بشي الا استجبت لك ولا تسالني
شيا الا اعطيتك اما ان اعجل لك ما سالت واما ان ادخر
لك عندي افضل منه واما ان ارفع عنك به من البلا ما هو
اعظم منه ذلك العارف لا يزول اضطراره ولا يكون
مع غير الله قراره معرفة العارفين هي معرفتهم
بانفسهم وبما هي عليها من الفاقة والافتقار
الى العزيز الجبار وبقدر ما يتحققونه بذلك في انفسهم
يكون معرفتهم بالله عز وجل كما جا في الخبر من عرف
نفسه عرف ربه فلذلك كان العارف لا يفارقه الاضطرار
قال سيدي ابو العباس المرسي في قوله تعالى امن يجيب
المضطر اذا دعاه الولي لا يزال مضطرا قال ابن عطا
رحمهما الله ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة اضطرارهم
بمشاهدات الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك
لغلبة دايرة الحس عن شهودهم فلو شهدوا قبضة القدرة
الشاملة المحيطة لعلموا ان اضطرارهم الى الله تعالى دايم

وانما لم يكن له مع غير الله قرار الوجود وحشته من الاشيا
ونفوره بقلبه عنها كما تقدم وكانه رحمه الله تعالى قصد
بهذا ان يعلمك ان ما تقدم له من الاشتيا اي من الخلق والتكلم
اللسان بالطلب من الحق نفثان من نفثات العارفين
انار الظواهر بانوار اثاره وانار السرائر بانوار
اوصافه لاجل ذلك افلت انوار الظواهر ولم تافل
انوار القلوب والسرائر ولذلك قيل ان شمس
النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب
انوار الظواهر التي بها انارها الحق تعالى هي الادراكات
والاحساسات والحركات التي تتصف بها ظاهر العبد وانوار
السرائر التي بها انارها الحق تعالى هي المعارف والعلوم
والحابف الادراكات والفهوم التي اشتغل عليها باكنه وسره
وانوار الظواهر هي متعلقة بانوار الاثار الحادثات
وانوارها معانيها ولطائفها المستكنة فيها وانوار السرائر
متعلقة بانوار الصفات الازليات ولاجل اختلاف
المتعلقين في الحدوث والقدم والفنا والبقا كان كما ذكره
المولف رحمه الله من انوارها تعلق بالحادث الفاني وهو
افول انوارها تعلق بالقديم الباقي انشد المولف البيت
المذكور مستشهدا به على ما ذكره ومعناه بين وقبله خلقت
هذا جب بليل فاستنعمات فما الهما من غروب وفي هذا
تنبيه على ان الامور الباقية هي التي ينبغي ان يفنيك بها
ويفرح

من افول ما تعلق بالحادث الفاني

بيت وهو ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب

ويفرح بحصولها ويعتني بترتيبها ومراعات حالها الا في
الامور الفانية الافلة وحينئذ يكون العبد على ملة
ابرهيم عليه السلام حيث قال لا احب الافلين ويروى ان
رجلا سال سهل بن عبد الله عن القوت فقال هو الحي الذي
لا يموت فقال انما سالتك عن القوام فقال القوام
هو العلم فقيل سالتك عن الغذا فقال الغذا هو الذكر
قيل انما سالتك عن طعم الجسد فقال ما لك والجسد دع
من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخلت عليه علة
فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عيبت ردوها
الى صانعها حتى يصلحها وفي معناه انشدوا كلمة خفيفة
التي لم تكمل والجسم دعه في الحضيض الاسفل اتكمل
الفاني وتترك باقيا كملا وانت بامره لم تحفل والجسم
للنفس النفيسة الة ما لم تحصله بها لم تحصل يفنى وتبقى
دائما في غبطة او شقوة وندامة لا تنجلي اعطيت
جسمك خادما فخدمته اتملك المفضول رق الافضل
شرك كشيق ابنت من حبلاته ما دام يملكك الخلاص فعجل
دمن يستطيع بلوغ اعلى منزل ما باله يرضى بادنى منزل
يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته وتطلب الربح فيما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها فانت بالنفس لا بالجسم انسان
ينعقد المرا كيلا عليه بانه مما نه من جوف المتكبر وما بعده
لكرما لكونه واحتكاره منه الاقدار هو الذي يكون كرجل

بربك ومعنى الوحشة منها ان تشمر عنها بقلبك وتنقبض
عنها بسرك ولا يكون الاشياء بموقع عندك فلا تجد فيها
مقنعا كما جاء عن الى مريد حين الخلع على انواع من العجائب
ووجه بشيء الرغائب وكشف له من الملكوت الاعلى
فقيل له هذا استحسنت منها شيا فقال لم ار شيا استحسنه
فقيل له انت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف
كان ذلك علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله في حضرة
القدس وسياتي هذا المعنى في قوله في مناجاته انت المونس
لهم حيث اوحشتهم العوالم متى اطلق لسانك بالطلب
فاعلم انه يريد ان يعطيك اطلاق اللسان بالطلب هو
ان يكون عن وجدان الصفة الذي اوجب الاستغنا بالاغيار
وعدم روية الفاقة والافتقار فاذا حال عن العبد شهود
فقره وفاقته وانطلق لسانه بالطلب كان اذ ذاك داعيا
بلسان الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق الموعد
باجابة دعوة المضطر وانه لا يخلف الميعاد وانشدوا
لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلبا
وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من اذن له في الدعا منكم فتحت له ابواب
الرحمة وما سيل الله شيا فقرا احب اليه من ان يسال العفو
والعافية في الدنيا والاخرة وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من اعطي الدعا لم يحرم الاجابة قال الشيخ ابو بكر

الخفاف

٩٥

الخفاف وكيف لا يجيبه وهو يحب سواله ولولا ذلك ما فتح
الدعا وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا صب عليه البلا صبا وسحه عليه
سحا فاذا دعى قالت الملايكة صوت معروف وقال جبريل
يارب عبدك فلان اقض حاجته فيقول دعوا عبدي فاني احب
ان اسمع صوته فاذا قال يارب قال الله تعالى لبيك
عبدي وسعديك لا تدعوني بشي الا استجبت لك ولا تسالني
شيا الا اعطيتك اما ان اعجل لك ما سالت واما ان ادخر
لك عندي افضل منه واما ان ارفع عنك به من البلا ما هو
اعظم من ذلك العارفون بزوال الاضطرار ولا يكون
مع غير الله قرارهم معرفة العارفين هي معرفتهم
بانفسهم وبما هي عليها من الفاقة والافتقار
الى العزيز الجبار وبقدر ما يتحققونه بذلك في انفسهم
يكون معرفتهم بالله عز وجل كما جا في الخبر من عرف
نفسه عرف ربه فلذلك كان العارفون لا يفارقهم الاضطرار
قال سيدي ابو العباس المرسي في قوله تعالى امن يجيب
المضطر اذا دعاه الولي لا يزال مضطرا قال ابن عطا
رحمهما الله ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة اضطرارهم
بمشاهدات الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك
لغفلة دايرة الجمع عن شهودهم فاو شهدوا القبضة
الشاملة المحيطة لعلموا ان اضطرارهم الى الله تعالى دايم

وإنما لم يكن له مع غير الله قرار لوجود وحشته من الاشيا
ونفوره بقلبه عنها كما تقدم وكانه رحمه الله تعالى قصد
بهذا ان يعلمك ان ما تقدم له هذا الانتهى اي من الخلقة انطلا
اللسان بالطلب منه لحق نعتنا من نعوت العارفين
انار الظواهر بانوار اثاره وانار السرائر بانوار
اوصافه لاجل ذلك افلت انوار الظواهر ولم تافل
انوار القلوب والسرائر ولذلك قيل ان شمس
النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب
انوار الظواهر التي هي انارها الحق تعالى هي الادراكات
والاحساسات والحركات التي تتصف بها ظاهر العبد وانوار
السرائر التي بها انارها الحق تعالى هي المعارف والعلوم
والكاينة الادراكات والفهوم التي اشتملت عليها باطنه وسره
وانوار الظواهر هي متعلقة بانوار الاثار الحادثات
وانوارها معاينها ولطافتها المتمكنة فيها وانوار السرائر
متعلقة بانوار الصفات الازليات ولاجل اختلاف
المتعلقين في الحدوث والقدم والفنا والبقا كان كما ذكره
المولف رحمه الله من انوارها تعلق بالحادث الفاني عدم
افول انوارها تعلق بالقديم الباقي انشد المولف البيت
المذكور مستشهدا به على ما ذكره ومعناه بين وقبله كلف المستهتر
من احب بليلى نا سنشات فما لها من غروب وفي هذا
تنبيه على ان الامور الباقية هي التي ينبغي ان يفنيك بها

نسخه: من افول ما تعلق بالحادث الفاني

بيت وهو ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب

ويفرح

ويفرح بحصولها ويعتني بترتيبها ومراعات حالها الا في
الامور الفانية الافلة وحينيذ يكون العبد على ملة
ابراهيم عليه السلام حيث قال لا احب الافلين ويروى ان
رجلا سال سهل بن عبد الله عن القوت فقال هو الحي الذي
لا يموت فقال انما سالتك عن القوام فقال له القوام
هو العلم قيل سالتك عن الغذا فقال الغذا هو الذكر
قيل انما سالتك عن طعم الجسد فقال ما لك والجسد دع
من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخلته علة
فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عيبت ردوها
الى صانعها حتى يصلحها وفي معناه انشدوا كمل خفيفتك
التي لم تكمل والجسم دعه في الحضيض الاسفل اتكمل
الفاني وتترك باقيا كملا وانت بامره لم تحفل والجسم
للنفس النفيسة الة ما لم تحصله بها لم تحصل يفنى وتبقى
دايما في غبطة او شقوة وندامة لا تنجلي اعطيت
جسمك خادما فخدمته اتملك المفضول رق الافضل
شرك كشيق ابن في حبالاته هيهات يملك الخلاص فعجل
من يستطيع بلوغ اعلى منزل ما باله يرضى بادنى منزل
يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته وتطلب الربح فيما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضايلها فانت بالنفس لا بالجسم انسان
ليحقق العبد [illegible] بانه سبحانه هو [illegible]
لكونا الكون واحتكاره منه الاقدار [illegible]

[illegible]

إذا علم العبد أن الله تعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر
إليه فكل ما يورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغي
له أن لا يكترث بذلك ولا يبالي به فإنه لم يبعد منه الاختيار
فليحسن به ظنه وليعتقد أن ذلك اختيار له وأن له في ذلك
مصالح خفية لا يعلمها إلا هو كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا
شيئا وهو خير لكم قال أبو طالب المكي في هذه الآية فالعبد
يكره العلة والفقر والخمول والضر وهو خير له في الآخرة
وقد يحب الغنى والعوافي والشهرة وهو شر له عند الله
تعالى وأسوءها عاقبة وفي معنى قوله تعالى وأسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة قيل الظاهرة العوافي والباطنة البلاوي
لأنها نعمة في الآخرة فإذا مهما يصيب المؤمن فهو
نعمة كما بينا ما كانت خلته الحمد على نعمه قال في التنوير
إنما يقويهم على حمل أقداره شهود حسن اختياره
وأشرف فيه لنفسه • وخفف عني ما ألاقي من العنا بأنك
أنت المبتلي والمقدر • وما لامرئ عما قضى الله معدل
وليس له منه الذي يتخير • وكان الأستاذ أبو علي الدقاق
يقول خرج بي نبت مرة وكنت في صورة وحشة من ذلك فدخلت
الحمام ففتح على قلبه بشيء من الرضا فكنت ألتمس لو أحد
من تلك القروح خرجت ولم يبق منها أثر وقال الأستاذ
أبو القاسم القشيري رحمه سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق
يقول في آخر عمره وقد اشتدت به علة فقال من أمارات

التأييد

التأييد حفظ التوحيد في أوقات الحكم ثم قال
كالمفسر لقوله مشيرا إلى ما كانت فيه منه حالة هوت
بقرضكم بمقاريض القدرة وإمضاء الأحكام قطعة
قطعة وأنت شاكر حامد وقال الجنيد كنت نائما
عند سري السقطي فأنبهني وقال يا جنيد رأيت
كأني قد وقفت بين يديه فقال لي يا سري خلقت الخلق
فكلهم ادعوا محبتي وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم
أعشارهم العشر وبقي معي العشر فسلطت عليهم
ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر
فقلت للباقين معي لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم
ولا من النار هربتم ولا من البلاء فررتم فماذا تريدون
قالوا إنك لتعلم ما نريد فقلت لهم إني مسلط عليكم
من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا يقوم له الجبال الرواسي
أتصبرون قالوا إذا كنت أنت المبتلي فافعل ما شئت
فهؤلاء عبادي حقا • من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك
لقصور نظره • قصور النظر هو عدم رؤية اللطف في القدر
من ضعف اليقين وقلة حسن الظن بالمقدر الحكيم
إذ لو كمل نظر العبد وقوي بصر الرأي في ذلك من
الفوائد والمنافع ما لا يحصى ما غاب عنه الشر ولكان
كما روي عن بعض الصالحين العارفين أنه قال لقد
مرضت مرضة فأحببت أن لا تزول وكانت عمرتني المحبة

وبقي معي العشر وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر وبقي معي عشر العشر وخلقت النار فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر صح

قد انشق بطنه فلبث ملقى على ظهره مستلقيا ثلثين سنة
لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد وكان
تحته نقب لغائطه وبوله فدخل عليه مطرف واخوه
العلاء بن الشخير فجعل يبكي لما راى من حاله فقال لم
تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبكي
فان احبه الي احبه الى الله تعالى ثم قال احدثك بشيء لعل
الله تعالى ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملائكة
تزورني فانس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها وقال بعضهم
دخلنا على سويد بن منعة نعوده فراينا ثوبا ملقى فما ظننا
ان تحته شيئا حتى كشف فقالت امراته اهلي فداك ما نطعمك
وما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف واصبحت
نضوا لا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما
ثم قال وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر فهؤلاء
شاهدوا في بلاياه عطاياه وفي محنه منته وفي منعه
لطفه فاوجب لهم ذلك من الرضا ما هو فيه والتنعم به
والتلذذ بما حل بهم على ان لا يحبوا زواله عنهم
ولا نقصانه ووجوه الالطاف والمنن في البلايا لا تحصى
كلها لكنا نذكر منها ههنا ما يزداد المريد به قوة وجد
لطف ربه عز وجل ويحمله ذلك على القيام بواجبها
فنقول البلايا التي يبتلي الله تعالى عباده بها منا نقصة
لازدادانهم ومنقصة لشهواتهم وكلها ازعاج للنفس ونقصها

والمها

صح
فانس
نسخة
شقبة

والمها فهو محمود العاقبة من قبل ان ذلك زاد له
الى الله تعالى وملازمته بابه بصدق اللجا والافتقار
وهذا هو اعظم فوايد البلايا ويجوز لكن من نفسه
كل من نزلت به بلية او اصابته رزية وفيها ايضا
ضعف النفس وذهاب قوتها وبطلان صفاتها اذ بوجود
ذلك يقع العبد في الذنوب والمعاصي وتمكن منه
الرغبة في الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد قيل
لا يخلو المومن من علة او عيلة او قلة او ذلة وفي الخبر
عن الله تعالى الفقر سجني والمرض قيدي احبس بهما
من احببت من عبادي وفيها ايضا تحصيل طاعة القلوب
واعمالها وذرة منها خير من امثال الجبال من اعمال الجوارح
وذلك مثل الصبر والرضا والزهد والتوكل وحب لقاء الله
تعالى قيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه ههنا
رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال حبيبي اخبرني عنك
هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل
رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصلوة والصيام
قال نعم قال لولا اني استحي منك لاخبرتك ان معاملتك
له خمسين سنة مدخولة قال ابو طالب المكي اراد بذلك
انه لم يرفعك عملك الى مقامات المقربين فيوجدك
مواجيد العارفين فيكون مزيدك منه اعمال القلوب
التي يستعملها كل محبوب مطلوب لان القناعة به حال
الموقنين والانس مقام المحبين والرضا وصف المتوكلين انما

مطلب عظيم
في عمل اعمال القلب
افضل من اعمال الجوارح

انت عنده في طبقة اصحاب اليمين فمن يدرك منه
مزيد العموم من اعمال الجوارح وهذه اشارة الي ما
قلنا من افضلية اعمال القلوب على اعمال الجوارح فمن
وفقه الله تعالى الى منازل هذه المقامات وتوفية حقوقها
في البلايا النازلة فقد حصل على كنوز البر وحكى ابو
اسحق بن ابرهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله تعالى
في كتاب النصائح له ان عروة بن الزبير ابتلي بقرحة
في ساقه فبلغت الي نشر عظم ساقه في الموضع الصحيح منها
فقال له الاطباء الا نسقيك مرقدا فلا تحس بما نصنع بك فقال
لا ولكن شانكم بها فنشروا الساق ثم حسموها بالنار فما حرك
عضوا ولا انكروا منه حتى مسته النار فما زاد على ان قال
حس واصيب حينئذ بابنه محمد وكان من احب ولده اليه — مثل قول القائل عند الوجع اخ
فلما راى القدم بيد بعضهم قال اما ان الله تعالى يعلم
اني لم امش بها الى معصية قط ثم قال يا غلام اغسلها وكفنها
وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول اللهم لئن اخذت
لقد ابقيت ولئن ابتليت لقد عافيت ولئن اخذت لطالما
ما اعطيت وذكر ابن قتيبة في عيون الاخبار عن المدايني
قال قدم رجل ضرير من عبس مخطوم الوجه على الوليد
فساله عن سبب ضرره فقال بت ليلة في بطن واد ولا اعلم
على وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل
اذهب ما كان من مال واهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا
صعبا فند البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير

لاحبسه

لاحبسه فما جاوزت الا ورأس الولد في فم الذئب
قد اكله فتركته واتبعت البعير فاستدار فرمحني
رمحة حطم بها وجهي واذهب عيني فاصبحت لا ذا مال
ولا ذا اهل ولا ذا ولد ولا ذا ابدن فقال الوليد — بصر صح
اذهبوا به الي عروة ليعلم ان في الناس من هو اعظم
بلاء منه وروى عن عبد الواحد بن زيد انه خرج مع
بعض اخوانه الى ناحية من نواحي البصرة فاواهم
المبيت الى كهف جبل فاذا فيه عبد مقطع بالجذام
يسيل جسده قيحا وصديدا فقالوا يا هذا لو دخلت
البصرة فتعالجت من هذا الذي بك فرفع طرفه الى السما
وقال سيدي باي ذنب سلطت علي هولا يسخطوني
عليك ويكرهوني اليك سيدي لك العتبى من ذكر الذنب
واستغفرك منه ولا اعود فيه ابدا ثم اعرض عنا بوجهه
فانصرفنا وتركناه وروي عن بشر بن الحارث الحافي
قال رايت ببغداد ان رجلا قد قطعه البلا وقد سالت
حدقتاه على خديه وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر
لله قال واذا هو قد خرج من جنة به قال فوضعت — صرع صح
راسه في حجري وجعلت اسال الله تعالى ان يكشف ما به
واغوثا فافاق فسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي
يدخل بيني وبين ربي و يعترض عليه في قسمته علي ونحا راسه
من حجري قال بشر فاعتقدت ان لا اعترض على عبد في نعمة ابدا

مطلب شريف في نزول المصائب والبلايا بالإنسان وما فيها من الثواب وما يقال للمريض الى آخر الحكمة

عليه من البلاء وقد روي في بعض الأخبار أن
يونس وجبريل عليهما السلام التقيا فقال يونس
لجبريل دلني على أعبد أهل الأرض فأتى به على
رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه فإذا
هو يقول متعتني بهما حيث شئت وسلبتهما حيث شئت
وأبقيت لي فيك الأمل يا بر يا وصول فقال يونس
يا جبريل إنما سألتك أن تريني صواما قواما قال
إن هذا كان قبل البلاء هكذا وقد أمرت أن أسلبه
بصره فأشار إلى عينيه فسالتا فقال متعتني بهما حيث شئت
وسلبتهما حيث شئت وأبقيت لي فيك الأمل يا بر يا وصول
فقال جبريل تعال ندعو وندعو معك أن يرد الله عليك
يديك ورجليك وبصرك فتعود إلى العبادة التي
كنت فيها فقال ما أحب ذلك فسئل ولم قال إذا كانت
محبته في هذا فمحبته أحب إلي من ذلك قال يونس
يا جبريل بالله ما رأيت أحدا أعبد من هذا فقال جبريل
يا يونس هذا طريق لا يوصل إلى رضاه بشيء أفضل
منه وفي الخبر إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه
وإن رضي اصطفاه وفيها أيضا يحصل له كفارة الذنوب
والخطايا ولا سبيل له إلى ذلك إلا بما يرد عليه من النوائح
والبلايا لأن العبد قد يضعف عن القيام بوظائف الطاعات
ويتكاسل عن المواظبة على نوافل الخيرات فيكون حينئذ

نسخة: متعني بهما حيث شاء وسلبنيهما حيث شاء

محروما

محروما من ثوابها غير حاصل له تكفير سيئاته بها وإن قدر
عليها ولم يتكاسل عنها من له بتخليصها عن الشوائب وسلمها
من الآفات والمعايب وحينئذ يبطل عمله ويخيب
انتفاعه به أصلا فليحسن العبد ظنه بمولاه وليعلم أن
ما اختاره له خير مما يختاره لنفسه بشهوته وهواه
فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للرجل
الذي قال له أوصني قال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك
وذكر مسلم رحمه الله من حديث صهيب رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لأمر المؤمن إن
أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء
فشكر كان خيرا له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا
له وذكر البخاري ومسلم رضي الله عنهما في صحيحهما من
حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما
أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب
المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم
يهمه إلا كفر الله به من سيئاته وذكر أيضا من حديث عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط
عنه به من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها وذكر البخاري ومسلم
أيضا رحمهما الله من حديث عائشة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يشاك بشوكة

بيان الشوائب

بيان له خير وليس لأحد

نسخة: كله له خير / كله عجب وليس

فما فوقها الا كتب الله له درجة ومحيت عنه بها خطيئة
وذكر البخاري ايضا رحمه الله عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يُصِبْ منه وفي حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض اذا برئ وصح
من مرضه كمثل البَرَدة تقع من السماء في صفائها ولونها
وروي عن عيسى عليه السلام انه قال لا يكون عالما من
لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله
لما يرجو بذلك من كفارة خطاياه وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم اخبار كثيرة في الحمى والعمى وغير ذلك ذكر
البزار من حديث ابي سعيد الخدري انه دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه حمى فوجد حرها
من فوق الثياب فقال ما اشدها عليك يا رسول الله
فقال انا كذلك يشدد علينا البلاء ليضاعف لنا الاجر
قال يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم
الصالحون ان كان احدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد
الا عباءة يحويها وان كان احدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح
احدكم بالرخاء وقيل في معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المتطهرين اي من الاثام
والذنوب بالحمى والامراض وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما يروى عنه الحمى تذهب الخطايا وقد روي

روايه اللحاف

وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله صح

بعض

بعضه الاخبار بذلك من اهل قبا الانصار ففيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم راى يوما شخصا اسود فقال من انت
فقالت انا ام ملدم آكل اللحم واشرب الدم وحري من
فيح جهنم صورة الحمى فقال عليه الصلاة والسلام اذهبي
الى الانصار فانهم علينا عقوقا فاصبح النبي صلى الله عليه وسلم
فلم ير احدا منهم لا ينصار حضر الصلاة فطلبهم فقيل له اخذتهم
الحمى فقال قوموا بنا نعودهم وقال لهم الحمى طهارة وكفارة
فقالوا يا رسول الله ادعوا الله حتى يزيدنا منها وذكر مسلم
من حديث جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم دخل على ام السائب او ام المسيب فقال ما لك يا ام
السائب او يا ام المسيب تزفزفين فقالت الحمى لا بارك الله
فيها فقال لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب
الكير خبث الحديد وذكر البزار من حديث انس بن مالك
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
عز وجل قال اذا ابتليت عبدي المؤمن بحبيبتيه ثم
صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه كذا قال في آخر
الحديث من قول احد الرواة والحبيبتان هما العينان
وهما الكريمتان ايضا وروى انس بن مالك وابا هلال
كانا في بيت ثابت البناني فقال انس يا ابا هلال امتى فقد
بصري قال لا انا صبي لا اعقل قال الا احدثك حديثا حدثنيه
حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه عن جبريل

مطلب في النهي عن سب الحمى

عليه السلام ويرويه جبريل عن ربه عز وجل قال يا جبريل
ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا
قال جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي ومن طريق
هلال بن سويد وهو أبو ظلال أنه لمذكور أنه سمع أنسا
يقول مر بنا ابن أم مكتوم فسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألا أحدثكم ما حدثني به جبريل عليه السلام عن
هذا وقد نائه الذين ذهبت أبصارهم قال صلى الله عليه
وسلم حدثني جبريل أن الله عز وجل يقول حق على من
أخذت كريمتيه ليس له جزاء إلا الجنة وفي حديث بريدة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أصيب عبد بعد ذهاب دينه بأشد
من ذهاب بصره وما ذهب بصر عبد فصبر إلا لقي الله ولا
حساب عليه وذكر البخاري ومسلم رضي الله عنهما من حديث
ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة سوداء أتت النبي صلى
الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إني أصرع وإني أتكشف
فادع الله لي قال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت
دعوت الله أن يعافيك قالت أصبر قالت إني أتكشف
فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها إلى غير ذلك مما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا مما لا يحصى لكثرته وفيه
أيضا تحصل له تجديد التوبة وأداء الحقوق والتباعد
والظلامات وكثرة الاستغفار ورحمة التذكار وكثرة
ذكر الموت إلى ذلك إلى بلغ ما يذكر به فقد قيل في كل حي

بريد

لحك واضرابه

الباب ع

مطلب في ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وما يكتب للمريض حال مرضه من الأعمال

يريد الموت وقد قيل في قوله تعالى أولا يرون أنهم يفتنون
في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون
أي يختبرون بها وفي حديث عائشة وأنس رضي الله
عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة
غير شهيد قال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفي لفظ الحديث
الآخر يذكر ذنوبه فيحزنه وقد كان السلف يتوحشون
إذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس أو مال
ويقال لا يخلو المؤمن في كل أربعين يوما أن يروع بروعة
أو يصاب بنكبة وكانوا يكرهون فقد ذكر في هذا
العدد من غير أن يصابوا فيه بشيء ومنها أيضا تقع له
خلف يفوته من الطاعات ومن أعمال العبادات فيكتب له
في مرضه مثل ما كان يعمله من ذكر في صحته وذكر أن يبلغ
له في الوصول إلى غرضه لأنه من اختيار الله تعالى
وهو خير له مما اختاره لنفسه وفي الخبر يقول الله تعالى
للملكين اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله في صحته فإنه في وثاقي
إن أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه
فإن توفيته توفيته إلى رحمتي وفي الحديث الصحيح من حديث
أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل صحيحا
مقيما إلى غير ذلك من الألطاف التي لا نعلمها وإنما ذكرنا
هذه المعاني ههنا منها لا يقدر بكلام المؤلف رحمه الله تعالى

ويجزع ويسخط

وكانت معرفة له وابعادا فات العبد محتاج اليها غاية الاحتياج
لانه في محال نزول البلايا يتسخط ويجزع ويطعن بعض ذلك
ايمانه وبنزول ابتلائه فيحتاج الى من يذكره بامثال
هذه المعاني ليحصل له بذلك من الرضا وحسن التلقي بالبد
ه والتحقق لهما يرجى له بذلك ان مات من فوره بحسن الخاتمة
ووجب لقاء الله تعالى والاعمال بخواتيمها وهذا هو الغرض
هو الذي اوجب لنا في هذا الفصل الاكثار من الحكايات
وايضا رسمنا اكثر الاحاديث فيه الى رواتها الثقات
لتطمين قلوب اهل البلا بذلك وتسليتهم الى الله تعالى
واضحات تلك المسالك والله ولي التوفيق لا يخاف عليك
ان تلتبس الطرق عليك وانما يخاف عليك من غلبة
الهوى عليك الطريق الى الله تعالى واضحة لائحة لان الحق
تعالى هو الذي تولى ذلك وبه انزل الكتب وارسل الرسل
ونصب عليه الادلة والبراهين فلا يخفى على العبد التباسها
عليه وانما يخاف من غلبة الهوى عليه حتى يعميه ذلك عن
رؤيتها قال احمد بن خضرويه البلخي الطريق واضح والحق
لائح والداعي قد اسمع فما التحير بعد هذا الا من العمى سبحان
من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة
الربوبية في اظهار العبودية سر الخصوصية هو حقيقة
المعرفة التي اختص بها اولياء الله تعالى بحيث لا يبقى معها وجود
لغير ولا كون وذلك بما جعلهم فيه من التحقق والقابلية

العمي

اهل ح

فمن

فمن لطف حكمة الله تعالى ان ستر ذلك بما اظهره من الاوصاف
التي من لوازمها وجود الغير والكون ولولا هذا الستر لكان
سر الله مبتذلا غير مصون كما قال [illegible]
ولابد للشمس من سحاب وللسحاب من نقاب فثمرات من
حقيقة ظهور البشرية الاتصاف بصفة الافتقار والاحتياج
وغير ذلك من اوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة التعبد
والتذلل فظهر لنا من ذلك لزوم وجود اله معبود وهذه
هي عظمة الربوبية التي ظهرت لنا من وراء حجاب العبودية
ولولا ذلك لكانت باطنا لا يظهر كما قال سيدي ابو الحسن الشاذلي
العبودية جوهرة اظهرتها الربوبية فسبحان اللطيف
الخبير ومن هو على كل شي قدير والتسبيح الذي ذكره المؤلف
رحمه الله هنا في غاية المناسبة لما ذكره من المعنى
لا تطالب ربك بتاخير مطلبك ولكن طالب نفسك بتاخير
ادبك اذا دعوت ربك وسالت مطلبا من المطالب ولم
يظهر لك اجابة تحسن به ظنك ولا تطالبه بالوفا بذلك فانه
يفعل ما يشا ولا يسال عما يفعل ولكن طالب نفسك بتاخير
ادبك فانها اهل المطالبة وسو ادبها من وجوه احدها
انك دعوت لتجاب في دعائك ليحصل لك بذلك غرض وهو
مما يقدح في كمال عبوديتك وسياتي هذا المعنى عند قوله
لا يكن طلبك سببا الى العطا منه فيقل فهمك وليكن طلبك
لاظهار العبودية وقياما باحكام الربوبية والثاني

اعتقاد كل انه لم يستجب لك ان ظهر لك عدم الاجابة منه
وليس ثم شرك الاجابة ان لم تظهر لك بل يخفيها عنك غالبا ذلك
من المصالح والاجابة اليه امرها يجعلها ما شا مما تعلمه
او تجهله وقد تقدم من هذا المعنى عند قوله لا يكن تاخير
امد العطاء مع الالحاح في الدعاء موجبا لياسك اى اخره والثالثة
وهو اشد منهما اعني اتهامك على ربك في حكمه ومطالبتك له
اذا تاخرت اجابتها عليك ثم ذكر المولف رحمه الله تعالى
الحالة التي اذا كان عليها العبد قام بحق الادب ووصل
الى غاية الارب فقال من وجدك في الظاهر متثلا لامره
ورزقك الاستسلام لقهره فقد اعظم المنة عليك
هذان الامران هما اللذان يلزمانك في اقامة العبودية
لربك لا غير فمتى يسرهما الله تعالى لك واقامك في مراعات
احكامهما ووفقك لذلك فقد اعظم المنة عليك فلماذا تتشوف
وما الذي تلتمس بعدهما ان كنت عبدا حقيقيا قال سيدي
ابو الحسن صحبني اخ لي في الله تعالى في البداية واعتزلنا
في مغارة نتمنى ان نكون مع اولياء الله تعالى وان يفتح
الله علينا بما فتح الله عليهم فاقمنا زمانا نقول لعل
في هذه الجمعة لعل في هذا الشهر فلم يفتح الله علينا فنحن كذلك
واذا شيخ على باب المغارة يستاذن فاذنا له فدخل فلم
وقف قلنا له من انت فقال عبد الملك فعلمنا انه من
اولياء الله فقلنا له كيف حالكم فقال كيف حال كيف حالكم
يردد ها

اى
ح

في الباطن
ح

يردد ها كالمنكر علينا ثم قال كيف حال من يقول لعله
في هذه الجمعة الاتون وليالي هذا الشهر الاتون وليا لا ولاية
ولا فلاح ولا دنيا ولا اخرة يا نفس لم لا تعبد الله كما يعبد
مخلصة لوجهه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا لغفلتنا من
اين دخل علينا وعلمنا ان الله رحمنا به فرجعت على نفسي
باللوم والتوبيخ وقلت لها يا نفس من انت وما عملك
وما خطرك انت لا شيء وتبنا واستغفرنا الله تعالى فلما كان
ففتح علينا بجوده وكرمه وفضله ليس كل من تخصيصه
كمل تخليصه التخصيص معناه ان يظهر الحق سبحانه على
بعض عباده اثر لعنايته وتولية لخدمته ورعايته
فمنهم من يستمر له ذلك حتى يتحقق بالعرفان ويتخلص
عن رؤية الاعمال والاحوال وهؤلاء هم خواص المقربين
اهل العلم بالله والجذبة ومنهم من يوقفه عن بلوغ ذروة
الكمال ويحجبه في حاله بما يلتذ به من علوم او اعمال
وهؤلاء عامة المقربين وخاصة اصحاب اليمين العباد
والزهاد واهل المجاهدة والاوراد وهؤلاء اذا شاركوا
الاولين فيما يختصهم الحق تعالى من ظهور الكرامات
وفيما يمنحهم اياه من القيام بوظائف الطاعات والعبادات
فلم يتخلصوا من رؤية نفوسهم ولم يستكملوا مراعاة
حظوظهم بل هم ساكنون اليها واسباب مختلطون بوجود

ثبت

مطلب في الكرامات

دات

الحجاب وقد يختص تعالى قوما باظهار الكرامات على ايديهم
وبسببهم تسلية لانفسهم وتثبيتا لليقين في قلوبهم
ويمنعها الاولين لانهم لا يحتاجون اليها لما هم فيه من الرسوخ
في اليقين والقوة والتمكين كما قال صاحب عوارف المعارف
وقد يكون من لا يكاشف بشيء من معاني القدرة افضل ممن
يكاشف بها اذ كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة والقدرة
اثر القادر ومن اهل القرب القادر لا يستغرب ولا يستكثر
شيئا من القدرة ويرى القدرة تجلي من سجف حجب اعلام
الحكمة ويحكى عن الشبلي وقيل له ان ابا تراب ذكر
الدجاج في البادية فرأى البادية كلها طعاما فقال عبد
رفق به ولو بلغ محل التحقيق لكان كمن قال اني اظل ابيت
عند ربي يطعمني ويسقيني وقال في لطائف المنن واعلم
ان الكرامات تارة تظهر للولي في نفسه وتارة تظهر منه
لغيره فان ظهرت للولي في نفسه فالمراد تعريفه بقدرة
الله تعالى وفردانيته ووحدانيته وان قدرته لا تتوقف
على الاسباب وان العوائد ليست حاكمة عليها بل هي حاكمة
عليه وانما جعل العوائد والاسباب والوسائط
حجب قدرته وسحب شمس احديته فمن انفتح عندها محذول
ومن قدمنا اليها بالعناية موصول قال وقال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى
بالعلم والقدرة والارادة والصفات الازلية لجميع لا يفتقد
وامر

وامر لا يفقد كانها صفات صفة واحدة قائمة بذات
الواحد ايستوي من تعرف اليه الله بنوره كمن تعرف
الى الله بعقله ولاجل انها تثبت لمن اظهرت له ربما
وجدها اهل البدايات في بداياتهم وفقدها اهل النهايات
في نهاياتهم اذ ما عليه اهل النهايا من الرسوخ في اليقين
والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى مثبت ولقد كانت
الملوك لم يحجبهم الحق سبحانه وتعالى الى وجود الكرامات
الحسية لما اعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الالهية
ولا يحتاج حينئذ اليهم سائر الكرامة رافعة للزلزلة والشك
في المنة ومعرفة تفضله تعالى فيمن اظهرت عليه وشاهدة
له بالاستقامة مع الله تعالى والناس في الكرامات على ثلثة
اقسام قوم يجعلونها غاية الامر فان وجدوها عظموا
من ظهرت عليه وان فقدوها لم يتوجهوا اليها لتعظيم اليه
وقسم قالوا وما هي الكرامات انما هي خدع تخرج بها اهل
الارادة ليقفوا على حد وهم حتى لا يلحقوا مقاما ليس هو
لهم حتى قال ابو تراب النخشبي لابي العباس لم في ما يقول
اصحابك في هذه الامور التي يكرم الله بها عبيده فقلت
ما رأيت احدا الا وهو مؤمن بها فقال ابو تراب من لم
يؤمن بها فقد كفر انما سألتك عن طريق الاحوال فقلت
ما اعرف لهم قولا فقال ابو تراب بلى قد زعم اصحابك
انها خدع من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع في حال

السكون اليها فاما من لم يفرح بها ولم يسكن اليها فتلك
من شيمة الربانيين وكان هذا من ابي تراب رضي الله عنه
بعد ان عطش فضرب الارض فنبع الماء فقال فتى اريد
ان اشربه في قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا من
زجاج ابيض فشرب وسقانا قال ابو العباس الرقي وما زال
القدح معنا الى مكة قال الشيخ ابو الحسن ومن القول الفصل في
ذلك انه لا ينبغي ان تطلب الا دوام الادب مع الله تعالى ومن ظهرت
عليه غطى لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى قال
والقسم الثالث وهو ان تظهر الكرامات للولي لغيره
فالمراد منه تعريفا للعبد الذي شهدها بصحة طريق
هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة اما ان يكون جاحدا
فيرجع الى الاعتراف او كافرا فيعود الى الايمان او شاكا
في خصوصية هذا العبد فاظهرت ليعرف ما له بما فيه
من ودائع الاحسان انتهى كلامه وقال ابو نصر السراج
سالت ابا احمد بن سالم فقلت ما معنى الكرامات
وهم قد اكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا وكيف
اكرموا بان يجعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك فقال
لا يعطيهم ذلك لقدرها ولكن يعطيهم ذلك حتى
يحتجوا بذلك على انفسهم عند اضطرابها وحركتها من خوف
الرزق الذي قسم الله لهم فيقولون الذي يقدر على
ان يصير تلك الحجارة ذهبا كما هو ذا ننظر اليه بالبصر قادر

ان

ان يصير تلك الحجارة ذهبا لهما يسوق اليكم رزقكم
من حيث لا تحتسبه فيحتجوا بذلك على تحريج نفوسهم عند فوت
الرزق وتنقطعون بذلك تحريج نفوسهم فيكون ذلك سببا
لرياضتها وتاديبا لها قال ابو نصر وقد حكى لنا ابن
سالم في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضي الله
عنه انه قال كان رجل بالبصرة يقال له اسحق بن احمد وكان
من ابناء الدنيا فخرج من الدنيا ... عن جميع امواله وتاب
وصحب سهلا فقال يوما لسهل يا ابا محمد ان نفسي هذه ليست
تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت القوت والقوام
فقال له سهل خذ ذلك الحجر وسل ربك ان يصيره لك طعاما
تاكله فقال له ومن امامي في ذلك حتى افعل فقال ابراهيم
عليه السلام حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم
تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي المعنى في ذلك ان النفس
لا تطمئن الا برؤية العين لان جبلتها الشك فقال ابراهيم
رب ارني كيف حتى تطمئن نفسي فاني موقن بذلك والنفس
لا تطمئن الا برؤية العين قال فلذلك الاولياء يظهر الله
لهم الكرامات تاديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة
لها انتهى كلام ابي نصر وقال بعض العلماء ما رايت هذه
الكرامات الا على ايدي البله من الصديقين وكان
صحبت سهل بن عبد الله فقال له يوما ربما اتوضا للصلاة
فيسيل الماء من بين يدي قضبان ذهب وقضبان فضة

مطلب في تقليب الحجر طعاما وذهبا وفوران الماء الى اخر الحكم

تحيي الموتى

فقال سهل اما علمت ان الصبيان اذا بكوا اعطوا
خشخاشة ليشتغلوا بها وفي حكاية جعفر الخلدي عن
الجنيد قال جاءنا ابو جعفر النيسابوري بصره ومعه
عبد الله ومعه جماعة وكان فيهم رجل اصلع قليل
الكلام فقال يوما لابي جعفر كان فيما مضى تظهر
الايات الظاهرة يعني الكرامات وليس لك شيء من ذلك
فقال له ابو جعفر تعال فجاء به الى سوق الحدادين الى
كير عظيم فجا فيه حديدة عظيمة فادخل يده في الكير
فاخذ الحديدة المحماة فاخرجها فبردت في يده فقال
له يجزيك هذا قيل لبعضهم عن معنى المجاوزة لكن من
نفسه فقال كان مشرفا على حاله فخشي على حاله ان يتغير
عليه ان لم يظهر له ذلك فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة
لحاله ومزيادة لايمانه بل ربما نفر عنها العارفون
ويخافون منها المحققون قال بعض السلوك انما يخادع
به الاولياء الكرامات والمعونات وذكر عن ابي جعفر
او غيره انه كان جالسا وحوله اصحابه قال فنزل الطير
من الجبل فبرك عندهم قال فبكى ابو جعفر فقيل له مم بكاؤه
فقال لقد حوى موقع في قلبي ان لو كان اشاة لذبحت لكم
فلما مر هذا الطير علي تاسبت نفسي لو عوتبت سالت الله
ان يحركه عن البيت فاجراه معه فبكيته وسالته الا قاله
مما تمنيت وشبهتني للطير ويحكى ان بعض الابدال قال لتلميذ
من

من تلاميذ الشيخ ابي مدين ما بالنا بعثنا على غيبنا شيء
وهو بعثنا عن علية احوال الامور مع انا نتمنى المقامه
ولا يتمنى مقامنا فبلغ ذلك الشيخ ابي مدين فقال له تركنا
مراد نالم مراده وعن بعضهم انه كان يسير في البادية
فانتهى الى بير فاذا الماء ارتفع الى راس البير فقال
انا اعلم انك قادر على هذا ولكن لا اطيقه فلو قبضتني
بعض الاعراب ليصفعني صفعات ويسقيني شربة ماء كان
اسلم لي ثم اعلم ان ذكر الرفق ليمنحهم فالحق قال يحيى
بن معاذ الرازي اذا رايت الرجل يشير الى الكرامات
والايات فطريقه طريق الابدال واذا رايته يشير الى
الالاء والنعماء فطريقه طريق المحبين واذا رايته يشير
الى الذكر ويكون معلقا بالذكر الذي ذكر فطريقه طريق
العارفين وهو اعلى درجة من جميع الاحوال وقال ابو
يزيد كنت في بدايتي يريني الحق تعالى الكرامات والايات
ولا التفت اليها فلما راى ذلك جعل لي الى معرفته سبيلا
لا يستحقر الورد الا جهول الوارد يوجد في الدار الاخرة
والورد ينطوي بانطواء هذه الدار واولى ما يعتنى
به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد
انت تطلبه منه واين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه
الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة
او باطنة والوارد هو الذي يرد على الخاطر العبد من

لطائف والأسرار فينشرح بها صدره ويستنير بها سره
فالورد ما هو من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية
والوارد ما هو من الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة والورد
أحق ما يعتني به العبد ويراعيه من الوارد لوجهين
أحدهما أن الورد مختص بهذه الدار لا يقع إلا فيها وهو
منقطع بانقطاعها وكان بفنائها فينبغي للعبد أن يستكثر
من الأوراد قبل فوات أزمانها إذ لا يمكنه تلافي ما فات منها
والثاني أن الورد هو حق الحق منك والوارد هو حظك
منه وقيامك بحقه عليك أولى وأليق بالعبودية من
طلب حظك وتوفرك منها فإذا ثبتت مزية الورد على
الوارد باعتبار العبد وكان تحقيره من نهاية
الجهل وكان محتقره جهولا كما قال في لطائف المنن
فاعلموا أن الله أودع أنوار الملكوت في أصناف الطاعات
فأي من فاته من الطاعة صنف أو أعوزه من الموافقة
جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيئا
من الطاعات ولا تستغنوا عن الأوراد بالواردات
ولا ترضوا لأنفسكم بما رضي به المدعون أجرى الحقائق
على ألسنتهم وخلت الأنوار من قلوبهم وإن الحق لحكمته
جعل الطاعة الجارية على العباد متنوعة لما [illegible] الغيب
ثمت قاموا بالطاعة والمعاملة بشرط الأدب لم يحجبهم الغيب
عنه ولتطهر من العيب يفتح لك باب الغيب ولا تكن
من

وإنما يحجب الغيوب وجود العيوب صح

من يطلب الله لنفسه ولا يطالب نفسه لله فذلك حال
الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم
المدد من الله والمؤمن ليس كذلك بل المؤمن يطالب
نفسه لربه ولا يطالب ربه لنفسه فإن توقف الوقت
عليه استنكار ذنبه ولا يستبطئ مطلبه ثم ذكر كلاما كثيرا
وفي كلامه رحمه الله تنبيه على تأكد أمر الأوراد
وعظم موقعها من الدين وأن مراعاتها من أحسن
سمات العارفين وقد رؤي الجنيد وفي يده سبحة فقيل
له أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة فقال سبب وصلنا به
إلى ما وصلنا لا نتركه أبدا وكان يدخل كل يوم حانوته
ويسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة ثم يعود إلى بيته
ورؤي بعد وفاته في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال طاحت تلك
الإشارات وفنيت تلك العبارات وأبيدت تلك الرسوم
وغابت تلك العلوم وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها
في السحر وحكى أبو محمد الجريري قال كنت عند الجنيد رضي
الله عنهما في حال نزعه وكان يوم جمعة ويوم نيروز
وهو يقرأ القرآن فختم فقلت في هذه الحالة يا أبا القاسم
فقال ومن أولى مني بذلك وهو ذا تطوى صحيفتي
وقال أبو الحسن الزراد ذكر للجنيد أهل المعرفة بالله
وما يراعونه من الأوراد والعبادات بعد ما
لا تحفظهم به من الكرامات فقال الجنيد العبادة على

العارفين احد من التبجحات بما هي رؤوس الملوك وقال
ابو بكر العطار حضرت عند الموت في جماعة من اصحابنا
قال وكان قاعدا يصلي ويثني رجله اذا اراد ان يسجد
فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقل عليه حركتهما
فمد رجليه فرآه بعض اصدقايه فيمن حضره ذكر الوقت
وكانت رجلاه الى القاسم تورمتا فقال له ما هذا يا ابا القاسم
فقال هذه نعم الله اكبر فلما فرغ من صلوته قال له
ابو محمد الحريري يا ابا القاسم لو اضطجعت فقال يا ابا
محمد هذا وقت يؤخذ منه الله اكبر فلم يزل ذلك حاله حتى
مات رحمة الله عليه ورضوانه وقال الخضيري الناس
يقولون لا تشتغل بالنوافل وعلي اوراد من حال الشبا
لو تركت منها ركعة لعوتبت وقال محمد بن ثابت البناني
لما حضرت الي الوفاة جعلت القنه الشهادة فقال لي
يا بني دعني فاني في وردي السابع قال ابو طالب المكي
ومداومة الاوراد من اخلاق المؤمنين وطريق العابدين
وفيه مزيد الايمان وعلامة الايقان وفي الخبر ان
عايشة رضي الله عنها سئلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت كان عمله ديمة وفي لفظ اخر كان اذا عمل
عملا اتقنه واثبته وفي الخبر المشهور احب الاعمال الى الله
تعالى ادومها وان قل وجاء الاثر كالامر تارة يدرك
عن الحسن بن علي وتارة عن البصري ومرة عن عايشة رضي الله

عنهم

الجنيد صح

منية صح

الخضيري صح

قوله ديمة اي كان اذا عمل عملا يواظب عليه دوما حـ

عنهم وبعضهم يحكيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا
من امسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد فهو في نقصان
ومن كان في نقصان فالموت خير له وقد يكون اختبار الورد
من المكر والاستدراج للعبد ويكون مبدا ذلك ان
تلوح له خيالات وتظهر له صور كرامات توجب له استحسان
حاله واحتباس بطالته وفي ذلك رفض العبودية بالكلية
وهو اما زيادة لوجود الطرد والبعد والعياذ بالله
وصاحب هذا عظيم الجهالة شديد العماية وآثر الفلا لمنه
وقال الجنيد لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل اهل المعرفة
بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب فقال
الجنيد ان هذا قول اقوام تكلموا باسقاط الاعمال وهذه
عندي عظيمة والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول
هذا وان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله واليه
رجعوا فيها ولو بقيت الف عام لم انقص من اعمال
البر ذرة الا ان يحال بي دونها وانه لاكد في معرفتي
واقوى في حالي قال السهروردي في كتابه عوارف المعارف
فاما من تعوق بخيال او قنع بمحال ولم يحكم اساس
خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور
فيرفض العادات ويستحقرها ويسلبه الله لذة المعاملة
ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح في الدنيا فيعلم

الصادق ان المقصود من الخلوة التقرب الى الله
تعالى بعمارة الاوقات ولو الجوامع عن المكروهات بعضها
فيطلب القوم من ارباب الخلوة ملازمة الاوراد وتوزيعها
على الاوقات ويطلب القوم ملازمة ذكر واحد ويطلب لقوم
دوام المراقبة ويطلب لقوم بالانتقال من التلاوة الى الاوراد
والقوم لا انتقال عنه الا ورادا الى الذكر انتهى ما ينبغي
بغرضنا من كلام السهروردي وهو مناسب لما ذكره المولف
رحمه الله تنبيهين من هذا المعنى ما روي عن سليمان الداراني
واحمد بن عاصم الانطاكي انهما قالا اذا صارت المعاملة الى
القلوب استراحت الجوارح وان الا كان لها لله من عمل
فان ابا نصر السراج نسره بعد ان حكاه عن ابي سليمان
الداراني فقال هذا والذي قال ابو سليمان يحتمل معنيين احدهما
انه اراد بذلك استراحة الجوارح من المجاهدات والمكابدات
من الاعمال اذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من
الخواطر المشغلة والعلائق المذمومة التي تشغل عن ذكر الله
تعالى قلبه والاحتمال الثاني انه اراد بذلك انه يتمكن من المجاهدة
والاعمال والعبادة ويتبين وقته ويستلذ بها قلبه ويجد
حلاوتها ويستلذ عند التعب ووجود الالام التي كان يجدها قبل
ذلك ... والله اعلم وبه التوفيق
ورود الامداد بحسب ... شروق الانوار على
حسب صفاء الاسرار وورود الموارد الامدادية من الله

حسب
تعالى

تعالى على قلب عبده بحسب القوة الاستعدادية المجعولة
فيه وشروق الانوار اليقينية على حسب صفائه من كدر
التعلق بالاغيار والركون الى الاعمال الغافل اذا اصبح
نظر ماذا يفعل والعاقل ينظر ما يفعل الله به اي الخالد
يرد على العبد من ميزان توجيه فالغافل اذا اصبح اول
خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى نفسه فيقول ماذا افعل اليوم
فيشتغل بتدبير نفسه مصروفا عن النظر الى مولاه وذلك
لوجود غفلته عنه فهو حقيق بان يكله الله الى نفسه
فيشتت عليه قلبه ويتنغص عليه مراده والعاقل اي الخالد
غير بعليه نسبة الفعل الى الله تعالى فيقول ماذا يفعل
الله بي فهو ناظر الى الله تعالى والى ما يرد عليه وذلك
لوجود عقله ودوام يقظته فلا جرم يكفيه الله تعلقات
الاعمال ويفرغه من جميع الاشغال ويرضيه ويقر عينه
بما يقيمه فيه من الاعمال او يورده عليه من احوال الاعزة
سعادة عظيمة ومنة من الله تعالى لمن تولاه من جميع عباده
جسيمة قال عمر بن عبد العزيز اصبحت ومالي سرور الا في
مواقع القدر وقال ابو عثمان منذ اربعين سنة ما اقامني
الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته ومن
احلى ما رايت في هذا المعنى الذي ذكره المولف رحمه الله
وما يمكن ان يكون عبارة عنه كلاما في متصرف ما ذكر الشيخ
ابو القاسم عبد الرحمن الصقلي في كتاب صفة الاولياء

مطلب في حكاية عجيبة في تفويض جميع الامور لله تعالى

ومن اتباع احوال الاصفيا ما سنده الى ايوب بن بشر الكاتب القاضي
قال حدثنا رجل من اصحابنا قال رايت رجلا في مرج الديباج
ليس معه شي فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت
له يرحمك الله اين تريد فقال ما ادري قلت ارايت احدا
يريد مكانا لا يدري اين يذهب فقال انا واحد فقلت
اين تنوي قال الى مكة قلت تنوي مكة ولا تدري
اين تذهب قال نعم وذلك اني كم مرة اردت ان اذهب
الى مكة فيردني الى طرسوس وكم مرة اردت طرسوس
فيردني الى شاذان فيمشي الى مكة ولا ادري قلت فمن
اين المعاش قال لا ادري قلت اخبرني بما في ذلك
قال من حيث يريد يجيعني مرة ويشبعني مرة ويكرمني
مرة ويهينني مرة ومرة يقول لي ما على الارض ازهد منك
ومرة يقول لي انت لص ومرة ينومني على الفراش
ويطعمني الطيب ويرفع راسي ويكرمني ومرة
يطردني الطرد العنيد ولا ينومني الا عند النواويس
قلت له يرحمك الله من يفعل ذلك بك قال الله عز وجل
قال فالتفت خلفي فقلت تذكر رحمك الله كيف هذا قال
انا رجل اسير بنهاري فاذا ما جن الليل بت قريبا باوي
الليل الى قرية فاذا نظر اهلها قال بعضهم لبعض هذا
لص لا تدعوه يبيت في هذه القرية فاذا
صلينا العشا الاخرة يدخل المسجد رجل فيقول يا ناير

ما قول

عبادان صح

الضيف صح

حتى المزابل

ما قول لبيك فيقول يا لص قم من عندنا ليس لك ههنا موضع
فاقول له نعم وكرامة فاين ابيت الليلة فيقول خارج
القرية عند النواويس فاقول نعم وكرامة لا يكون ماوي
الا عند النواويس فاذا اصبحت سرت فاويني الليل الى قرية
فاذا راني اهلها قال بعضهم لبعض قد ورد علينا الليلة
رجل زاهد خير فاضل فيقول هذا عندي يبيت ويقول هذا
عندي يبيت فاذا صليت العشا الاخرة فيقول رجل منهم قم بنا
الى البيت فاقول نعم وكرامة وامضي معه الى المنزل فياتيني
بالطعام الطيب ويرفع راسي ويكرمني وياتيني بالفراش
اللين فينومني عليه ولا يدع شيا من البر الا فعله حتى اصبح
فهذا حالي مع حبيبي فقلت رحمك الله متى قدرت ان تدخل
بغداد فان منزلي في موضع كذا وكذا قال فانا قاعد اذا بانسان
يدق الباب فخرجت فاذا انا بصاحبي فسلمت عليه وادخلته البيت
فقلت له ايش صنع بك سيدك قال اخر ما فعل بي ضربني ضربا شديدا
وقال لي يا لص انظر الى ظهره فاذا باثر الضرب عليه فقلت
اي شي القصة قال كانت ايام عسر جوع شديد فلما بلغت الانبار
جئت الى مقثاة فيها بطيخ فيه المزروع ثمر فقعدت اكل منه فتنبه
صاحب المقثاة فاقبل الي بعصاه فجعل يضربني ضربا ويقول يا لص
ما خرب مقثاتي غيرك منذ كم ارصدك حتى وقعت عليك قال فاذا
بفارس قد اقبل مسرعا اليه فقلب السوط في راسه وقال
تعمد الى رجل زاهد فتضربه وتقول له هذا يا لص قال فكانت

باسرع بين ان كنت عنده لصلاة ذهبت ز اهدا الاكاحد تشتك
فقال فاخذ بيد صاحب المشاة ليذهب بي الى منزله فما
التقاني من الكراهة شيئا فاستحلني فخرجت من عنده وجئت الى البيت
وقد يكون من معنى نظره الى ما يفعل الله به ان ينظر ما يرد
على قلبه من الاشارة من قلبه فيكون اقدامه واحجامه
بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا اميرات شريف اقتضاه
دوام التجاية وصدق افتقاره قال سيدي ابو مدين
قدس الله روحه احرص ان تصبح وتمسي مفوضا متسلما لعله
ينظر اليك فيرحمك وقال بعضهم من اهتدى الى الحق
لم يلتفت لنفسه ومن اهتدى الى نفسه لم يهتدي الى الله
فانظر اذا استقبلك شغل فان عاد قلبك في اول وهلة
الى حولك وقوتك فانت المنقطع عنه وان عاد قلبك الى
الله فانت الواصل الى الله وكلا العالم في نفسه وتخصيص
اهل الوصلة بانهم في كنف الولاية لم يكلهم الى غيره
ولم يتميز هذا المعنى بعمرة الحديبية وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما صده المشركون فيها عن مكة ومنعوه من
ان يتم بين اظهرهم نسكه رجع في الحال عن تلك
العمرة ولم يتعرض لهم بما يحصل له به في الظاهر عمرة
او نصرة بعد ما كان دعى اليه من بيعة الرضوان ثم اشتد
وما عزم عليه من مناجزة من حاده من الكفرة وحمد في ذلك
على ما اظهر اليه من اياته العظام من بروك ناقته لما اراد

تو

حتى تعلمه مني

رجل

توجيههما الى البيت الحرام وقال حينئذ مظهر الما قصده
ومعتذرا اما اعتمده انما حبسها حابس الفيل لا يدعوني اليوم
قريش الى خطة فيها صلة الرحم الا اجبتهم اليها فكانت كما قال
صلى الله عليه وسلم اصالحهم على وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين
ليتقلبوا في الارض امنين فلما انعقدت بينهم الصلح
وانزل الله تعالى سورة الفتح ظهرت الفوائد التي تضمنها
ذكرها التدبير الحسن وقرت اعين الصحابة رضي الله عنهم
بما برز اليهم من الالطاف ومنه وقد صح بمعنى جميع
ما قلنا الخبر ونقله الينا علماء الحديث والسير والبيان
من دعا صاحب هذا المقام ومناجاته ليتوافق عقده وقوله
في جميع تصرفاته اللهم اني اصبحت لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا
ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع ان اخذ الا ما
اعطيتني ولا ان اتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحبه
وترضاه من القول والعمل في عافية انك ذو الفضل
العظيم والعلا ايضا ما رايته قيده ابي الحسن الشاذلي
قدس الله سره اللهم ان الامر عندك وهو محجوب عني ولا اعلم
امر اختاره لنفسي لكن انت المختار لي واحملني في اجمل
الامور عندك واحمدها عاقبة في الدين والدنيا والاخرة
انك على كل شيء قدير [illegible]
[illegible]
[illegible]
... العباد والزهاد في حجبة عن ربهم ... لنفوسهم

مطلب دعاء ماثور

مروي عن امامنا الشافعي رضي الله عنه

ومراعاة حظوظهم فهم يفرون من الاشيا ويستوحشون
منها لانها موجودة في نظرهم والزهاد في المزهود
شاهدون له الوجود كما قال سيدي ابو الحسن رضي الله
عنه والله لقد عظمتها اذ زهدت فيها فهم لما فرغوا
منها تشوق عليهم اغراضهم ونفوسهم عن متابعة
بسيلهم اليها والتفاتهم اليها ولولا نوار اهل العلم
بالله والمحبة لله هو كما هو في الاشيا كلها ولهات لهم
منه ذكرهم قرة اعينهم ما يشغلهم عن رويتهم لنفوسهم
فلا يكون لهم من الاشيا وحشة ولا يخشون منها فتنة
فلا يكون لهم لا لها فانية متلاشية لهذا الاعتبار
اهل في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيلتحق
كذ في تلك الدار [illegible] لا ان ذاته روية العباد لربهم
عز وجل على حسب تجليه لهم ففي هذه الدار يرونه
ظاهرا في المكونات بانوار بصايرهم لما تجلى لهم
من وراء حجابها وبذلك امرهم بالتفكر فيها وفي الدار
الاخرة يرونه معاينة بانوار بصايرهم من غير حجاب
ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف علم متى آتاك
لا تصبر عنه فاشهدك بما برز منه علام الصبر عنه انه
من وجود الاختصاص بمعرفته وهو ما التشريف يقتضي
وجود النعمة الاختصاصية والنعمة الاختصاصية تقتضي
دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير

منصوره

منصوره في هذه الدار لما يغلب عليه من الرنا والنقص
والغفلة والرياضة فاكرم الله تعالى عبده لما علم بعدم
صبره عنه بان اشهده ما برز منه من الاثار والاكوان
تسلية بالاثر عن النظر فحصلت له حينئذ النعمة الاختصاصية
اللايقة بحاله حتى اذا قعد في مقعد الصدق وحصلت
له عندية الحق خلع عليه خلع التقريب واكرمه بدوا وجهه
لوجهه الكريم فحصلت له حينئذ النعمة الحقيقية
المشاهدة الرحمانية وما ذكر عطاء الله بقوله لما علم
الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وعلم ما
فيك من وجود الشره حجرها عليك في الاوقات ليكون
همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل
مقيم تلوين الطاعات لوجود الملل وتحجيرها في الاوقات
لوجود الشره نعمتان عظيمتان انعم الله بهما على عبده
فان الملل والشره افتان عظيمتان فالطاعات على العبد
سبب عبوديته والملل امارة بعرض للانسان من عمل
تلحقه فيه مشقة فيصير عليه ويتحمل التعب فيه حتى
يضجر ويسام فيترك ذلك العمل ويرفضه استثقالا
له وهو يعرض للمطيع بعد مباشرة للفعل ومحبته
له والشره مجاوزة الحد في التسارع الى الفعل والحرص
عليه والذي يوجب وجود الملل والشره [illegible] منه
واحد [illegible] لها ذات تناشها النفوس تستعملها فاذا
لونت عليها استحلتها واستخفتها وترقا العبد الى [illegible]

وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من تصلي له فيحفظ عليه
كلام الامر فيما يجري عليه منه وهو عن ملاحظتها محو فنفوسهم
منه مستقبلة القبلة وقلوبهم مستغرقة في حقايق الموصلة
وتمثيل المولف رحمه الله بالصلوة دون ساير العبادات
حسن لان ذكر ما يقع فيها وقد يكون ذكر استطراد الكلام
على الصلوة جما لقوله باثر هذا الصلوة مطهرة للقلوب
من ادناس الذنوب كما روي في الحديث الصحيح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قوله انما مثل الصلوة كمثل نهر عذب
غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون
ذلك يبقى من درنه واستفتاح لباب الغيوب لان القلوب
اذا تطهرت وتزكت رفع عنها الحجب والاستار فرات ما غاب
عنها من الاسرار الصلوة محل المناجاة لان فيها يكون
الثنا والدعا والمناجاة مخاطبة الاسرار عند صفا الاذكار
للملك الجبار ومعدن المصافات وهي زوال الاكدار
الكونية بينك وبين ربك حتى يصفو قلبك وسرك فيصفو
حينيذ شهوده ويحصل في ذلك شهوده تتسع فيها ميادين
الاسرار حتى تتسع لك علية في الظهور وتشرق فيها شوارق
الانوار فيكون قلبك محلا للنور وهذه العبارات ليست
متقاربة ولما كانت هذه الاحوال التي ذكرها المولف
رحمه الله من فوايد الصلوة وثمرتها المقصود منها هو
تحصيلها كما ذكر المولف رحمه الله تعالى لم يدل على ما قاله
منه ان المامور به انما هو اقامة الصلوة لا وجود الصلوة

لا يصلح النفس اذا كانت موهرة الا لتنقل من حال الى حال
والمرجب لوجود الشره صلاحية الاوقات كلها لانواع
العبادات فيها مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره
يقع الفتور والتقصير فيها غلط من عين لها اوقاتا
تتوقع فيها واوقاتا لا تتوقع فيها وذلك هو معنى تحجير
في الاوقات فكانت الملل والشره والقيين في الصلوة
لم يكن الاتي بها متقيدا لها لوقوع التقصير منه فيها ولم
يومر الا باقامة الصلوة لا بوجود صورة الصلوة قال
قال سيدي ابو العباس المرسي قدس الله روحه كل
موضع ذكر فيه المصلون في معرض المدح فانه انما جا لمن
اقام الصلوة اما بلفظ الاقامة او بمعنى يرجع اليها
قال الله تعالى الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلوة
رب اجعلني مقيم الصلاة اقم الصلوة واقام الصلوة
والمقيمين الصلاة ولما ذكر عدم المصلين بالغفلة
قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل
فويل للمقيمين الصلوة فالاقامة انه اذا صلى المومن
صلوة فتقبلت منه الصلوة خلق الله من صلوته
صورة في ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيمة
وثواب ذلك لصاحب الصلوة فاقامة الصلوة حفظ
حدودها ظاهرا وباطنا قال ابن عطا اقامة الصلوة
حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله تعالى لا يختلج سره
بسواه قال الامام ابو القاسم القشيري وهو القيام

باركانها

وان الصلوة الحقيقية انما هي صلوة الخاشعين لا صلوة الغافلين
الذي لا تنتهض لبلوغ هذه المقاصد السنية ولذلك كانت
الصلوة من العبادات واساس الخيرات قال الله تعالى
اقم الصلوة لذكري فاخبر ان الصلوة المراد منها الذكر
وقد روي معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت
الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة
ذكر الله تعالى ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم
على ما ياتي ذكره من الكلام عليه حيث تعرض المولف رحمه الله
وفي بعض الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلوة رفع الله
الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملايكة
من لدن منكبيه الى الهوا يصلون بصلوته ويومنون على دعايه
وان المصلي لينتثر عليه البر من عنان السما الى مفرق راسه
ويناديه مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل وان ابواب
السما تفتح للمصلي وان الله تعالى يباهي ملايكته بصفوف
المصلين وفي التوريه يا ابن ادم لا تعجز ان تقوم بين يدي
مصليا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رايت باكيا
نوري فكما لو ابدوت ان تلك الرقة والبكا وتلك الفتوح
التي تجدها المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب وقال
محمد بن علي الترمذي رحمه الله تعالى المرحوين الي هذه
الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيا لهم فيها الوان
الضيافات لينال العبد من كل قول وفعل شيا من عطايه
والافعال كالاطعمة والاقوال كالاشربة وهي عرس الموحدين
هما ها

حبا لها رب العالمين لا يهد رحمته في كل يوم خمس مرات
حتى لا يبقى عليهم درن ولا غبار وقال ابو طالب المكي رحمه
الله حدثت ان المومن اذا توضا للصلوة تباعدت عنه
الشياطين في اقطار الارض خوفا منه لانه يتاهب للدخول
على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق
لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله اكبر
اطلع الملك في قلبه فاذا لم يكن في قلبه اكبر من الله فيقول
الملك صدقت الله في قلبك كما تقول قال فيتشعشع من قلبه
نور يلحق بملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت
السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات
قال وان الغافل الجاهل اذا قام الى الوضو احتوشته
الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر اطلع
الملك في قلبه فاذا كان شي في قلبه اكبر من الله عنده فيقول
الملك كذبت ليس الله في قلبك كما تقول قال فيثور من قلبه
دخان يلحق بعنان السما فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت
قال فيزيد ذلك الحجاب صلوته ويلتقم الشيطان قلبه ولا يزال
ينفخ فيه وينفث ويوسوس اليه ويزين له حتى ينصرف
من صلوته لا يعقل ما كان فيها ومعاني هذه الاخبار والاثار
موافقة لمعنى ما ذكره المولف رحمه الله تعالى ودالة
عليه فلذلك اوردتها ههنا والله ولي التوفيق برحمته
بملم وجود الصفق منكر فقد اعدادها وعلمه حيا [illegible]
هذا من فضل الله تعالى الذي عودنا فتقليل اعدادها

الحقيقة ومعنى كون القبول جزاء قد تقدم أن إذا أراد الله
أن يظهر فضله عليك خلق ونسبه إليك فضل الله تعالى
علينا فإذا أراد أن يظهره عليك خلق لك الطاعة وحلاك
بها ونسبها إليك وقال لك يا عبدي أنت شجيع ومتق ومجتهد
وعامل وسأثيبك على ذلك فإذا شهد العبد هذا الفضل
العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم وانطلق
لسانه في هذه الحال بالدعاء والسؤال وقال يا رب كما تفضلت
علي بخلق الطاعة وحليتني بها ووصفتني بصفات حميدة
أنا خال عنها في الحقيقة وعن نتيجة ذلك جزيل الثواب والنجاة
من العقاب فتقبل مني عملي واجزني ما وعدتني كان في ذلك
مصيبا وإلا فلا يحق للعبد أن لا ينسب لنفسه شيئا من محامد
الصفات ومحاسن الأعمال إذ لا أهلية فيه لذلك وإنما حضر
هذه الصفات والأعمال ومساويها فمقتضى الأدب أن يضيف
ذلك إلى نفسه وأن يعرف بأن ذلك من ظلمه وجهله قال سهل
بن عبد الله رضي الله عنه إذا عمل العبد حسنة وقال أي يا رب
بفضلك عملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله تعالى ذلك
له وقال يا عبدي بل أنت أطعت وأنت تقربت وإذا نظر
إلى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله
تعالى عنه وقال يا عبدي أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت
وإذا عمل سيئة وقال يا رب أنت قدرت وأنت قضيت
وأنت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عبدي
بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت وإذا قال يا رب
أنا ظلمت وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته

بأن جعل الجميل خبه وذلك تخفيف منه لما علم من وجود
ضعفه وتكثير أجره لما بان جعل خبه ثواب خير في ذلك
تفضل منه عليه إذ كان محتاجا إليه فله الحمد والشكر
على ذلك وهذه المعاني مذكورة في حديث الإسراء متى طلبت
عوضا عن عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب
وجدان السلامة تقدم أن العمل لأجل حصول الجزاء مدخول
ومعلول وحكينا هنالك من الآثار والحكايات عن العارفين
وأرباب القلوب ما فيه مقنع وقد ذكر المؤلف رحمه الله
هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وما ذكره هنا
تقبيح لطالب الجزاء على العمل ومعنى ما ذكره أن العمل على هذا
الوجه معرض للمطالبة لأنه إذا طالب ربه بالجزاء على عمله طالبه
ربه بوجود الصدق فيه والصدق الوفاء بالحقيقة في العمل وإلى
توفية ذلك مع كونه طالبا للخلاص من ربه بعمل لا يمكنه مرتب
فيكفيه وجدان سلامة من غير مزيد عليها قال الواسطي العبادات
إلى طلب العفو عنها أقرب منها إلى طلب الأعواض عليها وقرب
منها قول السهروردي رحمه الله العبادات إلى طلب الصفح والعفو
عن تقصيرها أقرب إلى طلب الأعواض والجزاء عليها وقال
خير النساج رحمه الله ميراث أعمالك ما يليق بأفعالك
فانظر ميراث فضله فإنه أتم وأحسن قال الله تعالى
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون
كيف تطلب [illegible]
[illegible] العمل من كان له قياما لا النفوذ بخلق أعمال العباد واختراعها
هو الله تعالى فكيف يطلب العبد الجزاء على عمل لا مدخل له فيه
على

عليه وقال يا عبدي انا قضيت وانا قدرت وقد غفرت
وقد حلمت وقد سترت لا نهاية لمذاكرات ارحم لك
البكر ولا تفرغ من المكالمات الفهر جوده عليك من ارجعه
الحق تعالى الى نفسه ووكله الى عقله وحسه فقد طرده
عن بابه وابعده من جنابه وكانت احواله مدخولة معلولة
واعماله مستقبحة مرذولة ومن اواه اليه واكمل جوده عليه
فقد اصطفاه لنفسه ورفعه الى حضرة قدسه وكانت احواله
حسنة جميلة واعماله كلها ممدوحة مقبولة كما قال • لما
انتسبت الى جمالك تعرفت • ذاتي وصرت انا ولا انا انا
كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وباوصاف عبوديتك
متحققا التعلق باوصاف الربوبية ان تشهد وجودك
ولوازم وجودك لا ترى جميع ذلك لك ولا منك وانما
هو عواري عندك فلا ترى وجودك الا بوجوده ولا بقاءك
الا ببقائه ولا عزتك الا بعزته ولا قدرتك الا بقدرته
ولا غناك الا بغناه الى غير ذلك من الاوصاف ولا يتم لك ذلك
الا بان تتحقق المذكورات متلازمان بل هما شيء واحد
لا تعدد فيهما على التحقيق ومعنى ان تدعو ما ليس لك مما
هو للمخلوقين فضلا عن ان تدعي وصف رب العالمين
اورد هذا الكلام كالدليل على ما ذكره انفا من انه لا حظ للعبد
من صفات مولاه الا التعلق بها فقط وان ادعاه شيئا منها من
كبائر معاصي القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن
مقتضى الغيرة التي اتصف بها واعلمنا شأنها على لسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما احد اغير من الله تعالى ومن
غيرته

غيرته انه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن تحريم ذلك
على العبد والتشديد عليه باستحقاق الطرد والبعد ومن افحش الفواحش
عند العارفين وجود شيء من الشركة في قلب العبد
بادعائه شيئا من اوصاف الربوبية لنفسه عقدا او قولا لان
ذلك منازعة له وتكبرا عليه وفي حديث ابن عباس رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحدة
منهما القيته في النار ومعنى المنازعة الدعوى قولا وعبارة
واضمارا فعلا واشارة ومعنى الغيرة في حقه سبحانه وتعالى
انه لا يرضى بمشاركة غيره فيما اختص به من صفات الربوبية
وفيما هو حق له من الاعمال الدينية والاذكار الحق تعالى
شأنها كذلك يحرم عليك ان تدعي ما ليس لك مما اعطي
المخلوقين من الاموال وسموك كذلك وعزوا فكيف يصح
لك ان تدعي وصفه وهو رب العالمين لا شريك له لا انت
ولا غيرك فهو اذن من اعظم الظلم واشد العداوة عافانا
الله من ذلك قلت وهذا المعنى هو الغرض الاخص الذي
قصده المؤلف رحمه الله بهذه المسئلة هو الغرض الاقصى
الذي هو منتهى نظر الصوفية وكلما صنفوه ودونوه
وامروا به ونهوا عنه من افعال واقوال واحوال انما هي
وسائل الى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف
وشأنهم انما هو العمل على حفظ قلوبهم واستغراق
حظوظها بالكلية كما قيل الصوفي دمه هدر وملكه مباح وليس
ذلك هو المقصود لهم بالذات وانما غرضهم من ذلك ما يلزم

عنه انفراد الرب تعالى عنهم بالوجود ولوازم الوجود
انفراد الاثبات لكونه في شي منها الشركة كما ذكره انفا وهذا هو
كيمياء السعادة الذى اعوز اكثر الناس سلام يحظوا منه الا بالا فالانس
اذ بذلك يستحق العبد العبودية الله عز وجل الذي لا مقام اشرف
منه كما قال الشاعر • السنة لحظها مني تعفيه شرفا • فما وراك
لى قصد ومطلوب • وبهذا المعنى كانت عندهم دقائق خطرات
الخلوق وخفياته هو جس الهوى وكلما يقتضي نقائص
الفقر وثبوتها منه محبة المقامات والاقبال الا للخالق والكرامات
ذنوبا عظيمة واخلاقا لئيمة قادحة في صدق العبودية
والاخلاص للربوبية فيتوبون من جميع ذلك الى ربهم
ويتعوذون به من شرهم ويخافون من مسالته ومنها اخفى
غاية البعد ونهاية المكر والطرد كما قيل • اذا قلت
ما اذنبت قالت مجيبة • وجودك ذنب لا يقاس به ذنب •
ذكر انه كان لبعضهم مملوك بنيا زعم على احامه شكاله
واقرانه فشكا اهل اخلهم عاملهم الى الملك فقال تخيروا
من شئتم اوليه عليكم فاختاروا ذلك العبد عامروا ميل الملك
اليه فقال الملك راجعوه فان اختار الولاية وليته عليكم
فرغب الغلام في الولاية فامر بكتب المنشور وامر باستقباله
اذا واقى محل ولايته والمبالغة في الحافد بانواع الكرامات
والعما زود شرعت مير شعليه ما اورد فيه ثم امر من يقول
اذا اشرف على الموت هذا جزاء من اختار الولاية على خدمة مولاه
ففي هذا عبرة للاولى الابصار وتبصرة لارباب الاعتبار والى
هذا المعنى الجليل المودي الى سوء السبيل تشير الحكاية

المشهورة

المشهورة المروية عن ابي يزيد حديث يحيى بن معاذ انه
رأى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلوة العشاء
الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيهما
مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا
بعينيه لا يطرق قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد
فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الما
والمشي في الهوا فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك
وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فانقلبت لهم
الاعيان فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك واني
اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات
الاوليا ثم التفت عني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي
حدثني بشي قال احدثك بشي يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل
فدورني في الملكوت السفلى فاراني الارضين وما تحتها
الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوفني في السموات
واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه
فقال سلني اي شي رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي
ما رايت شيئا استحسنته فاسالك اياه فقال انت
عبدي حقا تعبدني صدقا لافعلن بك ولافعلن بك وذكر اشيا فقال
يحيى بن معاذ فهالني ذلك فامتلات به وعجبت فقلت
يا سيدي لم لم تسأله المعرفة به وقد قال ملك الملوك
سلني ما شئت قال فصاح صيحة وقال اسكت ويلك غيرة عليه

وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم عن تخطوا فرضوا بذلك صح

متى لا احب ان يعرفه سواه قال الشيخ ابو طالب المكي
رحمه الله بعد ان حكى هذه الحكاية فهذا حال عبد فانت
عن نفسه ما خرج اذ كان ربه عز وجل موجودا له كان مقامه
في المقامات فقصرت عن وصفه الصفات وحق له اذ نظر
الى الحبيب الذي حسنت المحاسن كلها من حسنه وتشانئت
الزينات جميعها بعد النظر الى زينته وشهد الجمال
الذي يجمل الجمال والمجملون بجماله ان لا يستحسن سواه
وكيف يحب غير ما استحسنه او تزيد في عينه الا اياه
ام كيف ينظر غيره اياه ام كيف يطلب غيره ما احب ويصبر
مع غير ما طلب بل كيف يهتم بغير ما طلب فهذا نعت عبد
مطلوب بعين ما طلب وصفة شخص محبوب بعين ما احب قال تعالى
الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فتفهم وفي بحر
الاشارات عن الله تعالى يا عبدي اعزل نفسك تعتزل معك عندي
الملك والملكوت فتلحق الدراري بالملك وتلحق العلوم
بالملكوت فتكون عندي محذورا ما ابدي فلا يستطيعك
ما ابدي لانك عندي واذا كنت عندي كنت عبدي واذا كنت
عبدي كان عليك نوري فلا يستطيعك ما ابدي وان ارسلته
اليك لانه نوري عليك والبدء نوري عليه فاذا جاءك
لم يطقك فاوقد نارك به فتاذيت انت له والعبارات عنهم
في هذا المعنى خارجة عن الحصر لحصر فيما ذكرناه منها الكفاية
وانما ذكرنا هذه المعاني وان كانت في الظاهر اعلا مما
انبتنا ولولا كلام المؤلف رحمه الله تعالى لان مرجع امرها اليها

اذا

اذا دققنا فيه النظر ونظرنا فيه بوجوه الفهم وكان بالجملة
هو المقصود المعتبر وكلام الصوفية كثيرا ما يجري في هذا
البحر والله تعالى يجزيهم عنا خيرا ويمن علينا بالفهم عنهم وحسن القبول منهم ويفتح اسماعنا للاصغاء اليهم صح
ويشرح صدورنا باستحسان ما يرد منهم او يبدو عليهم
بمنه وفضله كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق
من نفسك العوائد خرق العوائد بانكشاف عالم الغيب
لا يكرم الحق سبحانه به الا من خرق عوائد نفسه وفني عن ارادته
وحظوظه فمن لم يصل الى هذا المقام لا يطمع فيها وان ظهر له
ما صورته صورة الكرامة فينبغي له ان يخاف عند ذلك من
الاستدراج والمكر الخفي فلا يجب ذكره ولا يطلبه فان طلبه او احبه
فهو دليل على بقائه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف
تخرق العوائد لمن هذه صفته على سبيل الكرامة وهو هذه
الاحوال لا ينفعهم قال الشيخ ابو طالب المكي رجوع الا لوان
من الغيوب التي وراء الحجب الاستار لا يظهر عليها الا مطلوب
والمطلوب لا يكون محجوبا عن نفسه مسلوبا فمتى لقنت عليه
من نفسه بقية ونظر الى حركته وسكونه بعينه نظرة خفية
فيستر بها عليه رحمة له خافة لو كوشف بها هلك في حيرة
الهوى وغرق في بحار الدنيا ونفرحه وعينه حليه اربابها
هوى ابتلاها واستنارها عنه حتى يكون كارها لظهورها
كراهية ظهور الخلق على معصيته ويخاف منها كوقفه عن نفسه
في اظهارها عليه بهلكته فهناك حين يبتلى بها وتختبر ليطهر

الآ ع

كيف يعمل وكذا الشيخ ابو عبد الله القرشي قال ان لم يكن كارها
لظهور الايات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور
المعاصي فهي في حقه حجاب وسترها عنه رحمة فاذا امن زخرف
عوائد نفسه لا يريد ظهور شي من الايات وخوارق العادة
له بل تكون نفسه عنده اقل واحقر من ذلك فاذا فني عن
ارادته جملة وكان له تحقق في روية نفسه بعين الامارة
الختارة والذلة حصلت له اهلية ورود الالطاف ووجود الاسعاف
وسلك الى مرتبة الصديقين المهيع الناهج وخرج مع اهل
الارادة بالقدح الفالج قال الشيخ ابو العباس بن العريف
اصبحت يوما مهموما فقلت للشيخ ابي القاسم بن روبيل حدثني
حكاية عسى الله ان يفرج ما بي فقال نعم وصف لي رجل ببعض
السواحل يعرف بابي الخيار فقصدته فوجدته على ساحل
البحر فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم اكلمه حتى اذا كان
وقت الصلوة اقبل نفر من بعض الاودية متفرقون فاجتمعوا
اليه وتقدم منهم واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم
احد منهم احدا وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى اذا كان
وقت الصلوة اقبل النفر وصلوا ثم افترقوا حتى جاء وقت
صلوة العصر اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك فتذاكروا
سير الصالحين ومقامات الاولياء الى قرب الاصفرار ثم
تفرقوا واجتمعوا ثم تفرقوا وجلست عنده ثلثة ايام وهم
على ذلك ثم وقع في نفسي ان اساله عن مسيلة استفيدها فتقدمت
اليه

مطلب حكاية في معنى المريد والارادة وتحقيقها

العارفين خ

للمغرب

اليه فقلت ايها الشيخ مسيلة اسالك عنها فقال قال فنظر الجماعة
الي كالمنكرين علي ففزعت فقلت ايها الشيخ متى يعلم المريد
انه مريد قال فاعرض عني ولم يجبني فخفت ان اكون قد
اغضبته فقمت عنه فلما كان في اليوم الثاني قلت لا بد ان
اساله عن المسيلة وعزمت على ذلك فتقدمت اليه وقلت
ايها الشيخ متى يعلم المريد انه مريد فاعرض عني كالاولى
ولم يجاوبني فقمت وعدت في الثالثة وسالته عن المسيلة
بعينها فاجابني وقال لا تقل هكذا انما تريد ان تسال
عن اول قدم يضعه المريد في الارادة فقلت نعم
فقال اذا اجتمع فيه اربع خصال احدها ان تطوى
له الارض وتكون عنده كقدم واحد وان يمشي على
الماء وان يأكل من الكون متى اراد وان لا ترد له دعوة
فعند ذلك يضع اول قدمه في الارادة واما متى ما علم
المريد عندنا انه مريد سقط من حد الارادة قال الشيخ
ابو العباس بن العريف فصحت صيحة كادت نفسي تذهب
معها ثم قلت له اين نحن من الارادة يا ابا القاسم وتحققت
من علو همة هذا الشيخ انتهى واعلم ان اول ما تخرق له
عادة تسميته باسم مريد مع كونه مطلوب الارادة وما احسن
ما قال الناظم تكون مريدا ثم فيك ارادة اذا لم ترد
شيا فانت مريد والتحقيق في هذا ان من تمحضت ارادته
لعبودية الله عز وجل بمراعات حقوقه لا لاجل ما يحب
من ذلك لا ليتوصل به الى نيل حظ بها عوضا هو الذي يسمى

فقمت

مريدا فلم يسم بذلك الا لانه متصفا بالارادة الحقيقية
المتعلقة باشرف المطالب ونهاية الامال والمآرب وذلك
امر وجودي يصح ان يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الامر
لا انه سمي بذلك لاجل ما سلب عنه من الارادة المجازية
المتعلقة بحظوظه لكن لما كانت سلب احديهما يقتضي وجود
الاخرى لاقتضاء التواجب صح لذلك ان يطلق اسم
الارادة على ما سلبت منه وتجرد عنه وجودت فيه نظافة
وملاحظة وتقية ومنها يتبين لك صحة كلام ابي يزيد
واستقامته حيث قيل له ما تريد فقال اريد ان لا اريد
فانه ليس بمحتد ولا متناقض كما توهمه بعضهم قال في
التنوير واعلم انه قد قال بعضهم ان ابا يزيد لما اراد
ان لا يريد فقد اراد وهذا قول من لا معرفة عنده وذلك ان ثبات
معرفة
ابا يزيد رضي الله عنه انما اراد ان لا يريد لان الله
تعالى اختار له وللعباد اجمع عدم الارادة معه فهو
في ارادته موافق لارادة الله تعالى له ولذلك قال الشيخ
ابو الحسن فكل مختارات الشرع ومرتباته هو مختار لله
ليس لك منه شيء واسمع واطع وهذا موضع الفقه الرباني
والعلم اللدني وهو ارض لتنزل علم الحقيقة المأخوذ
عن الله تعالى فابان الشيخ بهذا الكلام ان كل مختار الشرع لا ينافي
اختياره مقام العبودية المبني على ترك الاختيار
لا يخرج عنه فافهم ترك الحقيقة منه فيتحقق ان
الوظايف والاوراد وراتب السنن ارادتها تخرج بها
العبد

العبد من صريح العبودية لانه قد اختار فيبين الشيخ رحمه الله
تعالى ان كل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منه شيء
فانما انت مخاطب ان تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك
لها لا عن تدبير الله تعالى ورسوله لك فافهم قال فقد
علمت اذا ان ابا يزيد ما اراد ان لا يريد الا لان الله
اراد منه ذلك فلم تخرج هذه الارادة عن العبودية
المقتضاة منه انتهى وقد كان انتبا الكلام في هذا المعنى
حتى آل الى بعد المناسبة بينه وبين المسيلة المنبه عليها
من الكتاب والحديث فنحو نذكر بعضه الى بعض لكنت
لما كان مقصدنا في هذا التنبيه مختصا وذكر الفوائد في
مواضعها ومعانيها لتقرع سائل هذا العلم الغريب
اسماع من اراد الله توفيقه حصل بينه وبينه بعد المشرق
صح مما ذكر وكما سنبين فيه على اوضح المسالك وبالله
تعالى التوفيق واما الثالث وجود الطلب انما الطالب
ان يرى ... الادب اذا التزم العبد طلب حوائجه وحظوظه
من مولاه ولم يطلب ذلك من غيره فلا يظن انه وفى ما يجب
عليه من حقوق الربوبية فليس ذلك بالشأن المعتبر عند المحققين
وانما الشأن ان يتأدب العبد بين يدي مولاه ادبا
حسنا بان يفوض امره اليه ويرضى بما قسم له ولا يطلب
ما ليس له كما يقول الشيخ رحمه الله بعد هذا ويطلب
عبوديته ربه منه لا لقصد نيل حظ بهذه ...
بحسن ادبه ويصح الله ... وذلك هو الموافق على التحقيق

ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب
إليك مثل الذلة والافتقار اضطرار العبد هو أخص أوصاف
عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شيء أجل منه قال أبو محمد
عبد الله بن منازل العبودية الرجوع في كل شيء إلى الله تعالى على
حد الاضطرار وفيه أيضا خاصية إجابة الدعاء قال الله تعالى
أمن يجيب المضطر إذا دعاه والاضطرار المطلوب منه أن لا
يتوهم العبد من نفسه شيئا من الحول والقوة ولا يرى
لنفسه شيئا من الأسباب يعتمد عليه أو يستند إليه ويكون
بمنزلة الغريق في البحر والضال في التيه المقفرة لا يرى
لغياثه إلا مولاه ولا يرجو لنجاته من هلكته أحدا سواه وقال
بعض العارفين المضطر الذي يقف بين يدي مولاه فيرفع
يديه إليه بالمسألة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها
شيئا فيقول هب لي يا مولاي بلا شيء والذلة والافتقار أمران
لازمان له وهما موجبان لإسراع مواهب الحق تعالى إلى
العبد المتصف بهما وإليه الإشارة بقوله عز وجل ولقد
نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فذلتهم أوجبت لهم عزهم
ونصرهم كما قيل • وإذا تذللت الرقاب تقربا • منها
إليك فعزها في ذلها • وقيل حين أسلمتني للذل والآلام الى حج
تلقتني بعين نوازع قال في لطائف المنن والطالب للتوفيق والالام
وعلامة صدق الرجوع إليه في كل فعل وترك تحقيق الفقر
والفاقة والانغماس في بحر الذلة والمسكنة بين يديه
واستصحاب ذلك إلى الفراغ من ذكره أبدا وقد قال سبحانه
ولقد

ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال سبحانه إنما الصدقات
للفقراء والمساكين فلا تدخل جنة عملك وعلمك وما أعطيت من
نور وفتح فتنقعد كما قال متخذ ل فأخبر الله عنه ودخل جنته
وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ولكن ادخلها
كما بين لكم في الحارض لكم ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله
لا قوة إلا بالله وانهض قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة إلا
بالله كنز من كنوز الجنة وفي رواية أخرى كنز من كنوز تحت
العرش فهذه الترجمة كاهرا كانت فيها صدق التبري من
الحول والقوة والرجوع إلى حول الله وقوته لو أنك لا تصل
إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا
ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك
بنعته فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه الوصول
إلى الله تعالى لا يكون إلا بمحو صفات النفس وقطع علاقات
القلب وشيء من ذلك لا يتصور من العبد مع بقاء هو كان ذلك
بجهده وحيلته ولو لم يكن إلا إرادته وعمله في تحصيل هذا
الغرض بنفسه وهما من جملة المساوي والدعاوي المحتاج
إلى محوها قال أبو العباس رضي الله عنه لن يصل الولي إلى الله
حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله تعالى يعني انقطاع الأدب لا تخم
لا انقطاع ملل وما ذكر أبو الحسن رضي الله عنه وأن لو وصول ولن يصل
الولي إلى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته
أو اختيار من اختياراته تلوح الله تعالى عبده وذلك لم يصل
إليه أبدا ولكن إذا أراد الله أن يوصل عبده إليه تولى ذكره
بأن يظهر من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب ذكره

صفات عبده ونعوته عنه ويكون في ذلك علامة على محبته
له كما اشار اليه بقوله في الحديث الصحيح فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده الذي
يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وعند ذلك يكون
له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره مولاه وارادة فيكون
حينئذ واصلا بما من الله اليه من الفضل والكرم لا بما من
العبد اليه من الاجتهاد والعمل مجاهدات ليتفضل على من شاء

وقال رضي الله عنه لولا جميل ستره لم يكن عمل اهلا
للقبول العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته
اليه وشهود حوله وقوته عليه وهذا لا محيص له عنه الا بما
شاء ربه وقد يكثف حجابه فيرائي به ويحب حمد الناس
له وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص الحقيقي
والاخلاص شرط في قبول الاعمال كما تقدم قال يحيى بن
معاذ رضي الله عنه مسكين ابن ادم جسم معيب وقلب معيب
يريد ان يخرج من معيبين عملا بلا عيب فعمل العبد لما
كان بهذه المثابة لم يكن فيه اهلية لوجود القبول لولا
ستر الله تعالى وعظيم حلمه وبره فليعتمد المريد على فضل
الله تعالى وكرمه لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ ابو عبد
الله القرشي رحمه الله ان طالبهم بالاخلاص تلاشت
اعمالهم وان تلاشت اعمالهم ازداد فقرهم وفاقتهم
فيبرءوا من كل شيء ومن كل شيء لهم ومنهم انت الى حلمه اذا
اطعته احوج منك الى حلمه اذا عصيته شرف العبد ورفعة قدره
انما يكون بنظره الى ربه عز وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده
عليه

نخ وقد لا يكون

عليه ودنائته وخسته وسقوطه من عين الله تعالى انما يكون
بنظره الى نفسه واقباله على غيره واستناده الى سواه فالعبد
عند عمله بالطاعة معترض لهذه الاخطار من نظره الى نفسه
واستعظام عمله وعجبه بطاعته وسكونه الى معاملته وليته يسلم
فيه من دقائق الرياء والتصنع بخلاف المعصية في جميع هذه الاشياء
فانها تحمله على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة
والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله
اذا اطاعه احوج منه الى حلمه اذا عصاه وفي الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الله الى نبي من الانبياء عليهم
السلام قل لعبادي الصديقين لا يغتروا فاني ان اقم
عليهم عدلي وقسطي اعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي
الخطائين لا ييأسوا من رحمتي فانه لا يكبر علي ذنب اغفره
ولهذا المعنى قال ابو يزيد رضي الله عنه توبة المعصية
واحدة وتوبة الطاعة الف توبة الستر على قسمين ستر عن
المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون من الله الستر
فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون
الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق العامة يغلب
عليهم شهود الخلق والتصنع لهم والتزين لهم ومحبة
حمدهم وكراهة ذمهم فهم يعملون المعصية ويستخفون
بها ويطلبون الستر من الله عليهم فيها اي في حال كونهم
عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطون من اعينهم
وفي امثالهم قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول الآية

الامام ابو القسم القشيري في هذه الاية الغالبة على قلوبهم
رؤية الخلق ولا يشعرون ان الحق مطلع عليهم اولئك
الذين وسمهم سمة الله قلوبهم بوسم الفرقة روى
عدي بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
يؤمر يوم القيمة بناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها
ونظروا اليها واستنشقوا رائحتها وما اعد الله لاهلها نودوا
ان اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة
ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار
قبل ان تريناها اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك
كان اهون علينا قال ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم
بارزتموني بالعظايم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين
تراوون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس
ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس
ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم اليم العذاب مع ما حرمتكم
من الثواب وفي بعض الكتب ان لم تعلموا اني اراكم فالخلل
في ايمانكم وان علمتم اني اراكم فلم جعلتموني اهون الناظرين
اليكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يعلم
خائنة الاعين وما تخفي الصدور هو الرجل تمر به المراة
فيري القوم انه يغض بصره فاذا غفلوا نظر اليها ويريهم
انه يغض بصره ويود لو انه اطلع على عورتها ويقدر عليها
وقال ايضا في رواية اخرى هو الرجل يكون في القوم
تمر بهم المراة فيريهم انه يغض بصره عنها فان رأى
من

من القوم غفلة لحظ اليها ونظر فاذا خاف ان يفطنوا غض بصره
فقد اطلع الله من قلبه يود انه نظر الى عورتها هذه حالة شأن
المرائين الذين يستخفون بنظر الجار ويهابون الناس
ان يطلعوا عليهم فيما يرتكبوا من الاوزار والخاصة من
اهل الايمان واليقين براء من هذا الوصف الذميم لا التفات
لهم الى الخلق مدحا ولا ذما وهمتهم مصروفة عن النظر اليهم
والاعتماد عليهم في نفع او دفع ضر وحالهم انما هو القناعة
بعلم الله تعالى ومراقبة نظره فهم يطلبون الستر من الله
عنها في ان يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها
انفسهم فيعملون بها فيقعوا في مخالفة ربهم والتعرض لسخطه
والسقوط من عينه وشتان ما بين الحالين والى هذا المعنى
اشار سيدي ابو الحسن في دعائه بقوله اللهم انا نسألك
التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية واسبابها وذكرنا
بالخوف منك قبل هجوم خطرات الشهوات واحملنا على النجاة منها ومن التفكر
في طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها
بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها ومن الكرم ما جاء الكريم
صاحب الستر فيك فالحمد لله سترك ليس الحمد لمن اكرمك
وشكر العبد محض الافات والعيوب وستر الله الجميل هو الذي
يحبب الناس اليك الناس فاذا اكرمك الاحد فلا يدخلن عليك ان
ترى لنفسك وصفا يحمود استحققت به الاكرام فتكون جاهلا
بنفسك ولا تحملك الاغترار برؤية اكرام الخلق لك لو شهود
جهلهم بحالك عن ان تحمدهم عليه دون ربك الذي اخفى عيوبهم
الى الاكرام وستر عنهم عيوبك والجهل لهم بحالك فتكون بهم لك

كافر النعمة ويسمى ظالما لما يضع الشيء في غير موضعه ما صحبك
الا من يحبك وهو الحبيب الذي ليس ذلك الا مولاك خير
من تصحب من يطلبك لك لا لشيء يعود منك اليه الصاحب
على الحقيقة هو من يبذل احسانه لك ويسبغ النعم عليك ولكن
ينفعه منك ذلك ما يعلم من عيوبك التي تكرهها منك وليس
ذلك الا مولاك وخير ما صاحبك ايضا من آمنك بك واثرك
واراد لك من غير منفعة ينالها منك وليس ذلك ايضا الا مولاك
فاتخذه صاحبا ودع الناس جانبا لو اشرق لك نور اليقين
لرايت الاخرة اقرب من ان ترحل اليها ولرايت محاسن
الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها نور اليقين تنكشف
به حقائق الامور على ما هي عليه فيحق به الحق ويبطل الباطل
والاخرة حق والدنيا باطل فاذا اشرق نور اليقين في قلب
العبد ابصر به الاخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه
حتى كانها لم تزل فكانت اقرب اليه من ان يرحل اليها فحقق
بذلك حقها عنده وابصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسفت
نورها واسرع اليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد
ان كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى كانها لم تكن فتوجب له
هذه النظرة اليقينية الزهادة في الدنيا والتجافي عن زهرتها
والاقبال على الاخرة والتاهب لحضرتها ووجدان العبد لهذا
هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال صلى الله عليه وسلم
ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول
الله هل لذلك من علامة يعرف به قال نعم التجافي عن دار
الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل
نزوله

نزوله اوكما قال صلى الله عليه وسلم ومتى ذلك تموت شهواته
وتذهب دواعي نفسه فلا تامره ولا تميل به الى ارتكاب منهي
ولا يكون له همة الا المسارعة الى الخيرات والمبادرة لاغتنام
الساعات والاوقات وذلك لاستشعاره حلول الاجل وفوات
صالح العمل والى هذا المعنى الاشارة بحديثي حارثة ومعاذ رضي الله
عنهما روى انس بن مالك رضي الله عنه قال بينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمشي اذ استقبله شاب من الانصار فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا حارثة فقال اصبحت مؤمنا
بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة فقال
يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمات
نهاري فكاني بعرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون
فيها وكاني انظر الى اهل النار يتعاوون فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
الزم عبد نور الله الايمان في قلبه فقال يا رسول الله ادع الله لي
بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي يوما في
الخيل يا خيل الله اركبي فكان اول فارس ركب واول
فارس استشهد فبلغ امه ذلك فجاءت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله اخبرني عن ابني حارثة فان
يك في الجنة فلن ابكي ولن احزن وان يك غير ذلك بكيت
ما عشت في الدنيا فقال يا ام حارثة انها ليست بجنة ولكنها
جنة في جنان والحارث في الفردوس الاعلى فرجعت وهي
تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وروي ان معاذ بن
جبل الانصاري دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يبكي فقال له كيف اصبحت يا معاذ قال اصبحت بالله مؤمنا

قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل قول مصداقا ولكل حق
حقيقة فما مصداق ما تقول قال يا نبي الله ما اصبحت صباحا الا ظننت
اني لا امسي وما امسيت مساء الا ظننت اني لا اصبح ولا خطوت خطوة قط
الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكاني انظر الى كل امة جاثية تدعى
الى كتابها معها نبيها واوثانها التي كانت تعبد من دون الله
وكاني انظر الى عقوبة اهل النار وثواب اهل الجنة قال صلى الله
عليه وسلم عرفت فالزم فهذان الرجلان الفاضلان حارثة
ومعاذ رضي الله عنهما صدر منهما ما ذكرناه من فنون
العبر وشاهدا امر الدارين بمنزلة رأي العين فسلمت
اعمالهما من العيوب والآفات وحفظا من الهفوات
والسيئات وطهرت منهما الاسرار والقلوب وسارعا في كل
امر محبوب وكادت ارواحهما اشتياقا الى لقاء الواحد
الفرد وطابت انفسهما بالموت حتى صار عندهما احلى من الشهد
وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار التابعين وائمة الدين
رضوان الله عليهم اجمعين ولقد اجاب معبرا عن حالهم
فاسمع مقال الصادق مقبولا ان الاولى ما تراه مني فنيا الهوى
وجد والمنية منها لا معبرا روى انس بن مالك ان
حرام بن ملحان وهو خال انس طعن يوم بير معونة برمح
فتلقى دمه بكفه ثم نضحه على راسه ووجهه وقال فزت
ورب الكعبة وكان جبار بن سلمى ممن حضر بير معونة
مع عامر بن الطفيل ثم اسلم بعد ذلك فكان يقول دعاني
الى الاسلام اني طعنت رجلا منهم فسمعته يقول فزت والله
فقلت في نفسي ما فاز اليس قد قتلته حتى سالت بعد ذلك
قوله

فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر الله والمطعون ههنا
والله اعلم هو عامر بن فهيرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شان الامراء الثلاثة يوم موتة اخذ الراية زيد فاصيب
ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب
ثم اخذها خالد بن الوليد من غير امرة ففتح الله عليه
الحديث قال صلى الله عليه وسلم والله ما يسرهم انهم عندنا او قال
ما يسرهم انهم عندنا وعيناه تذرفان فلله درهم لقد
حازوا مرتبة مرضية شريفة ومنزلة عالية منيفة ويقال
لامثالنا الذين عميت البصائر منا ابرهم وانطمست ابرهم
في غيرها شموس العوارف ووقعنا في اودية المهالك
والمتالف واغتررنا بهذه الدار الغرارة الفانية السحارة
فنشبت مخالبنا شباكها واتكلنا في مضراتها مصائدها واشراكها
من غير شعور منا بحبائلها وتنزيلنا محالها تكلنا في قصدنا اليها
وتعويلنا عليها بمنزلة الظمآن لاح له سراب حسبه ماء
فلما جاءه لم يجده شيئا ولا غنى ثم مع هذا كله ننتسب
الى الدين وندعي كمال المعرفة واليقين والدخول في غمار
اولياء الله المتقين مع ان احدنا لو خير بين حلول الحين
او البقاء في الدنيا مطلقا بان طول العيش لاختار البقاء فيها
على هذه الحالة مع كونه لا يحدث نفسه في اقامة بازدياد
ولا عن معصية بانتقال وهذه كلها اخلاق يهود به لا تليق
بمن ينسب الى الملة المحمدية قال الله عز وجل مخبرا عن حال
اليهود وكاشفا لاسرارهم وهتكا لاستارهم ولتجدنهم
احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر

الوسنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله
بصير بما يعملون فلو لم يكن الغافل عن محبة البقاء في هذه الدار
ويأمره بإيثارها على دار القرار الا شبهه باليهود لكفى في التنفير
للعهود لنسبتها وتنبيها وامر المعبود فهان ذكره بلغ [illegible] وامر
فضلا عما ورد في ذلك من نهي عنها وزجر نزع الله عن
قلوبنا حجاب الغفلة والغرور ورحمنا عن نتائجه كالظلوم
والكفور ووهب الينا لقاءه ورزقنا ما رزق اولياءه واصفياءه
واحباه بمنه وكرمه امين ما حجبك عن الله وجود موجود
معه اذ لا شيء معه ولكن حجبك عنه توهم وجود معه
فقد مر ان لا موجود سوى الله تعالى على التحقيق وان
وجود ما سواه انما هو وهم مجرد فلا حجاب لك عن الله
تعالى الا توهم وجود ما سواه لا غير فالتوهمات بالجملة
هي الحجاب لك عن الله تعالى اذ ذاك وقد استوفى المولى رحمه
الله ذكر جميع الانواع اعتبارات هذا المعنى فيما هذا تمامه
في لطايف المنن وخبيه شيء بوجود الكاينات اذا نظرت
اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظلال لا موجود باعتبار
جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم
واذا ثبتت ظلية الاثار لم تنسخ احدية المؤثر لان
الشيء انما يشفع بمثله ويضم الى شكله كذلك انما من شهد
ظلية الاثار لم يعوقه عن الله ذاك في الاستبصار الا الانظار
لا تعوق السفن عن التسيار رحمه هنا يتبين لك ايضا ان
الحجاب ليس امرا وجوديا بينك وبين الله تعالى اذ لو كان
بينك وبينه حجاب وجودي للزم ان يكون اقرب
اليك

اليك منه ولا شيء اقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى
توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجود موجود معه وذلك
كرجل بات في مكان واراد السفر فسمع صوت الرياح من
كوة هناك فظنه زئير الاسد فمنعه ذلك من السفر فلما
اصبح لم يجد هناك اسدا وانما كان الريح في تلك الكوة
فما حجبه وجود الاسد وانما حجبه توهم الاسد لولا ظهوره
في المكونات ما وقع عليها وجود ابصار لو ظهر صفاته
اضمحلت مكوناته ظهور الحق سبحانه من وراء حجاب المكونات
هو الذي اوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا وجود
حجابيتها لم يقع عليها ابصار ولتلاشت لوجود التجلي
الحقيقي كما قال لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته بل لم يكن
هناك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما في الحديث حجابه النار وفي
رواية النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه
كل ما ادركه بصره اظهر كل شيء بانه الباطن وطوى وجود كل
شيء بانه الظاهر من اسمائه تعالى الظاهر والباطن فاسمه الظاهر
يقتضي ظهور كل شيء حتى لا ظاهر معه فينطوي حينئذ وجود كل
شيء واسمه الباطن يقتضي بطون كل شيء حتى لا باطن معه فيظهر
انه الموجود بكل شيء فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار
والحمد لله [illegible] اباح لك ان تنظر ما في المكونات وما اذن لك ان
تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا في السموات
ولم يقل انظروا السموات فقال انظروا ماذا في السموات
فتح لك الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على

امر الله تعالى بالنظر في المكونات ليس لذاتها لانه في ذلك
البعد عن الله تعالى بل لننظر الى ما وراه والحديث هذا وانما امر هم
بذلك ليتوصلوا بنظرهم فيها الى الوجود الظاهر فيها والاشارة
الى هذا المعنى في قول الله تعالى قل انظروا ماذا في السموات
والارض والمعنى المقصود في وجود الظرفية ومنها يستفاد وهو
معنى قوله فتح الابواب الانعام فلو استقطها وقال انظروا
السموات لكان منه دلالة على وجود الاجرام وهي اغيار
وحجاب البعد عنه فكيف يدل ذلك وهو لم ياذن فيه قال
في الحكم العطائية فما نصبت لك الكائنات لتراها ولكن لترى
فيها مولاها فمراد الحق منك ان تراها بعين من لا يراها
تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها
قال والثاني هذا المعنى ما ثبت لك المعاملة الا لتراها
بعين من لا يراها فارق عنها وقع من ليس مرضيا حاله
دون ان يرى الحاجب مولاها الاكوان ثابتة باثباته
وممحوة باحدية ذاته الاكوان من ذاتها عدم محض
كما تقدم وانما حصل لها وصف الثبوت باثباته تعالى
لها واظهر وجعلها الكونا بالثبوت لها امر ظاهر وعرض
عرضي والحق الذي لا زهو وجود احدية الله تعالى والا
مبالغة في الوحدة ولا تحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث
لا يمكن ان تكون اثنين ولا اكثر منها فمن مقتضى حقيقتها
محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد اذ لو وجدت لم تكن
احدية ولكان في ذلك تعدد وثنينية كما قال وعند
ونفي ضد قلت له ليس ذا كر مني فقال اما عندك فعلنا وجود
فقد

وجود فقد وفقد وجد توحيد حق بترك حق وليس حق
سواك وجدي وقال سره من خبايا القدس وفنائي
لكن بذا اكل الغني عن فقد اعناني ورد في للمناجاة اعبد
عن جمال حضرته لكان يقيمان ولكن نتكلمون منه عينه
لم الق غير وجود لما له ثاني واشد المؤلف لنفسه في لطائف
المنن رحمه الله يوصي رجلا من اخوانه اسمه حسن فقال
حسن بان تدع الوجود باسره حسن حاله يتقلد عنه تاغل
ولبث فهمت لتعلمن بانه لا تزل الا للذي هو حال وحق
شهدت سواه فاعلم انه من وهمك الادني وتلك ذاهل
حسب الاله شهوده لوجوده والله يعلم ما يقول القائل
ولقد اشرت الى الصريح من الهدي دلت عليه ان فهمت دلايل
وجود كان وليس شيء غيره يقضي به الان اللبيب العاقل
لا غير والاشياء مثبوتة لينهم ذو نزل ويحمد فاعل
الا من يحد ربك بما يحبون فمن ذلك انه ذم ما لنفسه جاب
ذم العبد لنفسه واحتقارها لما يتحقق من عيوبها وافاتها
مطلوب منه لان ذلك يؤدي به الى الحذر من غرورها وشرورها
فتصلح بذلك اعماله وتصدق احواله والا فدب عليه وما عملت
لدخول الافات عليها ولا يصدر منه ذلك ثناء الناس عليه
ومدحهم له لانه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلم غيره ثم انهم انما
قاموا بالحق وما يجب عليهم من تمام نفسه ومن اعتقاده فيما قال بعضهم
من فرح بمدح الناس فقد امكن الشيطان ان يدخل في بطنه
وقال اخر اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك
من ان يقال بيس الرجل انت فانت والله بيس الرجل وقيل

من المدح الحسن الظن به ينبغي ايضا ان يقوم هو بحق ما يجب عليه

جانب حكمه قد احيائي

مطلب فيما يقوله الانسان عند المدح من الدعاء

لبعض الصحابة لما اثنى الناس بخير ما اقبل الله فيهم
فيقول وقال الى لاحسبكم عراقيا وقال بعضهم لما مدح قال
اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك واشهدك على مقته وقال
اخر اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تواخذنا بما يقولون
واغفر لنا ما لا يعلمون قال الامام ابو حامد الغزالي رحمه
الله وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق وهم
ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله
تعالى يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب
الى الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله تعالى
الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله
تعالى من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره
وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله تعالى
وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما تحقق ان الارزاق
والاجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط
من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه انتهى كلام
ابي حامد الغزالي رضي الله عنه. المؤمن اذا مدح استحيا من الله
ان يثني عليه بوصف لا يشهده من نفسه المؤمن الحقيقي هو
الذي لا يشهد من نفسه محمودة التحق بها ان يمدح او يثنى عليه
وانما يشهد ذلك من ربه عز وجل فاذا اثنى الناس عليه وذكروا
محاسنه استحيا من الله تعالى حياء تعظيم واجلال ان يثني عليه
بصفة ليست فيه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واحتقارا لها
ونفورا عنها ونفورا عنه رؤية احسان الله تعالى اليه
وشهود فضله في اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي به ينال

المزيد

الانسان المؤمن

المزيد مع سلامته من السكون الى ثناء العبيد وجهلاء الناس
من يغتر بما يقف ما عنده لكونه عند الناس الاغترار
بمدح الناس وثنائهم غاية في الجهل والغباوة وذلك
من علامات المقت لان المغرور لا يترك يقينه بنفسه
لظن غيره به وهو على كل حال اعلم بنفسه وقد شبه الحارث
المحاسبي الراضي بالمدح بالباطل بمن يهزا به ويقال ان
العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو
يفرح بذلك ويرضى بالسخرية فلذلك والاستهزاء من الذنوب
والعيوب التي يعلمها العبد من نفسه انتن واقذر من العذرة
التي تخرج من جوفه ولا فرق بينهما الا ان ذا الوجه
من حال المدح يعلم ان المادح لم يشاركه في معرفة ذنوبه حال
وعيوبه مشاركة ذلك المستهزي للمستهزا به في معرفة
حال ما يخرج من جوفه فهو بجهله وغباوته رضي بان يكون
له في قلوب العبيد الجاهلين بحاله قدر وجاه من غير ميل لا ثبت
بسقوطه من عين مولاه الذي يعلم من حاله ما لا يعلمه هو
ولا غيره من حيث رضي بالمدحة وفرح بها ولم يقابل ذلك
بالاباء والكراهة هذا اذا كان المادح من اهل العلم والتقى
واما ان كان جاهلا او فاسقا فلا عبرة اعظم من الرضا
بمدحهم والفرح به قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله
تزكية الاشرار هجنة بك وحبهم لك عيب عليك وقال بعض
الحكماء ان العامة يثنون عليك فاظهر الوحشة من ذلك وقال
لعلهم راوا شيئا اعجبهم ولا خير في شيء يسرهم ويعجبهم
ويروى عن بعض الحكماء انه مدحه بعض العوام فبكى فقال له

تلميذه أتبكي وتدمع حكة فقال له إنه الله بعد حزني وأنفق
بعض خلقي خلقه فلذلك بكيت فانظر هذا فقد نبهك هذا
الحكيم على العلة في ذكره إذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل
فأثن عليه بما هو أهله المؤمن هو الذي لا يرى نفسه
أهلا لأن يمدح أو يثنى عليه لأن موجبات ذلك ليس له منها شيء
كما تقدم فإذا أطلق الله تعالى ألسنة الناس بالثناء عليه ولا
أهلية فيه لذلك فينبغي أن يعرف الحق لأهله فيشغل نفسه
بالثناء على الله بما هو أهله ليكون ذلك شكرا لنعمة إطلاق
الألسنة بالثناء عليه من غير استحقاق لذلك ولا ثبوت أهلية
الزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق
والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك
الحق تقدم أن الزهاد في غيبتهم عن الله تعالى بنفسهم لا يشهدون
إلا الخلق فإذا مدحوا وأثني عليهم شهدوا ذلك من الخلق
فانقبضوا منه لذلك لأنهم يخافون من ذنوب تصيبهم من
ربهم لأجل ما يتوقعون منه من ضرر ذلك والعارفون
حاضرون مع ربهم فهم لا يشهدون معه غيره فإذا مدحوا
شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك وكان مزيدا في حالهم
ومقاماتهم لغيبتهم عن أنفسهم كان بعضهم يمدح وهو ساكت
فقيل له في ذلك فقال وما لي من ذلك ولست أعلم في نفسي إلا
لسنة خير المبين والمجري والمثني هو الله عز وجل وقيل هذا
المعنى في الخبر المروي إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه
قال أبو طالب المكي رحمه الله وفيه طريق العارفين أن يعلوا
الإيمان الحاكي إلى المولى الأعلى فيفرح بذكر المولى له ويصنعه
الملك
أي

إلى سيده الذي تولاه فيرد الصنعة إلى صانعها ويشهد من
الفطرة فاطرها فيكون ذكره مدحا للصانع ووصفا للفاطر
لا ينظر إلى وصفه ولا يعجب بنفسه انتهى قلت وللمؤلف رحمه
الله قصائد في مدح شيخه أبي العباس المرسي وكان ينشدها
كثيرا بين يديه ويقع ذلك منه موقعا عجيبا وكان يستنشد
منه بعضها ويقول في بعضها أيدك الله بروح القدس نحو
ما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن
ثابت مع أن حب المدح من صفات النفس الرذائل التي تشينه المعايب
ولهذا النظر والشهود الجمعي انتفى لهم من مدحهم لأنفسهم
وثنائهم عليها ما لم ينتف لغيرهم كما وقع لجماعة منهم
وقد روي في ذلك عن سيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي
أبي الحسن الشاذلي وسيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنهم
ورضي عنا بهم وغيرهم غير شيء أن ذلك عنهم مقصود
من الصديقية الفيح وما ذكر إلا لما ذكرنا ولا يتأول ما وقع
لهم من ذلك بما تأول به علماء الظاهر مدح يوسف عليه السلام
لنفسه وثناءه عليها بغاية الحفظ والعلم لعدم الحاجة إليه
في هذا المقام والله تعالى أعلم وعلامة الصادق في حب المدح
وإن كان صاحب هذا المقام لا يحتاج إلى علامة أن لا يكره
ذم الناس له [illegible] ذكر اليهم لأنهم مقصورون
في قبضة القدرة فيسعى لهم ويعطف عليهم ولا يجد في قلبه
عليهم ولا يميل عنهم لأذى إليهم كما قيل [illegible]
لي بأحمد الأذى لم أر خيرا منه العطف عليه
فصيرانه يطلع الله على [illegible] الفؤاد فيدنيني إليه

متى كشف له العطف بسكون الغطا وزوال المنع فتمكن
المنع فيخاف بعد كل زوال ثبوت عمله لتكرر عدم صدق في
عبوديته القبض عند المنع والبسط عند العطا من علامات
بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند
العارفين فمن وجد ذلك فليعرف به عدم صدقه في عبوديته
وانه طفيلي بين اهل الله تعالى حتى ادعا به مقاما هم عرفت
لو هد لها والطفيلي هو الذي ياتي الى الولايم بدون الضيافة
فيدخل مع اهلها من غير دعوة وهو منسوب الى رجل من اهل
الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل الاعراس
وطفيل العرائس وكان ياتي الولايم من غير ان يدعى اليها
فشبه صاحب الكتاب هذا به قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي
اكثر الخلق مع الله تعالى في احوالهم وارادتهم على الظنون
ما تحقق منهم الا القليل الا تراه تعالى يقول وما يتبع
اكثرهم الا ظنا فمن تحقق في حاله مع الله تعالى غاب عن كل
ما منه اوله من الاحوال والاقوال والافعال نظرا الى ما
اليه من رعاية الحق وحياطته وتوليه وكان للحق من حيث
الحق له لا من حيث هو للحق ولكن اكثر العبيد يتحبب
اليه بالمعرفة ويظهرون حال المحبة فاذا ورد عليهم
وارد بلاء وخلاف مراد رجعت نفوسهم الى احوال الشقاق
عليها والاعتراض عليها ونسوا ما ادعوا به وما اشاروا اليه
ولو كانوا للحق من حيث الاستحقاق لسووا حيث ما اشار رضا
الى جميع الموارد بسلام وكان متحقق في بيدا مع الوصول
لا تعترض عليه عارضة خلاف واز هذه حاله كما سواه

اذا

اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يوئسك من حصول الاستقامة
مع ربك فقد يكون ذلك اخر ذنب قدر عليك الاستقامة
على العبودية لا ينا قضها فعل الذنب على سبيل الغفلة والهفوة
اذا جرى القدر عليه بذلك وانما ينا قضها الاصرار عليه
فان وقع من العبد ذنب فينبغي ان يبادر الى التوبة منه
ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة مع ربه ويرى الله طرده
وابعده بسببه توجب له القنوط من رحمة الله تعالى ولا ييأس
من روح الله تعالى فقد يكون ذلك الذنب اخر ذنب قدر
عليه وقدر وقوعه ذلك وفرغ منه اذا اردت ان يفتح لك
باب الرجاء فاشهد ما منه اليك واذا اردت ان يفتح لك
الحزن باب الخوف فاشهد ما منك اليه الرجاء والخوف حالات عند
العارفين فمن اراد ان يفتح له باب الرجاء فليشهد ما من الله
له من التفضل والكرم والاسعاف والالطاف فتتعلق عليه حينئذ
حالة الرجاء واذا اراد ان ينفتح له باب الحزن فيشهد ما منه
الى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسوء الادب بين يديه فتغلب
عليه حينئذ حالة الحزن ربما افادك في ليل القبض ما لم
لا تدرون تستفده في اشراق نهار البسط لا تدرون ايهم اقرب
لكم نفعا تقدم ان القبض يوثره العارفون على البسط
لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء بادابه
دون البسط فقد تنفتح لهم فيه من ابواب المعارف ما لا
تنفتح لهم في البسط فينبغي للعبد ان يعرف نعمة ربه تعالى
في ليل القبض كما يعرفه في اشراق نهار البسط كما علمت في الليل
من المنافع ما ليس في النهار فليعلم ذلك الي ربه ليحفظه به

فإنه لا يدري أيهما أقرب إليه نفعا كما أشار إليه بالآية
الكريمة وتشبيه القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز
بديع وقد تقدم نحوه في كلام سيدي أبي الحسن رضي
الله عنه **مطالع الأنوار القلوب والأسرار**
نجوم العلم وأقمار المعرفة وشموس التوحيد مطالعها
وموضع شروقها قلوب العارفين وأسرارهم وهذه
هي الأنوار الحقيقية المحسوسة قال في لطائف المنن واعلم
أن الله سبحانه إذا تولى وليا صان قلبه من الأغيار وحرسه
بدوام الأنوار حتى لقد قال بعض العارفين إن الله
سبحانه قد حرس السماء بالكواكب والشهب أن يسترق السمع منها
فقلب المؤمن أولى بذلك يقول الله فيما يحكيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب
عبدي المؤمن فانظر رحمك الله هذا الأمر الكبير الذي
أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلا ولهذا قال
الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه لو كشف عن نور المؤمن العاصي
لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع وقد
سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول لو كشف عن
حقيقة الولي لعبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من
نعوته قال لقد أخبرني بعض المريدين قال صليت خلف
الشيخ صلاة شهدت ما بهر عقلي وذلك أني شهدت بدن
الشيخ والأنوار قد ملأته وانبثت الأنوار من وجوده
حتى إني لم أستطع النظر إليه قال فلو كشف الحق تعالى عن
مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر في

في

من المطالع الروحانية بخلاف الأنوار ح

قا

من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم
الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار قلوب أوليائه
لا كسوف لها ولا غروب لذلك قال بعضهم إن شمس النهار تغرب
بالليل وشمس القلوب ليست تغيب **نور مستودع في القلوب
مدده النور الوارد من خزائن الغيوب**
نور اليقين المستودع في القلوب يستمد ومنه يستمد ضياءه من
النور الوارد من خزائن الغيوب وهو نور الأوصاف
الأزلية كما ذكرنا عن الشيخ أبي العباس المرسي في غير هذا وقد
تقدم من كلام المؤلف رحمه الله إنارة الظواهر بأنوار آثاره
وإنارة السرائر بأنوار أوصافه **نور يكشف لك به عن آثاره
ونور يكشف لك به عن أوصافه** النور الذي يتوصل بالحواس
يكشف لك به عن آثاره وهي الأكوان المحدثة ويهديك
إلى ذلك كبير حاجة الأمر حيث تستدل بها على المؤثر والنور
المستودع في القلوب يكشف لك عن أوصافه الأزلية حتى تراها
عيانا وهذا غاية بغيتك ومنه شرف قدرك ومنزلتك
إذ بذلك تتحقق بالمعرفة وترتفع في المشاهدة ولا تحتاج
إلى دليل يدلك وهذا فرق ما بين النورين فالذي لطالع لك
نور الشمس تشهد به الآثار ونور اليقين يشهد به المؤثر ولنا
في هذا المعنى هذه الشمس قابلتنا بنورها وشمس اليقين
أظهر نورا فقابلنا بهذه النور لكن بمانعك قد أرينا النيرا
ربما وقفت القلوب مع الأنوار [illegible] بكثائف الأغيار
القلوب نورانية فتحتجب بوقوفها مع لطائف الأغيار النورانية

من العلوم والمعارف والنفوس الظلمانية تحتجب بحجب
كثائف الاغيار الظلمانية من العادات والشهوات فالقلوب
محجوبة بالانوار والنفوس محجوبة بالظلمات والحق
وراء ذلك كله قال الجد التستري في قصيدته النونية تقدس
للاوهام لما تداخلت عقله وفهوم العقلاء وزال الحزنا السجنا
وهمت بانوار فغضنا اصولها ومنبعها من اين كان فها هنا
وقد تحجب الانوار للعبد مثلما تبعد من نفس الظلام لغير جوت ضغنا
ستر انوار القلوب بكثائف الاكوان ظهر لا لانها ليس
تنتهي الى الوجود الا كما لا نوار ان ينادي عليها بلسان الاشتهار
الانوار السرائر انما خفيت عن العيان بما ستر بها من كثائف
الاكوان للعزم ايتام الظهور التامة ينبغي ان تكون الا انها لانها
رفيعة القدر جليلة الخطر فاجلها عن ان تبتذل لها بالوجود
لظهارها نهاك عن ان ينادي عليها بلسان الاشتهار بين
الاغيار فيبلون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم مثله
هذا الستر في قوله سبحانه من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية
وقال رضي الله عنه سبحان من لم يجعل الدليل على اوليائه
الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد
ان يوصله اليه لا دليل على الله سواه ولا وصول اليه بغيره
وكذلك اولياؤه لما كان الوصول الى الله تعالى او بسبب كان اولياؤه
المخصوصين ممن كذا عاخلع عليهم الخلع العظيمة حتى تراهم
بمنة الجنة واصطفاهم لنفسه واختصهم بمحبته وكلهم اسرارهم هم
من الخامس الاغيار وصان قلوبهم بما اورد فيها من الانوار

لا يكون الا بالعناية والخصوصية ... يكون بطلب

والاسرار فكانوا لذلك كالضنائنية في عباده رضيا يا من بلاده
كما قال في بعض الاشارات عنه سبحانه اوليائي تحت قبابي
لا يعرفهم احد غيري وهذا من غيرته عليهم لان الحق
تعالى اغير على اوليائه من ان يظهرهم الى من لا يعرفهم
فلم يجعل لاحد دليلا عليهم الا من حيث الدليل عليه ولم
يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه لانه يلبسهم لباس
التلبيس بين الانام ويظهرهم بما يخفرهم في اعين الخواص
والعوام فان يكون لاحد دليل عليهم او وصول بسبب اليهم
قال في لطائف المنن فاولياء الله اهل الكهف لا دليل يدل عليهم
من يعرفهم قال وقد سمعته يعني شيخه ابا العباس رضي الله
عنه يقول معرفة الولي اصعب من معرفة الله فان الله تعالى
معروف بكماله وجماله وحتى متى ما انت تعرف مخلوقا مثلك يأكل
كما تأكل ويشرب كما تشرب قال فيه واذا اراد الله ان يعرفك
بولي من اوليائه طوى عنك وجود بشريته واشهدك وجود
خصوصيته وقال صاحب كتاب العامة والخهر هم للخاصة
فلا يعرفهم الا شكلهم ومثلهم او يحبهم ولله تعالى عباد
ضن بهم عن الخاصة والعامة وعباد اظهرهم للخاصة والعامة
ولله عباد يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية ولله
عباد يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية ولله
عباد لا يظهرهم حقيقة ما بينه وبينهم الا الحفظة فمن
سواه حتى يلقونه بما اودع منه في قلوبهم وهم شهداء
الملكوت الاعلى والصفح الايمن من العرش الرحمن يتولى
الله قبض ارواحهم بيده فتحيرها جادهم به فلا يعدو

لطائف

الولي اصعب

انوار القلوب
لله سبحانه
وتعالى عباد
ظن بهم عن

عليها الثرى حتى يبعثوا بها مشرقة بنور البقا المجعول
فيهم ببقا الابد مع الباقي الاحد عز وجل انتهى وقال
ابو يزيد اولياء الله تعالى عرايس ولا يرى العرايس الا
من كان محرما لهم واما غيرهم فلا وهم مخدرون
في حجال الانس لا يراهم احد في الدنيا ولا في الاخرة وقال
ابو علي الجوزجاني الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة
تولى الله سبحانه سياسته فتوالت عليه انوار التولي
لم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله عز وجل قرار
وفي الاشارات عن الله تعالى ان من احب الولي وليا لانه
يلي دون ما سواه فهم منزعون يتنزل اليهم الحق تعالى
منزلة يوصل اليهم تغييره ولذا صدر المولف رحمه الله
كلامه بالتنبيه ربما اطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك
الاستشراف على اسرار العباد من لطف الله تعالى اخفاء
اسرار الناس بعضهم عن بعض لا سيما سر يقتضي وجود
نجس وهو لطف هو ما ذكره المولف هنا بداية الكلام الذي
عقبه به وقد يظهر لبعض الناس ما سوى ذلك من الاسرار
الملكوتية ووجه الفرق بينهما ما يذكره المولف رحمه الله
ورضي عنه الان ويحتمل ان يريد ما هو اعم مما ذكرناه
ويدخل في ذلك اسرار الولاية اذ اختص الحق تعالى بها
بعض عباده ويكون في ذلك تنبيه على العلة الموجبة لخفاء
الولي حسبما ذكره المولف في المسئلة التي فرغنا منها حتى يمتنع
الوصول اليه بطلب وسبب واختار ذلك ايضا من عامة
المومنين من النعم العظيمة اذ لو ظهرت اسرار الولاية
علي

ولياً

ولذلك صدر

علي احد الا وجبت علي من ظهرت له حقوق لا يقدر على القيام
بما يجب منها فان فرط في ذلك وترك القيام بتلك الحقوق ربما
وقع بسبب ذلك في خطر ولذا القوم لما شهدوا كلام سهل
بن عبد الله رضي الله عنه وقد ساله بعض تلامذته كيف
تعرف اولياء الله فقال ان الله تعالى لا يعرفهم الا لشكلهم
او لمن اراد ان ينفعه بهم ولو اظهرهم حتى يعرفهم الناس
لكانوا حجة عليهم ومن خالفهم بعد علمه كفر ومن قعد عنهم
خرج ولكن الله تعالى جعل اختياره تغطيتهم سترهم رحمة
منه لخلقه ورافة ولكن الله قد اخبر بكرامتهم فقال
تعالى الله ولي الذين امنوا والله ولي المومنين فافرد ذكرهم
به ولو اظهرهم حتى يعرفهم لكان في النظر اليهم حجة وكانت
الاستماع لحديثهم فرضا والمعنى الذي ذكرته في هذه المسئلة
فهمته من الكلام الذي ذكره الشيخ ابو طالب في كتاب الشكر
قال فيه ثم بعد ذكر لطائف المنعم ومن ستره عيوبهم بعضهم
من بعض وسترهم عند العلماء والصالحين منهم لولا ذلك لما
نظروا اليهم لم يحبهم الصالحين منهم ولو ظهر عليهم ايات
يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله
تعالى لهم وقربه منهم لبطل ثواب المحسنين اليهم ولحرم
قبول احسانهم عليهم ولحبطت اعمال المسيئين اليهم فوجب
ذكر ستره ما جعل العاملين لهم في الخير والشر من الرجا في
وحسن الظن من وراء حجاب اليقين وتاخرت عقوبات المؤذ
لهم عن المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شانهم عند ربهم
عز وجل وجليل قدرهم ففي سترهم نعمة عظيمة على الصالحين

ويحجبه وسترهم

في نفوسهم من سلامة دينهم وغفلة فتنتهم وتغمر جليلة
على المنتهكين لحرمتهم المصغرين لشعائر الله تعالى من
اجلهم اذ كانوا انما والوهم من اجل المحاب وهذا هو
لكونه خوفا من سطوة المنتقم الوهاب كما جاء في الخبر من آذى لي
وليا فقد بارزني بالمحاربة وانا الثائر لاوليائي فقد
يكون متلذذا لكونه آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل ان
يخبره انه رسول الله او ان الله عز وجل نباه فلا يكون وزره
وزر من انتهك حرمة من كان يعلم انه نبي الله عز وجل لعظيم
حرمة النبوة انتهى ما ذكره الشيخ ابو علي والوجه الاول
اولى في تقرير معنى ما ذكره المولف رحمه الله والله سبحانه اعلم
من اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية
كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال اليه المطلع على لجر اسرار
السرائر التي تقتضي وجود العيب اذا لم يتخلق صاحبه
بالرحمة الالهية فيرحم المومنين ويحلم عند الخطا المعيب
ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين ويراف بهم ابدا لله
تعالى رحمة فانه يكون ذلك الاطلاع فتنة عليه لانه قد
يوديه الى روية نفسه واستعظام امرها والعجب بعمله والتكبر
على غيره وهذا هو اعظم الفتنة ويكون ايضا سببا
الى جر الوبال اليه من دعاية بصفات ربه ومنازعته
لكبريائه وعظمته وهذا هو اعظم الوبال وغاية الخزي وغاية
والنكال وفي بعض الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله قلب
عليه وسلم ما نزعت الرحمة الا من شقي وفي حديث عبد الله بن
عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون
ابن العاصي

يرحمهم

الرحمن
يرحمهم الله ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وفي الآثار
عن الله تعالى عبدي انت تخلقتك شققت لك من الرحمة اسما
شقا فكن انت ارحم بالمومنين نفسه وقد ادب الله سبحانه وتعالى
خليله ابراهيم عليه السلام في بعض هذه القصة العظيمة المعقدة الاولى
وعلمه كيف يتخلق بالكرم بعد ما اطلعه على الاسرار روى عن
قبيصة بن ذويب انه قال بلغني ان ابراهيم عليه السلام حدث
نفسه انه ارحم الخلق قال فرفعه الله تعالى حتى اشرف على اهل
الارض فابصر اعمالهم وما يعملون فقال يا رب دمر عليهم فقال
الله عز وجل انا ارحم بعبادي منك يا ابراهيم اهبط فلعلهم
يتوبون ويرجعون وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لما اري الله ابراهيم عليه السلام ملكوت الارض اشرف
على رجل على معصية من معاصي الله تعالى فدعا عليه فهلك ولم يكن
على آخر وآخر فهلكوا فاوحى الله تعالى اليه ان يا ابراهيم
انك مستجاب الدعوة فلا تدعو على عبادي فانهم مني على ثلث
خصال اما ان يتوب فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة
تسبح لي واما ان يبعث الي فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته
وقيل ان سبب امر الله تعالى له بذبح ولده هو هذا المعنى
الذي يظهر منه من غلظته على العصاة وقلة رحمته لهم وذكر في
بعض التفاسير انه عليه السلام كان يعرج به كل ليلة الى السما
وهو قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب على فاحشة فقال
اللهم اهلكه يا مهلك رزقك ويمشي على ارضك ويخالف امرك
فاهلكه الله تعالى فاطلع على آخر فقال اللهم اهلكه فنودي

لكفوا عن عبادي رويدا فاني لهما وانتم عاصين فتماسكوا
امرك في المنام ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم حيث يقول
اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى فلما شمر لذلك
واخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدي وثمرة فؤادي
واحب الناس الي فسمع قائلا اما تذكر ليلة كذا التي سالت
سالت اهلاك عبدي اوما تعلم اني رحيم بعبادي كما انت شفيق
بولدك فاذا سالتني هلاك عبدي سالتك ذبح ولدك واحدا
بواحد والبادي اظلم حظ النفس في المعصية ظاهر جلي
وحظها في الطاعة باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه
النفس انما تعالج بدوام طلب الحظوظ والعزم عن الحقوق فهي لا تسكن
الا في ذلك ولو في عملها بالطاعات فضلا عن المعاصي ومن
حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له مصداق هذا وقد تجد
من النشاط والقوة في نوع من العبادة ما لا تجده في نوع آخر
وان كان هذا الآخر اتم فضيلة منه وما ذاك الا لان حظها
فيه اكثر من الآخر فاهل الخبرة والبصيرة يتهمون انفسهم
اذا الفت بابا من ابواب العبادات لمعرفتهم بخدعها ومكايدها
فيشوشون ذلك عليها ويتنقلون فيها وقد حكي عن ابي منها
محمد المرتعش انه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد
فبان لي ان جميع ذلك كان مشوبا بحظي وذلك ان والدتي
سالتني يوما ان استقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت
ان مطاوعة نفسي في الحجات كانت بحظ وشوب من نفسي اذ
لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع فقد
ما يبين ان حظ النفوس في الطاعة موجود ولكنه خفي على العامل
بذلك

فلذلك تعسر مداواته لانه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ
ادراك ليتخلص بذلك من آفات نفسه ولطائف خدعها وخفايا
حظوظها فيحملها على تصفية اعمالها من ذلك فلا جرم ان كان
ذلك متعذرا الا بحثه على اتهام نفسه ومما الفيته في كلامها ما تدعو
اليه كافيا ما حكاه قال الشيخ ابو بكر الخفاف سمعت بعض
مشايخنا يقول عن احمد بن ارقم البلخي كانت نفسي تنبئني
تنبئني بالخروج الى الجهاد بالغزو فقلت سبحان الله ان الله
يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون
هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس فتستروح
اليهم ويتسامع بها فيستقبلونها بالبر والتعظيم فقلت لها
لا انزلك العمران ولا انزل على معرفة فاجابت فاسات
الظن بها وقلت والله اصدق قولا فقلت لها اقاتل العدو
حاسرا فتكوني اول قتيل فاجابت وعد اشياء مما اراد بها
به فاجابت الى كل ذلك قال فقلت يا رب نبهني لها فاني لها
متهم وللقول لك مصدق فالهمت كانها تقول انك تقتلني
كل يوم مرات بمنعك اياي من شهواتي ولا يدري بي
احد فان قاتلت فقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت منك
ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد فتكون شرفا لي وذكرا
في الناس قال فقعدت ولم اخرج ذلك العام فسبحان
خدع النفس وغرورها اعاذنا الله من شرها وسيأتي من
كلام المؤلف رحمه الله اذا النفس عليك [illegible] النظر
الغلبهما على النفس ما تبعه فانها لا تبقى عليها الا ما كان حقا
ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك

الناسي حج لحد العدو
لي تحه
سار كاسلاه

رياء العبد بالعمل حيث يكون بحيث يسره اطلاع الناس لكنه بصير
لا يحتاج الى امارة عليه ورياؤه بعمله حيث لا يراه احد امر
خفي لا يعرف الا بالامارات والعلامات بل هو اخفى من
دبيب النمل ومن اماراته ان يلتمس بقلبه توقيرا للناس له
او تعظيمه وتقديمه في المحافل والمبادرة ومسارعتهم الى
قضاء حوائجه واذا قصر احد في حقه الذي يستحقه عند نفسه
استبعد ذلك واستنكره ولم يجد تفرقة بين اكرامه واكرام
غيره واهانته واهانة غيره حتى ربما يظهر بعض سخفاء
العقول ذلك على المستهزئين فيتوعدون من قصر في حقهم بمعاجلة
الله له بالعقوبة وان الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم
ويأخذ بثارهم فاذا وجد العبد تفرقة الامارات في نفسه فليعلم
انه مراء بعمله وان اخفاه عن اعين الناس وقد روي
عن علي رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى يقول للفقرا
يوم القيمة الم تكونوا تبدؤون بالسلام الم تكونوا
تقضى لكم الحوائج وفي الحديث الاخر قد استوفيتم اجوركم
وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب بن منبه ان رجلا من
العباد قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة
الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من
الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا
اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان
تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه
لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس
فاذا السهل والجبل قد امتلأ من الناس فقال السائح
ما هذا

لا اجر لكم صح
بمعاجلة
احدنا

ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام
فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فاقبل يحشو شدقه ويأكل
اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف
انت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا
من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني
وانت لي ذام ومن هذا النوع من الرياء خاف الكبار وعدوا
انفسهم بسببه من الاشرار لما روي عن الفضيل بن عياض
رضي الله عنه انه قال من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي
وسمع مالك بن دينار امرأة وهي تقول له يا مرائي فقال
لها يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة ودخل رجل
على داود الطائي فقال له ما حاجتك قال زيارتك فقال اما
انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل
بي انا اذا قيل لي من انت فقيل ازاهد انت لا والله ام
العابد انت لا والله ام الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ
نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما كبرت صرت مرائيا
والله للمرائي شر من الفاسق الى غير ذلك مما روي عنهم في هذا
المعنى ولا يتم اجتناب الرياء الجلي والخفي الا العارفون الموحدون
لان الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيبت نظرهم
رؤية الخلق بما اشرق على قلوبهم من انوار اليقين والمعرفة
فلم يرجوا منهم حصول منفعة ولم يخافوا منهم وجود مضرة
فاعمالهم كلها خالصة وان عملوها بين اظهر الناس وبمرأى منهم
ومن لم يخلص بهذا وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع
ودفع المضار فهو مراء بعمله وان عبد الله تعالى في قلة جبل

لا يراه احد ولا يسمع به وقد تقدم من قول يوسف بن الحسين
الرازي اعز شيء في الدنيا الاخلاص وكم اجتهد في ازالة
الريا عن قلبي فكانما ينبت على لون آخر استغفر الله من
[illegible] الخلق [illegible]
[illegible]
الخصوصية ههنا ما اختص الحق سبحانه بعض عباده من علم
نافع وعمل صالح وصدق العبودية فيه ان يقنع بعلم الله تعالى
فيه بحاله ولا يتطلع الى ان يعرف بذلك احد من الخلق فتشغله
حينئذ الخيانة بهذه لتركه عن الاستشراف الى معرفة
الخلق بذلك ولغيرته على حاله من رؤية الاغيار له ولاجل
ذلك فضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا
كما ورد في الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم وقال عيسى عليه
السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه وليمسح
شفتيه فاذا خرج الى الناس راوا انه لم يصم واذا اعطى
فليعطه بيمينه وليخفها من شماله واذا صلى احدكم فليسدل
عليه ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق
وقيل لحكيم من الحكماء ما علامة الصادق فقال كتمان الطاعة
وقال احمد بن ابي الحواري رحمه الله من احب ان يعرف
بشيء من الخير او يذكر به فقد اشرك في عبادته لان من عبد على
المحبة لا يحب ان يرى خدمته غير محبوبه وقال الشيخ ابو عبد الله
القرشي كل من لم يقنع في افعاله واقواله بسمع الله وبصره
دخل عليه الريا لا محالة وقال بعضهم ما اخلص لله عبد الا احب
ان يكون في جب لا يعرف وقال سهل بن عبد الله التستري من
احب ان يطلع الخلق على ما بينه وبين الله تعالى فهو غافل وقال
ابو

ابو الخير الاقطع من احب ان يطلع الناس على عمله فهو مراءٍ
ومن احب ان يطلع الناس على حاله فهو كذاب وقال بعضهم
لمن استوصاه لا تحب ان تعرف ولا تحب ان تعرف انك ممن
لا يحب ان يعرف فعلى العبد اخفاء اثر جهده وان يبالغ
في كتمانه اقصى ما يقدر وقال الحسن ادركت اقواما ما من
احد يستطيع ان يسر شيئا من عمله الا اسره وان كان الرجل وما
ليجلس مع القوم وانه لفقيه وما يعلم به حتى يقوم ولقد ادركت
اقواما ياتي احدهم الزور فيصلي وما يشعر به اهل الزور
ولقد ادركت اقواما وما منهم احد يقدرون ان يعملوا
سرا فيكون علانية ابدا ولقد ادركت اقواما يجمع
احدهم القرآن وما يعرف به جاره ولقد ادركت اقواما
يجتهدون في الدعاء وما يسمعهم احد وقال محمد بن واسع
ادركت رجالا كان الرجل يكون راسه مع راس امراته
على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به
امراته ولقد ادركت رجالا يقوم احدهم في الصف
فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي الى جنبه وفي
رواية عنه ان كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامراته معه
لا تعلم وان وقع منه اعلان واظهار في وقت فليتفقد حسد
لبراءة قلبه وصونه عن ان يجد فيه الفرح باطلاع الناس
على حاله وليبادر ذلك على نفسه ويكرهه ولا يرضاه منها
وليجاهد نفسه في ذلك اشد المجاهدة فان خالف هذا واسترسل
الى معرفة غيره له بحاله وغفل عن مجاهدة نفسه في حال ظهور
ذلك منه ولو في لحظة خيف عليه ان يجد الفرح في قلبه فيقع عند

في الفتنة فان كان حقيق الارادة لم يسلم من الوقوع في الريا
الجلي والخفي لان سببه قد استثبت له وان كان قوي الارادة سالكا
سالما لاسباب المعرفة لم يسلم من السكون والركون فيفقد
حينيذ الغيرة على الحال وينحط بذلك عن ارادة الكمال
ولهذا كان استعال المنزلة عند الناس من محذورات سالكي
هذه الطريقة كما تقدم عند قوله ادفن وجودك في ارض
الخمول فان تحقق العبد المعرفة وشاهد الوحدانية
الصرفة جاز له الاخبار باعماله والاظهار لمحاسن احواله
بناء منه على نفي الغير واداء لواجب حق الشكر كان بعض السلف
يصبح فيقول صليت البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا
سورة فيقال له اما تخشى من الريا فيقول وهل رايتم
من يرائي بفعل غيره وكان اخر يتحدث بفعل مثل ذلك
فيقال له لم لا تكتم ذلك فيقول الم يقل الله سبحانه واما
بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث فان قصد من
هذا حاله اي بهدايته عباد الله ودعايهم الى الله فاظهر
احواله واعماله للاقتدا به والاهتدا بهديه فهو خارج
عن النوع الاول كله وداخل في حكم هذا النوع الثاني وعلانيته
بهذا افضل من سره لسلامته من الافات التي تعرض لها غيره
وحصلت منه الفوايد التي تضمنها اظهاره وجهره وقد
جا في الخبر السر افضل من العلانية والعلانية افضل لمن
اراد الاقتدا وهذا احد الوجوه عند العلما في قوله صلى
الله عليه وسلم للرجل الذي سال عن فرحه باطلاع الناس على
بعض اعماله لك اجران اجر السر واجر العلانية وقد
فعل

فعل ما ذكرناه من اظهار الطاعة جماعة من الصحابة والتابعين
رضي الله عنهم ممن ذكر وقايعهم في حلية الاوليا وكان
ذلك منهم لاجل هذا الغرض ومقاصد هذا الغرض مقام النصيحة
لعباد الله والدعاة لهم الى الله فلا جرم كان له الدرجات
العالي عند الله لانه من ايمة المتقين لله وقد اخبر الله
تعالى بجزايهم وذكر عقيبه دعايهم بذلك فقال عز من
قايل اوليك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها
تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قال في كتاب
المنن اعلم ان مبنى هذا الولي على الاكتفا بالله والقناعة بعلمه
والاعتنا بشهوده قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو
حسبه وقال سبحانه اليس الله بكاف عبده وقال الم يعلم
بان الله يرى وقال اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد
والانفراد بالملك الحق صح
فمبنى امرهم في بدايتهم على الفرار من الخلق واخفا
الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا لفنايهم وتثبيتا لزهدهم
وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص اعمالهم لسيدهم
حتى اذا تمكن اليقين وايدوا بالرسوخ والتمكين
وتحققوا بحقيقة الفنا وردوا الى وجود البقا فهناك
ان شا الحق اظهرهم وان شا سترهم وان شا اظهرهم
هادين لعباده اليه وان شا سترهم فاقطعهم عن كل
شي اليه وظهور الولي لم يكن بارادته لنفسه لكن بارادة
الله تعالى له بل مطلبه ان كان له مطلب الخفا الا كما قد
قلنا لم يمكنه الظهور مطلبهم واراد سبحانه اظهارهم فاظهرهم
لا يعرفون ذلك بتاييده وواردات مزيده لقلو

صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تطلب الامارة
فانك ان اعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها وان اعطيتها
عن مسئلة وكلت اليها ومن تحقق بالعبودية لله تعالى
لم يكن له ظهور ولا خفا بل ارادته وقف على اختيار سيده
وقال الشيخ ابو العباس من احب الظهور فهو عبد الظهور
ومن احب الخفا فهو عبد الخفا ومن كان عبدا لله فسوا عليه
الظهور او اخفاه تنبيه ثم يخلص اليك نحمد الله اليك
وغير منه اعمالهم الذكر وشهود اقباله عليك هذا المعنى
هو حقيقة صدق عبوديته لله العبد الذي اشار اليه في
المسئلة التي قبل هذه وهو ان لا يكون له شعور بما صح
للخلق اليه من نظر واقبال ولا تشرف اليه ولا تطلب له وانما
يكون شعوره وتشوقه وطلبه ما من الله اليه من نظره اليه
واقباله عليه فيغيبه ذلك عن الجانبين باعلاهما وذكر ما
يعلم ان ما من الخلق اليه امر وهمي باطل منتقل
اليه كل ذي عقل فامر يوجب له هذا الالتفات لانواع
من الكبائر والرذائل من الاحتيال في هوى الناس
وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع والتزيين لهم وتربية
الجاه والحشمة لديهم تكبرا وتعظما عليهم ومعاشرتهم
بالنفاق والدهان وتحامل الاسرار والاعلان وهذا عداوة
اليه فيجعله مذموما اذ يقول بذلك راحة قلبه ويحبس نفسه
ويلبسه ثوب القناعة والعز ويلبسه لباس الطمع والذل
فتردي بذلك همته وتقل قيمته ويعدا في الاخرة الكبر وقد
قال الشاعر من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

وراى

وراى سهل بن عبد الله رجلا من الفقرا يبكي فقال له شيا
فقال يا استاذ لا اقدر على هذا من اجل الناس فالتفت سهل
الى اصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا حتى يكون
باحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدار الا هو
وخالقه فان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه او تسقط نفسه
من قلبه فلا يبالي باي حال يرونه انتهى ثم من له حصول
ما ارادته منهم واغراضهم مختلفة ومحابهم متباينة
فربما استحسن منه شيا لم يستحسنه غيره وربما ارضى
شخصا بما لا يرضي اخر فهو يعمل بزعمه فيما ينفعه عند الناس
وهو ساع فيما يضره عندهم وعند الله تعالى مع مقاسات
التعب والنصب في نفسه وفي الحكاية المذكورة عن لقمان
وابنه تنبيه على هذا المعنى ذكر ان لقمان دخل ذات
يوم السوق وهو راكب حمارا وابنه يسوقه فقال الناس
شيخ راكب وصبي ماش فركب ابنه خلفه فقالوا اثنان
على حمار هلا زاد ذا لثالث فنزل لقمان وبقي الولد فقالوا شيخ
يمشي وصبي راكب فنزل الصبي والده وساقا جميعا الحمار
فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه وكان غرض لقمان
ان يرى ابنه شان الناس من مراعاة نظرهم وانه لا يسلم
منهم على اي حالة يكون فرضا الناس غاية لا تدرك
واحمق الناس من طلب ما لا يدرك وهذا حال من اتبع الاوهام
وسفه عقله وسخف الاحلام واما من كان له عقل وافر وحلم
فاخر فلا يميل الا الى ما هو حق ووجود صدق فهو مما من
الله اليه من نظره واقباله وجزيل عطاياه عليهم لا يزال فهو

ويعمل فيما يؤديه الى هذه المطالب من غير التفات الى لوم
لائم وعتب عاتب ويقول بلسان حاله ان الذي تكرهونه
مني ذاك الذي يشتهيه قلبي ويقول ايضا ما قاله محمد
بن اسلم ما لي ولهذا الخلق كنت في صلب ابي وحدي ثم صرت
في بطن امي وحدي ثم دخلت في قبري وحدي ويأتيني منكر
ونكير ويسألاني وحدي فان صرت الى خير صرت وحدي
وان صرت الى شر صرت وحدي واوقف بين يدي الله
وحدي ويوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي فان بعثت
الى الجنة بعثت وحدي وان بعثت الى النار بعثت وحدي
فما لي وللناس وقد سئل الحارث بن اسد المحاسبي رضي الله
عنه عن علامة الصادق فقال الصادق هو الذي لا يبالي
لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من اجل صلاح قلبه ولا يحب
ان يطلع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره ان
يطلع الناس على السيء من عمله فان كراهته لذلك دليل على
انه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاق العارفين
صفتهم ان الحق شهدهم في كل شيء فلا يستوحشون من شيء
ويستأنسون به في كل شيء كما تقدم من نعت العارفين وصفتهم
فيه غائب عندهم فلا يكون منهم على الاشياء اعتماد ولا لهم
اليها استناد ومن احب ان يوثر عليه شيء من مراداته
وشهواته فهذه الامور التي ذكرناها الموصوفة هي علامات
بلوغ هذه المقامات العلية وبها تتم وتكمل فمن لم يجد
في نفسه فلا ينبغي له ان يدعي تلك المقامات وليعمل
على مجاهدة نفسه بما يصححها ويكملها وانما
حجب

حجب الحق عنك شدة قربه منك شدة القرب حجاب كما ان
شدة البعد حجاب لان شدة قربه منك موجبة لاضمحلالك وذهابك
واضمحلال الذات لا مناسبة بينه وبين الثابت الموجود فكيف
يراه قال في لطائف المنن فعلم ان القرب هو الذي غيب
عنك شهود القرب قال الشيخ ابو الحسن رحمه الله حقيقة
القرب ان تغيب في القرب عن القرب لعظم القرب كمن يشم
رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنى منها تزايد ريحها
فلما دخل البيت الذي هو فيه انقطعت الرائحة عنه
وانشد بعض العارفين. كم ذا تمره بالشعبين والعلم
والامر اوضح من نار على علم. اراك تسال عن نجد وانت
بها وعن تهامة هذا فعل متهم. انما احتجب لشدة
ظهوره وخفي عن الابصار لعظم نوره هذه عبارة
تداولها الناس وضربوا لها مثلا بالشمس وذكروا ان
الشمس لنورها اقوى من سائر الانوار المحسوسة وقوة
نورها هو الذي حجب الابصار الضعيفة عن ادراكها فصار
ظهورها الذي اوجب وجود نورها حجابا لها وبين الحجاب
على التحقيق منها فان الظاهر لذاته لا يحجب ذاته وانما
الحجاب عليه من غيره والحجاب ههنا ضعف البصر عن مقاومة
فيضان النور فالحق تعالى احتجب عن الخلق لشدة ظهوره
وخفي عن الابصار لعظيم نوره وانشدوا في هذا المعنى
لقد ظهرت فلا تخفى على احد الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا. وكيف يعرف من بالعزة استترا
بالنور تظهر ما ترى من صورة. وبه وجود الكائنات بلا امترا

لكنه يخفى لعزة ظهوره حسا ويدركه البصير من الورى
فإذا نظرت بعين عقلك لم تجد شيئا سواه على الذوات
مصورا وإذا طلبت حقيقة من غيره تبذل جهالة تنزلا
معثرا. وما قال رضي الله عنه لا يكن طلبك تسببا إلى العطا
منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لإظهار العبودية
وقياما بحقوق الربوبية لم يأمر الله تعالى عباده
بالطلب له والسؤال منه إلا ليظهر افتقارهم إليه ومثولهم
بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون ذلك إظهارا للعبودية
وقياما بحقوق ربوبيته لهم لا لأن يسوق إليهم حصول
ما طلبوه ونيل ما رغبوه مما لهم فيه منفعة وحظ هذا هو
فهم العارفين عن الله عز وجل ويدل على هذا المعنى ما يذكره
المؤلف الآن. قال أبو نصر السراج رحمه الله سألت بعض
الشيوخ عن الدعاء ووجهه لأهل التسليم والتفويض فقال يدعو
الله عز وجل على وجهين أحدهما يريد بذلك تزين الجوارح
الظاهرة بالدعاء لأن الدعاء ضرب من الخدمة يريد أن يزين
جوارحه بهذه الخدمة والثاني أن يدعو ائتمارا لما أمر الله
تعالى من الدعاء انتهى وقد قيل ما يراد الدعاء إلا إظهار الفاقة
بين يديه وإلا فالرب يفعل ما يشاء ومقتضى هذا أن لا ينقطع
سؤاله ولا رغبته وإن أعطاه جميع ما طلب وأناله كل سؤل وأن
لا يفرق بين العدم والوجود والمنع والعطاء فيما يرجع
إلى إظهار الفاقة والتكرر فيكون عبد الله في الأحوال كلها كما
أنه ربه في الأحوال كلها وقبيح بالعبد أن يصرف وجهه عن باب
مولاه بنيله شهوته ومقصوده قال سيدي أبو الحسن رضي الله
عنه

عنه لا يكن همك في دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا
وليكن همك مناجاة مولاك قال الإمام أبو القسم القشيري
رضي الله عنه شر الناس من يتحبب إلى الله تعالى عند حلول
البلاء بخلوص الدعاء وشدة التضرع والبكاء فإذا البلاء
كشف عنه ووقعت عنه فتنة ضيع الوفاء ونسي البلاء وقال المريد
بنقض العهد وأبدل العهد برفض الردا وليكن الذين
أبعدهم الله في سابق الحكم وخذلهم في سلك أهل الرد
وقد قيل بالأدب يلجأ إلى الانتصاب بين يدي معبود لك
خير لك من عطا ينيلك إياه ويقصيك عنه كيف يكون
طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق هذا دليل على
نفي السببية المذكورة لأن ما طلبه العبد أمر سابق في الأزل
تقديره وطلبه أمر لاحق فيما لا يزال وكيف يكون اللاحق
سببا في وجود السابق وهذا السبب أبدا لا يتقدم على السبب
جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل هذا دليل آخر
على ما ذكره وهو أن حصول ما طلبه الداعي حكم من الله تعالى
في الأزل فلا يكون سببه الدعاء والسؤال لأن أحكام الله تعالى
تجل عن أن تضاف إلى علة أو سبب ومن قبل أنه الإرادة
القديمة والمشيئة النافذة فصنعته لا علة له ولا علة لصنعه
كما قال العارفون المحققون عنايته فيك لا لشيء منك
وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته
لم يكن في أزله إخلاص أعمال ولا وجود أحوال
بل لم يكن هناك إلا محض الأفضال وعظيم النوال
عناية الله تكون في الأزل حين لم تكن حين لا حين غير معللة

بشيء كائن منكم من اخلاص اعمال او وجود احوال تتوسل
بجميع ذلك اليه وانما كنت اذ ذاك وانت عدم محض بل لم
يكن هناك الا محض كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله
لا غير قال الواسطي رضي الله عنه اتنا من قسمته ونعوت
اجريت كيف تستجلب بحركات او تنال بسعايات علم ان
العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية فقال يختص
برحمته من يشاء وعلم انه لو خلاهم وذلك لتركوا
العمل اعتمادا على الازل فقال ان رحمة الله
قريب من المحسنين ظهور سر العناية التي مقتضاها الرحمة
هو تخصيص المشيئة في قوله عز من قائل يختص برحمته من يشاء ولا علة
له من العبد والاحسان المنسوب اليه في قوله تعالى ان رحمة
الله قريب من المحسنين امارة وعلامة على تلك العناية
وليس بعلة موجبة وانما اسند الرحمة اليه وعلقها به لئلا
يتكل العباد على السابقة ويتركوا العمل الذي هو مقتضى
العبودية الواجبة عليهم الا ان الشيء يستند الى شيء
ويقوم ما لم يكن ثابتا به ولا مستندا الى شيء لاستحالة
وجود النقص فيما يجب له من الكمال وهذه العبارات التي
ذكرها المؤلف رحمه الله ههنا والفصل الذي قبلها بلغت الغاية
في الحسن واستغنت بمجردها ونكت ارتفاعا عن البيان والشرح
وفيها اشارة الى احكام الازل فقد الاسباب والعلل
ومحو علل العبد ان يبني عليها اعماله واحواله فيلزم العبودية
والافتقار ويدع التدبير والاختيار لمن بيده ذلك وهذا
هو لب التوحيد جعلنا الله من اهله بمنه وفضله قال ابو بكر
بن

بن محمد بن موسى الواسطي رضي الله عنه ان الله لا يقرب
فقيرا لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعمال
عنده خطر حتى بها يصل وبها ينقطع ولو بذلت الدنيا
والاخرة ما وصلك اليه بهما ولو اخذ منهما عليهما ما قطعك
بهما قرب من قرب من غير علة وقطع من قطع من غير علة
كما قال الله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
وقال ايضا ما خالفه احد ولا وافقه وكلهم مستعملون
بمشيئته وقد رتبه الى ان يكون له الوفاق والخلاف وهو
مقلب الليل والنهار بما فيهما وهو ما لم على الاشياء وبانه شيئا
في تقابيها وبقائها لا يبرز منه وجد ولا توحيد فقد بان
لا فقد ولا وجد فما هي رسوم تحت الرسوم وقال رضي
الله عنه ربما دلهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على
قسمته واشتغالا بذكره عن مسألته قد يكون من الادب
ترك السؤال والطلب لمن هو مستغرق في الاذكار راض
بما يجري عليه من تصاريف الاقدار وهو احد مذاهب
القوم قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه
واختلف الناس في اي شيء افضل الدعاء ام السكوت
والرضا فمنهم من قال الدعاء في نفسه عبادة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة فالاتيان بما هو عبادة
اولى من تركها ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى فان لم
يستجب للعبد ولم يصل الى حظ نفسه فلقد قام بحق الربوبية
لان في الدعاء اظهار فاقة العبودية وقد قال ابو حازم الاعرج
لان احرم الدعاء اشد علي من ان احرم الاجابة وطائفة قالوا

السكوت والخمود تحت جريان الحكم اتم والرضا بما سبق من
اختيار الحق اولى ولهذا قال الواسطي اختيار ما جرى
لك في الازل خير لك من معارضة الوقت وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الله تعالى من شغله ذكري عن
مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقال قوم يجب
ان يكون العبد صاحب دعا بلسانه وصاحب رضى بقلبه
ليأتي بالامرين جميعا قال الامام ابو القاسم والاولى
ان يقال ان الاوقات مختلفة ففي بعض الاحوال الدعا
افضل من السكوت وهو الادب وفي بعض الاحوال السكوت
افضل من الدعا وهو الادب وانما يعرف ذلك في الوقت
لان علم الوقت يحصل في الوقت فاذا وجد بقلبه اشارة
الدعا فالدعا به اولى واذا وجد اشارة الى السكوت
فالسكوت له اولى ويصح ان يقال ينبغي ان لا يكون ساهيا
عن شهود ربه تعالى في حال دعائه ثم يجب ان يراعي حاله
فان وجد من الدعا زيادة بسط في وقته فالدعا له اولى
وان عاد الى قلبه في وقت الدعا شبه زجر ومثل القبض
فالاولى ترك الدعا في هذا الوقت وان لم يجد في قلبه
لا زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعا وتركه ههنا سيان
وان كان الغالب عليه في هذا الوقت العلم فالدعا اولى
لكونه عبادة وان كان الغالب عليه في هذا المعرفة والحال
فالسكوت والسكوت اولى ويصح ان يقال ما كان للمسلمين
فيه نصيب او للحق سبحانه فيه حق فالدعا اولى وما كان لنفسه
فيه حظ فالسكوت اتم وفي الخبر المروي ان العبد ليدعو الله
تعالى

تعالى وهو يحبه فيقول يا جبريل اخر حاجته فاني احب ان اسمع
صوته وان العبد ليدعو وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض
حاجته فاني اكره ان اسمع صوته انتهى كلام ابي القاسم وهو
حسن بديع وهو اوفى مما ذكره المولف رحمه الله
انما يذكر من يجوز عليه الاغفال وانما ينبه من يمكن منه الاهمال
اورد هذا الكلام دليلا على ما ذكره من ان ترك الطلب قد
يكون من الادب وذلك لان في الطلب شعارا بتجويز الاغفال
عليه فيقع به تذكير التذكير له وتلويحا باحتمال وجود الاهمال
منه فيكون ذلك تنبيها له وجميع ذلك محال على الحق
تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلاجل هذه العلة كان ترك
الطلب عند هولاء ادبا وقد سئل الواسطي ان يدعو فقال
اخشى ان دعوت ان يقال لي ان سألتنا ما لك عندنا
فقد اتهمتنا وان سألتنا ما ليس لك عندنا فقد اسأت
الثنا علينا وان رضيت اجرينا لك من الامور ما قضينا
لك في الدهور وروي عن عبد الله بن منازل انه قال
ما دعوت منذ خمسين سنة وما اريد ان يدعو لي احد
لانه ما منع على طبق **ورود الفاقات اعياد المريدين**
الاعياد عبارة عن الاوقات العايدة على الناس بالمسرات
والافراح وهم مختلفون في ذلك فمنهم من مسرته وفرحه
بوجود مطلبه ونيل شهوته وغرضه وهذا هو حال عامة
المسلمين ومنهم من مسرته وفرحه بالفاقات وخلوه
واعوازه امانيه واغراضه وهذا هو حال الخاصة
من المريدين لان مدار امرهم انما هو على مراعات

قلوبهم وتصفية اسرارهم من كدورات الاغيار والاثار
ولا يتاتى لهم ذلك الا بوجود انهماكهم في ضروب
الفاقات وانواع الحاجات والضرورات فتراهم
يوثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخا والذل
على العز والمرض على الصحة اذ يحصل لهم بذلك رقة
وحلاوة لا يعرف قدرها الا هم لانهم يجدون القرب
من ربهم ورويتهم له في حال فقدانهم حظهم كان بعضهم
فكلما ازدادوا فاقة ازدادوا من مولاهم قربة وكان
بعضهم يطوف حول الكعبة وهو يقول مولاي ترى شملتي
مرقعة وصبية بالية كما ترى وامراتي عريانة كما ترى
يا من يرى الذي بنا ولا يرى اما ترى ما حالي اما ترى
فسمعه بعضهم فجمع له كسرا ودفعها اليه فقال له اليك
عني لو كان معي شي لما امكنني ان اقول هذا القول قال في
التنوير وفي البلايا والفاقات من اسرار الالطاف
ما لا يفهمه الا اولوا البصاير الم تر ان البلايا تخمد
النفوس وتذلها وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع مع
البلايا وجدان الذل ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة وقال ابو اسحق الهروي من
اراد ان يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على سبع
فان الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير ان
يختار الفقر على الغنى والجوع على الشبع والدون
على المرتفع والذل على العز والتواضع على الكبر
والحزن على الفرح والموت على الحياة وقد تقدم عن قول
المولف

المولف من ان الفاقات لكم لطف على قدر ذكر الحضور نظما
الثقافي لهذا المعنى فواجب اذا ان يكون ورود الفاقات
اعياد المريدين كما قال فاذا فقدوا ذلك بموانسات
الاسباب استبشروا بوجود الحجاب ومنهم من يعد كما لي
الاقتراب تحزنوا لذلك وتاسفوا وودوا لو عاد
عليهم الحال الاول ومن هذا المعنى ما حكي عن خير النساج
قال دخلت بعض المساجد فاذا فيه فقير فلما راني تعلق
بي وقال ايها الشيخ تعطف علي فان محنتي عظيمة فقلت وما
هي قال فقدت البلا وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو
قد فتح عليه بشي من الدنيا وقال بعضهم ان الفقير الصادق
ليحترز من الغنا حذرا ان يدخله الغنا فيفسد عليه
فقره كما ان الغني يحترز من الفقر حذرا ان يدخل عليه
فيفسد عليه غناه وقد تقدم من حكايات عن السلمي وفتح
الموصلي والفضيل بن عياض والربيع بن خثيم ما يوافق
ما ذكرنا وانشدوا في ذكر اعياد المريدين والعارفين
وقال الهلالي على الله لم يرد بادمي رضا به ممن قالوا غدا العيد
ما انت لابسه فقلت خلعة ساق حبه جرعا فقر وصبر
هما ثوبان تحتهما قلب يرى الفه الاعياد والجمعا
احرى الملابس ان تلقى الحبيب به يوم التزاور في الثوب
الذي خلعا الدهر لي ماتم ان غبت يا املي والعيد
ما كنت مرأى ومستمعا ربما وجدت من المزيد في
الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلوة ورود الفاقات
يحصل للمريد بها مزيد كبير من صفا القلب وطهارة السر وقد

لا يحصل إلا بالصوم والصلوة لأن الصوم والصلوة قد يكون
له فيهما شهوة وهوى كما تقدم وما كان هذا سبيله لا يؤمن
فيه دخول الآفات فلا يفيده تحلية ولا تزكية بخلاف ورود
الفاقات فإنها مباينة الهوى والشهوة على كل حال وقد
تقدم نحو من هذا المعنى عند قوله إذا فتح لك وجهة من
التعريف فلا تبال معها إن قل عملك إلى آخره الفاقات بسط
المواهب الفاقات تحصل مع الخوف وتحلية على بساط وناهيك
بما يكون في تلك المحاضرة والمجالسة من المواهب الربانية
والنفحات الرحمانية إن أردت ورود المواهب عليك
صحح الفقر والفاقة لديك إنما الصدقات للفقراء هذا
مثل ما ذكره الآن وذكره الآية عقيبه إشارة بديعة
وتصحيح الفاقة والفقر هو التحقق بأوصاف العبودية المذكورة
في المسألة التي تأتي بأثر هذه ومما يتعلق بظاهر الآية
يستشهد بها المؤلف رحمه الله على طريقة القوم ما قال بعضهم
صدق الفقير أخذ الصدقة ممن يعطيها لا ممن تقع على يديه
فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة لأنه جعلها لهم فإن قبلها
من الحق فهو الصادق في فقره بعلو همته ومن قبلها من
الوسائط فهو المتوسم بالفقر مع دناءة همته تحقق بأوصافك
يمدك بأوصافه تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق
بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله
وقوته هذا مناسب لما ذكره من الفاقات والمواهب
وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله كن بأوصاف
ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا قال سيدي

أبو

أبو الحسن الشاذلي بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة
الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى وأضدادها أوصاف ف
الربوبية فما لك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه
وقل من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير غيرك ومن
بساط الضعف يا قوي من للضعيف غيرك ومن بساط العجز
يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل يا عزيز من
للذليل غيرك تجد الإجابة كأنها طوع يديك واستعينوا بالله
واصبروا إن الله مع الصابرين انتهى كلام سيدي أبي الحسن
رضي الله عنه وهو معنى ما ذكره المؤلف رحمه الله فهنا
وانظر كلام المؤلف ما أقرب منهاجه من كلام أبي الحسن رضي الله
عنهما ونفع بهما آمين وقال رضي الله عنه ربما رزق
الكرامة من لم تكمل له الاستقامة الكرامة الحقيقية
إنما هي حصول الاستقامة والوصول إلى كمالها ومرجعها
إلى أمرين صحة الإيمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على
العبد أن لا يحرص إلا عليها ولا يكون له همة إلا في الوصول
إليها وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها
عند المحققين إذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامة
قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه إنهما
كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الإيمان بمزيد
الإيقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة
ومجانبة الدعوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما جعل مح
فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب

كمن أكرم بشهود الملائكة على نعت الرضا وكم كرامة لا يصحبها
الرضا فجعل مشتاقا إلى سياسة الدواب وخلع الرضا وكم
كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله وصاحبها منه بنج مغرور
وناقص أو هالك مثبور وقال سيدي أبو العباس المرسي
رضي الله عنه ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة
وغيرها من البلدان إنما الشأن من تطوى عنه أوصاف
نفسه فإذا هو عند ربه وذكر عن سهل بن عبد الله الكرامات
فقال وما الآيات وما الكرامات هي شيء تنقضي لوقتها
ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق
نفسك بخلق محمود وقال بعض المشايخ لا تعجبوا ممن لم
يضع في جيبه شيئا فيدخل يده في جيبه فيخرج منه ما يريد
ولكن تعجبوا ممن يضع في جيبه شيئا فيدخل يده في جيبه
فلا يجده فلا يتغير قلبه وقال أبو محمد المرتعش إن فلانا
يمشي على الماء فقال عندي أن من مكنه الله من مخالفة هواه
فهو أعظم من المشي على الهواء والماء وقال أبو يزيد رضي
الله عنه لو أن رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع في الهواء
فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي
وقيل له فلان يقال إنه يمر في ليلة إلى مكة فقال الشياطين
تمر في لحظة من المشرق إلى المغرب وهو في لعنة الله وقيل
له إن فلانا يمشي على الماء فقال الحيتان في الماء والطير في
الهواء أعجب من ذلك وقال الجنيد رضي الله عنه عناية حجاب
قلوب الخاصة المختصة بهم رؤية النعم والتلذذ بالعطا
والسكون إلى الكرامات وقد تقدم مثل هذا عند قوله

ليس

بلغ

كمل

ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه من علامة إقامة
الحق لك في الشيء إدامته إياك فيه مع حصول النتائج
لا اعتبار بما يقوم منه العبد بنفسه من عمل أو حال وإنما
العبرة بما يقيمه فيه ربه وعلامة إقامة الله تعالى عبده
في الشيء أن يديمه عليه وتحصل له ثمرته ونتيجته وينبني
على هذا أدب من آداب المعاملات وقد أخرنا إلى نحو
من هذا عند قول المؤلف رحمه الله إرادتك التجريد مع
إقامة الله تعالى إياك في الأسباب إلى آخره من عبر من بساط
إحسانه أصمتته الإساءة ومن عبر من بساط إحسان
الله إليه لم يصمت إذا أساء من شاهد إحسان نفسه
وعمله بطاعة ربه أخرس لسانه بالنصيحة والموعظة
لعباد الله فإن وقعت منه هفوة فعجز منه إساءة ومخالفة
انقبض عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحياء وهذه
طريقة أهل التكليف الذين ينظرون إلى ما هو منهم
إلى الله تعالى من عمل صالح أو طالح ومن شاهد إحسان
الله إليه وغاب عن رؤية إحسانه هو انبسط لسانه في
الحالين من غير فرق لأن مشاهدته لوحدانية الله وفعله
أوجبت جراءته على ذلك وقد قيل جراءة الجنان تنطق اللسان
وتطلق العنان وهذه طريقة أهل التعريف الذين
ينظرون إلى ما من الله تعالى إليهم قلت وما ذكرته ههنا
من لفظي التعريف والتكليف وما يتعلق بهما هنا من الكلام
اللطيف أشرت به إلى مسألة عظيمة مهمة ينبني عليها آداب
وأحكام جمة وهي مسألة [illegible] فرقهم ومن أحكامها مسألة

بيان صمته

التعبير التي اقتصر المؤلف رحمه الله عليها في هذا الفصل ولم
يذكر معها سواها مما ينبغي على ذكره الاتصال وقد نبه
عليها في لطائف المنن وأتى فيها بكلام حسن فرأينا أن
ننقله هنا بكماله ليتبين به مقصودنا في تفصيله وإجماله
قال فيه وقال رضي الله عنه يعني شيخه أبا العباس الناس
على ثلاثة أقسام عبد شهود ما منه إلى الله وعبد شهود
ما من الله إليه وعبد شهود ما من الله إلى الله قال
ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من يكون الغالب عليه
شهود تقصيره وإساءته فيقوم مقام المعتذر بين يدي
الله وتلازمه الأحزان ونحا الغم أن تجانب ويستولي
عليه الكمد كلما بدت منه سيئة أو كشف له عنها وصاف سوء عبد
آخر الغالب عليه شهود ما من الله إليه من الفضل والإحسان
والجود والامتنان فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح
بنعمة الله قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالأول حال العباد والثاني
حال أهل العناية والوداد والأول شأن أهل التكليف
والثاني شأن أهل التعريف الأول حال أهل اليقظة والثاني
حال أهل المعرفة ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله
عنه العارف من عرف شدائد الزمان في الألطاف الجارية
من الله عليه وعرف إساءته في إحسان الله إليه فاذكروا
آلاء الله لعلكم تفلحون وقال رضي الله عنه قليل العمل
مع شهود المنة من الله تعالى خير من كثير العمل مع رؤية
التقصير من النفس وقال بعض أهل المعرفة لا يخلو شهود
التقصير

التقصير من الشرك في التقدير وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله
عنه قرأت ليلة من الليالي قل أعوذ برب الناس إلى أن انتهيت
إلى قوله من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة والناس فقيل لي شر الوسواس وسواس
يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك ألطافه الحسنة ويذكرك
أفعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك
ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله
إلى سوء الظن بالله وبرسوله فاحذر هذا الباب فقد أخذ منه
كثير من الزهاد والعباد وأهل الجد والاجتهاد ولذلك
فلا تجد الزاهد والعابد إلا مكمودا حزينا لأنه علم
أن الله سبحانه وتعالى طالبه بالعبودية وحمله أعباءها
وألزمه ما أشفقت منه السماوات والأرض والجبال فأبين
أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما
جهولا فعاينت الزهاد ثقل ما حملوا ولم ينفذوا إلى شهود
لطف الحامل للأثقال عنهم بما دونه المتوكلين عليه خلد لهم
الكمد واستولى عليهم الحزن وأهل المعرفة
بالله علموا أنهم حملوا من التكاليف أمرا عظيما وعلموا
ضعفهم عن حمله والقيام به منهم ولجأوا إلى أنفسهم
قال الله عز وجل وخلق الإنسان ضعيفا وعلموا أنهم
إذا رجعوا إلى الله عز وجل حمل عنهم ما حملهم قال
الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا إليه
بصدق الرجوع فحمل عنهم الأثقال فساروا إلى الله
محمولين في محفات المنن مروح عليهم بنسمات اللطف

مهم

والاخرون سار وراى الله ما عليه فلا يعال التكليف من الاثار
المتقات وتحول عليهم الماخات فانشاء الا درجهم
بلطفه فاخذ بايديهم من شهود معاملتهم الى شهود
سابق توفيقه لهم فكانت لهم الاوقات واشرقت
عليهم العنايات فهم كمستخدمين واما القسم الثالث فهم
الذين امرهم الله تعالى بشهود ما من الله الى الله هؤلاء هم
اهل التوحيد والاخلاص في ميادين التفريد ومن اهل
القسم الاول هم الذين غلب عليهم شهود ما منهم الى الله
لم يخرجوا عن ملاحظة الشرك وان خرجوا من ملاحظته لا تكهم
فقبلوا على انفسهم موبخين لها على ما صدر منها من التقصير فهم ان اتم
فلو لم يشهدوا الفعل لها ما توجهوا لها بالتوبيخ
اذا قصرت قلت لما قال ذلك العارف الذي سبق قوله
لا يخلو شهود التقصير من الشرك في التفريد فان قلت
اذا كان توبيخ النفس ودمها يستلزم حقيقة الشرك فكيف
نصنع والله تعالى قد ذم النفس وامرنا بتوبيخها ان
قصرت وكيف هذا اذا كانت كذلك فالجواب ان ذمها
لان الله تعالى امر بذمها من غير ان تشهد لها قدرة
او تضيف اليها فعلا الا اثرها على الفاعلية واما القسم الثاني
وهم الذين شهدوا ما من الله اليه فهم وان كان خيرا
من القسم الاول ولكنه ما يخلو من اثبات لنفسه اذ راى
نفسه فهو اذا ليها عن رؤية الحق فلولا اثباته لنفسه
ما شهد ذلك فلاجل هذين المعنيين اثر اهل الله
تعالى القسم الثالث وهو ان يكون شهودهم ما من الله

الى

الى الله فانهم انتهى كلامه رحمه الله ولاجل ما تضمنته
من الفوائد الجليلة والمقاصد النبيلة دعانا قرب المناسبة
الى ذكره على ما نحن عليه في هذا الموضع والله الموفق لا رب غيره

تسبق انوار الحكماء اقوالهم فحيث صار التنوير
وصل التعبير الحكماء هم العارفون بالله تعالى العاملون
به والانوار المعنوية التي لهم هي انوار معارفهم وهي
قوة يقينهم فان الامور كلها بيد الله تعالى لا شريك
له فيها فاذا ارادوا الارشاد لعباد الله تعالى ونصيحتهم
باذن الله تعالى سبقت انوار قلوبهم الى الله تعالى بالالتجاء
والافتقار اليه في ان يترك لهم امر قلوب عباده بان يجعل
فيها اهلية واستعدادا لقبول ما يريدون ان يلقوه عليهم
من كلام الحكمة فيحييهم الى ذلك فاذا تكلموا به تلقته
قلوبهم التي وصل اليها انوار انوارهم اسرار الحكماء كما تتلقى
الارض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك اتم انتفاع
وقد اوصى لقمان الحكيم ولده فقال يا بني انه يحيي القلوب
قد تبقى بشيء احوجها لمر العلماء وزاحمهم بركبتيك فان
الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة
بوابل السماء ومما علمنا الحكماء هم العارفون بالله تعالى
العالمون به ولانهم خائفون من الله تعالى وفي بعض
الاثار راس الحكمة مخافة الله والخوف من الله ثمرة
العلم بالله قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
والعلم الموجب للخشية هو العلم بالله تعالى فقط فالحكماء هم
العالمون بالله تعالى وان كانوا ضعفاء في سائر العلوم

من الرحمانية كطليعة المستهم البيان عنها بكلام يصدر وعليه
كسوة القلب الذي منه برز اللسان ترجمان القلب
فإذا صفا من الأكدار وتزكى من الأغيار وأشرقت فيها الأنوار
كانت ترجمانية لسانه على حسب ذلك فيتكلم بالكلام النوراني
الذي يلج آذان السامعين فتنفتح إليه أقفال قلوبهم فيستجيبوا
لنداء حبيبهم روى الحافظ أبو نعيم رحمه الله عن سعيد
بن عامر قال كان قاص يجلس قريبا من مسجد محمد بن واسع
فقال له يوما وهو يوبخ جلساءه ما لي أرى القلوب لا تخشع وما لي
أرى العيون لا تدمع وما لي أرى الجلود لا تقشعر فقال محمد
بن واسع يا عبد الله ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك إن
الذكر إذا خرج من القلب وقع على القلب قلت وقد
حاز المؤلف رحمه الله قصب السبق في هذا المعنى الذي
ذكره ومما من سر كلامه في هذا الكتاب وفي غيره وحصل له
من التأثير المحمود في ما قلناه وكفى شهادة شيخه أبي العباس
أحمد المرسي رحمه الله على عظيم قدره ورعايته له برهانا
على ذلك قال في لطائف المنن وكنت قلت لبعض تلامذة
الشيخ يعني أبا العباس أريد أن تنظر إلى الشيخ برعايته وتجعلني
في خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ قال رضي الله
عنه لا تطالبوا الشيخ بأن تكونوا في خاطره بل طالبوا أنفسكم
أن يكون في خاطركم فعلى قدر ما يكون عندكم تكونوا
عنده ثم قال أي شيء تريد أن تكون والله ليكونن لك
شأن عظيم والله ليكونن كذا كذا قال فكان من فضل
الله سبحانه ما لا أنكره قال وأخبرني سيدنا جمال الدين ولد
الشيخ

ليكونن لك كذا وكذا
لم أثبت منه الا قوله
صح

الشيخ قال قلت للشيخ هم يريدون أن يجعلوا ابن عطاء الله
في الفقه فقال الشيخ هم يريدون في الفقه وأنا أريده
في التصوف قال ودخلت عليه فقال إذا عوفي الفقيه ناصر
الدين يجلس في موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحية وأنا
من ناحية وتتكلم إن شاء الله في العالمين فكان ما أخبر
به قال وسمعته رضي الله عنه يقول أريد أن أستنسخ كتاب
التهذيب لولدي جمال الدين فذهبت أنا فاستنسخته
من غير أن أعلم الشيخ وأتيته بالجزء الأول فقال ما هذا
قلت كتاب التهذيب استنسخته لكم فأخذه فلما نهض
ليقوم قال اجعله بإزائي لا ينقضه عليه أحد تجده غدا
إن شاء الله في حجر ابنك فلما أتيته بالجزء الثاني لقيني بعض
أصحابه عند نزولي من عنده قال قال الشيخ عنك والله
لأجعلنه عينا من عيون الله يقتدى به في علم الظاهر
والباطن فلما أتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده
لقيني بعض أصحابه وقال طلعت عند الشيخ فوجدت عنده
مجلدة حمراء فقال هذا الكتاب استنسخه لي ابن عطاء الله
والله ما أرضى له بهذا جزاه ولكن من زيادة التصوف قال
وأخبرني بعض أصحابه قال قال الشيخ يوما إذا جاء ابن فقيه
الإسكندرية فأعلموني به فلما أتيت أعلمنا الشيخ بذلك
فقال تقدم فتقدمت إلى بين يديه ثم قال جاء جبريل
عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال
حين كذبته قريش فقال له هذا ملك الجبال قد أمره
الله أن يطيع أمرك في قريش فقال له فسلم عليه ملك الجبال

ثم قال يا محمد ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكني ارجو ان يخرج الله
من اصلابهم من يوحد الله ولا يشرك به شيئا فصبر عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يخرج الله من اصلابهم
كذلك صبرنا على هجر هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه قال
وخرجت يوما من عند الفقيه المكين الاسمر وخرج معي
ابو الحسن الحربي وكان من اصحاب الشيخ ابي الحسن فسلمت
عليه وسلم علي ببشاشة واقبال فقلت له من اين تعرفني
قال وكيف لا اعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ ابي العباس
وكنت انت عنده فلما نزلت قلت له يا سيدي انه ليعجبني
هذا الشاب من القطع في الاذن وفي عين الملازمة وهذا الشاب
ملازم قال فقال الشيخ يا ابا الحسن لن يموت هذا الشاب
حتى يكون داعيا يدعو الى الله تعالى وكان ما قال الشيخ
قال وكنت دهرا كثيرا ما يجري علي الوسواس في الطهارة
فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغني ان محمد وسواسا في الوضوء
قلت نعم قال رضي الله عنه هذه الطائفة تلعب بها الشياطين
لا ان الشيطان يلعب بها ثم مكثت اياما ودخلت عليه
فقال ما حال ذلك الوسواس قلت على حاله فقال ان
كنت لا تترك الوسواس لا تعد تاتينا فشق
ذلك علي الشيخ وقطع الله الوسواس عني قال وكان رحمه
الله ورضي عنه يلقن للوسواس سبحان الملك الخلاق ان
يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز قال
وعملت قصيدة اخرى بانشادي جوابا لقصيدة مدحتها انا
من

امدحه بها فقال
انشدت ابا العباس الله
بروح القدس قال
ثم عملت له قصيدة

من الاخيم فلما قربت عليه قال رضي الله عنه صحبني هذا الفقيه
وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد ان يجلس ويحدث في العالمين
بشر الشيخ ما رضيه الله لي في الوسوسة قال فلقد انقطع علي ببركات
الشيخ حتى صرت اخاف ان اكون لترك التوسعة التي اوجدتها
قد تساهلت في بعض الامر والمرض الاخر كانت بي آلام ما سي
تكون ذلك الحزن فدعا لي فعافاني الله تعالى قال ومن ليلة
من الليالي مهموما فرايت الشيخ في المنام فشكوت اليه ما انا
فيه فقال اسكت والله لا عافينكما عنهما فلما انتبهت
جئت الى الشيخ فقصصت عليه الرويا فقال هكذا يكون ان
شاء الله تعالى قال وجانا يوما من السفر فخرجنا للقائه فلما
سلمنا عليه قال يا احمد كان الله لكم ولطف بكم وسكن بكم
بيناه وليايه ويهال بين خلقه قال فلقد وجدت
بركات هذا الدعا وعلمت انه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق
والامر دينهم لقوله ويهال بين خلقه قال وكنت انا
لا مره من المنكرين وعليه من المعترضين لا لشي سمعته
منه ولا لشي صح نقله عنه حتى جرت مقاولة بيني وبين
بعض اصحابه وذلك قبل صحبتي اياه وقلت لذلك الرجل
ليس الا اهل العلم الظاهر وهولا القوم يدعون
امورا عظاما وظاهر الشرع يأباها فقال ذلك الرجل
بعد ان صحب الشيخ ما قال لي هذا الشيخ يوم تخاصمنا
قلت لا ما دخلت عليه فما وراه ما قال لي بعد لا كلمة الاكلم
منه خير مما اصابك فعلمت ان الشيخ كوشف بامرنا وكلمر
لقد صحبت الشيخ اثنى عشر عاما وما سمعت منه شيئا ينكره

ثم قال يا محمد ان شئت ان الحق عليهم الاخشبين فعلت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن ارجو ان يخرج الله
من اصلابهم من يوحد الله ولا يشرك به شيئا فصبر عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يخرج الله من اصلابهم
فكذلكم صبرنا على حجر هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه قال
وخرجت يوما من عند الفقيه المكين الاسمر وخرج معي
ابو الحسن الحربي من اصحاب الشيخ ابي الحسن فسلمت
عليه وسلم علي ببشاشة واقبال فقلت له من اين تعرفني
قال وكيف لا اعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ ابي العباس
وكنت امنت عنه فلما نزلت قلت له يا سيدي انه ليعجبني
هذا الشاب من الفقيه فلان وقلة [?] عن الملازمة وهذا الشاب
ملازم قال فقال الشيخ يا ابا الحسن لن يموت هذا الشاب
حتى يكون داعيا يدعو الى الله تعالى وكان ما قال الشيخ
قال وكنت دهرا كثيرا ما يجري الوسواس في الطهارة
فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغني ان بكم وسواسا في الوضوء
قلت نعم قال رضي الله عنه هذه الطائفة تلعب بها الشياطين
لا ان الشيطان يلعب بها ثم مكثت اياما ودخلت عليه
فقال ما حال ذلك الوسواس قلت على حاله فقال ان
كنت لا تخرج [?] تترك الوسواس لا تعد تأتينا فشق
ذلك علي الشيخ وقطع الله الوسواس عني قال وكان رحمه
الله ورضي عنه يلقن الوسواس سبحان الملك الخلاق ان يشا
يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز قال
وعملت قصيدة اخرى بالتأرنة [?] جوابا لقصيدة مدحتها انا
[?] من

امدحه بها فقال حين
انشدت ابو [?] الله
[?] القدس قال
ثم عملت له قصيدة

من الا ذا رخيم فلما قربت عليه قال رضي الله عنه صحبني هذا الفقيه
وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد ان يجلس ويتحدث في العالمين
بشر الشيخ مرضه الله الوسوسة قال فلقد انقطع عني ببركات
الشيخ حتى صرت اخاف ان اكون تنده [?] التوسعة التي آخذ بها
قد تساهلت في بعض الامر والمرض الاخر كانت لي آلام
تكون ذلك اليه فدعا لي فعافاني الله وشفاني قال وبت ليلة
من الليالي مهموما فرأيت الشيخ في المنام فشكوت اليه ما انا
فيه فقال اسكت والله لاعلمنك علما عظيما فلما انتبهت
جئت الى الشيخ فقصصت عليه الرؤيا فقال هكذا يكون ان
شاء الله تعالى قال رجا [?] يوما من السفر فخرجنا للقائه فلما
سلمنا عليه قال يا احمد كان الله لك وللطف بك وسكن
سبيل وليا به وحال بين خلقه قال فلقد وجدت
بركات هذا الدعا وعلمت انه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق
والاعراض عنهم لقوله وحال بين خلقه قال وكنت انا
لامره من المنكرين وعليه من المعترضين لا لشيء سمعته
منه ولا لشيء صح نقله عنه حتى جرت محاولة بيني وبين
بعض اصحابه وذكر قبل صحبتي اياه فقلت له ذكر الرجل
ليس الا اهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون
امورا عظاما وظاهر الشرع يأباها فقال ذكر الرجل
بعد ان صحبه انه لم يرد ما قال وهكذا الشيخ يوم تخاصمنا
قال لا ما دخلت عليه قال اما ما الذي عندكم ما الخطاب [?]
من خبر ما اصابه فعلمني ان الشيخ قد شعر بأمرنا وكم
لقد صحبته الشيخ اثني عشر عاما فما سمعت منه شيئا ينكره

ظاهر العلم من الذي كان يتعلمه منه من يقصد الادنى فالذي كان
سبب اجتماعي معه ان قلت في نفسي بعد ان جرت
المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل دعني اذهب الى
هذا الرجل فصاحب الحق له امارات لا يخفى شانه فاتيت
الى مجلسه فوجدته يتكلم في الانفاس التي امر الشارع بها
فقال الاول اسلام والثاني ايمان والثالث احسان
وان شئت قلت الاول عبادة والثاني عبودية والثالث
عبودة وان شئت قلت الاول شريعة والثاني حقيقة
والثالث تحقق او نحو هذا فما زال يقول وان شئت
قلت الى ان تبهر عقلي وعلمت ان الرجل انما يغترف
من فيض بحر الهي ومدد رباني فاذهب الله ما كان عندي
ثم اتيت تلك الليلة الى المنزل فلم اجد شيئا يقبل
الاجتماع بالاهل على عادتي ووجدت معنى غريبا لا ادرك
ما هو فانفردت في مكان انظر الى السماء والى كواكبها
وما خلق الله فيها من عجايب قدرته فحملني ذلك على العود
اليه مرة اخرى فاتيت فاستوذنت عليه فلما دخلت عليه
قام وتلقاني بشاشة واقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت
نفسي ان اكون اهلا لذلك فكان اول ما قلت يا سيدي
انا والله احبك فقال احبك الله كما احببتني ثم شكوت
اليه ما اجده من هموم واحزان فقال احوال العبد
اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية
فان كنت بالنعمة فيقتضي الحق منك الشكر وان كنت
بالبلية فيقتضي الحق منك الصبر وان كنت بالطاعة

فيقتضي

فيقتضي الحق منك شهود المنة وان كنت بالمعصية فيقتضي
الحق منك وجود الاستغفار قال فقمت من عنده كانما كانت
تلك الهموم والاحزان ثوبا نزعته قال ثم سالني بعد
ذلك بمدة كيف حالك فقلت افتش على الهموم لاجدها فقال
ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس سار
والناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار ثم لزم حضوره بعد ان
لزمته لتكون مفتيا في المذهبين يريد مذهب الشريعة
اهل العلم الظاهر ومذهب اهل الحقيقة اهل العلم الباطن
انتهى ما نقلته من لطائف المنن وانما اوردت ذلك
ههنا على طوله ليعرف به قدر المولى رحمه الله
وليدفع بواضح برهانه لجحد الكاشف وتعنت المتعسف
والمتعرض بذلك النزول الرحمة من الله تعالى علينا وعلى موالاته
منه وعلى ايام الدنيا وقد قيل عند ذكر الصالحين تنزل
الرحمة مع ما في ذلك من قرب المناسبة لمعنيها وردة المو
من الكلام الجاذبة فصح السبق بين من عاصره من الائمة
والاعلام واما شيخه ابو العباس وشيخ شيخه ابو الحسن فحالهما
اوضح من نار على علم ولقد طرزت بحلاهما الكتب والدفاتر
وزينت بمآثرهما وعلومهما الالسنة والاقلام والصحف
والمحابر ولولا خشية الملالة وكراهة الاطالة لذكرت من
ذلك ما يبهر عقول السامعين والمطالعين ويزعج
انفس الجاحدين سيكفيك من ذلك الاجمال اشارة ودعه
مصونا بالجمال محجبا ومما اذن لي في التعبير عنه ثبت
في مسامع الخلائق عبارته وجلت الى بهم اشارته

الماذون له في التعبير هو الذي يتكلم لله وبالله وفي الله
ولذلك كان كلامه صوابا قال الجنيد رضي الله عنه عند الصواب
كل نطق عن اذن انتهى اشار بهذا والله اعلم الى قوله تعالى لا
يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فاذا قرع اسماع
السامعين كلامه فهمت صوابها في مسامعهم عبارته فلم
يفتقروا الى معاودة ولا تكرار وجليت اليهم اشارته فلم
يحتاجوا معها الى الكتاب ولا الى تاويلها وغير الماذون له
في ذلك قيل لحمدون بن احمد بن عمارة القصار ما بال كلام
السلف انفع من كلامنا قال لانهم تكلموا لعز الاسلام ونجاة
النفوس ورضا الرحمن ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا
وقبول الخلق **ربما برزت الحقائق مكسوفة الانوار
اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار** من لم يستكمل الاوصاف
المذكورة لم يؤذن له في اظهار شيء من الحقائق الربانية
فان اظهرها برزت مكسوفة الانوار ربما غشيها من ظلمة
رؤية الاغيار فمجتها اذان السامعين وانكرتها قلوبهم
وعلامة استكمال الاوصاف المذكورة ان يفتح له باب
التعبير مع وجود السلامة من افات الخلق قال في لطايف
المنن من اجل مواهب الله تعالى لاوليائه وجود
العبارة قال وسمعت شيخنا ابا العباس يقول الولي يكون
مشحونا بالعلوم والمعارف والحقايق لديه مشهودة حتى
اذا اعطي كان كالاذن من الله له في الكلام قال وسمعت
شيخنا ابا العباس يقول كلام الماذون له يخرج وعليه
كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يؤذن له يخرج مكسوف
الانوار

الانوار حتى ان الرجلان ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل
من احدهما وترد على الاخر **عباراتهم اما لفيضان
وجد او لقصد هداية مريد فالاول حال السالكين
والثاني حال ارباب المكنة والمحققين** انما يقع
التعبير منهم مع ما يتحققون به من الامور الغيبية والاحوال
الاشهادية لاحد معنيين اما لغلبة الوجد عليهم وفيضانه
وهم معذورون في ذلك لوجود الغلبة عليهم وهذا
حال السالكين من اهل البداية واما لقصد هداية
مريد فيلزمهم ذكر ما فيه من فايدة الارشاد والهداية
وهذا حال اهل التمكين والمحققين من اهل النهاية فان
عبر السالك لا من غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وان
عبر المتمكن عن غير قصد هداية مريد كان في ذلك افشاء
سر لم يؤذن له فيه وايضا فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم
النطق لانه في حضرة الحق سبحانه وتعالى يتلقى ما يرد على
قلبه من عجايب العلوم وغرايب الفهوم فكيف يبدو منهم
نطق او تعبير على غير الوجه المذكور والصمت من اداب
الحضرة قال الله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا
**العبارة قوت لعايلة المستمعين وليس لك الا ما انت له
اكل** المستمعون مرسومون بالفقر والحاجة الى معنى ما يستمعون
اليه من المواعظ والحكم وهو قوت قلوبهم وغذاء ارواحهم
كما ان المستطعمين والسؤال مرسومون بالفقر والحاجة الى
الاقوات لابدانهم وكما ان الاقوات تكون مختلفة فلا يصلح لواحد
منهم الا ما يصلح للاخر من الاطعمة والاشربة لاختلاف طبايعهم

وامزجتهم فكذلك اقوالهم واذواقهم مختلفة فلا يصلح
لواحد منهم من العبارات التي تتضمن وجود الذوق المعنوي
ما يصلح للاخر لاختلاف مزاجهم وتباين مشاربهم فاذا
سمعت عبارة من عالم او عارف او واحد من اهل هذا الطريق
ولم تجد منها شيئا فاعلم انها لا تصلح لذوقك وعند اهلك وهي
صالحة لقوم اخرين ومما يتذكر في هذا المسلك ان يقرع
اسماع بعض الناس العبارة من بعض الاشخاص فيفهم
منه معنى لم يقصده المتكلم او يتاثر بالحنه من ذلك تاثيرا
عجيبا وقد يقع ذلك لجماعة من الناس فيفهم كل واحد منهم
ما لا يفهمه الاخر ويحصل لهم بذلك التاثر مع ان المتكلم
لم يرد شيئا من ذلك وربما كان تصادف الموقع ارباب القلوب
من الجادات ويتعدون به لبعض الحالات قال في لطايف المنن
وربما يفهم فهم من اللفظ غير ما قصد واضعه كما اخبرنا الشيخ
الامام المعمر الامام تقي الدين محمد بن علي القشيري قال كان
ببغداد فقيه يقال له الجوزي يقرر اثنا عشر علما فخرج يوما
قاصد المدرسة فسمع منشدا يقول • اذا العشرون من شعبان
ولت • فواصل شرب ليلك بالنهار • ولا تشرب باقداح
صغار • فان الوقت ضاق عن الصغار • فخرج هايما على وجهه
حتى اتى مكة ولم يزل بها مجاورا حتى مات قال وقرا على
الشيخ مكين الدين الاسمر قول القايل • لو كان لي مسعد
بالراح يسعدني • لما انتظرت لشرب الراح افطارا • الراح من
يلوم على صهباء صافية • خمر الجنان ودعني اسكن النارا • فقال
انسان هنا كل لا يجوز قراءة هذه الابيات فقال الشيخ مكين الدين
الاسمر

الاسمر للقاري اقراها فهذا رجل محجوب والشيخ مكين الدين
هذا هو الذي شهد له ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انه
من السبعة الابدال قال ويكفيك في هذا ان ثلاثة سمعوا منتاديا
ينادي يا سعتر بري ففهم كل واحد منهم مخاطبة من الله تعالى
خطوب بها في سره فسمع الواحد اسع ترى بري وسمع
الاخر الساعة ترى بري وسمع الاخر ما اوسع بري فالمسموع
واحد واختلفت افهام السامعين كما قال الله تعالى تسقى بما
واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقال سبحانه
قد علم كل اناس مشربهم فاما الذي سمع اسع ترى
بري فمريد ذو اعمال لتوجهه الى الله تعالى بالاعمال
فيستقبل الطريق بالجد وقيل له اسع الينا تصدق لمعاملة
ترى برنا بوجود المواصلة واما الثاني فكان سالكا
الى الله تعالى والقته الاوقات فخاف ان تفوته الوصلة فقيل له
تدرك بضاعة قلبه لما احرقته نار الشغف الساعة ترى بري
واما الاخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب من حيث
شهد فسمع ما اوسع بري قال وقال الشيخ محيي الدين
بن عربي رحمه الله دعاني بعض الفقراء الى دعوة بزقاق
القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام
وبعض الاوعية وفيها كل وعاء زجاج قد اتخذ للبول ولم
يستعمل فغرف فيه من الطعام الذي ياكل الجماعة ورب الوعاء
يقول منذ اكرمني الله بالجلوس مع هؤلاء السادة ما رضيت لنفسي
ان اكون بعد ذلك محلا للاذى ثم انكسر نصفين قال الشيخ
محي الدين فقلت للجماعة سمعتم ما قال الوعاء فقالوا نعم

قال بعضهم فأعادوا القول الذي تقدم قال فقلت قوله
غير ذلك قالوا وما هو قلت فأكذبكم قلوبكم فذكر الرهبان
الله بالإبانة فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون لنجاسة المعصية تحلا
وحرم الدنيا جعلنا الله وإياكم ممن أوى الغنيمة عنه والتلقي
منه قلت وهذه المنازع كلها مما تلمح وتستطرف وتتأثر
بها القلوب السليمة وتنقاد لها النفوس الكريمة وقد جرت
عادة أئمة الطريق بتتبعها وإيرادها في محالها فلا حرج
علينا أن في ذكر بعض ذلك إذا كانت له مناسبة تامة ووجدت
فيها فائدة خاصة أو عامة وبالله التوفيق لا رب غيره
ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه
من وصل إليه وذلك ملتبس إلا على صاحب بصيرة
كما أن الواصل إلى مقام من مقامات اليقين يعبر عنه كذلك
يعبر عنه من استشرف عليه ولم يتحقق فيه بالمنازلة والوصول
والتباس ذلك على من ليس له بصيرة ظاهرة وأما ذو
البصيرة فلا يخفى عليه ذلك لأنه يدرك في الكلام صورة
المتكلم الباطنة وما هو عليه من كمال أو نقص وقد قيل
تكلموا تعرفوا لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته
فإن ذلك يقل عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق
مع ربه الواردات الإلهية لا ينبغي للسالك أن يعبر عنها
اختيارا منه بل يخفيها ويكتمها فلا يطلع عليها أحد إلا أحدا
من شيوخ الإرشاد فإن في ذكر ذلك لذة وانشراحا فتتقوى به صفاتها
فيبقى بسبب ذلك عمل الواردات في قلبه من التأثير المحمود
ولأجل غلبة أحكام نفسه ومنها رجحه بمنعه ذلك من وجود
صدقه

صدقه مع ربه وقد تقدم هذا المعنى في قوله استشرافك أن
يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك
لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطي
فيهم مولاك فإذا كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم
ما وافق العلم
هذه قاعدة عظيمة يحتاج إليها السالكون التي كانت
ليبنوا عليها أحوالهم فيما يصل إليهم من الرزق
على أيدي الخلق وقد ذكرها المؤلف رحمه الله بعبارة
بديعة محررة موجزة جمع فيها جملة المعاني التي يحتاج
إليها من ذكرنا فلنبين كلامه في ذلك على حسب عادتنا
معه على الوجه الذي ذكرناه في مقدمة هذا التنبيه وهذا
قصدنا في جميع ما تكلمنا عليه منه في هذا الكتاب فنقول
على حسب ذلك أرزاق العباد المعتادة لهم تنقسم
إلى قسمين أحدهما رزق يصلون إليه بأسباب وأعمال
وتصرفات كالتجارات والصناعات وغيرهما وهذا
حال أهل الأسباب والثاني رزق يصل إليهم على أيدي
الخلق من غير عمل ولا سعي وهذا حال أرباب التجريد
ولكل واحد من القسمين آداب وأحكام تخصه فأحكام
القسم الأول وآدابه لم يتعرض لها المؤلف رحمه الله
وهي المذكورة في الفقه وغيره فواجب على كل من دخل
في شيء من الأسباب تحصيل علمه وكله من حيث هو وأحكام
القسم الثاني وآدابه هي التي تعرض لها المؤلف رحمه الله
وهي أحكام ذكرها مراعاة شرطين وجعلهما شروط
وأجمل

مطلب عظيم شريف في قاعدة الأخذ والإعطاء وآدابهما ظاهرا وباطنا إلى آخر السعادة

صحة الاخذ الشرط الاول ان لا يرى العطا الا من مولاه عز وجل
ويعذر هو الاصل وانما اشترطنا في الاخذ لانه مقتضى
حال من تحقق التوحيد وتخليص التجريد وبه يصح له مقام
القناعة والتوكل ويسقط من قلبه هم الرزق وتنزل همه
عن علاقات الخلق وان لم يكن على هذا الوصف كان عبدا
للناس مرتبا قلبه اليهم فيكثر طمعه فيهم ورغبته فيما في
ايديهم واستشرافه اليهم فيقع بسبب ذلك في كباير الذنوب
من معاصي القلب والجوارح مثل المداهنة والنفاق والريا
والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحة وقلة الشفقة وغير
ذلك من الصفات المذمومة المنافية للعبودية لله عز وجل
قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه من استفتح باب المعاش بغير
مفاتيح الاقدار وكل الى المخلوقين ولا يكفي في ذلك الروية
المذكورة ان يكون علما وايمانا فقط بل لا بد ان تكون حالا
وذوقا دعا بعض الناس شقيقا البلخي وكان في جمع من اصحابه
نحو خمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وانفق نفقة
كثيرة فلما قعدوا قال لهم شقيق ان هذا الرجل يقول
من لم يرني صنعت هذا الطعام وانا قدمته اليه فطعامي
عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا واحدا كان فيهم تخلف
مما بعدته عنهم فقال صاحب المنزل لشقيق رحمه الله
ما اردت بهذا قال اردت اختبر توحيد اصحابي كلهم
لا يرونه فيما صنع ولا ينظرون اليه فيما قدم الا ذلك الرجل
وحده وانما شرطنا في روية العطا من الله ان تكون حالا
وذوقا لان ذلك هو اللايق بحال المتجرد كما ذكرناه لان التجريد
حال

حال
حال شريف لا يدخل فيه بالاختيار والتعمد لان ذلك من
اتباع هوى النفس وطلب الحظ والراحة وربما يقيم الحق تعالى
فيه من اراده بهمة اهل التقوى والمراقبة مع كمال
شغله بالله تعالى وجده من الهم [illegible] ما يقطع عن الله
فحينئذ يسلبه الحق تعالى من تدبيره واختياره ويكاشفه
بوحدانيته في ايراده واصداره ~~واختياره~~ وكا[illegible]
ويكون ترك الاسباب بحكم الوقت واشارة الحال
روي ان ابا حفص النيسابوري كان حدادا وكان
غلامه يوما ينفخ عليه الكير فادخل يده في النار واخرج
الحديد من النار فغشي على غلامه وترك ابو حفص الحانوت
واقبل على امره وكان يقول رضي الله عنه تركت العمل
فرجعت اليه فتركني العمل فلم ارجع اليه وقال ابراهيم
الخواص لا ينبغي للصوفي ان يتعرض للقعود ومن ترك الكسب
الا ان يكون رجلا مغلوبا قد اغنته الحال عن المكاسب واما
من كانت الحاجات به قايمة ولم يقع له عزوف يحول بينه
وبين التكلف فالعمل اولى به والكسب يسعى احلاله واليق
لان القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكلف وقال الشيخ ابو عبد
الله القرشي ما دامت الاسباب تهز النفس فالاكتساب اولى
وقال بعض المنقطعين كنت ذا صنعة جليلة فاريد مني
تركها فكان في صدري منها ذكر المعاش فهتف بي هاتف
لا اراك تنقطع الي وتتهمني في رزقك ان اخدمك وليا من
اوليائي ومنا [illegible] وقد اشترط رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صحة قبول العطا عدم الاشراف والتطلع الى الناس ولا بد

ابو حفص

قاعدة

يحصل هذا الشرك لمن ذكرناه من اهل التجريد الا ان هذه
الرؤية المذكورة روي عن زيد بن خالد الجهني قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من اخيه
من غير مسألة ولا استشراف نفس فليقبله فانما هو رزق
ساقه الله اليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من وجه اليه شي من هذا الرزق من غير مسألة ولا استشراف
فليأخذه وليوسع في رزقه فان كان عنه غنيا فليدفعه
الى من هو احوج منه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطا فاقول اعطه
يا رسول الله افقر مني فقال له رسول صلى الله عليه وسلم خذه فتموله
او تصدق به وما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سائل
فخذه والا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن اجل ذلك
كان ابن عمر رضي الله عنهما لا يسال احدا شيئا ولا يرد شيئا
اعطيه فالاستشراف الى الناس مذموم قادح في التوحيد
فلا ينبغي ان ياخذ المريد عطاء على هذا الوجه وروي
ان احمد بن حنبل رضي الله عنه خرج ذات يوم الى شارع باب
الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في الموضع من يحمله غير ابي
ايوب الجمال فحمله ودفع اليه احمد اجرته فلما دخل الدار
بعد اذنه لم تتفق ان اهل الدار قد خبزوا وما كان عندهم
منه كدقيق وقربوا الخبز على السرير فتفرس فيه ابو ايوب الجمال
وكان يصوم الدهر فقال احمد لابنه صالح ادفع الى ابي ايوب
من الخبز فدفع اليه رغيفين فردهما فقال احمد ضعهما مع صبر
قليلا لا ترفق لا تحزنهما والحقه بهما فلحقه فاخذهما فرجع صالح
متعجبا

متعجبا فقال له احمد عجبت من رده واخذه قال نعم هذا
رجل لما رأى الخبز فاستشرفت نفسه اليه فلما اعطيناه مع
الاستشراف رده ثم ايس فرددناه اليه بعد الاياس
فقبله واما الاستشراف الى الرزق مع قطع نظره عن الخلق
فلا يضره ذلك لانه خلق ضعيف ذو فاقة ورزقه معلوم
ولا بد منه فاستشرافه الى الرزق في الحقيقة استشراف
الى الرازق ولا ينافي ذلك حقيقة العبودية وكلما ان
كثر منها الاستشراف الى الرزق وشغلت صاحبها عن
دوام المحاضرة والمناجاة مع الحق فليصبر فيها عن ذلك صبرا
جميلا ولينبغي لها من التعلق والتوثيق بالله تعالى سبيلا
قال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كنت
في بدايتي واقفا بين المقابر اصلي وانا فارغ بلا شيء حتى
جاءتني العقرب قالت لي السلام عليكم قلت لها وعليكم السلام
فانتهى العشا قالت لي ادفعني بدرهمين فتوقفت لنظر المعنى الله
تعالى ان علمت لها الذي لك موضعا قالت لا قلت ابشر هو
او منى هو قالت لا قلت لها انا رب او عبد قالت عبد قلت
فالعبد يقدر على شيء ما هذا الكفر والشرك الذي اتيتيني
به اهدي الى خالقك فالحلي منه العشا لانه خالقك والقادر
على كل شيء فيعطيك ويحسب لك ما تطلبين فتطعمني فنا كلي
فما كان والاي وما هذه الحيرة قال فهربت الى خالقها فجاءت
منه بمكن كثير فاكلنا قال وكذا نحن عليها ومن هنا انبت الامر

وذكر ايضا مسئلة عظيمة مفيدة تتضمن كيف يكون حال الفقير
بالنسبة الى الرزق وما يحتاج اليه بنيته من الرزق وجعلها
من قواعد والارادة فرأينا ذكرها في هذا الموضع من
الواجب المتعين ليتحقق في العمل بها من يقف عليها من
مريد متدين قال رضي الله عنه اعلم ان الفقير لا يخلو
اما ان يكون جالسا او ماشيا او قاعدا الى الوقفان حل موضع
التيه وهو مكانه وزمانه فخرق سجادته لا يتعداها ولا يكون
التفاته لوقت ولا الى سبب معلوم لانه لا يدري الاوقات ما هي
ولا يحدها ولا يدري متى هي ولا وقتها ويعلم ان جميع الاشياء
تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت لاجله وهو خليفة فيها وقد
فرغ من جميعها فالالتفات والاخذ فيها ذم بل يكون هدفا للاقدار
تجري عليه ولا كسب له ولا سبب في التحصيل ثم قال واما الماشي
من الفقراء وهو الذي يكون في سفر او غيره فلا تجاوز همته خطوته
مثال ذلك ان يكون ماشيا فيخطر له الصيد والالتفات الى حصن
بلد او شخص او مطعم او مشرب فيهلك ويظفر به العدو
وتنزل قدمه فان تمادى في التعلق بشيء من هذه الخطوة
والسوانح فلو مشى الى شيء منها ونقده وفات مات قاتلا نفسه
وذلك انه يكون في يوم صائف وهجير وقد اصابه العطش الشديد
فتعرض له ما يخرج من العرق فيروج عليه ان اسرع ليلحق ذلك
الماء فيشرب منه فيبرد العطش فان مشى الى ناحية هذا الخاطر
فيجي الموضع فيجده سرابا فيفنى فيظفر به ويعرض له الآن

تموت

تموت فيقتله من ساعته فيموت قاتلا نفسه اذا كان جاهلا
بربه وآياته ولم يعرف دواه من دائه ولا تعلم العلم
ولا سأل العلماء ليتعالج مع نفسه فالحكمة اذا جاء له هذا
الخاطر بالتروح من العدو في شيء من الشريعة الى الماء والركون
الى الاغيار رسوله منازل اوراق شجرها وغير ذلك ان يعرض
على العدو وان الله تعالى يملك ان يتوفاه قبل لحوقه
فيا الغرور يخدعه في ذلك ويسلمه ويقول له ايضا قال النبي
صلى الله عليه وسلم من مشى الى الجمع فليحشر وليداو قال من تأنى
اصاب او كاد ومن عجل اخطأ او كاد والعجلة من الشيطان
ومن هذا الشيء فلا يتكل شاكرا انه كما يحتج للنفس والشيطان
بهذه القواعد من العلم انهم ينتفعون ولا حجة عندهم
بعد الاستعانة بالله والتعلق به ثم يقول له ايضا انكر
ان الله تعالى قادر على ان يطعمني ويسقيني ان شاء الله يتبع
لجيفا الساعة قبله وصلى لذلك الماء فيقول له الشيطان
بالضرورة تعرفها اذا كان هذا كذلك فالله سبحانه اعلم بمصالحي
ومنافعي من كل مخلوق فاذا حصل هذا العلم ورجع يمشي منا نيا
همته مع خطوته ناظرا عما يرد عليه من ربه فان توصل الى المخبر
له اولا اجرا له من بعد ولم تجد ما يؤلما تعلق به خاطره
اولا من صاحب او طعام بقي على اصله لا تغير عنده ولا تتردد
تظفر بالعدو وقتله كما فعل ايضا الشيطان بغيره القاصد
انتهى ما اردنا ذكره من كلام هذا الامام وهو عندي من
نفيس الكلام المقرب غاية المرام لما تضمنه من المعاني البديعة

والانفاس الرقيقة ولما فيه من تجريد التوحيد والاداب
المرضية مع العبيد فتوحيد [illegible] بان يكتسب ويرسم و[illegible]
به الغرض الذي تقدم والله تعالى اعلم وحكم الشرط الثاني
ان لا ياخذ الا ما يوافق العلم وهذا شرط لازم للمتجرد
وايضا قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وينبغي
لمن كان معلوم عنده هذه الاسباب ان يتورع في اخذها ويتخير
المعطين لها كما يتخير اهل المكاسب لان الله سبحانه وتعالى اخبتهم
في كل شي حكما والقعود عن المكاسب يسقط احكامها والقاعد
عن الطلب لا يسقط احكام الطالب ولا يرد العلم عما يحتاج
الي علم والمرتكب سيرة الفقراء الصادقين ياخذون من كل
احد ولا في كل وقت ولا ياخذ كل ما يعطون مما كفايتهم يزيد على
~~الا ان يكون [illegible] ممن ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى~~
يخرجونه الي غيرهم انتهى فهذه موافقة العلم التي ذكرها
المؤلف رحمه الله تعالى على قسمين وهي موافقة العلم
الظاهر وموافقة العلم الباطن اما موافقة العلم الظاهر
فان لا ياخذ الا من يد بالغ عاقل تقي وقد جاء في الحديث
لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي فلا ياخذ من
يد ظالم ولا عامل بالربا ولا جاهل بما يحل ويحرم من وجوه
المكاسب ولا ياخذ من يد صبي ولا عبد [illegible] ولا معتوه
واما موافقة العلم الباطن فان لا ياخذ الا ما كان على وجه الرفق
والمعونة فلا ياخذ الا ما هو مفتقر اليه في الحال ولا غناء له عنه
حر

اقتار
يستظهر ورياسته وحاجاته من عند اسراف ولا اقتار ولا باس
ان ياخذ ما يزاد على ذلك ان كان في خلقه سخاء وبذل وايثار
وتخلق بمحاسن الاخلاق لا ليتوصل به الى حظ عاجل من جاه
او رياسة او قبول عند الناس ولا ياخذ ما يعطاه على الابتلاء وجه
والاختبار لما اما الابتلاء فان ياتيه قبل وقته او زائدا
على حاجته فان اخذه فليخرجه اما بذلك من فاقة او لادخار
واما الاختبار فان لا ياخذ شيئا كان قد نوى تركه لله
تعالى من شهوة كان مبتلى بها قد ملكته واسرته ومنعته
القيام بحقوق ربه فليوف بعهد الله تعالى وليدفع
ذلك عن نفسه ان خاف انحلال عزمه وفساد نيته وان لم
يخف ذلك فلياخذه وليخرجه الى غيره وهذا اشد شي على
النفس وهو من اعظم درجات الوصول ولا ياخذ من الزهد
منان ولا بخيل ولا متظاهر بعطيته ولا ياخذ ممن يثقل
على قلبه قبول عطيته فقد قيل لا تاكل الطعام ممن يرى
لك الفضل عليه في اكله ولا تاكل الطعام ممن يراه
وديعة عنده ولا تاكل الطعام زاهد لانه يشر باطله ولا تاكل
الطعام من يرى لك صاحبه انه افضل الطعام وقد روى انه
اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل السمن
والاقط ورد الكبش وكان يقبل من بعض الناس ويرد على
بعض وقال لقد هممت ان لا اقبل الا من قرشي او انصاري او ثقفي
او دوسي قال ابو طالب المكي رحمه الله وفعله هذا اجابة من التنا بعينه

جاء الى فتح الموصلي صرة فيها خمسون درهما فقال حدثني
عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتاه رزق من غير مسئلة
فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة واخذ منها
درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه ان رجلا اهدى اليه
كيسا فيه الوف ورزمة فيها خدد قين خراسان فرد ذلك
فقال له بعض اصحابه في ذلك فقال من جلس مثل مجلسي هذا
وقبل من الناس شيا مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيمة وما له
عند الله من خلاق وكان الحسن يقبل من اصحابه وكان
ابرهيم التيمي يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض
عليه غيرهم المئين فلا يأخذ منهم وكان بعض العباد
اذا دفع اليه بعض اهل الدنيا شيئا يقول ~~له~~ ضعه عندك
وانظر على قلبك حالي كيف انا عندك بعد الاخذ افضل او دون
ذلك واصدقني فان كان له عندي الان افضل منك قبل
ذلك قبله منه وان اخبره ~~بعد الاخذ انه مثل ما كنت~~
~~قبل ذلك~~ بنقصانه في قلبه لم يقبله منه وكان بعضهم
يرد على اكثر الناس رجلا تهم فيعوتبون في ذلك فقال صدقاتكم
ما ارد عليهم الا اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون
ذلك ويحبون ان يعلم فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم
ويروى عن الاعمش انه قال جاء شاب من العرب
الى ابرهيم النخعي بالف درهم فقال يا ابا عمران خذها
التيمي
الدراهم

الدراهم والله ما هي من ذي سلطان ولا من كذا وكذا فقال
له ابرهيم بارك الله لك وجزاك خيرا فلما ولى قلت له
يا ابا عمران ما منعك الا تاخذها والله ما لاحد اشتكى
قميصك فقال صدقت يا سليمان ولكن هذا شاب من العرب
لم يحنكه السن ولم تحنكه الاداب فكرهت ان يحاسبه
نفسه فيقول اعطيت ابرهيم النخعي الف درهم فيحبط
الله اجره ونذهب دراهمه وحسن ذهب الى هذا سفيان
الثوري كان يشترط على البعض كان يأخذ منه ان لا
يذكره لاشفاقه عليه لانه احله بالقبض ذهاب اجره
لانه قيل في معنى قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى قال المن ان يذكره والاذى ان يظهره
وقال الجنيد رضي الله عنه لرجل الخراساني الذي
جاءه بمال وسأله ان يأكله فقال الجنيد بل افرقه على
الفقراء فقال الرجل انا اعلم بالفقراء منك ولم اختر
هذا فقال الجنيد وانا اوصل ان اعيش حتى اكل هذا
فقال له اني لم اقل لك انفقه في الخل والبقل انما قلت
انفقه في الطيبات والوان الحلاوات فكلما نفد اسرع
كان احب الي فقال الجنيد ومثلك لا يجوز ان يرد عليه فقبله
فقال الرجل ما ببغداد احد اعظم منة علي منك فقال الجنيد
وما ينبغي لاحد ينبغي ان يقبل منه في الامر كان منك
وكان السري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل رضي الله عنهما

النبي فيرده فقال له الثورة يا احمد احذر آفة الرد فانها
اشد منازعة الاخذ فقال احمد اعد علي ما قلت فاعاده
فقال احمد ما رددت عليك الا وعندي قوت شهر
فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وبالجملة
فلا ينبغي ان ياخذ المريد الا من يد زاهد عارف فبذلك
يسلم من الآفات ويكفي من جميع المؤونات قال ابو بكر الدقاق
منذ اربعين سنة اصحب هؤلاء الفقراء ما رايت رفقا لاصحابنا الا من
بعضهم لبعض وممن يحبهم ومن لم يصحبه التوفيق والورع التقوى
في نقد الامر اكل الحرام المحض وان اراد ان يسال امثاله
فلا يفعل قال ابو طالب المكي كان بشر بن الحارث لا يقبل
من الناس شيئا وكان بعضهم يقول احب ان اعلم من ايديكم
فقال احمد بخبر امره انا ادري من اين ياكل كان له صديق
عاقل يعني بخيره في العقد والديانة بعضهم كان لا يقبل
الامن التطلع ولا يقبل من لا يتاع وهذا الصديق العاقل
الذي هو كان ياكل ما يقوم بكفايته ولم يكن يخبر امره ولا يلتقي
معه السري بن مغلس السقطي رحمه الله قال بشر ما سالت
احدا قط شيئا من الدنيا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي
زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشي من يده ويتبرم
ببقائه عنده فاكون قد اعنته على ما يحب وكان سري
يوجه الى احمد بن حنبل يقول ذلك الفتى المعروف بحلب الغذا
انه ليعجبني امره وان بلغت به الحاجات كل مبلغ والاشرف
علي

على الضعف وتحققت الضرورة وسال المولى فلم يقدر له شي
ووقته يضيق عن الكسب لشغله بحاله فعند ذلك يقرع
باب السبب ويسال من دون جهد الا من جهة حاله حتى
الاثم من جاع فلم يسال فمات دخل النار وقد سال الناس
عند الحاجة والفاقة نبي الله موسى والخضر عليهما السلام
لقوله تعالى استطعما اهلها وكان ابو حفص الحداد وهو شيخ
الجنيد يسال عند الحاجة وبابين بين العشائين ويكون ذلك
معلوما عند حاجة من يومين او ثلاثة وكان له مقام
في الزهد والتوكل قال ابو طالب ولم يعب هذا عليه عموم
ولا خصوص ونقل عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه كان
يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شي لله ونقل عن
ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه كان معتكفا بجامع البصرة
مدة وكان يفطر في كل ثلاثة ايام ليلة وليلة افطاره يطلب
من الابواب وكان الثوري يسال في البوادي من الحجاز الى
صنعاء اليمن قال وكنت اذكر لهم حديثا في الضيافة قال
فحجبت الحطاطا فاتينا وراحتي ثم تركنا فبقي وليجتنب
المريد الاكل بالدين وقبول ارفاق النسوان فان قيل
كيف يرد ما يعطاه في الوجوه التي حكمتم عليه بعدم الاخذ كل
فيها وهو ان ياخذ من يد مريده كالفقراء وقد قال الحرالي للذ
الامر اذا علي الله فلنو يستنفع ذكره فاتحوا [illegible] بحق
الشريعة والطريقة لا بد منه والتوحيد ينافي ذكره وتدقيقه

الحاكم من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وكما لا يأخذ من
العلم بحال لنفي بحاهر من الحكم فهو مردود وجه صحة الرد
للحكاية منه مشاهدة التوحيد ظاهرا إذ لا فرق في ذلك
بين يدي المعطي ويد الآخذ فكما يشهد الآخذ يد الله
تعالى في العطاء منه بيد المعطي فيأخذ ما يعطاه من موافقة
العلم اتباعا لإذن الله تعالى وأمره كذلك يشهد يد الله
تعالى في المنع عنه بيد نفسه بالرد مخالفة العلم فلا
يأخذه ولا يقبله اتباعا لنهي الله تعالى عن ذلك وعدم
إذنه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش الذي
أهدي إليه مع السمن والأقط وكما فعله فتح الموصلي والحسن
البصري مع من وافقهما الحديث الذي ذكر فيه أنه رد
الهدية من رعي الله تعالى وقد تقدم ذكره بلفظه
عند العبد منع يد ذلك الخيال والله تعالى الموفق لصالح
الأعمال وإنما أطلت الكلام في هذه المسألة لأن الحاجة ماسة
إليها وليعلم من ذلك أن جميع تفاريعها وما يلحق بها داخلة
في كلام المؤلف رحمه الله على حكم اختصار رفعه لا
فيها من بديع الكلام ومستحسنه وكلمة أبي العباس المرسي
في معنى ما ذكره كلام بديع مختصر منتزع من كتاب الله
عز وجل نقله عنه في لطائف المنن قال رضي الله عنه
للناس أسباب وسببنا نحن الإيمان والتقوى قال الله
ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات

من

صناعته

من السماء والأرض وقد جود المؤلف رحمه الله نظام هذه
وأحسن سياقته في مقصد الإرشاد والهداية رفعت همم
العارفين أن يرفعوا حاجتهم إلى سواه اكتفاء بمشيئته وكيف
يستحيون أن يرفعوها إلى خليقته تقدم أن من الأدب
ترك الطلب والسؤال منه اكتفاء بمشيئته ورضا بسابق
قسمته وأن العارفين المحققين يستحيون من الله تعالى
في ذلك فكيف لا يستحيون منه أن يطلبوا من غير الله
المخلوقين وهذا أدبهم في ذلك واستحياؤهم من ربهم
الواجب عليهم فإذا بالموت منهم شيئا ولا يرفعون
إليه حاجة لأنهم فقراء محتاجون ومولاهم هو الغني
الحميد وقد تقدم من هذا المعنى عند قوله لا تتعدين همتك
إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال قال سهل بن عبد الله
رضي الله عنه ما من قلب ولا نفس إلا والله مطلع
عليه في ساعات الليل والنهار فأيما نفس أو قلب رأى
فيه حاجة إلى سواه سلط عليه إبليس وقال الأستاذ أبو
علي الدقاق من علامات المعرفة أن لا تسأل حوائجك
قلت أو كثرت إلا من الله تعالى مثل موسى عليه الصلاة والسلام
اشتاق إلى الرؤية فقال رب أرني أنظر إليك واحتاج مرة
إلى رغيف فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير وذكر
الإمام أبو القاسم القشيري أن بعض الفقراء كان يأتي كل
يوم ويقف بحذاء الكعبة بعد ما يطوف ما شاء الله ويخرج من عنده

رقعة ينظر فيها فلما كان بعد ايام رفعها ثم ذكر ثم تباعد
وما تحتها قصص يرمقه ونظر في الرقعة واذا فيها
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا فقال انكان الرجال اصابته
الفاقة فصبر ولم يظهر حاله لمخلوق حتى مات وقال ابو بكر
الجوهري رحمه الله كنت بعقبات على تبرج احرس
فمر بي رجل عليه جبة صوف متخرقة فقمت اليه مسلما وعانقته
واجلسته وجاريته معه في فنون من العلم وكان قدماه
حافيتين فقلت له لم لا تسال اصحابنا في نعل يقيك من الحفا
فقال يا اخي لم ارد ان ابصر بالجبال وخبر عين الثمر تحاكي بالعقال
ونقل ما البحر بالغربال ان اهرب من موقف السوال غزال
من المخلوقين الى النوال ثم اخرجني من باب المدينة فانتهى بي
الى صخرة منقورة فاذا عليها مكتوب كل من كد يمينك عرق
جبينك فان ضعف يقينك فاسال المولى يعنك قال في
التنوير واعلم رحمك الله ان رفع الهمة لمن كان يريد الاخرة
عن الخلق وعدم التعرف لهم لازمين لهم من الحلي للعروس
لسالكي
وبهما احوج اليه من الما لحيوة النفوس ومن خلعهما عليه
خلعة فخلعها وحاسبها بحركات تدومان له ولا تسلب عنه
والمدنس لخلع المواهب بحركات لا تنزل له فلا تدنس
ايها الاخ ايمانك بطمعك في المخلوقين ولا تجعل اعتمادك
الا على رب العالمين وكن ابراهيميا فقد قال
ابرهيم عليه السلام لا احب الافلين وما سوى الله افل اما

وجودا

وجودا وامكانا وقال سبحانه ملة ابيكم ابرهيم اي اتبعوا
ملته فواجب على المومن ان يتبع ملة ابرهيم ومن ملته
زج
رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به في المنجنيق تعرض
له جبريل فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا واما
الى الله فبلى قال فسله قال حسبي من سوالي علمه بحالي فانظر
كيف رفع همته عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم
يستغث عليه السلام بجبريل ولا احتال على السوال بل راى
الله بل راى ربه اقرب اليه من جبريل عليه السلام ومن
سواله فلذلك سلمه من نمروذ ونكاله وانعم عليه
بنواله وافضاله وخصه بوجود اقباله ومن ملة ابرهيم
معاداة كل من شغل عن الله وصرف الهمة بالرد الى الله
لقوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين والمعنى
انما اردت الدلالة عليه فهو في الياس من الناس والغنى قال
الشيخ ابو الحسن ايست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا ايس
نفع غيري لنفسي ورجوت الله لغيري فكيف لا ارجوه
لنفسي هذا هو الكيميا والاكسير الذي من حصل له حصل له
غنا لا فاقة معه وعز لا ذل معه ونفاق لا نفاد له وهو
كيميا اهل الفهم عن الله تعالى قال الشيخ ابو الحسن صحبني
انسان وكان ثقيلا علي فبسطته يوما فانبسط وقلت له يا ولدي
ما حاجتك ولم صحبتني قال يا سيدي قيل لي انك تحسن الكيميا
فصحبتك لا تعلم منك ذلك فقلت صدقت وصدق من حدثك

ولقد رأيته لا تقبل فقال لي ابني فقلت له نظرت إلى
الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء فنظرت إلى الأعداء
فعلمت أنهم لا يستطيعون أن يشوكوني بشوكة لم يرد الله
بها فقطعت نظري عنهم ثم تعلقت بالأحباء فوجدتهم
لا يستطيعون أن ينفعوني بشيء لم يرد الله لي به فقطعت
إياسي منهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لي إنك لا تصل إلى
حقيقة هذا الأمر حتى تقطع إياسك منا كما قطعته من غيرنا
أن نعطيك غير ما قسمناه لك في الأزل وقال مرة أخرى لما سأله
عن الكيمياء فقال أخرج الخلق من قلبك واقطع إياسك من ربك
أن يعطيك غير ما قسم لك قال ولم يرد الله من العبد كثرة
عمله ولا مداومته على ورده إنما يريد إقباله بنوره وفهمه عنه
ومحبته والحياء منه إليه بقلبه وتحرزه من رق الطمع وتحليته
بحلية الورع وبذلك تحسن الأعمال وتزكو الأحوال قال الله
سبحانه وتعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم
أيهم أحسن عملا فحسن الأعمال إنما هو بالفهم عن الله
والفهم هو ما ذكرناه من الاغتناء بالله والاكتفاء به والاعتماد
عليه ورفع الحوائج إليه والدوام بين يديه وكل ذلك من
ثمرة الفهم عن الله تعالى انتهى ما يتعلق بغرضنا من كلام
صاحب كتاب التنوير وهو من كلام النفيس الأخير رحمه
الله إذا تأملته بعين بصيرتك ناصحا لروحك في علانيتك
وسريرتك علمت منه أن ما تضمنه عظيم الموقع وأنه مستمد
منا

منا إيرادنا في هذا الموضع وهو مشتمل على بيان التوحيد
محتاج إليه كل سالك ومريد فمن رعاه حق
رعايته وصرف إلى العمل بمقتضاه عنان عنايته فقد تحقق
بحقائق الإيمان وكان من أولياء الله تعالى بحكم ومن
أهمله وضيعه وجهل قدره وموضعه خيف عليه من الوقوع
في الشرك الخفي والجلي وتحقق بذلك أن يطرد عن باب
مولاه العلي بتقوى طمعه في الخلق وتضيق عليه متسعات
أبواب الرزق كما قال بعض العارفين المكاشفين
خيل لي في النوم ربما ليقظة أو يقظة كالنوم لا تبد فاقة
إلى غيري فأضاعفها عليك مكافأة لخروجك وخروجك
عن حدك في عبوديتك إنما ابتليتك بالفاقة لتفزع
منها إلي وتتضرع بها لدي وتتوكل فيها علي سبكتك بالفاقة لتصير ذهبا خالصا فلا تزيفن بعد السبك وسمتك بالفاقة صح
وحكمت لنفسي بالغنا فإن وصلتها بي وصلتك بالغنا وإن
وصلتها بغيري قطعت عنك مواد معونتي فمن وكلته إلي ملكه ومن
وحسمت وكلته إليه هلكه أنى تتخطاهم يا أنس من قبول الرفق
أسبابك من أسبابي إلى غير الخلق ولم تنقطع همته عن ذلك وإن لم يكن سؤال
طردا لك عن بابي صح للحاجب لكان كما حكي عن حماد بن سلمة رحمه الله قال كانت في جواري
امرأة أرملة لها أيتام وكانت ليلة ذات مطر فسمعت
صوتها تقول يا رفيق ارفق بي فالخلق بما أنا أصابتها
نفس فاقة وصبرت حتى احتبس المطر فحملت معي عشرة دنانير
ودفعتها عليها الباب فقالت حماد بن سلمة فقلت نعم

فقلت كيف الحال فقالت بخير وعافية احتبس المطر
وذبل الصبيان فقلت خذي هذه الدنانير واصلحي بها
بعض شأنك قال فصاحت صيحة لها خاسية اتريد ان تحول
ان تكون بيننا وبين معبودنا ثم قالت لا مرحبا لمن رفعت
عرضك بالكبار لم علمت ان المعبود بنا بالكبار الرزق
على يدي مخلوق وذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي عن
عباد بن دهقان قال كنت عند بشر بن الحارث وهو يتكلم
في الرضا والتسليم فاذا هو برجل من المتصوفة فقال له
يا ابا نصر انقبضت عن اخذ البر من ايدي الخلق لاقامة الجاه
فان كنت متحققا بالزهد منحرفا عن الدنيا فخذ من ايديهم
ليذهب جاهك عندهم واخرج ما يعطونك الى الفقراء وكن
بعقد التوكل فاخذ قوتك من الغيب فاشتد ذلك على اصحاب
بشر فسمع ايها الرجل الجواب الفقراء ثلثة فقير لا يسأل
وان اعطي لا ياخذ فذلك من الروحانيين اذا سأل الله
تعالى حاجته اعطاه وان اقسم على الله ابر قسمه وفقير
لا يسأل وان اعطي قبل فذلك من اوسط القوم عقده
التوكل والسكون الى الله تعالى وهو ممن توضع له
الموائد في حظيرة القدس وفقير جالس الصبر ومدافعة
الوقت فاذا طرقته الحاجة خرج الى عبيد الله وقلبه الى الله
بالسؤال فكفارة سؤاله صدقه فقال الرجل رضيت رضي
الله عنك وقال رضي الله عنه اذا التبس عليك امران فانظر

اثقلهما

ما الكرم صح

فقال بشر

بيان من الروحانيين

واثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا

هذا ميزان صحيح باعتبار غالب الانفس لانها مجبولة
على الجهل والشره فشأنها ابدا انما هو طلب الحظوظ
والفرار من الحقوق بما تقدم عند قوله حظ النفس في
المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي فاذا وجد
المريد من نفسه ميلا وخفة عند بعض الاعمال دون البعض
اتهمها وترك ما مالت اليه وخف عليها وعمل بما اشغلته
قال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي
ساعة واحدة وسكون القلب الى النفس هو اتباعها الاخف
عليها دون الاثقل وهو معروف عندهم من نفاق القلب
ومن بقي عليه شيء من دواعي الهوى وان قل لا يؤمن عليه مثل
هذا خفة العمل على النفس انما تكون لاجل موافقة هواها
وهواها لا يميل الا الى الباطل فاذا التبس عليك امران
واجبان او مندوبان ولم تعلم ايهما اوجب او افضل لتقدمه
على الاخر فانظر اثقلهما على نفسك فاعمل به وانما قلنا باعتبار
غالب الانفس لان النفس المطمئنة لا توصف بالجهل ولا بالشره
فقد يخف عليها العمل لا بد ان ذكر عادته بالحق فليلتفت
نظر العبد حينئذ الى ما فيه النفع والفائدة والاعظم منزلة
فليقدمه على غيره وقد ذكر الشيخ ابو طالب المكي حكاية
عجيبة في شره النفس وكونها لا تميل الا الى الباطل
قال حدثني بعض اخواني عن بعض اهل هذه الطريقة قال قدم

مطلب في ميزان الانفس شريف

بيانه اشتغلته

مطلب حكاية عجيبة في شره النفس

علينا بعض الفقراء فاشترينا من جار لنا لحما مشويا ودعوناه
اليه فجاء مع من معه من اصحابنا فلما مد يده اخذ لقمة وجعلها
في فيه ثم لفظها ثم اعتزل وقال كلوا انتم قد عرض لي عارض
منعني من الاكل فتكلفنا لا ناكل ان لم تاكل فقال انتم اعلم
اما انا رجل فغير اكل ثم انصرف قال وكرهنا ان ناكل
دونه فقلنا لو دعونا الشوا فسالناه عن حال هذا اللحم
ولعل له سببا مكروها فدعوناه فلم نزل نساله حتى اقر
انه كان ميتة وان نفسه شرهت الى بيعه حرصا على ثمنه
فشواه ووافق انكم اشتريتموه قال فطرحناه للكلاب
ثم قال اني لقيت الرجل بعد وقت فسالته ما شرحته لاي
معنى تركت الاكل وباي عارض فقال اخبركم ما شرهت نفسي
الى الطعام منذ عشرين سنة للرياضة التي رضتها به فلما قدم
هذا شرهت نفسي اليه شرها ما عهدته قبل فقلت ان في
الطعام علة فتركت اكله لاجل شره النفس اليه قال الشيخ ابو
طالب المكي فانظر رحمك الله كيف اتفقا في شره النفس عن
قصة واحدة ثم اختلفا في التوفيق والخذلان فعصم
العالم بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس
بالحرص وترك المراقبة اعني البايع اللحم وعصم الاخر
للتوفيق بحسن الادب وهو قمع شره النفس عن الاكل بعد
صاحبهم ثم تركه وترك البايع بعد وقوعه بصدق المشتري
وحذ نيته النهي وثم ميزان اخر اصح واكثر تحقيقا

مثل

مطلب ميزان اخر عجيب لنفس [illegible]

من الاول وهو ان يقدر نزول الموت به فاي عمل سره
ان يكون مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما عداه باطل
قال في لطايف المنن والموت ميزان على الافعال والاحوال
كما هو ميزان في دايرة الرتب اما الرتب فكما تقدم
يعني انه علامة صحيحة على مرتبة الولاية واما الافعال
والاحوال فاذا التبس عليك امر لا تدري هل يرضي الله
تعالى تركه او فعله او حالة انت بها لا تدري هل قمت
فيها بالحق او قمت فيها بهواك فاورد الموت على ما انت
فيه من افعال واحوال فكل حالة وعمل تثبت مع تقدير
ورود الموت عليها ولم تنهزم فهي حق وكل حالة وعمل
تهزمها الموت فهي باطلة اذ الموت حق والحق لا يهزم
الباطل وبل يدمغه لقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب
وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما انت
فيه قايما بالحق لم يهزمه الموت اذ هو حق والموت حق والحق
لا يهزم الحق قال وقد تجاريت الكلام انا وبعض من
يشتغل بالعلم في انه ينبغي اخلاص النية فيه ولا يشتغل
به الا لله فقلت الذي يقرا العلم لله هو الذي اذا قيل له
غدا تموت لا يضع الكتاب من يده اه النص قلت وهذا
هو فصل الخطاب ونهاية الصواب فان العبد بهذه الحالة
لا يصدر منه الا العمل الصالح الخالص من شوايب الريا ومما زجة

حظ النفوس واتباع الهوى وهذا هو المطلوب من
العبد ولا يستتم له ذلك الا ان يتحقق بما يقدر من
حلول الموت وحصول الفوت وهذا هو معنى قصر
الامل الذي هو اصل حسن العمل وهو ان لا يقدر لنفسه
وقتا ثانيا يكون فيه حيا آمنا وعند ذلك يخلص عمله من
الآفات ويتطهر من انواع الرعونات لانه يتوقع الموت
في كل نفس ولحظة ويهون عليه جميع ذلك كما ذكره المؤلف
رحمه الله تعالى وكل عمل لم ينشأ فيه ما قلناه من التقدير
ووقوع ذلك ان لم يكن متحققا به لا يخلو مما ذكرناه فاذا
تبعد من الاخلاص من يأخذ في علم متعين عليه الاخذ
فيه لا يجتنب تكثيره الا في ثاني حال ويكون في حال الراحة
متمكنا من انقطاعه لحاجة تزيد مصلحتها على مصلحة ما اخذ
فيه من العلم فيفوز بثوابها ويتنجز له حصول التقرب
فالان في كل قوت نفسه ويؤخره حظه وافقه ذلك
انه قد يعرض له في حال اخذه فيه غرض دنياوي يكون
احتفاظه به اكثر فيقدمه على ما كان اخذ فيه ويتشاغل
به من غير مبالات بما يفوته من ذلك وانما عبرنا بلفظ
الاخذ ليدخل فيه تعلم المتعلم وتعليم المعلم فان الامر
فيهما واحد وكل عمل لا اخلاص فيه ليس بالله ولا لله مردود
على صاحبه مضروب به وجهه وبهذا يتبين لك غرور اكثر
الخلق في علومهم واعمالهم الا من رحم الله تعالى والله المجاهد

الاكثر

مطلب

وثيقة مهمة متعينة في عدم الاخلاص في اخذ العلم

اكثر الناس عند نزول الموت بهم يندمون على ما اسلفوه
من عمل ويودون ان الوقت لهم فيه لا يعملون فيها
فنعوذ بالله من الغفلة في زمان المهلة فانها مبدا كل
عمل فاسد ومنشا وجود الفترة والجهالة لكل عالم وعابد
وما ذكرنا من معرفة اختلاف درجات الطاعات ليقدم
الفاضل منها على المفضول لا يحصل الا لمن ايد الله بنور
اليقين وجبله على النصيحة له في الدين وكان له حظ وافر
وافر من الخوف والحذر وموافقة مولاه في كل ورد
وصدر ولا شك ان هذه المرتبة كبيرة لكنها متعذر
ادراكها على الاحاد من الرجال وبينه من يصل البطال
ممن ذكرناه فاذا كان متصفا بذلك يتعين بنظره هو
احق منه حالا واصوب مقالا وفعالا ويفوض جميع امره
اليه ويعتمد اشارته في كل ما يشير به عليه وعلامة
انصافه وجود اتهامه لنفسه وعدم اعتماده على عقله
وحدسه ومن لم يكن متصفا بذلك فان الكلام معه هذيان وضرب
في حديد بارد وسياتي مزيد تنبيه على غرور الاخذين
في العلم في موضع اليق من هذا والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب
من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات
والتكاسل عن القيام بالواجبات. هذا من اعظم الغرور
التي ينبعث منها خفة النوافل وثقل الحق على النفس
وما ذكره هو حال اكثر الناس فترى الواحد منهم اذا اعتقد

والتوبة لا همة له الا في نوافل الصيام والقيام وتكرار
المشي الى بيت الله الحرام وما اشبه هذا من النوافل وهو
مع ذلك غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا متحلل
لما لزم ذمته من الظلامات والتباعات وما ذلك الا انهم
لم يشتغلوا برياضة نفوسهم التي تأخذ عنهم ولم يحفلوا
بمجاهدة اهوائهم التي استرقتهم وملكتهم ولو اخذوا
بذلك لكان لهم فيه اعظم شغل ولم يجدوا فسحة لشي بل
من الطاعات والنفل قال بعض العلماء من كانت النفل
اهم اليه من اداء الفرائض فهو مخدوع وقال محمد بن ابي
الورد هلاك الناس في حرفين اشتغال بنافلة وتضييع
فرض وعمل بالجوارح بلا مواطاة القلب عليه وانما حرموا
الوصول لتضييعهم الاصول وقال الخواص القاطع الخلق
عن الله خصلتين احداهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا
الفرائض والثانية انهم عملوا اعمالا بالظاهر ولم يأخذوا
انفسهم بالصدق فيها والنصح لها وابى الله ان يتقبل من عامل
عملا الا بالصدق واصابة الحق قال الشيخ ابو طالب المكي
رضي الله عنه فافضل شي للعبد معرفته نفسه ووقوفه على حده
واحكامه لحاله التي اقيم فيها واشتغاله بالعمل بما افترض
عليه بعد اجتنابه ما نهي عنه وبعد تدبيره في جميع
ذلك ورع يحجزه من الشبهة في ذلك ولا يشتغل بطلب فضل
حتى يفرغ من فرضه لان الفضل لا يصح الا بعد احراز السلامة

مطلب حرموا الوصول لتضييعهم الاصول

كما

كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حصول راس المال فمتى
تعذرت عليه السلامة كان من الفضل ابعد ومن
الاغترار اقرب انتهى. قيد الطاعات باعيان الاوقات
كي لا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك
الوقت كي تبقى لك حصة الاختيار. انعم الله عليك
فيما امرك به من الطاعات المتوقتة بالاوقات بنعمتين
عظيمتين احداهما تقييدها لك باعيان الاوقات لتوقعها
فيها فتحوز ثوابها ولو لم يفعل لسوفت بها ولم
تعملها لكونك حتى تفوت فيفوتك ثوابها والنعمة
الثانية توسيع اوقاتها عليك ليبقى لك نصيب من
الاختيار حتى تأتي بالطاعات في حال سكون وتمهل
من غير حرج ولا ضيق فلله الحمد على نعمه. علم قلة نهوض
العباد الى معاملته فاوجب عليهم وجود طاعته فساقهم
اليه بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون
الى الجنة بالسلاسل. لما علم الله تعالى قلة نهوض
العباد الى معاملته الواجبة له عليهم من اقامة العبودية
له بعد الربوبية في حال الطواعية منهم اذ في ذلك قرة
اعينهم وغاية نعيمهم اوجب عليهم وجود طاعته على حال
الكراهية منهم لاجل ما خوفهم به ان لم يفعلوا فساقهم
بذلك الايجاب وتحذيره اليه واستدرجهم بذكر ما فيه نعيمهم
مما عليهم به وفعل بهم ما يفعل بالصبي الا ترى ان الصبي يؤدب

تنهض

ويجري على لسانه على مقتضى طبعه وجبلته ويلزم امورًا
شاقة عليه فيفعلها وهو كاره لذلك والغرض انما حصل
على هنا فعله التي هو جاهل بها فاذا كبر وعقل عرف ذلك عيانًا
وقد عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل
كما تفعل بأسارى الكفار حين يراد منهم الدخول في الاسلام
فينقادون الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا احد حديث
يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا عجب الله من اقوام
يقادون الى الجنة بالسلاسل قلت وتعبير المؤلف رحمه
الله بالسلاسل والسوق بها وجعلها ذلك في التكاليف
الواجبة التي الزم العباد القيام بها من بديع الاستعارة
كما قال الشاعر • وليس لعهد الدار يا ام مالك • ولكن
احاطت بالرقاب السلاسل • وكذا تمثيله بالحديث
المذكور فيه ذلك والاشارة الى مقصوده في غاية الحسن
قال بعض العلماء يجوز ان يكون معنى التعجب المنسوب الى الله
تعالى فيه اظهار عجيب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان
وهو ان الجنة التي اخبر الله تعالى بما فيها من النعيم
المقيم والعيش الدائم فيه والخلود فيه الذي من حكم من
سمع به من ذوي العقول ان يبادر اليها ويبذل المجهود
في الوصول اليها ويتعاطى المكاره والمشقات لينالها وهم
يمتنعون عن فعل ما يوصلهم اليها ويزهدون فيها حتى
يقادون اليها بالسلاسل كما يقاد الى المكروه العظيم

ابو خراش الهذلي

الذي

الذي تنفر منه الطبايع وتألم منه الابدان وتكرهه النفوس
وقد قرأ جماعة من القراء بل عجبتُ ويسخرون بضم التاء
وهو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان
وفلانة في قصة الانصاري الذي قال لامرأته اكرمي ضيف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث مشهور فالتعجب
منسوب الى الله قد ورد في الكتاب والسنة فهو من
الصفات السمعية اوجب علينا وجوده شرعًا او وجب
علينا [illegible] بهذه عبارة حسنة موافقة المعنى
ما تقدم والمقصود من هذا كله الاعلام بان الله تعالى
غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم وان التكاليف
كلها انما وجبت عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم كغير
قلت وما ذكره المؤلف رحمه الله هو حال عامة الناس
الذين من شانهم النسيان وعدم الانقياد الا وامر الشرع
ولذلك احتاجوا الى التخويف والتحذير والمراءاة والحض
والمبالغة في التكثير واما الخاصة منهم فلم يحتاجوا الى شيء
من ذلك لان الله تعالى شرح صدورهم ونور بصائرهم وثبت
في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم العصيان
فلم يقتصروا على ما اقتصر عليه المذكورون من فعل الواجبات
واجتناب المحرمات فقط بل اضافوا الى ذلك المبادرة
الى اعمال الطاعات والمسارعة الى نوافل الخيرات وبالجملة
صارت اعمالهم قربات وذلك لتمام حريتهم وصحة عبوديتهم

[illegible]

نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه قال في التنوير
وإنما جعل سبحانه الإيجاب على العباد علما منه بما هم عليه
من وجود الضعف وبما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل
فأوجب عليهم ما أوجبه لا تخييرهم فيما أوجب عليهم لم يكونوا لوضح
فإيجابه الأخلية ما أهملوا فأوجب عليهم وجود فاعتدوا في
التحقيق ما أوجب عليهم إلا دخول جنته فساقهم إلى الجنة بسلاسل
بالسلاسل قال واعلم رحمك الله أن تلمحنا الواجبات
فرائضا الحق سبحانه جعل في كلما أوجبه تطوعا من جنسه
لا نوافل كان ليكون ذلك التطوع من ذلك الجنس جابرا
لما عساه أن يقع من الخلل في قيام العبد بالواجبات
ولذلك جاء في الحديث أنه ينظر في فرض صلاة العبد فإن
نقص منها شيء كمل من النوافل فافهم رحمك الله هذا
ولا تكن مقتصرا على ما فرض الله عليك بل لتكن فيك
همة تتوجه لكمال أعمالك على معاملة الله فيما لم يوجبه عليك
ولو كان العباد لا يجدون من أنفسهم إلا فعل الواجبات
والثواب ترك المحرمات لفاتهم من الخير والمنة ما لا يحصره
حاصر ولا يحزره حازر فسبحان الفاتح على العباد باب المعاملة
والمهيئ لهم أسباب المواصلة قال واعلم أن الحق سبحانه
علم أن في عباده ضعفاء وأقوياء فأوجب الواجبات وبين
المحرمات فالضعفاء يقومون بما أوجب والترك
لما حرم وليس في قلوبهم سلطانة المحبة ووجود التعطف فالكامل
على

الإيجاب عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة ح

على المعاملة من غير إيجاب فشغلهم كمال الحب يعلمهم
السيد منه أنه إن لم يخرجهم لم يهتدوا إليه شيئا فلذلك
وقت سبحانه الأوراد ووظف الوظائف العبودية وعين
ذلك بالطالع والغارب والموقوف والصيرورة لما
حدث في مثله في الصلوات ونقل الحول في الأموال النامية
العبد والماشية وبوقت حصول المنفعة في الزرع
والتواحقه يوم حصاده وبعشر ذي الحجة وشهر رمضان
في الصيام فوظف الوظائف ووقتها وجعل للنفوس فيها فسحة
الحظوظ والسعي في الأسباب وأهل الفهم عنه
جعلوا الأوقات كلها وقتا واحدا والعمر كله نهجا إلى الله
قاصدا فعلموا أن الوقت كله له فلم يجعلوا شيئا منه لغيره
ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه عليكم بورد
واحد وهو إسقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة أن تستعمل
محبا إلا فيما يوافق محبوبه وعلموا أن الأنفاس أمانة
الحق عندهم وودائعه لديهم فعلموا أنهم مطالبون
برعايتها فوجهوا همتهم لذلك وكان الله بربوبيته الدائمة تحجة الكاملة
كذلك حقوق ربوبيته عليك دائمة ثم ربوبيته غير مؤقتة
بالأوقات وحقوق ربوبيته عليك ينبغي أن تكون أيضا
كذلك لذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه إن للحق في كل وقت
سهما يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية انتهى

إن ينقذه الله من شهوته وإن يخرجه من وجود غفلته
فقد استعجز القدرة الإلهية وكان الله على كل شيء مقتدرا

من استفزته الشهوة واستولت عليه الغفلة فلا ينبغي له
ان يستغرب ان ينقذه الله من اسر شهوته وان يخرجه
من وجود غفلته بما شاء من الحكم من ذكره فيه فان
في ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية جل الله تعالى
متصف بالاقتدار على كل شيء وهذا من الاشيا وليعلم العبد
ان قلوب العباد ونواصيهم بيده فلا ينقطع ولا ييأس وليقصد
باب مولاه بالذلة والافتقار فعساه يسهل عليه ما يستصعبه
ويتيسر فيه ما استعسر به وما ذلك على الله بعزيز وليعتبر
لهذا المعنى بالحكايات التي نرويها عن الصالحين الذين
تقدمت لهم في بداياتهم الزلات ووقعت منهم قبل
توبتهم الهفوات فتداركهم الله تعالى بلطفه واستنقذهم
بجوده وعطفه فاصلح اعمالهم وصفا احوالهم وابدل سيئاتهم
حسنات ورفعهم من اسفل سافلين الى اعلى الدرجات
كان ذلك في اقرب زمان واقصر مدة واوان والحكايات
في هذا المعنى عن الفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك
وابي عقال بن علوان وغيرهم رضي الله عنهم معروفة مشهورة
ومن اغرب ما رايت في هذا المعنى ما رواه عبد الرزاق بن
معمر عن عمه وهب بن منبه ان رجلا قتل نفسا فجا الى سائح
من سائحي بني اسرائيل فسأله عن ذلك فقال له السائح
من الارض عرجونا يابسا في يده ثم قال له اذا اخضر
هذا العرجون غفرت لك ذنبك واراد السائح بذلك تو ييسه
من التوبة لعظيم ذنبه فاخذ الرجل العرجون وهو
يجعل

يجعل في التوبة فتاب وجعل يعبد الله تعالى زمانا وبيده حتى
اخضر له العرجون باذن الله تعالى وقدرته واغرب
من هذا واعجب ما خرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيمن كان قبلكم رجل
قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن اعلم اهل الارض فدل على
راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة
فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سال عن اعلم اهل الارض
فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال
نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا
فان بها اناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع
الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى نصف الطريق اتاه ملك
الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت
ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة
ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما
كان ادنى فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد
فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة قال الحسن ذكر لنا انه
لما اتاه الموت نأى بصدره وقال بعضهم يدنيها وكان يقال
ما وفق الله عبدا للعمل الا وهو يريد ان يقبله منه ولا وفق
الله عبدا للنزوع عن ذنب الا وهو يريد ان يغفر له وذكر كتاب
القاضي يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفار رحمه الله في

التنبيه والتيسير لصالح العمل انه اخبره ثقة من اهل العلم
قال كان رجل من اهل الادب له اصحاب يجمعهم بيوم من ايام
مكروهة فدعوه ذات يوم فلم يجبهم فقالوا له ما يمنعك
من اجابتنا فقال دخلت البارحة في الاربعين وانا استحيي
من سني ان الزم الجد والعبادة قال وروي عن عمر بن عبد
العزيز قال وجبت حجة الله على ابن الاربعين وذكر
ضمرة ايضا عن معيشة بن سمي قال مات رجل من بني اسرائيل يعمل
بالخطايا فبينما هو ذات يوم يسير ذكر ما سلف من عمله فقال
اللهم غفرانك فمات على تلك الحالة فغفر له وذكر فيه
ايضا عن رجل انه راى في منامه شيخا وجماعة من الشعرا
قد احدقوا به يسالونه قال له ايها الشيخ اخبرني باحكم
بيت قالته العرب فانشد في المعنى * صبا ما صبا حتى
علا الشيب راسه * فلما علاه قال للباطل ابعد *
قال فوالله لقد نفعني الله عز وجل بهذا البيت ما ذكرته
عند شهوة او خطيئة الا ارتدعت عنها ورجوت ان لا يفارقني
الانتفاع به ما بقيت ان شا الله تعالى وفي الكتاب
المذكور حكايات مستحسنات في هذا المعنى فطالع ذلك
فيه والله المستعان لا رب غيره ومما ورد في الظلم الظلم
ليعرفكم قدر ما انتم فيه من الظلم اضداد الانوار
فما من نور الا وفي مقابلته ظلمة ولولا الظلمة ما عرف قدر نورها
والشي يعرف بضده كما قيل وبضدها تتبين الاشيا فما ورده

عليكم

عليكم من ظلمات الحجبة والغيبة في ليالي الهجر والفرقة فانما ذلك
ليعرفكم قدر ما انتم عليه من انوار التجلي والحضور في نهار
القربة والوصلة فجميع ذلك نعم سابقة عليكم من غير علم منكم
منها من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها
اكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الا اذا فقدوها لاجل غلبة
الغفلة عليهم حين وجودها عندهم قال سري السقطي من لم
يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم وقال الفضيل عليكم
بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت
اليهم وقال بعض البلغا اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر
لها تميمة وقال شكر النعمة عصمة من حلول النقمة وفي معنى
هذا قيل انما يعرف قدر الماء من بلي بعطش البادية
الجاري لا من كان على شاطي الاودية وقيل ايضا الولد العاق المصر
على تابيه انما يعرف قدر الاب يوم وفاة ابيه وفيه نعم الله
تعالى مجهولة وتعرف اذا فقدت ومنه دعا بعض الصالحين
اللهم فانقصنا بك دوامها ولا تعرفنا اياها بزوالها قلت وحجة
غلبة الجهل بالنعم الا عند الفقد وتضييع الشكر عليها
من العبد امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى من
هو اسفل منا لئلا نزدري نعمة الله علينا والسعيد
من وعظ بغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي
عنه ابو هريرة رضي الله عنه انظروا الى من هو اسفل منكم
ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا النعمة

الله عليكم وروي ايضا انه صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى
من هو اسفل منه ممن فضل عليه في الخلق قال ابو حامد رضي
الله عنه كان بعض الصوفية وظف على نفسه كل يوم ان يحضر
دار المرضى فيشاهد ضروب بلائهم ومحنتهم ويحضر
حبس السلطان ويشاهد ارباب الجنايات ومحنتهم في السجن صح
لاقامة العقوبات ويحضر المقابر فيشاهد الموتى وتاسفهم
على ما لا ينفع مع اشتغال الموتى بما هم فيه وكان يعود الى بيته اصحاب
ويشتغل بالشكر طول النهار على نعم الله عليه في تخليصه من تلك
البلايا انتهى وكان الربيع بن خيثم حفر في داره قبرا وكان
يضع في عنقه غلا وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سألته
فاعمل قبل ان تسال الرجوع فلا ترد وهذا كله موافق
لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديثين المذكورين
والطريق العيذ اي تعرف الشخص لنعم الموجودة لديه ابلغ العاقل
منه فاذا عرف نعم الله تعالى اشتغل بالشكر عليها من قبل
ان تزال عنه ولا يكون له سبيل اليها وقد تقدم كلام
المولف من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها
فقد قيدها بعقالها لا تدهشك واردات النعم عن القيام
بحقوق شكرك فان ذلك مما يحط من وجود قدرك
اذا تواردت نعم الله عليك فلا ينبغي ان تدهشك عن
القيام

القيام بشكرها من حيث ترى عجز نفسك عن توفية ذلك
وان لا قبل لك به فتتركه فان الله تعالى رفع قدرك واعلى
امرك وجعل القليل منك كثيرا واشهدك منه حسن توليه لك
ونسبة افعالك اليه مما يوجب تعظيم سيادتك ورفع قدرك
فلم تبخس حقها وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر
والقيام بمقتضى الامر لاجل وجه الادب والاتيان من الشكر
بما وجب كان الامر في ذلك اليها قال سهل بن عبد الله ما من
نعمة الا والحمد افضل منها والنعمة التي الهم بها الحمد افضل
من الاولى لان بالشكر يستوجب المزيد وفي اخبار داود عليه
السلام ما النعم ابن ادم ليس فيه شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها
نعمة فمن اين يكافيك فاوحى الله تعالى اليه يا داود اني
اعطي الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك
من نعمة فمني وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه اني
بارض قد كثرت فيها النعم حتى لقد اشفقت على من قبلي ضعف
الشكر فكتب اليه عمر رضي الله عنه اني قد كنت اراك اعلم بالله
مما انت ان الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها
الا كان حمده افضل من النعمة لو كنت لا تعرف الا في كتاب الله
تعالى المنزل قال الله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان
علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين
وقال تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا
جاوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها

بيان
توليه لك

فالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واي نعمة افضل
من دخول الجنة تمكن حلاوة الهوى من القلب من الزوال
العقال القلب محل الايمان والمعرفة واليقين وهذه
الادوية لامراضه التي اوجبها وجود الهوى والشهوة
فاذا تمكنت الداخلة القلب لم يبق للدواء محل فلذلك
اعضل امره وتعذر برؤه لا يخرج الشهوة من القلب
الا خوف مزعج او شوق مقلق الشهوة المتمكنة من القلب
لا يخرجها الا وارد قوي قاهر غالب يرد عليه وذلك
اما خوف مزعج او شوق مقلق وما عدا هذين الامرين
لا يستقلان له بذلك كما لا يحب العمل المشترك كذلك
لا يحب القلب المشترك العمل المشترك لا يقبله والقلب
المشترك لا يقبل عليه العمل المشترك هو المشوب بالريا
والتصنع والقلب المشترك الذي فيه محبة غير الله
تعالى والسكون اليه والاعتماد عليه فالعمل المشترك معتد
بنظر صاحبه الى الناس والقلب المشترك معتد بنظر
صاحبه الى نفسه فالعمل المشترك لا يحبه ولا يقبله ولا يثيب
عليه لفقد الاخلاص منه والقلب المشترك لا يحبه ولا
يقبل عليه ولا يرضى به لعدم وجود الصدق فيه فمن
صح اعماله بالاخلاص واحواله بالصدق كان محبوبا لله
تعالى حقا باعراضنا فيه والانوار [illegible] لها
في الوصول والنازلات لها في الدخول الانوار الواردة
علي

على القلب من خزائن الغيوب تنقسم الى قسمين انوار
اذن لها في الوصول الى ظاهر القلب فقط وانوار اذن لها
في الدخول الى صميم القلب ~~خفيت والانوار~~ وسويدائه فالانوار
الواصلة الى ظاهر القلب يتباعد العبد بها نفسه وربه ودنياه
واخرته ويكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه ويكون يسعى
في العمل لاخرته ويكون يعمل في امور دنياه والانوار الداخلة
الى صميم القلب فسويدائه لا يكون فيها الا وجود الله عز وجل
فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه قال بعض العارفين
اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للاخرة
والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه فاذا دخل
الايمان باطن القلب ابغض دنياه وهجر هواه وقال اخر
اذا كان الايمان في ظاهر القلب يعني عند العوام كان المؤمن العبد
يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان باطن القلب وكان
في سويدائه احبه الحب البالغ قال الشيخ ابو طالب المكي رحمه
الله تعالى وعلامة ذلك ان ينظر فان كان يؤثر الله تعالى على
جميع هواه وغلبت محبته على هواه حتى تصير محبة الله على محبة العبد
من كل شيء فهو محب لله تعالى حقا كما انه مؤمن به حقا وان رايت
قلبك دون ذلك فلك من المحبة بقدر ذلك قال بعض
العلماء انما هو القلب محل الايمان وربما كان الايمان في
فمن هنا تفاوت المحبوب في المحبة لفضل الايمان على الا
وفضل الباطن على الظاهر ربما وردت عليك الانوار فوجدت

القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت
فرّغ قلبك من الأغيار يملأه بالمعارف والأسرار
الأنوار الإلهية قد ترد على قلبك فلا تجد فيه موضعا للاستقرار
لما غلب عليه من رعونات البشرية وتجمّع فيه من صور الآثار
الكونية فترتحل من حيث تنزل لأنها مقدسة مطهرة فإن
أردت حلول الأنوار فيه وتجلي المعارف والأسرار ففرغه
من الأغيار وأخرج عنه صور الآثار قال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين وقد تقدم
من كلام المؤلف رحمه الله كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة
في مرآته لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك
وجود الإقبال تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا تطالب
ربك بتأخير مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخير أدبك والعبارتان
متفقتان معنى وإن اختلفتا لفظا حقوق في الأوقات
وحقوق الأوقات حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها
وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها إذ ما من وقت يرد
عليك إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف
تقضي فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه
الحقوق الكائنة في الأوقات هي وظائف العبادات
الظاهرة من صلوة أو صيام وغيرهما فمن فاته شيء منها
في وقته المعين له أمكنه قضاؤه في وقت آخر إذ قد جعل
له في ذلك مجال رحب يستدرك فيه ما يفوته من تلك
الحقوق

الحقوق والحقوق المضافة إلى الأوقات هي المعاملات
الباطنة التي تقتضيها أحوال العبد وواردات قلبه المتلونة
عليه ووقت كل عبد هو وروده عليه إذ لله تعالى على كل عبد في كل حال
يحل به وارد يرد عليه حق جديد وأمر أكيد لا يسعه
إلا أن يكون يوفيه إذ ذاك فإن قلبه لا يحتمل القضاء به
ولا يمكنه ذلك فعلى العبد أن يكون مراقبا لقلبه حتى يقوم
بمراعاة تلك الحقوق التي لا يمكنه قضاؤها وإن فاتت قال
سيدي أبو العباس المرسي قدس الله روحه أوقات العبد
أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية ولله
عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم
الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله
عليه أن هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته النعمة
فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته
البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر والرضى رضى النفس بالله
عن الله تعالى والصبر مشتق من الإصبار وهو الغرض للسهام
وكذلك الصابر ينصب نفسه غرضا لسهام القضاء فإن ثبت
لها فهو صابر والصبر ثبات القلب بين يدي الرب وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطي فشكر وابتلي
فصبر وظُلم فغفر وظَلم فاستغفر ثم سكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا ما له يا رسول الله فقال أولئك لهم الأمن
وهم مهتدون أي لهم الأمن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا

٧
ما هو عليه من ذكر فالعبد مطالب بحقوق تجمع ذلك عنده ح

مطلب نفيس في أوقات العبد أربعة لا خامس لها

ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه فلا قيمة له

عمر العبد ميدان الاعمال الصالحة المقربة له من الله تعالى
والموجبة له جزيل الثواب في الدار الاخرة وبقدره السعادة التي
لا يكون للعبد ويسعى في اجلها وليس له الا ما سعى كما قال تعالى
وان ليس للانسان الا ما سعى فكل جزء يفوته من العمر خاليا من
عمل صالح فيفوته من السعادة بقدره ولا عوض له منه قال الجنيد
رحمه الله الوقت اذا فات لا يستدرك وليس شيء اعز من الوقت
وكل جزء يحصل له من العمر غير خال من ذكر يتوصل به الى ملك
كبير لا يفنى ولا قيمة لما يوصل الى ذلك لانه في غاية الشرف
والنفاسة ولاجل هذا عظمت مراعاة السلف الصالح لانفاسهم
ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم واوقاتهم ولم
يضيعوا اعمارهم في البطالة والتقصير ولم ينفقوا من
انفسهم لمولاهم الا بالجد والتشمير وقد قال امير المؤمنين
علي بن ابي طالب رضي الله عنه بقية عمر المؤمن ما لها ثمن
يدرك فيها ما فات ويحيي بها ما امات وقد نظمه بعض الشعراء
فقال بقية العمر عندي ما لها ثمن وان غدا غير محسوب
من الثمن يستدرك المرء فيها ما افات ويمحو السوء بالحسن
ويحيي ما امات صح
وقال رجل لعامر بن عبد الله بن قيس رضي الله عنه وهو يريد
الجمعة قف حتى اكلمك فقال له لولا اني ابادر لوقفت عليك
فقال له وما تبادر قال ابادر خروج روحي وقال الحسن
البصري ادركت اقواما كانوا على ساعاتهم اشفق منكم على دنانيركم

ودراهمكم

ودراهمكم يقول كما لا يخرج احدكم دينارا ولا درهما الا فيما
يعود عليه نفعه فكذلك كانوا لا يحبون ان يخرج ساعة من
اعمارهم الا فيما يعود عليهم نفعه وقال السري السقطي
خرجت من بغداد اريد الرباط اي عبادان لاصوم بها
رجب وشعبان ورمضان والتقى في طريقي علي الجرجاني وكان من
الزهاد الكبار فخرجنا وقت افطارنا وكان معي ملح مدقوق
واقراص فقال ما لك من قوتك ومن الوان من الطعام
لن تفلح ولن تدخل سنن الجنيد فنظرت الى مزوده كان
معه فيه سويق الشعير يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا
قال حسبت بين المضغ والسف سبعين تسبيحة فما مضغت
الخبز منذ اربعين سنة وفي الخبر ما من ساعة تاتي على العبد
لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة ويقال ان العبد تعرض
عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة
اربعا وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطاء
وجزيل الكرامات اودع خزائن تنعم ساعاته في الدنيا من الحسنات
فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مرت به في الدنيا ساعة لم
يذكر الله تعالى فيها رآها في الاخرة خزانة فارغة لا شيء
فيها ولا اجر عليها فيسوءه ذلك ويتحسر كيف فاته حيث لم يدخر
فيها شيئا يسره جزاؤه من خير الذي يلقى في نفسه الرضا والسرور
وجاء في الخبر ان اهل الجنة بينما هم في نعيمهم اذ سطع لهم نور
من فوق اضاءت منه منازلهم كما تضيء الشمس لاهل الدنيا فينظرون

رجالا من فوقهم أعلى عليين يرون فيهم كما يرى الكوكب الدري
في أفق السماء وقد فضلوا عليهم في الأنوار والجمال والنعيم
المقيم كما فضل القمر على ساير النجوم فينظرون إليهم يطيرون
على نجب تسرح بهم في الهواء يزورون ذا الجلال والإكرام
فينادون هولاء يا إخواننا ما أنصفتمونا كنا نصلي كما تصلون
ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا فإذا
النداء من قبل الله تعالى إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون
ويعطشون حين تروون ويعرون حين تلبسون ويذكرون
حين تسكتون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون
ويخافون حين تأمنون فلذلك فضلوا عليكم فذلك قوله
تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا
يعملون وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه رأى بعضهم
مجتهدا فقيل له في ذلك فقال ومن أولى مني بالجهد وأنا
لطمع في أن ألحق الأبرار الكبار من السلف قال الله تعالى
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وفي معناه أنشدوا
• السباق السباق قولا وفعلا • حذر النفس حسرة المسبوق
ما أحببت شيئا إلا كنت له عبدا وهو لا يحب أن تكون لغيره
عبدا المحبة للشي تقتضي الانقياد له وشدة العلاقة به وأن
لا يتعوض به بدلا كما قيل حبك الشي يعمي ويصم وذكر معنى
استعباده لقلبه فمن أحب غير الله عز وجل فقد استعبده
ذلك الغير كما بينا ما كان والله تعالى لا يحب أن تكون لغيره
عبدا

[كما قيل في الحديث ... المصطفى ... الشي يعمي ويصم]

بيان للمحب

عبدا ولا يرضى بذلك تعس عبد الدرهم والخميصة
والقطيفة والزوجة قال محمد بن إسماعيل رحمه الله كتب
إلى أخ إن استطعت أن لا تكون لغير الله عبدا فاخرج
من العبودية أبدا فافعل وقال الجنيد إنك لن تكون
له على الحقيقة عبدا وشي مما دونه لك مسترق وإنك
لن تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته
بقية وعبد عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص
نواة فقال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم ومن الحكايات
في هذا المعنى ما ذكر عن أبي عبد الله الرازي نزيل نيسابور
قال كساني ابن الأنباري صوفا ورأيت على رأس الشبلي
قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف فتمنيت في نفسي أن
تكونا جميعا لي فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إلي فتبعته
وكان عادته إذا أراد أن أتبعه أن يلتفت إلي فلما دخل
داره دخلت فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنسوة
عليه ودعا بنار فأحرقهما ومثل هذه الحكايات يذكره من لم
يعرف مقصده في ذلك شي كثير ورد فيه لا تنفعهم طاعتكم
ولا تضره معصيتكم فإنما أمركم بهذه ونهاكم عن هذه
لما يعود عليكم الحق تعالى غني عن أعمال العاملين لأنه
منزه عن الأعواض والأغراض فلا تنفعه طاعتكم ولا تضره
معصيتكم وإنما أمركم ونهاكم لما يعود عليكم من المصالح
والمنافع في الدارين لا غير وذلك من سبيل التفضل منه

مطلب حكاية عن الشبلي

منغير ايجاب عليه وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى
عند قوله عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل
قال في كتاب التنبيه المنتظم رحمه الله ان الله لم يامر العباد
بشي وجوبا ولقتضيه منهم ندبا الا والمصلحة لهم في ذلك
الامر ولم يقتض منهم ترك شي تحريما او كراهة الا والمصلحة
لهم في تركه امرهم وجوبا وندبا ولهذا نقول كما قال ابن
عبد الله بن محمد ابن الهدى انه يجب على الله تعالى رعاية مصالح
عباده بل انما نقول ذلك عادة الحق وشريعته التي قد فعلها
مع عباده من غير سبيل التفضل فلنتامل اذا قالوا يجب على الله
مصالح عباده فمن هذا الوجه عليه ثم انا نظرنا فرأينا كل ما
هو واجب او مندوب اليه يستلزم الجمع على الله وكل منهي
عنه او مكروه يتضمن التفرقة عنه فاذا مطلوب الله من عباده
وجود الجمعية لكن الطاعات هي اسباب الجمع ووسايله
فلذلك امر بها والمعصية هي اسباب التفرقة ووسايلها فلذلك
نهى عنها لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من
عزه ادبار من ادبر عنه عزة الله صفة من صفات ذاته
وصفاته في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة
والنقصان وسببية العلل وقال رضي الله عنه وصولك
الى الله وصولك الى العلم به والا جل ربنا ان يتصل به شي
او يتصل هو بشي الوصول الى الله تعالى الذي يشير اليه
اهل هذه الطريقة هو الوصول الى العلم الحقيقي بالله تعالى

وهذا

مطلب عجيب في امر الله للعبد في الفعل والترك والطلب راجعة للعبد

عليه صح

مطلب في معرفة الوصول الى الله تعالى التي يعبر عنها اهل هذه الطريقة دايما ما المراد بها

١٧٨

وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير السايرين واما
الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه قال
الجنيد رحمه الله متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له يتصل
بمن له شبيه ونظير فيهات هذا الظن عجيب الا بما لطف
اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا احاطة الا اشارة
اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ ابو حفص عمر بن محمد
بن عبد الله السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف
رضي الله عنه واعلم ان الاتصال والمواصلة اشار
اليها الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق
الذوق والوجدان فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون
فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة في التجلي
فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى
ويخرج في هذه الحالة عن التدبير والاختيار وهذه رتبة
في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما
يكاشف قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجلي بطريق
الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من يرقى الى مقام
الفناء مشتملا على باطنه انوار اليقين والمشاهدة يغيب في
شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص
المقربين وهذه رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة حق
اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لمح وهو سريان نور
المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى بها روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه

من يحجب

صفو

مغيبا

وهذا من اعلى رتب الوصول فاذا تحققت الحقايق بعلم
العبد من هذه الاحوال الشريفة انه في اول المنازل فاين
الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع ابدا الاباد
في عمر الاخرة الابدي فكيف في العمر القصير الدنيا وفي
قربك منه ان تكون مشاهدا لقربه والا فمن اين
انت ووجود قربه القرب الحقيقي قرب الله منك قال الله
تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب وقال تعالى ونحن
اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقال عز من قايل ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد وحظك من ذلك انما هو مشاهدتك لقربه — سانه
فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة وغلبة الهيبة — فتستفيد
والتادب باداب الحضرة واما انت فلا ينبغي لك الا وصف
البعد وشهوده من نفسك كما يقول المولى بعد هذا الهي
ما اقربك مني وما ابعدني عنك الحقايق ترد في حال
التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان فاذا قراناه
فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه حقايق العلوم اللدنية
التي يقذفها الحق سبحانه في اسرار العارفين عند تطهيرهم
من الرعونات وتحررهم من رق الاشيا وتعرضهم بالالتجا
والافتقار لما يفتح عليهم المولى بكرمه الحق تعالى تحقيقها
موهوبة لهم من غير تعلم ولا دراسة وعند ورودها عليهم — موهوبة
تكون مجملة لا تتبين لهم معانيها ولا يدركون جهة — تكون
حقيقتها فاذا وعوها وتصرفت فيها اذهانهم بالاعتبار

والتامل

والتامل تبين لهم معانيها وتحقق لهم موافقتها لما بايديهم
من العلوم العقلية والنقلية من غير مخالفة حتى ان بعضهم
ربما يجري على لسانه وبنانه كلام كثير من غير ان يلقي
له بالا فاذا فرغ من ذكره ورسمه تصفحه وتامله
فيجده صحيحا مستقيما وقد اخبرني بعض من ذكرت له قدم
صدق في هذه الطريقة عن نفسه قال الامام ابو القاسم
القشيري واصحاب الحقايق يجري بحكم التعريف عليهم
شي لا علم لهم به على التفصيل وبعد ذلك يكشف وجهه — لهم
ثم ربما يجري على لسانهم شي لا يدرون وجهه ثم بعد فراغهم — ثم
عن النطق به يظهر لقلوبهم برهان ما قالوه ويشهد
العلم بتحقيق ذلك بجريان الحال في ثاني الوقت انتهى
كلام ابي القاسم رحمه الله وهو موافق لما ذكره المولف
رحمه الله والله اعلم وكانهما اشارا بذلك الى المسيلة
المتعارفة بينهم من موافقة الحقيقة للشريعة وقد
عبروا عن ذلك بعبارات فقد سيل محمد ابن طاهر
الابهري عن الحقيقة فقال الحقيقة كلها علم فقيل بعث
العلم فقال كله حقيقة وقال الشبلي الالسنة ثلاثة لسان — مطلب عجيب في بحث
علم ولسان حقيقة ولسان حق فلسان العلم ما تادى — الحقايق انها كلها علم
الينا بالواسطة ولسان الحقيقة ما اوصله الله
الى الاسرار بلا واسطة ولسان الحق ليس اليه طريق
وقال رويم اصح الحقايق ما قارن العلم وقال ابو بكر

الزقاق كنت في تيه بني اسرائيل فوقع في قلبي ان علم
الحقيقة يخالف علم الشريعة فاذا شخص تحت شجرة
ام غيلان صاح بي وقال يا ابا بكر كل حقيقة تخالف
الشريعة فهي كفر واشارة المؤلف رحمه الله بالاية
الكريمة حين ذكرها الى هذا المعنى بينه متى وردت
الواردات الالهية اليك هدمت العوائد عليك
ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها الواردات
الالهية على العبد تمحو عنه جميع رعوناته وتهدم عليه
مستمر عاداته ولها سلطنة عظيمة على ذلك فاذا وردت
على قلب مشحون بانواع الخبائث والرذائل ازالت
ذلك بمرة واثبتت عوضا منه ذلك احوالا عليه واوصافا
رضية انشد سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه
في هذا المعنى لو عاينت عيناك حين تنزلزل الارض
ارض النفوس ودكت الاجبال لرايت شمس الحق
يسطع نورها حين التزلزل والرجال رجال
الارض ارض النفس والجبال جبال العقل والشمس شمس
المعرفة والاشارة بالاية الى هذا المعنى بينه
الوارد ياتي من حضرة قهار لاجل ذلك لا يصادمه شيء
الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو
زاهق الوارد سر رحمة القهر الغالب لوروده من حضرة
القهار الغالب على امره لاجل ذلك لا يصادمه شيء

مـن

بيان مشهد

يوم

١٨

من رعونات البشرية الا دمغه وازاله وهو ايضا
حق ورد على باطل والباطل لا يثبت له مع الحق والاثار
الى هذا المعنى بينه كيف يحتجب الحق بشيء والذي
يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر قد اتبع المؤلف
رحمه الله الكلام على هذا المعنى في اول الكتاب
واتى فيه بالعجب العجاب وقد نبهنا عليه هناك لا تياس
من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من
العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا العمل الذي لا يجد
صاحبه حضورا فيه ينبغي ان لا ييأس من قبوله فان
ذكر الله تعالى فقد يقبل من العمل ما لا يدرك
ثمرته عاجلا من وجود حضور او حلاوة او غير ذلك
ولو لم يكن الا قصده التقرب به وسكونه كفى نظرا
وقد تقدم هذا التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا تترك
الذكر للقبول لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس
المراد من السحابة الامطار وانما المراد منها وجود
الاثمار الوارد هنا الثمرة لا الوجدان ذلك نفسك
فيه كانت السحابة مرادة لوجدان الاثمار الذي
اقتضاه وجود الامطار لا مجرد امطارها وثمرة
الوارد هنا هو ثبات القلب به وتبدل صفاته المذمومة
بصفات محمودة كما تقدم فان لم تعلم وجود شيء
فبكل الا تركن الى الوارد ولا تفرح به فان ذلك سوء

لحه
ثبات

لحه
لا تزكين
او لا تستبطئ

من الاغترار والحذر مما يلبسه الانكار فكن على حذر منه
لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت
أسرارها فلك في الله غنى عن كل شيء وليس يغنيك عنه شيء
الأنوار الواردات المنسحبة على العبد تكليفي ظاهرة وباطنة
بكيفيات العبودية وأسرارها المودعة فيه بما لاح
له من عظمة الربوبية حاصل فإذا أفادك الوارد هذه
الفوائد فلا تطلبن بقاءه في حال كونه ولا تأسف على فقده
إذا فقدته فإن في الله غنى عنه وعن غيره وليس يغني عن
الله تعالى شيء من الأشياء كما قال الشاعر لكل شيء
إذا فارقته عوض وليس لله إن فارقت من عوض
قال ابن ~~العباس~~ العباس بن عطاء الله يا من لا أحد
مخلوقا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا ويدخل في هذا
المعنى الذي ذكره ابن عطاء الله جميع الأغيار من الأنوار
والمقامات والأحوال والدنيا والآخرة والنعم الباطنة
والظاهرة فلا نلاحظ شيئا من ذلك ولا نتركن إليه ولا
نعتمد عليه بقي أو ذهب فإن ذلك قادح في إخلاص
التوحيد قال في التنوير اعلم أن الباري سبحانه إنما يرد حكم تحمل
الكائن لتأخذ منها لا لتأخذ منك وإنما جاءت تحمل هدية
التعريف من الله إليك فيها فتوجه إليها باسمه العبد به
فابدأها وربيتها إذا وصلت إليك ما كانت فيها فدأوت
الأمانة فتوجه إليها باسمه العبد فارجعها وتودعها فلا
تطلبن

تطلبن بقاء رسول بعد أن بلغ الرسالة ولا أمين بعد أن بلغ
أمانته وإنما يفتقدها المدعون بزوال الأحوال ويعز لهم
عن مراتب الانتزال لغناهم به وبالعوائد وتعلقهم بالأستار
فكم ممن موضع الغنا بالله وإنما غناه بطاعته أو بنوره
أو فتحه وكم ممن يدعي العز بالله وإنما اعتزازه بمنزلته
وصولته على الخلق فيعتمد على ما ثبت عنده من معرفته
فكن عبد الله لا عبد العلل وبحظوظ الله لك ربا ولا علة
فكن عبد الله ولا علة لتكون له كما كان لك انتهى وقال سيدي
أبو العباس المرسي عبد هو في الحال بالحال وعبد هو في الحال بالمحول
فالذي هو في الحال بالحال عبد الحال والذي هو في الحال بالمحول
عبد المحول وأمارة من هو في الحال بالحال أن يأسى عليها إذا
فقدها ويفرح بها إذا وجدها والذي هو في الحال بالمحول
لا يفرح بها إذا وجدها ~~من هو الذي هو في الحال~~ ولا يحزن عليها
إذا فقدت وفي الإشارات عن الله سبحانه لا تركنن إلى شيء
دوننا فإنه وبال عليك وقاتل لك فإن ركنت إلى العلم
تتبعناه عليك وإن أويت إلى العمل رددناه عليك وإن
وثقت بالحال وقفناك معه وإن أنست بالوجد استدرجناك
فيه وإن لحظت إلى الخلق وكلناك إليهم وإن اعتززت
بالمعرفة نكرناها عليك فأي حيلة لك وأي قوة معك فارضنا
لك ربا نرضاك لنا عبدا تطلعك إلى بقاء غيره دليل على عدم
وجدانك له واستيحاشك لفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به

وجود العبد لربه ووصوله اليه هو غاية مطالبه ومنتهى اماله
ومآربه بفوزه بالنعيم وتحظيه بالمكان العظيم وعند ذلك ينسى
كل محبوب ويلهو عن كل مفروح به ومرغوب وهذه هي صفة
اهل التفريد الذين شمروا في ذكرهم لله المجيد كما روى
عن ابي عبيد البسري قال سالت رجلا بالشام ما الذي
اجلسك في هذا الموضع فقال وما سوالك عن شيء ان علمته لم
تدركه وان عرفته لم تقع عليه قلت تخبرني ما هو فاعلمني ان
بان مجالسة الله تستغرق نعيم الجنات ثم قال او ما قد كنت
الحمد لله عيني قد عرفت وجه الخلق بقربك فاذا انا لذاته في مقالتي
لو كنت محبا لله صادقا ما التفت الى احد فقلت اما علمت
ان المحبين خلفاء الله في ارضه وامناؤه في خلقه يبعثونهم
على طاعته فصاح صيحة وقال يا مخدوع لو شممت رائحة
الحب وعاينت قلبك ما وراء ذكرهم لم تقرب ما احببت ان
ترى فوق ما رايت ثم قال يا سماء ويا ارض اشهدا انه ما علي
خطر على قلبي ذكر الجنة والنار قط ان كنت صادقا فاعتقني
والله ما سمعت له كلاما بعدها وخفت ان يسبق الي الظن
من قتله فتركته ومضيت فبينما انا على ذلك اذا انا بجماعة
فقالوا ما فعل الفتى فكتمتهم ذلك فقالوا ارجع فان الله
قد قبضه فعلت فصليت عليه فقلت لهم من هذا الرجل ومن
انتم قالوا رجل لهذا به كان يمطر المطر فلم على قلب ابراهيم
الخليل عليه السلام فقلت من انتم قالوا نحن الخضر

من

منذ لا بدال فقلت علموني شيئا قالوا لا تحب ان تعرف ولا تحب
ان يعرف انك ممن لا تحب ان يعرف وفي مثل هذا الحال انشدوا
كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ راتك النفس اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
وتركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنياي
وقد سئل ابو سليمان الداراني عن اقرب ما يتقرب به
العبد الى الله تعالى فقال اقرب ما يتقرب به اليه ان يطلع
الله على قلبه ولا يريد من الدنيا والاخرة غيره فهذه
العلامة الصادقة والدلالة الواضحة على التحقق بهذا
المقام العظيم فان كان له شعور بشيء من الاغيار المحجوبة
فتطلع الى بقائها وتشوف لغيرها فذلك دليل على عدم
تحققه بذلك فليعرف منزلته وحده وليعمل في تصحيح المقام
جهده وقال رضي الله عنه النعيم وان تنوعت مظاهره
انما هو شهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت
مظاهره انما هو لوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب
واتمام النعيم بالنظر الى وجه الله الكريم فمظاهر
النعيم المتنوعة نوعا وردت انواع الثواب في الدار الاخرة
من الحور والقصور والولدان والغلمان والمآكل والمشارب
والملابس الى غير ذلك من انواع المسرات والملذات
ومظاهر العذاب المتنوعة نوعا وردت انواع العقاب
فيها من الجحيم والحميم والزقوم والعقارب والحيات والسلاسل

والاغلال والانكال وغير ذلك من انواع الآلام والعقوبات
ولم وجود النعيم والعذاب بسبب وجودات هذه الاشياء
ومشاهدتها للمنعم والمعذب وما شاهد ذلك لما تفهمته وظهر
فبهاتين وجود قرب الله تعالى وشهوده للمنعم ووجود
حجابه واعراضه عن المعذب فهذا ان الاصل في هما النعيم
والعذاب على التحقيق فما كدر القلوب من الهموم
والاحزان والاكدار فانما نشات من وجود العيان وهذه
الهموم والاحزان الدنياوية والاخراوية من نتائج
رؤية النفس واعتبارها وبقاء حظها وهو الذي يمنع العبد
من وجود العيان فلو غني عن رؤية نفسه وذهبت
مراعات حظه لتكفل بوجود العيان ولم يمكن له هم
ولا احزان البتة بل يكون متصل الحبور دايما لفرح
والسرور كما قال تعالى ان الله معنا فالمعية المذكورة
لا يجتمع معها حزن وهو ما قلناه من وجود العيان والله
اعلم ودرجة فوق حق اليقين كما قال الشاعر سلني العيان
على حتى انني صار اليقين مثل العيان توهما. قال الشبلي
رحمه الله من عرف الله لا يكون له غم ابدا وقال اوحي
الله الى داود عليه السلام يا داود قل لمحبتي من خلقي ان
يكونوا روحانيين وللروحانية علم لا يفتقروا وانما
مصابح قلوبهم يا داود لا تمزج الهموم قلبك فينقص
ميراث حلاوة الروحانيين وسياتي من كلام المؤلف

اوحي

الحبور

العيان ح

اوحي الله الى داود فانقطع وبذكري فتنعم فبشارة
القلب منورا بالمعرفة واحتظابه بموجود العيان والذوق
يخرج منه الهم ويلهمه الروحانية ان في وجود الهموم
والاحزان لمن لم يبلغ هذا المقام اذا لم يفقد رعاية
دفعها عن نفسه عدوا يدخل عليه لا ينبغي ان تستحقر
من قبل انها موجبة لجمود النفس وصفا القلب وزوال الاشر
والبطر والفرح بالدنيا ثم هي كفارات ان كانت في الامور
الدنياوية ودرجات ان كانت في الامور الاخراوية
والهم متعلق بما يكون في المستقبل والحزن متعلق
بما يكون في الماضي ومن تمام النعمة عليك ان يرزقك
ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك وجدان الكفاية من
الرزق وعدم الزيادة عليها والنقصان منها من نعم
الله تعالى التامة الكاملة على العبد لما له في ذلك من حصول
جميع المصالح الدينية والدنياوية اما مصالح الدين في عدم
الزيادة على الكفاية فظاهر اذ لو وجد ما زاد وجب له
ذلك طغيانا كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان
رآه استغنى فالاستغناء هو وجود الزيادة على الكفاية
وهو سبب الطغيان والطغيان اصل كل معصية لله عز وجل
وقصة ثعلبة بن حاطب حين طلب الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يرزقه الله مالا وما آل اليه امره مشهور وقال سعد
ابن ابي وقاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي حديث ابي الدردا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما طلعت الشمس الا بجنبتيها
ملكان يناديان يسمعان الخلايق غير الثقلين ايها
الناس هلموا الى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى
واما مصالح الدنيا في ذلك فيأتي التنبيه عليه في قول
المولف رحمه الله ليقل ما يفرح به يقل ما يحزن عليه واما
مصالح الدين فعند وجود الكفاية وعدم الالتفات عنها يمكن
احد توصله الى الاستعانة بها على طاعة الله تعالى لاجل
ذلك عظمت النعمة بها على العبد قال الله تعالى وابتغ فيما
اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا اي
لا تنس نصيبك في الاخرة ان تتوصل اليه بما اتاك الله
من الدنيا واما مصالح الدنيا في ذلك فظاهرة لا يحتاج
الى تنبيه عليها اذ بذلك يحصل طيب العيش وراحة القلب
والبدن وصيانة الوجه من ذل السوال عند وجود الحاجة
والفاقة فعلى العبد ان يشكر الله تعالى على هذه النعمة
العظيمة ويقنع بما اباح له من هذه المنفعة الجسيمة
فيتعجل بذلك راحة نفسه والاستغنا عن بني جنسه
ويحصل له بذلك حلاوة الزهد في الامور العاجلة ويخلي
القلب عن زهرتها فان طلب الزيادة من الدنيا ولم يقنع
بما قسم له منها خيف عليه من رقتها ان يهلكه ارتجاه الحرص
والطمع الى ذلك قال بعض العارفين من لا يكفيه

قدر

روايه ولا غيبت

قدر ما زوى عنه من الدنيا ابتلي باحد وجهين اما بحرص
مع فقر ينقطع فيه حسرات او رغبة في غنى تنسيه شكر ما انعم
به عليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس
الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس وغنى النفس
عن الدنيا شرف الاوليا المختارين وعز اهل التقوى
من المومنين المحسنين ولقد صدق الشاعر في قوله غنى
النفس ما يكفيك من سد خلة • فان زدت شيا عاد ذاك الغنى
فقرا • يحكى عن بعض الحكما انه قال كنت كاديا مكروحا على
بني شيبة سبعة ايام لم اذق شيا فمر دبيب بي سريع
ان من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اعمى الله عيني قلبه
وقال عبد الواحد بن زيد ذكر لي ان في خراب الايلة
جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم ازل اطلبها حتى وجدتها
في خربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهي محلوقة
الراس فلما نظرت الي قالت من غير ان اكلمها مرحبا بك
يا عبد الواحد قلت رحمك الله وعجبت من معرفتها لي
ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي جا بك هاهنا قلت
لتعظيني قالت واعجبا للواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد
الواحد ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا
سلبه الله حلاوة الزهد فيظل حيران والها فان كانت
له عند الله نصيب عاتبه وحيا في سره فقال عبدي اردت
ان ارفع قدرك عند ملايكتي وحملة عرشي واجعلك

على حكاية الجارية العاقلة

ذليلا لا وال لي واهلي عتبي في ارضي فملت الى معرضه
منه اعراض الدنيا وتركتني فاورثتني بذلك الوحشة بعد
الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى ارجع الى
ما كنت اعرفه من نفسك قال ثم تركتني وولت عني والفقر
وبقلبي حسرة منها وفي نفسي الكآبة ان اهون ما اصنع بالعالم
اذا مال الى الدنيا ان اسلبه حلاوة مناجاتي وذكر ابو
ابرهيم اسحق بن ابرهيم التجيبي القرطبي المالكي في كتاب
النصائح له عن ابي عبد ربه الزاهد ثم الدمشقي انه كان
من اكثر اهل دمشق مالا فخرج مسافرا فامسى الى جانب
نهر ومرعى فنزل به قال فسمعت صوتا يكثر حمد الله
تعالى في ناحية المرج فاتبعته فوافيت رجلا ملفوفا
في حصير فسلمت عليه فقلت من انت يا عبد الله فقال رجل
من المسلمين فقلت ما حالك هذه قال حال نعمة يجب علي
حمد الله عليها قال فقلت وكيف وانما انت في حصير قال
ومالي لا احمد الله وقد خلقني فاحسن خلقي وجعل منشاي
ومولدي في الاسلام والبسني العافية في اركاني وستر
علي ما اكره ذكره او نشره فمن اعظم نعمة ممن امسى
مثل ما انا فيه فقلت له ان رايت رحمك الله ان تقوم
معي الى المنزل فانا نزول على النهر هاهنا قال ولم قلت
تصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير قال ما لي
فيه من حاجة فراودته على ان يتبعني فابا فانصرفت

وقد

[عليه ارجع الى ما كنت]
[تنف علو هذه الحكاية]
[مثل ما انا]

ومقتها

وقد تقاصرت نفسي ومقتها اذ لم اخلف رجلا بدمشق
يكاثرني في غنى وانا التمس الزيادة فقلت اللهم اني اتوب
اليك مما انا فيه فبت لا يعلم اعواني ما اجمعت عليه فلما
كان السحر رحلوا النخر رحلتهم فيما مضى وقدموا الى دابتي
فصرفتها الى دمشق فقلت ما انا بصادق في التوبة ان مضيت
الى متجري فسالني القوم فاخبرتهم وعاتبوني على المضي
فابيت فلما قدم دمشق وضع يده يتصدق بماله فما زال
يفرقه في سبل الخيرات حتى حضر فما وجد عنده الا
قدر ثمن الكفن زاد غير ابي ابرهيم وكان يقول يعني
ابا عبد ربه المذكور والله لو ان نهر بردى يعني نهر دمشق
سال ذهبا ما خرجت اليه ولا اخذت شيا منه ولو قيل لي
من مس هذا العمود مات لقمت اليه ومسحته شوقا
الى الله ورسوله ليبلغا ما نفع رحمه بقيه ما قرب عليه
دار المفاسد ابعد هم عند العقلا من جلب المصالح فمن زوى
الله عنه فضول الدنيا ورضي بذلك وقنع منها باليسير
ولم يتطلع الى زيادة من مال او جاه فهو كامل العقل
حيث انه نظر لنفسه لانه دفع عن نفسه مفسدة وجود الكثير
بتركه لما يفيد حصول مصلحة العيش الذي يزول عن قريب
واعتاض منه ذلك الراحة الدائمة كما قيل ومن سره
ان لا يرى ما يسوه فلا يتخذ شيا يخاف له فقدا فان صلاح
المرء يرجع كله فسادا اذا الانسان جاز به الحد او قيل البعض

لم لا تغتم فقال لاني لا اقتني ما يغمني فقده فالمفروح به هو
المحزون عليه ان قل فقليل وان كثير فكثير كالقيل
على قدر رماها والعنق بالشيء خزنه ويصعب نزع السهم مهما
تمكنا ويحكى انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج
مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح الملك فرحا شديدا فقال
لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا
قال وكيف ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان
سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان تحمل
اليك في امن من المصيبة والفقر فاتفق انه انكسر القدح
يوما فعظمت مصيبة الملك فيه واعظم منها نازل بكل من له
علاقة بشيء من اسباب الدنيا فانها ان لم تؤخذ منه بغصب
او سرقة او جائحة نازلة فلا بد ان يؤخذ منها بالموت
الهادم للذات المنغص للشهوات فان كان لم يؤخذ
فلا نزل به عند الموت كل مصيبة في وقت واحد لانه كان
يحبها كلها وقد سلبت منه في كرة واحدة ولذلك كان الزهد
في الدنيا من قضايا العقل قال سهل بن عبد الله رضي الله
عنه للعقل الف اسم ولكل اسم الف اسم واول كل اسم
منه ترك الدنيا وقال الحسن كيف يسمى عاقلا وهو يسعى
بجمعها ويبتهج بالدنيا ومباهات اهلها في المطاعم والملابس
والمراكب اولئك هم الخاسرون اولئك هم
الغافلون اولئك هم الجاهلون وانشدوا

ايها

يقال صدق الحكيم لينهم لحمل الينا وامثال هذه المصيبة صح

ايها المرء ان دنياك بحر طافح موجه فلا تامنها
وسبيل النجاة فيها منير وهو اخذ الكفاف والقوت منها
وقال ابو علي نفهم اشتغال الدنيا اذا اقبلت
وافهم حسراتها اذا ادبرت والعاقل لا يركن الى شيء
اذا اقبل كان شغلا واذا ادبر كان حسرة وقد قيل
في معناه ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمري
عن قليل يلومها اذا ادبرت كانت على المرء حسرة
وان اقبلت كانت كثيرا همومها وقيل لابي القاسم
الجنيد رضي الله عنه متى يكون الرجل موصوفا بالعقل قال
اذا كان للامور مميزا ولها متصفحا وعما يوجبه عليه
العقل باحثا ليلتمس بذلك طلب الذي يعود لعمله
به ويؤثره على ما سواه فاذا كان كذلك فمن صفته ركوب
الفضل في كل احواله بعد احكام العمل بما فرض الله
عليه وليس من صفة العقلاء اغفال النظر لما هو احق
واولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير فمن كانت
هذه صفته بعد احكام ما يجب عليه من عمله ترك التشاغل
بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضي وذلك صفة
كل ما احتوت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى ان يشغل نفسه
بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل
له عن امور الاخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويبقى اهله
على العامل له حظه وما يحويه وذلك ان الدنيا متروك ومفارق

الثقفي صح

سرورها ويتصل بقاؤها وذلك ان الدنيا يدوم نقصه ويبقى صح

موروث مخافة مع تركه سوء العاقبة فيه ومعاتبة الله
عليه وكذلك صفة العاقل المتصفح الامور بعقله والاخذ
منها باوفره قال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب
فذكر وصفهم الله تعالى وذووا الالباب هم ذووا العقول
وانما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله به لاخذ احسن
الامور عند اجتماعها واحسن الامور هو افضلها واتباعها
على اهلها نفعا في العاجل والاجل والى ذلك نحا المليح
عز وجل من عقل في كتابه المسمى ادم الجنيد وهو في
غاية الحسن ونهاية التحقيق وفيه مناسبة لما كنا بصدده
من التنبيه على كلام المؤلف رحمه الله فرايت ذكره
هاهنا لا يقاوا الله تعالى الموفق للصواب بمنه اذا اردت
ان لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك هذه
من امثلة ما تقدم من ان الولاية مآلها الى الحزن بسبب
وقوع العزل فيها ومقتضى نظر العقلاء ترك الولاية
الفرح بها لما يقع في العزل به من الحزن اذا رايت تعشق
البدايات وزهدك في النهايات اذ دعاك اليها
خافك عنها بالمحن بدايات الامور وظواهرها
ترغب الجاهل فيها وتدعوه اليها لا منهار اليه المحن ملحيه
اليها فيغتر الجاهل بذلك فيقوده الى ما فيه ضرره
وهلاكه ونهايات الامور وبواطنها ترشد العاقل

ونتهاه

ونتهاه عنها لما شهدته من سماجتها وقبح باطنها
فيعتبر العاقل بذلك فيهرب منها ولم يشرفها وقد
تقدم في هذا المعنى عند قوله الاكوان ظاهرها غيرة
وباطنها عبرة قال وهب بن منبه صحب رجل بعض
الرهبان سبعة ايام ليستفيد منه شيئا فوجده مشغولا
عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر فلما كان في
اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد
حب الدنيا راس كل خطيئة والزهد فيها راس كل خير
والتوفيق نجاح كل خير فاحذر راس كل خطيئة وارغب في
راس كل خير وتضرع الى ربك ان يهب لك نجاح كل خير
قال وكيف اعرف ذلك قال كانت تجري رجالا من الحكماء
فشبهت الدنيا بسبعة اشياء شبهوها بالماء المالح يغر ولا يروي
ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبالبرق
الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يضر ولا ينفع
وبزهر الربيع يغر بنضرته ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام
النائم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ لم يجد في
يده الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف
يغر ويقتل فتدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين
مرة ثم زدت فيها حرفا فشبهتها بالغول التي تهلك
من اجابها وتترك من اعرض عنها فرايت في النوم
فقال لي يا بني انت مني وانا منك فقلت باي شيء يكون

الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر
بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف الراهب وقال خذها
ولا اراك تحلى الا متجردا للفعل دون قول فكان ذلك
اخر العهد به وقال احمد بن علي الترمذي لم تزل
الدنيا مذمومة في الامم الخالية عند العقلاء منهم
وطالبوها مهانين عند الحكماء الماضيين وما قام داع في
امة الا وقد حذر متابعة الدنيا وجمعها اركب لها
الا ترى مؤمن آل فرعون كيف قال اتبعوني اهدكم سبيل
الرشاد وقال انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي لتصل
الي سبيل الرشاد وفي ذلك محبة الدنيا وطلب لها
والحكايات والاثار في احوال الدنيا وغرورها وشرور
اكثر من ان تحصى ولا يخفى ابين في ذلك من قول الله
تعالى في صفتها اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث
اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون
حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله
ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ام فيما
حصل ما ذكرناه وتحقق بالوجود الاكدار
تزهيد الانسان فيها ورود الانعام والاكدار الدنيا فيه
على العبد نعمة من الله تعالى عليه لان ذلك كالقائد له
الي الزهادة في الدنيا والتجافي عنها ويصرف عنه وجود

الغباوة

الغباوة والجهالة لاجل تمسكه بالخيال من يستغرق الحال
والمال لان الموجب لرغبته فيها وحرصه على نيلها انما هو
ما يتوهمه فيها من الحصول على منيته وبغيته وقضاء غرضه من
شهوته ونهمته من غير مكدر ولا منقص ولو تصور له حصوله
على هذه الاشيا على ما يحبه ويهواه كان ينبغي له ان يرغب
عنها عوضا عن الرغبة فيها ان كان عاقلا لان مآل امرها
الي الفنا والزوال والانقضا والارتحال وقد قالوا كل
شر لا بد وهو خير من خير لا بد ومر وقال الشاعر ؞ اشد
الغم عندي في سرور ؞ تيقن عنه صاحبه انتقالا ؞ ارى
الدنيا على من كان فيها ؞ تدور فلا تدوم عليه حالا ؞
ثم هي مانعة لمريدها عن الاخرة والقرب من الله تعالى
الذي هو غاية اللبيب ونهاية رغبة الراغبين
فكيف وهو معرض فيها لانواع المصايب والفجايع ووقوع
الاكدار ومكابد الافكار ما من احد فيها الا وهو في كل حال
ووقت معرض لاسهم ثلثة سهم نعمة وسهم بلية وسهم
رزية فاذا نزل به ذلك عادت النعمة نقمة وانقلبت
الخيرة عبرة وصارت الفرحة ترحة وهكذا شان الدنيا
ابدا فلا يبقى مرجوها ليخوفها ولا يبقى خيرها بشرها
ولقد صدق الشاعر ؞ ان الليالي لا تحدث الى احد
الا اساءت اليه بعد احسان ؞ وقد صدق ايضا من
قال ما قام خيرك يا زمان بشره ؞ اولى بنا ما قل منك وما كفى

زمن اذا اعطى استرد عطاوه • وانه اذا استقام بدا له اعوجاجا •
وقد كتب علي بن ابي طالب الى سلمان الفارسي رضي الله عنهما
انما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض
عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها
لما تيقنت من فراقها وعن اسر ما تكون احذر ما تكون
فيها فان صاحبها كلما اطمان فيها الى سرور اشخص منها الى
مكروه وقال بعض البلغا ان الدنيا كاحلام المنام
وسرورها كظل الغمام واحداثها كصواب السهام وشهدها
مشوب بالسمام وتنتهي الى امور الحطام وقال ابو
العتاهية هي الدار دار الاذى والقذى • ودار الفناء
ودار الغير • ولو نلتها بحذافيرها لمت ولم تقض منها الوطر •
ايا من يومل طول البقاء • وطول الخلود على خطر اذا
ما كبرت وفات الشباب • فلا خير في العيش بعد الكبر •
وانشد ابو منصور • تنح عن الدنيا فلا تخطبنها • الثعالبي
ولا تخطبن قتالة من تناكح • فليس يفي مرجوها بمخوفها
ومكروهها اذا ما تاملت راجح • لقد قال فيها الواصفون
فاكثروا وعندي لها وصف لعمري صالح • سلاف قصاراها
زعاف ومركب • شهي اذا استلذذته فهو جامح •
وشخص جميل يونس الناس حسنه • ولكن له اسرار سوء
قبائح • فاذا علم العبد هذا كله علم يقين وتمكن من قلبه
غاية التمكين لم يتصور منه مع ذلك وجود رغبة البتة
لانه

لانه اذا كان يجمع بين خبيثتين رخصا رتبته وياتيه
الموت وهو صفر اليدين من الدارين وذلك هو
الخسران المبين قال ابو حاتم الزاهد رضي الله عنه
ان الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون انس المريدين به
دونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض عنها واهل
المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون والى الاخرة
مشتاقون وقيل اوحى الله الى الدنيا تضيقي وتشددي
على اوليائي وترفهي وتوسعي لاعدائي تضيقي على
اوليائي حتى لا يشتغلوا بك عني وتوسعي لاعدائي حتى
يشتغلوا بك عني فلا يتفرغوا الى ذكري فلهذا كان تجد
النعيم الجديد وقد وقع من ذاق ما يشغله على
وجود فراقها • النعيم المحدد لا يقبله الا من تمكن فيه
حب العاجلة والانس بلذاتها الفانية وكان اكثر
النعيم سهل الفقاد وان مات رسخت فيه تلك المحبة
وتمكنت من باطنه وكان البيت السجية صعب المفارقة
لما يكدر عليه فهو بعد هدايته وارشاده من زيادة على
النعم والوعظ وهو وجود ما يقهره ويجبره وليرده
الا ما ذكرناه فاعرف قدر النعمة عليك بذلك واعمل
بمقتضاها والى الرب في حكمته وقدرته وحسن اختياره
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من يقبل على الله
بلا لحظات الالتفات قيد اليه بسلاسل الامتحان

مطلب في تضييق الدنيا على الحبيب

العلم النافع الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف به
عن القلب قناعه العلم النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته
وأسمائه والعلم بكيفية التعبد له والتأدب بين يديه
فهذا هو العلم الذي ينبسط في الصدر شعاعه فينفتح
وينشرح للإسلام ويكشف عن القلب قناعه فتزول
منه الشكوك والأوهام وفي حكمة داود عليه السلام
العلم في الصدر كالمصباح في البيت قال محمد بن علي الترمذي
العلم النافع هو الذي قد تمكن في الصدر وتصور وذلك
أن النور إذا أشرق في الصدر تصورت الأمور حسنها
وسيئها ووقع بذلك في الصدر فهو صورة الأمور
فيأتي حسنها ويجتنب سيئها كذلك العلم النافع من نور
القلب خرجت تلك العلامات إلى الصدر وهي علامات مطلب معرفة العلم النافع
الهدى والعلم الذي قد تعلمه فذلك علم اللسان إنما
هو شيء قد استودع الحفظة والشهوة غالبة عليه قد أحاطت
به وأذهبت بظلمتها ضوءه وقال أبو محمد عبد العزيز بن
المهدوي العلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب
والزهد في الدنيا وما يقرب من الجنة وما يباعد من النار
والخوف من الله والرضا فيه وآفات النفس ومكايدها
وهو النور المشار إليه أنه نور يقذفه الله في قلب عبده
دون علم اللسان والمنقول وما قال أنس رضي الله والمعقول
عنه ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم هو نور
يقذفه

19

يقذفه الله تعالى في القلوب انتهى وإنما منفعة العلم
أن يقرب العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه وذلك
غاية سعادته ومنتهى طلبه وإرادته قال الجنيد رحمه
الله العلم أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك وهذه
عبارة مختصرة وجيزة جمع فيها مقصود علوم الصوفية
وهو معرفة الله تعالى وحسن الأدب بين يديه وهذه
هي العلوم التي ينبغي للإنسان أن يستغرق فيها عمره
الطويل ولا يقنع منها بكثير ولا قليل وقد قال سيدي
أبو الحسن الشاذلي من لم يتغلغل في هذه العلوم يعني
علوم الصوفية مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم
وما سوى هذه العلوم فلا يحتاج إليها وإنما غرضنا
مذمومة عليها وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخبر المشهور منه من علم لا ينفع ثم ذكر المؤلف رحمه الله عبارة
أخرى في شأن العلم النافع وتعريفه بلازمه فقال خير
علم ما كانت الخشية معه خير العلوم ما يلزم وجود
الخشية لله تعالى لأن الله تعالى أثنى على العلماء بذلك فقال
عز من قائل إنما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم
لا خشية معه فلا خير فيه فلا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة
قال الربيع بن أنس في قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده
العلماء فإن من لم يخش الله فليس بعالم ألا ترى أن داود
عليه السلام قال ذلك بأنك جعلت العلم خشيتك والحكمة

الايمان بك فما علمت الم يخشك وما حكمة من لم يومن
بك فما الذي لك انتفع المنتفع فهذا العلم الذي هو مطلوب
الله الخشية له وشاهد الخشية موافقة الامر اما علم
تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لاربابها وصرف
الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاه والاستكثار
وطول الامل ونسيان الاخرة فما ابعد من هذا العلم عليه
من ان يكون من ورثة الانبيا وهل ينتقل الشي الموروث
الى الوارث الا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه
ومثل من هذه الاوصاف اوصافه من العلما كمثل الشمعة
تضي لغيرها وهي تحرق نفسها جعل العلم الذي علمه من هذا
وصفه حجة عليه وسببا في تكثير العقوبة اليه وكان سهل
بن عبد الله رضي الله عنه يقول لا تقطعوا امرا من امر الدين
والدنيا الا بمشاورة العلما تحمدوا العاقبة عند الله
تعالى قيل يا ابا محمد من العلما قال الذين يوثرون
الاخرة على الدنيا ويوثرون الله عز وجل على انفسهم وقد
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصيته وشاور في امرك
الذين يخشون الله تعالى وقال الواسطي ارحم الناس
العلما لخشيتهم من الله تعالى وهذا فهم جمعا علمهم الله
عز وجل وقال في التنوير في قوله صلى الله عليه وسلم كل العلم
كلمة الله لم يبرزه انما ان العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز
او في السنة انما المراد به العلم النافع الذي تقارنه
الخشية

الخشية وتكتنفه المخافة قال الله سبحانه وتعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من
هذا ان العلماء انما هم اهل الخشية وكذلك قوله والذين
اوتوا العلم والراسخون في العلم وقل رب زدني علما
وقوله صلى الله عليه وسلم ان الملايكة لتضع اجنحتها لطالب العلم
وقوله العلماء ورثة الانبيا وقوله صنفا طالب العلم تكفل
الله برزقه انما المراد بالعلم في هذه المواطن العلم
القاهر للهوى القامع وذلك متعين بالضرورة لان
كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل من ان
يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك في غير هذا الكتاب والعلم
النافع هو ما يستعان به على طاعة الله ويلزمه المخافة من الله
تعالى والوقوف على حدود الله تعالى وهو علم المعرفة بالله
ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما به امر الله
واذا كانت تعلمه لله انتهى وقد تقدم المعيار الصادق
على صحة دعوى المتعلم والتعلم لله عند قوله اذا التبس عليك
امران وقال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي كل علم لا يورث
صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة عليهم
والتحمل على حسن معاملة الله ودوام مراقبته وطلب الحلال
وحفظ الجوارح واداء الامانة ومخالفة النفس ومباينة
الشهوات فذلك العلم الذي لا ينفع وهو الذي استعاذ منه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعوذ بك من علم لا ينفع ووصف

الله تعالي العلما بالخشية فقال انما يخشي الله من عباده
العلما وقال رجل للشعبي ايها العالم فقال انما العالم
من يخشي الله تعالي وقال بعض السلف من ازداد علما
فليزدد وجعا وقال رجل للجنيد رضي الله عنه اي العلم
انفع فقال ما دلك علي الله وبعدك عن نفسك فقال هو العلم
النافع ما يدل صاحبه علي التواضع ودوام المجاهدة ورعاية
السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله تعالى والاعراض
عن الدنيا وعن طالبيها والتقلل منها ومجانبة ابواب
اربابها وتركها لمن فيها من اهلها والنصيحة
للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة الفقرا وتعظيم
اوليا الله تعالي والاقبال علي ما يعنيه فان العالم
اذا احب الدنيا واهلها وجمع منها فوق الكفاية بعد
عن الاخرة وعن طاعة الله بقدر ذلك قال الله عز وجل
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم
غافلون وقال صلي الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته
ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقي علي ما يفني
وقال فضيل بن عياض رضي الله عنه العالم طبيب الدين
والدنيا الدين فاذا كان الطبيب جر الدا الي نفسه
فمتي يبري غيره فاذا رفق الله العالم من العلما
للاقبال علي الله وعلي اوامره والاعراض عن الدنيا
وما فيها فاول ما يلزمه ان يعرف نعم الله عليه في ذلك

وان

وان ذلك بتوفيق الله تعالي لا بمجاهدة منه فان مجاهدته
ايضا ومعرفته لنعم الله عليه من زيادة توفيق الله فاذا
كان العالم بهذا المحل من الدين كان اماما مقتدي به في احكام
الظاهر واحوال الباطن يهتدي بنوره كل من صحبه ويستضي
بعلمه كل من اتبعه ويكون حجة لله علي عباده وبركة في
بلاده ومن قاده علمه الي طلب الدنيا وطلب العلو فيها وطلب
الرياسة واستتباع الخلق فهو العلم الذي هو غير نافع وهو
العالم المغتر ولا حسرة اعظم من ان يهلك بما يرجو به نجاته تم
ونحن نعوذ بالله من الخذلان انتهي العلم ان فارقته
الخشية منكم ولا معلمكم العلم الذي تلازمه الخشية لكم
لانكم تنتفع به في دنياكم واخرتكم وليس ذلك الا ما ذكرناه
والعلم الذي لا خشية فيه عليكم لانكم تتضررون به فيهما وهذا
هو الفرق بين علما الاخرة وعلما الدنيا من حيث ان علما
الاخرة موصوفون بالخشية والرهبة وعلما الدنيا موسومون
بالامن والغرة وقد بين علما ونا حال الفريقين واوضحوا
امرهم بالنعوت والعلامات والكلام في ذلك ان النفر لما
شاهدوا من انتشار الفساد في الارض بسبب جهل الناس
بالعلم النافع اي شي هو فمن اراد الشفا في ذلك واستيفا
الكلام عليه وما في ذلك من الاخبار والاثار فعليه النظر
في كتاب العلم من كتاب احيا علوم الدين لابي حامد الغزالي
رضي الله عنه ولما ذكر ما ذكره المولف رحمه الله هاهنا

مطلب في طلب العلم النافع

وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه كانت العلماء ربيع
الناس اذا نظر اليهم المريض ايسره ان يكون صحيحا واذا
نظر اليهم الفقير لم يود ان يكون غنيا وقد صاروا
اليوم فتنة على الناس فان هذا في زمانه الصالح فكيف لو
ادرك زماننا هذا فانا لله وانا اليه راجعون واعلم انه
قد ورد في الكتاب والسنة من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى
كثرة ولا يحصل لك ذلك الا لمن نيته وقصده فيه في ذلك
ان يكون غرضه فيه طلب مرضات الله تعالى وابتغاء وجهه فيما يسع
عنده واختياره الخروج عن ظلم الجهل الى نور العلم فهذه
هي النية الصحيحة التي يحمد عليها عاقبتها اجلا ويجني ثمرتها
في طاعة الله عاجلا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل يوم لا ازداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك
لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال الحسن كان الرجل اذا طلب
العلم لم يلبث ان يرى ذلك في تخشعه ولباسه وبصره
ولسانه وصلاته وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب ليصحبه
الباب من ابواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا
وما فيها لو كانت له فيضعها في الاخرة ولياتين على الناس
زمان يشتبه فيه الحق والباطل فاذا كان ذلك لم ينفع
الا دعاكم بما الغريق وقال سفيان الثوري انما يتعلم
العلم ليتقى به الله وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى
الله به فان اخل هذا المقصد وفسدت نية طالبه بان

يستغر

يستغر به التوصل الى منال دنيا من مال او جاه فقد
بطل اجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال الله عز
وجل من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن
كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من
نصيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه
ابو هريرة رضي الله عنه من تعلم علما لا يبتغي به وجه
الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد
عرف الجنة يوم القيمة يعني ريحها وكان الحسن يقول
والله ما طلب هذا العلم احد الا كان حظه منه ما اراد به
وقال الحسن عقوبة العالم موت القلب قيل وما موت
القلب قال طلب الدنيا بعمل الاخرة فاذا انضاف الى
هذا الغرض ان يتصدى به الى تولي الاعمال السلطانية
كاينة ما كانت او يتوصل به الى اكتساب مال حرام
او شبهة فقد تعرض لغضب الله تعالى وسخطه وباء باثمه
واثام المقتدين به وكان الجهل اذ ذاك خيرا له من
العلم واحمد عاقبة قال ابو عمر بن عبد البر وروينا عن
الاوزاعي قال شكت النواويس الى الله عز وجل ما تجد
من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء
انتن مما انتم فيه قال وروينا عن فضيل بن عياض
واسد بن الفرات قال بلغنا ان الفسقة من العلماء
ومن حملة القران يبدا بهم يوم القيمة قبل عبدة

النواويس يعني القبور

الاوثان قال الفضيل بن عياض لان من علم ليس كمن لا يعلم
قلت والغالب على طلبة العلم في هذه الاعصار هذا الوصف
المذموم لان حب الدنيا قد استولى عليهم واستهواهم الحرص
على التقدم والترائس قد ملكهم فاصمهم واعما بصرهم
ولذلك امارات وعلامات لا تحصى ولا تخفى وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج في اخر الزمان
رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضان
من اللين السنتهم احلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب
يقول الله تبارك وتعالى ابي يغترون ام علي يفترون
فبي حلفت لابعثن على اولئك فتنة تدع الحليم منهم حيرانا
رواه عنه ابو هريرة وروى ابو الدرداء انه صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله تعالى في بعض الكتب او وحي الله
تعالى الى بعض الانبياء عليهم السلام قل للذين يتفقهون
لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا
بعمل الاخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم
كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم
امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزئون لاتيحن
لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيرانا وفي بعض الاخبار
المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس
زمان لا يبقى من القران الا رسمه ولا من الاسلام
الا اسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة
من

الرواية
يجترئون

من ابناء الدهر فمن يطال السما يومئذ علما وهم منهم تخرج
الفتنة واليهم تعود واعلموا ان العلم النافع المنتفع به عليه
فيما يسلك وخلق انما هو العلم الذي يؤدي صاحبه الى الخوف
والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق باخلاق
الايمان وتوافق الاسرار والاعلانات الى ما يتبع ذلك
من بغض الدنيا والزهادة فيها وايثار الاخرة عليها
والموالاة في الله والمعاداة فيه والحرص على التخلص
للاسباب الباعثة له على الاستقامة ولزوم الادب بين
يدي الله تعالى في اعمالها حفظا وطلبا من معرفة الاسباب
المضادة له عن ذلك فيرفضها رفضا ويهرب الى غير
ذلك من الصفات العلية والمناهج السنية فبهذا الله يحصل
له فوائد العلم وثمرته الدنيوية والاخروية
فان خلا طالب العلم عنها وبعضها كان ما يحمله علما حقيقيا
كان حجة عليه وان كان رسميات ووبالا واصلا اليه والعياذ
بالله من ذلك فالذي طالع المتن وربما عزا الغافل من طلبة
العلم قول بعض قال طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا
لله وليس في هذا القول ما يسترح اليه من طلب العلم
للرياسة والمنافسة والمفاخرة هذا الغاية لان امر من
به عمله وفتنته سلمه الله منها لا يلزم ان تبقى عليه فيما
غيره وذلك بمنزلة من به مرض مزمن في المعاء اعيا ما
الاطبا فضاق عليه خلقه فاخذ خنجرا وضرب مراق بطنه ليقتل

فمنه فما فوق ذلك العلم فقد تخرج الى امنه فهذا
لا يستصوب العقلا فعله وان نجحت عاقبته ولست سلامة
العواقب رافعة للعتب عن المقتحمين انفسهم الى المهالك ليس
المغرر بمحمود وان سلما وقال في موضع اخر ولا يعترض
ان يكون به انتفاع للبادي والحاضر فقد قال صلى الله
عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل
من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها
كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما اشرف
الوسيلة وما اخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات
في طلب العلم فمكث اربعين سنة او خمسين سنة يتعلم العلم ولا
يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة
فلم يصل صلوة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان المقصود
بالطهارة وجود الصلوة ولقد سال رجل الحسن البصري
عن مسيلة فافتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقها
فزبره الحسن وقال ويحك وهل رايت فقيها انما الفقيه
الذي فقه عن الله امره ونهيه قال وسمعت شيخنا ابا العباس
المرسي يقول انما الفقيه من انفقا الحجاب عن عيني قلبه
انتهى والرجل الذي سال الحسن البصري هو فرقد السبخي
والله اعلم وقد روي عنه في صفة الفقها كلام اتم مما ذكره
صاحب كتاب لطايف المنن فانه قال فرقد السبخي سالت الحسن عن
مسيلة فاجابني فيها فقلت ان الفقها يخالفونك فقال ثكلتك
امك

امك فرقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد
في الدنيا الراغب في الاخرة البصير بدينه المداوم على عبادة
ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف
عن اموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد في العبادة المقيم
على سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي لا يهمز من هو
فوقه ولا يسخر ممن هو دونه ولا ياخذ على علم علمه
الله حطاما قلت وعلى المعلم ان يتفقد احوال من يتعلم
منه فلا يبذل علمه الا لمن يتوسم فيه الخير والصلاح
اذ بذلك يستقيم النيات والمقاصد الذي ذكرناها ولا
يبذله لمن سوى ذلك ممن علم حاله او جهله قال رجل لسفين
الثوري رضي الله عنه لو انك نشرت ما معك من العلم رجوت
ان ينفع الله به بعض عباده وتوجر في ذلك فقال سفين
والله لو اعلم بالذي يطلب هذا العلم لا يريد به الا الله
لكنت انا الذي اتيه في منزله فاحدثه بما عندي
مما ارجو ان ينفعه الله به وقد سيل بعض العلماء
عن شيء فلم يجبه فقال له السايل اما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جا يوم القيمة
ملجما بلجام من نار فقال له اترك اللجام واذهب
فان جاء من يستحقه وكتمته فليلجمني به وفي قوله عز
ولا توتوا السفهاء اموالكم تنبيه على حفظ العلم ممن
يفسده ويستضر به اوى كما فيه ومن منع الجهال علما

بدينه

مطلب في شروط المعلم للعلم النافع [illegible] ومع ذكر العلم غير النافع

تمامه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

اضاعه وقد حكي عن بعض الائمة البالغة انهم كانوا يختبرون
المتعلم مدة في اخلاقه فان وجدوا فيه خلقا رديا منعوه
التعلم اشد المنع وقالوا انه يستعين بالعلم على مقتضى
الخلق الردي فيصير العلم آلة شر في حقه وقد قالت الحكما
زيادة العلم في الرجل السيئ الخلق كزيادة الماء في اصول الحنظل
كلما ازداد ريا ازداد مرارة وهذا كله صحيح مجرب فينبغي
اذن للعالمين ان لا يهملوا تدبيره وينتبلوا ولا اغترار
بما يتوهمه في تعليمهم من وجود المصالح على تقدير حصول
توفيق الله تعالى لهم لان يعملوا ببعض ما يتعلمونه من
العلم الصحيح ان كانت لهم ولاية حكم او غير ذلك فان
المفاسد التي تقع بسبب ذلك لهم في خاصة انفسهم والمفا
التي تتعدا منهم الى غيرهم اكثر ودرء المفاسد التي تقع
لهم عند العقلا مقدم على جلب المصالح اما المفاسد التي تختص
بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة واخلاقهم اللئيمة
بما يطلبونه من العلم لانهم يستشعرون من ذلك التوصل
الى جميع مطالبهم الدنيا وبه على غاية الكمال والتمام
فاذا استشعروا ذلك توجهوا بجملتهم اليه وعكفوا
بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتعذر
منهم ذلك فاذا حصلوا اي شي من ذلك وظهرت مخايل
وصولهم الى اغراضهم الفاسدة فرحوا بذلك واغتبطوا
به وكلما ازدادوا علما ازدادوا فرحا واغتباطا
بما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط في غاية الذم منهم ان ذلك

متعلق

متعلق باسباب الدنيا وهي بمنزلة السم القاتل لانه الذي
يوجب موت قلوبهم وقسوتها وبعدها عن التاثر بالمواعظ
والحكم المحاقية اذا قسي القلب لم تنفعه موعظة كالارض
السبخة لم ينفع المطر بها وعند ذلك تنعكس نفوسهم وتقوى
صفاتها وتظهر اثار ذلك على ظواهرهم من التكالب على
الدنيا والركون الى من هي عنده من ابنايها المترفين
وليس لهم ما يتوسلون به اليهم ويحملهم فيما يلون
على تحصيل اقبالهم عليهم صرف وجوههم اليهم والتملق
عندهم بانواع الحيل ولا يسلمون في ذلك من الريا والتصنع
والنفاق والمداهنات ونحو ذلك الى انواع من المحظورات
وضروب من العصيان مع ما يحصل لهم في ذلك من الذل والهوان
فاذا نالوا ذلك او بعضه حصل لهم مقصود نفوسهم وسكنوا
من جميع حظوظهم وخرجوا من الكرمية الى استعباد الاغنيا لهم
واستبدلوا بالجهل النافع العلم الضار وقد قال الفضيل
بن عياض رضي الله عنه لو ان اهل العلم اكرموا انفسهم وشحوا
على دينهم واعزوا العلم وصانوه وانزلوه حيث انزله
الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس
وكانوا لهم تبعا ولعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا انفسهم
ولم يبالوا بما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم
فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في ايدي
الناس فذلوا وهانوا على الناس انتهى ولله در الشاعر
يقولون لي فيك انقباض وانما رأوا رجلا عن موقف الذل احجما

اذا قيل هذا امر رد قلت قد اري • ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي • لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
ااغرسه عزا واجنيه ذلة • اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم • ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا • محياه بالاطماع حتى تجهما
تجهما
اي تبجي
وقال وهب بن منبه لعطا الخراساني كان العلما قبلنا قد
استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون الي دنياهم
وكان اهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في
علمهم رغبة في دنياهم فاصبح اهل الدنيا قد زهدوا في
علمهم لما راوا من سو موضعه عندهم وقال ذو النون المصري
كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا
لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا
كان الرجل ينفق ماله علي علمه ويكتسب الرجل اليوم بعلمه
مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره
فاليوم ترى على كثير من اهل العلم فساد في الظاهر والباطن
فانظر رحمك الله الي ما ذكره هولا الفضلا لاجل زمانهم
لحلية هذا الزمان وليس الخبر كالعيان ثم بعد وقوع
هذه المفاسد بهم وتوغلهم فيها فسوادهم بتعذر
عليهم سلوك الطريق الحق لما استحكم في قلوبهم من علايق
سو الخلق فقد قيل التعمق في الباطل قطع لما كان الرجوع
منه خطا لان بعد المسافة من الحق ثم كانت ايا من
من الرجوع حقا او وجب واعظم الوبال عليهم اغترارهم
بحالهم

فاصبح اهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم
صح

بحالهم وتحسينهم لسي اعمالهم واعتقادهم انهم سالكون
سبيل النجاة في الدار الاخرة ونيل الثواب فيها وانهم الذين
حازوا الرتب الشريفة والمناقب المنيفة التي اختص بنيلها
العلما الذين هم ورثة الانبيا وليس عندهم من المعرفة
وعلوم التحقيق ما يحترزون به من هذا الغرور ولا انهم لم
يسلكوا الطريق ذلك علمهم بعد وانما هذا كله فهذا هو الفساد
الذي يختص بهم ولا يشاركون غيرهم فيه واما الفساد المفاسد
التي تتعدي الي غيرهم فانهم من كان ظاهر منافيه شر
ومن ملكته نفسه اشد ملكة وحقيقته اشد انتفاء هلك
يبقى عليه شي من الشر او نوع من انواع الفساد الا ويتبع
فيه اذا تمكن منه ومن دقيق ما يسري منهم من
الفساد من غير قصد منهم لذلك وقوع الاغترار للجهلة
والاغمار بمشاهدة حالهم فانهم لما شاهدوا تهم قد حازوا
من زينة الدنيا ما ارادوه وتوهموا انهم نالوا
شرف الاخرة لما افادوه ونفقادوه فيحملهم ذلك
على الاقتدا بهم في طلب العلم ان كانوا ممن فيه قابلية
لذلك فيقعوا فيما وقعوا فيه من المهالك او يودي بهم
ذلك الى محبتهم وموالاتهم واتخاذهم اربابا يسمعون
منهم ويقبلون امرهم واوامرهم ونواهيهم فيخرج
بهما ستماع نصحهم عن حالهم الى الدار الزفيق وهو
لمالعقم الدينية واخلاقهم الردية فان النفوس المعاصة

هم صح
١٩٧
زعوا

قابلة لذلك ومهيأة له بمنزلة الصبي الذي ترسخ فيه
اخلاق ابائه ومنازعهم واحد ابهم وعند ذلك ومذاهبهم
يبطل في حقهم ما هو مقصود بعثة الرسل من التزهيد
في الدنيا والترغيب في الاخرة وحب الفقرا والمسكنة
وايثار التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان
والاسلام وشدة الحذر من ارتكاب المناهي واذا تم
ثم يؤول ذلك بهم الي الشرك الخفي والجلي ويحيق بهم
المكر السيء والعياذ بالله ويكون وبال جميع ذلك راجعا
الي المعلم لتيسير اسباب ذلك علي يديه ولقد صدق ابن عبد الله
المبارك رضي الله عنه حيث يقول وهل افسد الدين الا الملوك
واحبار سوء ورهبانها وباعوا النفوس ولم يربحوا ولم
تغل في البيع اثمانها لقد رتع القوم في جيفة يبين وفتح
لذي العقل انتانها وروي عن حذيفة بن اليمان انه اضاءة
اخذ حصاة بيضا فوضعها في كفه ثم قال ان الذين قد استضاء
اكتنفه اضلة هذه ثم اخذ كفا من تراب فجعل يذره على الحصاة
حتى واراها ثم قال والذي نفسي بيده ليجيئن اقوام
يدفنون الدين هكذا كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن
سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو القذة بالقذة
والنعل بالنعل قلت ومنشا وجود هذه المفاسد خراب
بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب فقد اليقين منها وانكسار
انوار الايمان فيها وافلاسهم منها بعد ذلك وعدم

احتقارهم دانلاسهم

احتقا بهم شيء منه فضا زوا بذلك ما سورين لشهوا ايهم
منقادين لاغراضهم واهويتهم فقد ثبت بما ذكرنا انهم
ومقاصدهم والاعمال بالنيات فاذا كانت النيات
صالحة كانت الاعمال صالحة وترتب عليها اثار صالحة وان
من ذلك علي القلوب مزيد اشراق وحميد اخلاق تؤذن
ذلك بوجود القرب من الله تعالي ونيل درجة الحب
منه واذا كانت النيات فاسدة كانت الاعمال فاسدة
ايضا وترتب عليها اثار فاسدة وانعكس من ذلك على القلوب
زيادة ظلمة وزيادة همة تقتضي البعد من الله وحصول
المقت منه وطلب العلم عمل من الاعمال معترض للصحة والا عتلال
وليت شعري هولاء الذين استغرقوا اعمارهم في طلب العلم
والا ثروا التعبوا انفسهم بالمدارسة والنظر واذهبوا
اوقاتهم ولياليهم بالجوع والسهر وسخت نفوسهم بفراق
ملذوذاتها والبعد عن جميع ما الفوها لها حملهم على
ذلك باعث الدين او باعث الهوى ولا شك ان باعث
الدين غير متصور منهم بما هو حال في حقهم لما قدمنا
من خراب البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور ذلك
منهم وهم لم يعملوا على تخليصهم من التكاليف الواجبة عليهم
في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا ذلك البتة وان ادعوا
انهم على احوال لا تجب عليهم فيها حكم عما حوت الى معرفته والقيام
به فهم مخدوعون ومن ابتلي بذلك والعلم به لا يحصل حزوز

فلابد لهم من التفاوت ولا غنا لهم عنه بهذا ايضا والغافلات
يتصور منهم باعث الدين لو توفرت اغراضهم كلها عليهم
ووصلوا الى ما يمكنهم الوصول اليه من شهواتهم ولذاتهم
بسبب ما من اسباب الدنيا ثم يصرفون ما فضل من اوقاتهم
عن محاولة هذه المطالب ويملوها الى طلب العلم عوضا عن البطالة
التي تتبين بها صاحبها ويدعوه فراغه من اشغال دنياه
الى تضييع ذلك الوقت بلهو ولعب او ارتكاب معصية
وذنب لا البطالة التي تكون فيها استراحة لنفسه واجمام
لعقله وحسه ففي هذه الحال قد يهيج باعث الدين من امثال
هولا واما الحال التي وصفناها فلا يتصور عليها باعث الدين
الا الدنيا المجردة المجاوزة للحد في الشره والنهمة المستنزلة
منهم وحرصهم على الاتساع في الدنيا والحصول على غاية ملاذها
فانه يعمل فيما يوصله الى ذلك وان كان فيه هلاكه فتراه
يرتكب الاخطار ويخوض لجج البحار ويجوب البراري والقفار
ويهون عليه في جنب ما يؤمله كل مشقة تصيبه وبلية تنزل
به ولو لم يفعل هذا لم يحصل الا على سد الرمق والاقتصار
على البلغ والعلق فكذلك هولاء الذين كلامنا فيهم لو لم
يتصوروا في خلدهم الحصول على كليات اغراضهم من
اتساع مالهم وجاههم ودنياهم ووصولهم مع ذلك
الى رفيع الدرجات في نفسهم لم يبالغوا ذلك المبالغ
في الاجتهاد ولا اقتصروا على بعضه وهذه كلها امور بينة

لا اشكال

لا اشكال فيها عند من له ادنى تمييز وغيرهم والمانع لاكثر
ممن ينتسب الى العلم من العمل بمقتضى ما ذكرنا خفاه عليهم
كيف وهم يعتقدون صحته ويعلمون حاصله وحقيقته
ثم الاخبث منه ما يتحلى عند قلوبهم بعض لذاتها وتنزح
عن عيشهم مرارتها اما بتكبر منه وتكبر من الخلق او وعظ
واعظ في قلوبهم من قبل الحق ثم يرجعون في سابر اوقاتهم
الى حالهم وفاتهم وعنادهم والمانع لهم من ذلك انفراد
الله بالمشيئة والقدرة واستبشاره بالخذلان والنصرة
فاذا اراد الله ان يضل عبدا من عباده لم ينصره علمه بنفعه
علم قال الله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من
الله شيئا وفي مثل هذا الموطن تبطل احكام الاسباب وتحقق
ارباب الحقائق العظمة والجلال والعزة والكمال لرب
الارباب فليعتبر بما ذكرناه ارباب البصائر والابصار
وليعلموا احكام الواحد القهار لعلمهم بذلك يهتدو
الى منهج التحقيق حيث يضل غيرهم عن سواء الطريق مذاهب
قوم بعد توجههم اليه وانتقال القصد اذا انظروا اليهم
واعتبر بما جرى من سوء القضا عليهم الحمد لله الذي عافانا
مما ابتلاهم به وفضلني عليهم تفضيلا فقد روي عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من راى مبتلى فقال
الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به هذا وفضلني عليك
وعلى كثير ممن خلق تفضيلا عافاه الله من ذلك البلا كاينا

حاملا فعلى المعلم الناصح لنفسه السالم في عقله وحدسه العامل
على تصحيح اعماله وهمة المتفقه على دينه الذي هو متوك
بالحمية ودمه ان يتامل هذه المفاسد ويفيد بها النظر
في ذلك كما يدقق في اكثر المسائل التي يحتاج اليها ولا ينقد
على التعليم في هذه الازمنة دون انه العالم المستفتي حتى
يقطع بوجوب ذلك عليه من غير تردد ولا تجويز وقوع
خطا في نظره ولا شبهة له في هذا ولا يسعه خلاف ذلك
اذا كان منصفا قال بعضهم رايت سفيان الثوري
حزينا فسالته عن ذلك فقال وهو بزعم ما صرنا الا متجرا
لابناء الدنيا قلت وكيف ذلك قال يلزمنا احدهم حتى
اذا عرف بنا وحمل عنا حديثا جعل عاملا او حاجبا او قهرمانا
او جابيا فيقول لهم حدثنا سفيان الثوري وعليه ايضا ان
يحرص على مخالفة نفسه فيما يدعوه اليه من التعليم لان كل ما
تستحليه ويوافق غرضها مصحوب بالافات والعلل التي
تقدح في الاخلاص والعمل الا ما الشرك في وجود القبول
ومن ذلك يذهب عمله باطلا ولا يبالي بسعيه تجاية وتقدم
من كلام علي بن ابي طالب رضي الله عنه كونوا لقبول العمل
اشد همتنا ما [illegible] للعمل عند ترك ما قال عمر بن [illegible] قلب
زاهد وتقدم ايضا الكلام على [illegible] النفس في [illegible] دعابتها
الى ماذا هو [illegible] عن [illegible] اذا التبس عليك امران ويحتمل
الخير في ذلك عن بشر بن الحرث الحافي كان يقول انا اشتهي
ان

ما توهمه من المصالح الناشئة عن تعليمه بزمنه وبدقق ح

بدوام ... تصحح

النفس ح

ان احدث ولو ذهب عني شهوة الحديث لما حدثت وكان سبب
تركه طلب الحديث انه سمع ابا داود الطيالسي يحدث
عن شعبة انه كان يقول الا اكثار من الحديث يصد عن
ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون فلما سمعه قال
وانتهينا انتهينا ثم ترك الرحلة في طلب الحديث واقبل
على العبادات وروي ايضا مثل هذا الكلام عن مسعر بن
كدام قال هذا كان الاكثار من الحديث بهذه المثابة عند
اقاصي المحدثين في زمانيهما مع ما فيه من الفوائد الاخروية
فما ظنك بغيره من محدثات العلوم ومبتدعاتها ولقد
ذكر الشيخ الحافظ ابو عمر بن عبد البر باسناده الى عبد الله
بن مسلمة القعنبي رحمه الله تعالى قال دخلت على مالك
بن انس رضي الله عنه فوجدته باكيا فسلمت عليه فرد على
السلام ثم سكت عني فقلت يا ابا عبد الله ما الذي ابكاك
فقال لي يا ابن قعنب انا لله على ما فرطت ليتني جلدت بكل
كلمة تكلمت بها في هذا الامر سوطا ولم يكن فرطت فيها فرط
من هذه الراي وهذه المسائل وقد كان لي سعة فيما سبقت
اليه قال هذا فيما كان اخذا فيه من المسائل المحققة المبنية
على اصول صحيحة عند ملقفه فما الظن بما انتشر بعده من
الهذيان الذي صار بحكم العادة واقتضاء العصبية وقضاء الا
لناس عن الضلال وتقليد الرؤسا الجهال دينا قويما
وصراطا مستقيما وعلى واحد من العالم والمتعلم يستقل بما هو

وتمادى

يشتغل بها

اقبل عليه مما هو مأمور به ومسؤول عنه من مراقبة ربه
وإصلاح نفسه وقلبه ففي ذكر شغل شاغل عما يفرق همه
ويبعد قلبه وبنيته ذكر ربه عز وجل قال ابن وهب ذكر
طلب العلم عند مالك بن انس رضي الله عنه فقال ان طلبه
لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين
تصبح الى حين تمسي ومن حين تمسي الى حين تصبح فلا تؤثرن
عليه شيئا وكان الثوري يقول لاهل العلم الظاهر طلب هذا
ليس من زاد الآخرة وكان يقول ليس طلب الحديث من عدة
الموت لكنه علة يتشاغل به الرجال وكان يقول لو ان
للمتشبثين فيه نصيبا ما ازدحمتم عليه بعين العلم فعدده بنذه
فصدرت ابيها من الموضع اللائق بها من هذا التنبيه ليعها وليتنبه
من سبق له من الله تعالى زوال الغفلة عن بصره ومراجعة
خوفه وحذره من المعلمين والمتعلمين وليتنبين بها
كلام المؤلف رحمه الله عليه التبيين وبالله الذي لا اله
سواه نستعين متى آلمك اقبال الناس عليك او توجههم
بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لا يقنعك
علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك
بوجود الاذى منهم العبد لا ينبغي ان يكون مطمح نظره
الا الى مولاه فلا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن الا على اعراضه
عنه ولا ينظر الى المخلوقين في اقبالهم ولا اعراضهم ولا مدح ولا ذم
فانهم لا يغنون عنه من الله شيئا وقد تقدم هذا المعنى

قوله

قوله عنيت بذكر الخلق اليك وعيب اقبالهم عليك بجحود
اقبال الحق عليك فمتى آلمك عدم اقبالهم عليك او توجههم
بالذم اليك فليرجع الى ما بينه وبين ربه فان كان قانعا
بعلمه راضيا بقسمه كان له في ذلك اعظم سلوان عما يفوته
من جهة المخلوقين فلا يجد وقعا في قلبه لما عسى ان يكون
منهم من اقبال او اعراض وان لم يكن راضيا باذى الناس
له فلا مصيبة له من اذى الناس البتة عنده اعني عرف
ولا تنافي مصيبته بذكره اعظم من مصيبته
سوف يكر عنها بذكره المؤلف رحمه الله الان قال ابراهيم
التيمي لبعض اصحابه ما يقول الناس في فقال يقولون
انك مرائي فقال الان طاب العمل فقال بشر رضي الله
عنه الحافي والله تعالى لم يجد ان يخلص عمل الله عامر غيره وقال
بشر لمحاني في سكون النفس الى قبول المدح لها اشد عليها من المعاصي
الظاهرة لان الذي عليهم ليس الا [illegible] اليهم ... الزاد
ان يرجع بعد [illegible] [illegible] وجود اذى
الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لا سيما من اعتاد عنده الملامة
والاكرام والخبرة والاحترام لان ذلك يفيده عدم السكون
اليهم وترك الاعتماد عليهم وفقد الانس بهم فيتحقق
بذلك عبوديته لربه عز وجل قال السيد ابو الحسن الشاذلي
قدس الله روحه اذى الانسان مرة فضقت ذرعا لذلك
فهتف بي هاتف ان علامة الصديقية كثرة اعدائها
ثم لا يبالي بهم وقال بعض العارفين النصيحة من العدو صواب

يطرب به القلوب اذا سكنت غيره لولا ذلك لرقد القلب
في ظلام العز والجاه وهو حجاب عن الله عظيم وقال سيدي ابو
محمد عبد السلام شيخ سيدي ابي الحسن رضي الله عنهما في دعائه
اللهم ان قوما سالوك ان تسخر لهم خلقك فسخرت لهم
خلقك فرضوا منك بذلك اللهم واني اسالك اعوجاج
الخلق علي حتى لا يكون ملجاي الا اليك وقال ابو الحسن
الوراق انسا بلوري الانس بالخلق وحشة والطمانينة
اليهم حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم وهن
والثقة بهم ضياع واذا اراد الله بعبد خيرا جعل انسه به
وبذكره وتوكله عليه وهذا نسره عن النظر اليهم ولما اشرف
عن الاعتماد عليهم وتدقا لوا الزهاد يخرجون المال عن
الكيس تقربا الى الله تعالى واهل الصفا يخرجون الخلق والمعارف
من القلب تحققا بالله وقال في لطائف المنن اعلم ان اولياء
الله تعالى حكمهم في بدايتهم ان يسلط عليهم الخلق
ليتطهروا من البقايا وتكمل فيهم المزايا كي لا يساكنوا
هذه الخلق باعتماد او يميلوا اليهم باستناد ومن اذاك
فقد اعتقك من رق احسانه ومن احسن اليك فقد
استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من
اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا
له [illegible] ليتخلص القلب من رق احسان
الخلق وليتعلق بالملك الحق قال وقال الشيخ ابو الحسن
رضي

رضي الله عنه اهرب من خير الناس اكثر مما تهرب من شرهم
فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولان
تصاب في بدنك خير لك من ان تصاب في قلبك ولعدو تصل
به الى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله وعد اقبالهم
عليك ليلا واعراضهم عنك نهارا الا تراهم اذا اقبلوا
افتتنوا قال وتسليط الخلق على اولياء الله في مبدا الطريق
سنة الله في احبابه واصفيائه قال الشيخ ابو الحسن اللهم
ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم
بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسالك بدله ذلا
تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسالك عوضه فقدا
تصحبه انوار محبتك قال ومما يدلك ان هذه سنة الله
في احبابه واصفيائه قوله تعالى وزلزلوا الاية وقوله
حتى اذا استياس الرسل الاية وقوله ونريد ان نمن
على الذين استضعفوا في الارض الايتين وقوله اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا الى غير ذلك من الايات الدالة
على هذا المعنى اشهر ولذلك من استحلى حالا وسالك مقاما
فمن سنة الله تعالى مع اوليائه ان يشوش ذلك عليهم وهو
من غيرته عز وجل عليهم لئلا تتعلق قلوبهم بغيره ولئلا تستفيد
سواه قال الامام ابو القاسم القشيري ومن العلامة الكاملة
السكوت الى الخلق ايا لا رفيقا به من فتوة تقربا وكانه
في خلا زمانيا جيك يناجيك فانه بهذه الطريقة يضحك ويطربك

ونحتها خدع خائبة ومن ادركته السعادة كاشفه بشهود
جلاله وجماله لا باثباته في لطيف احواله وما خصه به من
افعاله واقباله واداء الطاعات على وجه الاستحلال معهود
عندهم من الشهوة الخفية ومن هذا المعنى ما ذكر عن سيدي
ابو الحسن الشاذلي قدس الله روحه لما دخل على شيخه
ابي محمد عبد السلام بن مشيش اول ما لقيه وساله عن حاله قال له
اشكوا الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكوا انت من حر
التدبير والاختيار فقد ذقته وانا الان فيه واما شكواك
من برد الرضا والتسليم فلم افهمه فقال له اخاف ان تشغلني
حلاوتهما عن الله سبحانه وتعالى وقال سيدي ابو العباس
المرسي اللحظ حجاب عن الملحوظ يعني السكون اليه والوقوف
عنده وشدة الفرح به ولذلك قال السري السقطي لو ان
رجلا دخل الى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من
الاشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الاطيار فخاطبه
كل طير منها بلغته وقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت
نفسه الى ذلك كان في يديها اسيرا وقال بعضهم لا يكون
الصوفي صوفيا حتى لا تقله ارض ولا تظله سماء ولا يكون له قبول
عند الخلق ويكون مرجعه في كل احواله الى الحق وقيل
الفقير من لا دنيا له ولا اخرة فان عرضت على مالك فالنيران
رجائي وان ارسل الى رضوان قال لا التفت اليه وليس هو رجائي
وان قلت من هو وما الذي يرجى به قال الرحمن يدعى
بشيء

فقال الشيخ ابو الحسن اما شكواي من حر التدبير والاختيار صح

هذا

شيء وقال محمد بن حسان رضي الله عنه بينما انا ادور في جبال
لبنان اذ خرج شاب قد احرقته السموم والرياح فلما نظر
الي ولى هاربا فتبعته وقلت تعظني بكلمة فقال احذره فانه
غيور ولا يحب ان يرى في قلبه سواه وكتب الجنيد رضي
الله عنه الى بعض اخوانه من اشار الى الله وسكن الى غيره
ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه واجراه على لسانه فان
انتبه وانقطع عمن سكن اليه ورجع الى ما اشار اليه كشف
الله ما به من المحن والبلوى وان دام على سكونه نزع
الله من قلوب الخلق الرحمة عليه والبسه لباس الطمع فتزداد
رغبته منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم فتصير حيوته
عجزا وموته كمدا ومعاده اسفا ونحن نعوذ بالله من
السكون لغيره اذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك
فلا تغفل انت عمن ناصيتك بيده الشيطان عدو سلط
على الانسان ومقتضى ذلك ان لا توجد منه غفلة ولا فترة
عن التربص والاغواء والاضلال قيل لبعضهم اينام
ابليس فقال ابليس لو نام لوجدنا راحة فاذا علمت
انه لا يغفل عنك فلا تغفل انت عمن ناصيتك بيده
وهو الله عز وجل وذلك بتحقيق عبوديتك له وتوكلك
عليه وافتقارك في كل احوالك اليه واستعاذتك به من
شره وكيده وعدوانه فبذلك تنجو من سلطنته وتنجو من اذايته
قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك

وكيلا وقال عز وجل انه ليس له سلطان على الذين امنوا
وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق بهذه الصفات العلية من
الايمان بالله والاستعاذة والاستجارة به كيف يكون للعدو
الله عليه سلطان والله حسيبه ووليّ حفظه ونصره ولولا ما
امرهم الله تعالى بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن
هو حتى يستعاذ بالله منه قال سيدي ابو العباس في قوله
تعالى ان الشيطان لكم عدو فقوم فهموا من هذا الخطاب
انه امرهم بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب
وقوم فهموا منه ان الشيطان لكم عدو وانا لكم حبيب
فاشتغلوا بمحبته فكفاهم من دونه وقال ابو حازم رضي
الله عنه ومن الشيطان حتى يهاب والله لقد اطيع فما نفع
ولقد عصي فما ضر وقال بعضهم الشيطان منذ ابتلي هذه الدار
بعقوبتين فيه اقذار النبي وبه تسبب الشرور وانواع
الفساد والمعاصي ابدا باتباع الله عز وجل وبهذا سر الجهاد
كما قال تعالى وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقوله
تعالى هذا من عمل الشيطان واما ان له حولا وقوة يضر بها
او ينفع فلا قال ابو سليمان الداراني ما خلق الله
عز وجل خلقا اهون علي من ابليس ولولا ان الله امرني
ان اتعوذ منه ما تعوذت منه ابدا وقيل لبعض العارفين
كيف مجاهدتك للشيطان فقال وما الشيطان نحن قوم
صرفنا همنا الى الله فكفانا من دونه وقيل لبعضهم
بما

والعبودية له والتوكل عليه والالتجاء والافتقار اليه صح

بما تدفع ابليس فقال لا ادفع منه الا عرفت فاما ان اهملت ذكره
وغفلت عنه ولم تعبأ به غلبك لا محالة لثبوت سلطنته عليك
ووصوله بالوسوسة اليك قال اهل المعرفة لكل احد من
الناس وسواس موكل به متسلطا قلبه واضعا راسه
او قال خرطومه عليه فاذا غفل العبد وسوس واذا ذكر
الله خنس اي تاخر واستتر وقال يحيى بن معاذ الشيطان
قديم وانت حديث والشيطان بصير وانت سليم الناحية
والشيطان لا ينساك وانت لا تزال تنساه وله من نفسك
عليك عون وقيل صدر ابن ادم مسكن له ويجري من ابن
ادم مجرى الدم وانت لا تفارقه الا بعون الله تعالى
وقال مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد
المؤنة الا من عصمه الله عز وجل فيه لقول القائل ولا اراه حيثما
يراني وعنده ما اساه لا ينساني سيدي ان لم تغثني سباني
وقال ذو النون المصري ان كان هو يراك من حيث لا تراه
فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه
وعن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا ابرح
اغوي بني ادم ما دامت الارواح فيهم قال له ربه عز وجل
بعزتي وجلالي لا ابرح اغفر لهم ما استغفروني فجعله لك عدوا
ليحوشك اليه رحمة بك [illegible] فيا لها نعمة
عداوة الشيطان لك نعمة عظيمة من الله عليك اذ منه يحتسباها

ثبات عصمه

بيان اقبالك عليه

تلك

كما قلناه انه لا يغفل عنك وان يبذل جهده في محاربتك ومعاداتك
بنفسه وجنده وبخيله ورجله ولا طاقة لك على مقاتلته
بنفسك لانك في غاية الضعف والعجز فيضطرك الحال لا محالة
الى الاستعانة عليه بمولاك القوي المتين فيوجب منك
الالتجاء اليه والانتصار به والتوكل عليه في دفعه عنك نعم
الشيطانية التي ترد الحق بها اليه وحملك بها عليه وهذا
هو غاية المقصود وكذلك حركة النفس عليك بالحمل على متابعة
الهوى والشهوة بما جعل فيها من الطبع والجبلة نعمة
عليك ايضا وان كانت اعدا الاعداء اذ لولا سلطتها يتوصل
اليك وبامرها يعملون فيما يعود بالضرر عليك من قبل
انك لا تقدر على مجاهدتها ودفع هواها الممتزج بلحمك
ودمك الا بمن هو اقوى منك وبعد ذلك الا مولاك فقد
دعاك بهذا الى دوام الاقبال اليه والعكوف بالصبر عليه
وكان المؤلف رحمه الله تعالى قصد في هذه الكلمات الى ذكر
الاعداء الاربعة المذكورة في قول الشاعر • اني بليت باربع
يرمينني بالنبل عن قوس لها توتير • ابليس والدنيا ونفسي
والهوى يا رب انت على الخلاص قدير • وبين في كلامه
وجوه عداوتهم ووجوه الاحتراز منها وتضمن ذلك بيان
ان تلك العداوات وان عظمت من اعظم الوسائل
الى اسنى المطالب لمن اراد بذلك ووفق لذلك بجميع
ذلك في الفاظ بديعة مختصرة وجيزة محررة فاعرف قدر
هذا

هذا الفصل واعرف تواضعه بكماله الجليل والفضل
وقال رضي الله عنه من اثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر
حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعه فمتى اثبت لنفسك
تواضعا فانت المتكبر اثبات التواضع يقتضي وجود
الرفعة لا محالة اذ لو كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة
ثابتا موجودا ولا ينتفي عن العبد التكبر الا بوجود الضعة
ووجود الضعة لا يحتاج الى اثباته من العبد لانه ثابت
في نفسه فالتواضع الذي اثبته العبد لنفسه لا ينفي عنه وجود
التكبر بالضرورة وايضا فان لفظة التواضع يوذن بذلك
فان التواضع تفاعل من الضعة والتكبر باب التفاعل موضوع
لاظهار الصفة وليست كذلك كالتمادح والتناكر والتعالي
والتفاوت وغير ذلك فحقيقة التواضع لا تقتضي حقيقة
الضعة وعدم الرفعة ولا يلزم منه وجودها وذلك والمطلوب
من العبد انما هو ان يتصف بذلك حقيقة لا اظهارا فقط
بل ينتفي عنه وجود الرفعة بالكلية وحينئذ يبرا العبد
من التكبر ولا يكون له وجود البتة ليس التواضع الذي
اذا تواضع راى انه فوق ما صنع ولكن المتواضع
الذي اذا تواضع راى انه دون ما صنع هذا بيان
اخر لما ذكرنا من ان العبد المتواضع حقيقة لا تثبت
التواضع لنفسه لانه شاهد من ضعة قدره وخمول ذكره زاد الله
ومهانته ما يمنعه من ذلك وهذا هو التواضع الحقيقي وهو

شهوده لذلك ووجده به مما يقدح في حقيقة تواضعه
كما قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من وجد ذوق
ذلك فهو مستعمل وفيه بقية فهذا العبد المتصف بهذه
الصفة لو وفقه احد لقال المتواضع من امثالي يثبت بذلك
لنفسه تواضعا لانه يرى نفسه دون ما صنع من ذلك
لغلبة ذكر الشهود والوجد عليه فان اثبته لنفسه ورأى
نفسه فوق ما صنع مما يقتضي وجود صفة التواضع له بزعمه
فهو متكبر حقيقة ولذلك قال الشبلي رحمه الله يوما في بعض
كلامه ذلي عطل ذل اليهود وقد اذن رأى لنفسه قيمة
فليس له من التواضع نصيب وقال ابو سليمان الداراني
رضي الله عنه لا يتواضع العبد لله حتى يعرف نفسه وقال
ابو يزيد رحمه الله ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو
شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعا قال اذا لم
ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل احد على قدر معرفته
بنفسه وبربه وقال ابو سليمان الداراني رحمه الله لو اجتمع
الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال
ابو النصر عبيد وقد انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة
لولا اني كنت فيهم وقيل لمحمد بن مقاتل ادع الله لنا فبكى
وقال ليتني لم اكن انا سبب هلاككم ومن علامات
المتحققين بهذه الخلوات لا يغضب اذا عيب او تنقص ولا يكره
ان يذم ويقذف بالكلية ومن علامات تحققه ايضا

ان

ان يشتد حرصه على ان لا يكون له جاه وقدر عند الناس ويلتزم
الصدق في حاله بانه لا يرى لنفسه موضعا في قلوبهم وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت
مما لم يدفن لا يتم نتاجه وحكي عن ابي الحسين الكرخي استاذ
الجنيد رحمهما الله ان رجلا دعاه ثلث مرات الى طعامه ثم
يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله داره في المرة الرابعة
فساله عن ذلك فقال رضيت نفسي على الذل عشرين سنة حتى
صارت بمنزلة الكلب يطرد فيطرد ثم يدعى فيعود ويرمى له عظم
فيجيب ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك مرة لجبتك
قال ابو طالب المكي وحدثت عن بعض الصوفية انه وقف
على رجل وهو ياكل فمد يده وقال ان كان لله شيء لله
تعالى فقال الرجل كل فقال اعطني في كفي فاعطاه في كفه
فقعد ياكل في مكانه فساله عن امتناعه من الجلوس معه
فقال ان حالي مع الله تعالى المنزل فكرهت ان افارق
حالي قال وكان هذا رجلا مما يربونه الى المهراس يبحث
فيها بعيدة واغرب ما رأيت في التواضع ما ذكره صاحب
عوارف المعارف قال رأيت شيخنا ضياء الدين
ابا النجيب وكنت معه في سفره الى الشام وقد بعث بعض
ابناء الدنيا له طعاما على رؤوس الاسارى من الافرنج وهم
في قيودهم فلما مدت السفرة والاسارى ينتظرون الاواني
حتى تفرغ قال للخادم احضر الاسارى حتى يقعدوا على

الموضع الفقرا نحا ابهم وقعد هو على الفقر صفا واحدا وقام
الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم
واكل واكلوا وتحولقا على وجهه ما نازل بالهمة من التواضع
لله تعالى والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم
بايمانه وعلمه واغرب من هذا ما ذكره صاحب كتاب بغية
الطالب وصفية الراغب ابو الحسن علي بن عتيق بن مومن
القرطبي عن ابيه انه راى الشيخ الفقيه ابا محمد عبد الله
بن عبد الرحمن بن سعيد وكان من الفقها العلما يوما
وهو يمشي في يوم شات كثير الطين فاستقبله كلب يمشي
على الطريق التي كان عليها قال فرايته قد لصق بالحائط وعمل
للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز فحين لم يمشي هو قليلا قرب
من الكلب قال فرايته قد نزل من مكانه الذي كان فيه ونزل له
اسفل وترك الكلب يمشي فوقه قال فلما جاز الكلب
وصلت اليه فوجدته وعليه كآبة فقلت يا سيدي اني رايتك
صنعت الان شيا استغربته كيف رميت بنفسك في الطين
وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي فقال لي نعم ان عملت
له طريقا ثم تفكرت وقلت ترفعت على الكلب وجعلت
نفسي ارفع منه بل هو والله ارفع مني واولى بالكرامة لاني
عصيت الله تعالى وانا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له
فنزلت له عن موضعي وتركته يمشي عليه وانا الان اخاف المقت
من الله تعالى ان لا يعفو عني لاني رفعت نفسي على من هو خير مني

التواضع

التواضع الحقيقي هو ما كان ناشيا عن شهود عظمته وتجلي
صفته شهود عظمة الله تعالى وتجلي صفته هو الذي يوجب
للعبد وجود التواضع الذي ذكرناه لان ذلك هو الذي
يخمد النفس ويذيبها ويبطل انفتها فما تجلى الله تعالى
لشي الا خضع له فلا تنقطع من النفس شجرة الربانية والكبر
الا بذلك لا بما يتكلفه العبد ويتعاطاه بنفسه من اعمال واحوال
قال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر قال ابو حامد
الغزالي رضي الله عنه ولعل مراده رضي الله عنه ان
التواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها
شيا حتى يضعها او يرفعها وقال ذو النون من اراد التواضع
فليوجه نفسه الى عظمة الله تعالى فانها تذوب وتصغر
ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه
لان النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن اشرف التواضع
ان لا ينظر الى نفسه دون الله تعالى وفي كتاب عوارف
المعارف واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند
لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس
وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع
للحق وللخلق بمحو اثارها وسكون وهجها وغليانها
فكيف يجتمع الوصف ان شهود الوصف هذه عبارة مليحة
موافقة لمعنى ما تقدم من ان الوصف المذكور اولا وصف
العبد والوصف المذكور ثانيا وصف الرب تبارك وتعالى

الموحد يشغله الثنا على الله عن ان يكون لنفسه شاكرا
ويشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا
يشكر النفس روية نسبة الافعال الجميلة والاحوال الحميدة
اليها وذلك ثناء عليها وهو مضاد للثناء على الله تعالى
وذكر حظوظها من اعتقاد ان لها حقا عندما تفعله من الطاعات
وهو مضاد للقيام بحقوق الله تعالى فالمومن الحقيقي
لا يلتفت الي نفسه في نسبة شي من المحاسن اليها ومن طلب حظ
عليه لها بل يشغله الثناء على الله تعالى والحرص على توفية
حقوقه عن جميع ذلك ليس المحب الذي يرجو من محبوبه
عوضا او يطلب منه غرضا فان المحب من يبذل لمحبوبه
ما يبذل له المحبة فتقتضي المحبة بذل كليته وجزئيته
في مرضات محبوبه من غير ان يطلب ما ينال منه فهذا مما يلزم
وجود المحبة كما قيل ان المحب اذا احب حبيبه يلقاه يبذل
فيه ما لا يبذل بل يرى ما تقدم من ذلك غاية الخلك وموافقة
رضى محبوبه نهاية السعادة والنجح كما قال ابو حفص عمر
بن الفارض رحمه الله تعالى ما لي سوى روحي وباذل
روحه في حب من يهواه ليس بمسرف فلين رضيت بها
فقد اسعفتني يا خيبة المسعى اذا لم تسعف ولذلك
قيل المحبة الايثار وهو ان لا يدع المحب به سوى الا يبذله
ولا مسلما الا يتناوله ولا يبقي لنفسه ولحظه نفسا ولا سمة ولا
يستثني من كل ما يبذل له سمة ولا اثر وهو في المعنى

ليبذ

ليبذل العبد مني نظرة اي اذا في العاشقين رجيل وقال
ابو عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببته
حتى لا يبقى لك منك شي وقال ابو يعقوب السوسي حقيقة
المحبة ان تنسى العبد حظه من الله وتنسى حوائجه اليه وقيل لبعض
المحبين وكان قد بالغ المجهود في بذل ماله ونفسه حتى لم
يبق منه بقية ما كان سبب حالك هذه المحبة فقال كلمة
سمعتها من خلق لخلق عملت في هذا البلا فقيل وما هي قال
سمعت محبا خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك
بقلبي كله وانت تعرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب
ان كنت تحبني فاي شي تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما لي
ثم انفق عليك روحي حتى اهلك فقلت هذا خلق لخلق
وعبد لعبد فكيف بخلق لخالق وعبد لمعبود فكان هذا سببه
فهذا الذي ذكرنا من لوازم المحبة الحقيقية واما رجا العوض
وطلب العرض فهو حالهن متاهة الرجا وليس من مقام المحبة
المخصوصة في شي قال الشاعر من يكن يكره فانا عن جميله
وعن الهوى والاسر بالاحباب فلانه بين الموارد والمراتب
واقف تاملنا لحظ وليس نما به وقال اخر وما انا بالباغي
على الحب رشوة ضعيف هوى يرجى عليه الثواب قال ابو
محمد رويم المحب احب العوض خرج عن العوض اليه محبوبه
وقيل اوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على قلب
عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته من حبي قال

عنف

بعض المحبوبين كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتمشين
في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنين
معهن فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يوما قال
ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن بالحسن والجمال
وقيل لي انظر إليهن فسجدت وغمضت عيني في سجودي
لئلا انظر إليهن وقلت أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهن
فلم أزل أتضرع إلى الله تعالى حتى صرفهن عني وذكر الشيخ
الكاغدي أبو نعيم قال ثنا الميسرة الخادم غزونا في بعض
الغزوات فإذا فتى إلى جانبي وإذا هو مقنع في الحديد
يحمل على الميمنة حتى ثناها وعلى الميسرة حتى ثناها وعلى
القلب حتى ثناه ثم أنشأ يقول • أحسن بمولاك سعيد ظنا
هذا الذي كنت له تمنى • تنحي يا حور الجنان عنا • ما لك
قاتلنا ولا فقتلنا • لكن إلى سيدكن اشتقنا • قد علم السر
وما أعلنا • قال فحمل فقاتل فقتل منهم عددا كثيرا ثم
رجع إلى مقامه فتكالب عليه العدو فإذا هو قد حمل على
الناس وأنشأ يقول • قد كنت أرجو ورجائي لم يخب • أن لا
يضيع اليوم كدي والطلب • يا من ملا تلك الجنان باللعب
لولاك ما طابت ولا طاب الطرب • فحمل فقاتل فقتل منهم عددا
ثم رجع إلى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل الثالثة فأنشأ يقول
• يا لعبة الخلد قفي ثم اسمعي • ما لك قاتلنا فكفي وارجعي
• ثم ارجعي إلى الجنان وأسرعي • لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعي فقاتل

حتى

قاتلنا

يا من ملا تلك القصور باللعب

حتى قتل رحمه الله تعالى ولأجل ما ذكرناه من اقتضاء مقام
المحبة كلية البذل شرط الحب لزم وقوع الابتلاءات والمطالبات
به حتى يحصل له توفية حقوق هذا المقام على التمام ولهذا
قال بعضهم إنما يقول الله جل جلاله وتعالى اطلب العافية
والجنة والأعمال وغير ذلك فأما من يريد الأمانة قال له
من دخل معي في هذه إنما يدخل باستئصال المخلوق ورفع الحدوث
وثبوت القدم وذلك يوجب العدم وقال بعض العلماء
إذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد أن
يصافيك وقال بعض المريدين لأستاذه قد طولعت بشيء
من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرته عليه
فقال لا قال فلا تطمع نفسك في المحبة فإنها لا يعطيها أحدا حتى يبلوه
وقال بعض علمائنا رضي الله عنهم كان أهل المقامات يرجون
أن يعتق منهم ويسمح لهم الآن أدعياء المعرفة والمحبة فإنهم
يطالبون بكل شعرة مطالبة وفي كل حركة وسكون ونظرة لله
ومع الله وقال إبراهيم بن أدهم وكان له مقامات في المحبة
رفيعة قلت ذات يوم يا رب إن كنت أعطيت أحدا من
المحبين لك ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذلك
فقد أضر بي القلق قال فرأيت في النوم أنه أوقفني بين
يديه فقال يا إبراهيم أما استحييت مني أن تسألني أن أعطيك
ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق دون لقاء
حبيبه وهل يستريح المحب إلى غير مشوقه وقال فقلت يا رب

ثبتت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني كيف اقول
فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك واوزعني
شكر نعمائك فالمحبين دنا بقوة خطرات ولطائف مداخلات
بحكم لهم بذلك القرب في صفا حبهم والبعد في سوء الخلق لهم
فهم يعرفون منها ويخرجون عنها مخافة ان يستدرق شيء من
ذلك قلوبهم بادي مبدا وما ساكنة فيوجب ذلك لهم السقوط
من مقامهم الرفيع الذي اعد لهم واهلوا له ولذلك
قال ابو محمد سهل بن عبد الله رضي الله عنه جناية المحب الى الله
تعالى اشد من معصية العاصي وهو ان يسكن الى غير الله او
يستاوه قيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود حرمت
على القلوب ان يدخلها حبي وحب غيري ويحكى ان الله تعالى قال
لموسى عليه السلام نعم العبد برخ الا ان فيه عيبا قال يا رب
وما عيبه قال تعجبه نسيم الاسحار يسكن اليه ومن احبني لم
يسكن الى شيء ويروى ان عابدا عبد الله في غيضة دهرا
طويلا فنظر الى طائر قد عشش في شجرة يأوي اليها ويصفر
عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت انس
بصوته ت ذلك الطائر قال ففعل فاوحى الله الى نبي ذلك
الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لاحطنك درجة
لا تنالها بشيء من عملك ابدا لولا ميادين النفوس ما تحقق
سير السائرين اذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها
رحلتك ولا قطيعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك

السير

السير الى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحو آثارها
ودعاويها وغلبة احكام طبيعتها وجبلتها حتى يتطهر من ذلك
ويحصل لها اهلية القرب من الله تعالى والتصدي لسعادة لقائه
ولولا معاناتها ومعاناة هذه الاشياء لم يتحقق السير والسلوك
كيف والحق تعالى اقرب الى العبد من نفسه فالبعد الحسي هو
المسافة التي تطويها رحلته والبعد المعنوي وهو القطيعة
التي تمحوها وصلته محالان في حقه تعالى لنفي المثلية في الاول وعدم
الضدية في الثاني وهذه الالفاظ التي عبر عنها المؤلف رحمه الله
تعالى من السير والميادين والرحلة والوصلة ونحوها مثل
السير والسلوك والذهاب والرجوع هي عبارات يتداولها القوم
في امور معنوية تجوزوا فيها عن امور حسية ومرجع جميع ذلك
العلوم ومعاملات يتصف بها العبد لا غير وهذا الكلام الذي
ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ههنا وما تقدم له ولنا غير
ما مرة من ان النفس هي الحجاب الاعظم للعبد عن الله تعالى
وان بحياتها هو فتنتها وفقدها وموتها تناله سعادة لقاء الله
تعالى صحيح الحصر قال بعضهم ما الحيوة الا في الموت اي ما حيوة
القلب الا في اماتة النفس وقيل النعمة العظمى الخروج
عن النفس وهي اعظم حجاب بينك وبين الله وقال سيدي
ابو العباس رضي الله عنه لا يدخل على الله الا من بابين من باب
الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعي ومن باب الفناء الذي تعنيه
هذه الطائفة ومن حكايات الاصرار انه قال من دخل بين ذفيها هذا

فليجعل في نفسه اربع خصال من الموت موت احمر وموت
اسود وموت ابيض وموت اخضر فالموت الابيض الجوع
والموت الاسود احتمال اذى الناس والموت الاحمر مخالفة النفس
والموت الاخضر طرح الرقاع بعضها على بعض وقال سهل بن عبد
الله التستري ما ظهر ذكر السر على احد حتى خلقه الاعلى فرعون
فقال انا ربكم الاعلى وكل طابع حجب سماوية وسبع ارضية فكلما
يدفن العبد نفسه ارضا ارضا سما قلبه سما سما فاذا دفنت
النفس تحت الثرى وصلت بالقلب الى العرش يعني اذا خالفتها
وفارقتها وسبيل المريد الى الوصول الى موت النفس انما يكون
بتقديم الافتقار والالتجا والرغبة الى مولاه في ان يعينه ويقويه
على امر نفسه ويسهل عليه طريق سلوكه وليستعمل هذا في كل حال ووقت
وليجعله عمدته فيما هو بسبيله وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه
الله ما يوقف صاحبه انت على انه مبدا كان وقال بعض العارفين
لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وانما يكون الخروج من النفس
بالله ثم يشتغل بمراعاة حدود الشريعة والطريقة في ظاهره
وباطنه والتزام اداتها والعمل بما عمل مخصوص يقتضي لا محاله
حكما مخصوصا يليق بحقه وذلك يختلف باختلاف احوال الناس
فحركات العبد وسكناته هي اعماله الظاهرة وقصوده وهمته
وارادته اعماله الباطنة وكل واحد من القسمين ينبغي ان ياخذ
فيه بعض البلاء امور ويجتنب الرخص التي هي من شان العامة
والجمهور حسبما تقدم عند قوله من جهل المريد ان يسيء الادب

فتوخر

فتوخر العقوبة عنه فعمل الظاهر ان كان واجبا فليبادر الى
فعله ولا يتوانى عنه وليقف بجميع ادابه التي لا زمة له وليتحقق
بذلك ما يكون مندوبا اليه اذا علم من نفسه رتبة هو وانما اشترطنا
هذا الشرط لان المندوبات التي تعترضه يحتاج فيها الى تقديم
الاولى فالاولى والاهم فالاهم منها فان لم يعمل على هذا وقدم
ما ليس باهم كان متبعا للهوى لا الموجب للظهور وليأخذ في ذلك
بالقصد من غير افراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وفي حديث
عايشه رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكلفوا من العمل ما تطيقونه فان الله لا يمل حتى تملوا وان
افضل العمل ادومه وان قل وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ولن يشاد الدين
احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا وان كان محرما فليبادر
الى تركه واجتنابه وليقطع من نفسه جميع اسبابه وليلحق
بذلك ما يكون مكروها وان كان مباحا فهذا هو محل نظر المريد
فعليه ان ياخذ بالعزيمة فيه ويقتصر على حد الضرورة منه
وليتخذ اجتنابه لا يستعد ميل النفس اليه ويعظم حرصها
عليه اكثر من اجتنابه لما تقدم من ذلك ويختلف ذلك باختلاف
الاشخاص فرب شخص تميل نفسه الى ما لا تميل اليه نفس شخص
اخر فليشتغل المريد بقطع ذلك وزوال العلاقة من قلبه بالرياضة
والمجاهدة ويستعمل ذلك حتى يكون قوته مما لا بد له منه
على وجه الطاعة والقصد لا على سبيل الهوى والشهوة ومما يستعد
والقربة

بيد نفوس اكثر الناس اليه مما يكون سبب تناوله واستعماله مراعاة
نظر الخلق والجري على عوايدهم السيئة ومراسمهم المذمومة
ومجاهدة النفس في مثل هذا عسير جدا لا سيما على من ابتلي بحب الجاه
والرياسة وقبول الخلق فيه ولا يتحمل او شرعا او عيد ذلك فانها
اشد الشهوات علاقة بالقلب واضرها بالمريد فيجب عليه ان يعتني
بذلك ويبالغ في تخليص ظاهره وباطنه منه بينها بينها تتعاطاه
من اعمال واحوال وقد نبهنا على هذا المعنى في اول الكتاب وعند
قول المؤلف رحمه الله ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت
مما لم يدفن لا يتم نتاجه وتخليص يتعين على المريد في رياضته
ومجاهدته ان يمنع حواسه ويكف جوارحه عن التطلع والجولان
في منافذ وجدان شهواته ويبني الحد عاداته وان يجاسعها
ولا يستفز سمعها فان ذلك منشا كل شر ومنبع كل فساد وهب
كما قيل ان السلامة من سلمى وجارتها ان لا تمر على
حال بواديها فليراقب ربه وليحفظ جوارحه وقلبه فان
الانسان قد يتحرك مثلا في طلب الخير والعمل من اعمال البر فيتفق
ان يقع بصره على شيء له فيه هوى وشهوة فتميل نفسه اليه
بالشره والمحبة فيتكدر عليه وقته ويظلم قلبه ويختل عليه
في الحالة ما كان بصدده مثلا وكذلك سائر حواسه وقد شبه
العلماء رضي الله عنهم النفس في مثل هذا بدابة استعارها
رجل من ربها ومالكها ليتصرف بها في حاجاته وكانت دابة
جموحة صعبة المرام يجاذبها المستعير في بعض تصرفاته على دار

مطلب نفيس مثل النفس بمثل الدابة

مركوبها

مركوبها فنزعت الى دار سيدها فانه مما لا تحتاج الى تعرف ممانعها
فان تقاعست ضربها بالشوك والعصا حتى يصرفها عن ما نزعت
اليه وقد يكون عليه في ذلك تعب ومؤونة وسبب ذلك انما هو كونه
لها عادة دار مركوبها الذي الفته واعتادته ولم يمر بها عليه
نشأ ولم يحتج الى معاناة ولا مكابدة فان تغافل عنها حتى
ادخلت يديها في عتبة الباب واستمكنت منه تعذر عليه منعها
من الدخول لم تطعه بوجه بل ربما قحمت عليه باب الدار كرها
وربما جرحت راسه والحيته وسبب ذلك انما هو تمكنها
من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها فكذلك حال
النفس فان النفس ان اعطيتها هواها كانت فاغرة كل هواها
فاذا ولذلك كانت الخلوة والعزلة من اوجب الواجبات
على المريد فان نفسه اذ ذاك تكون ساكنة هادية قد نسيت
عوايدها وقهرت دواعيها وبدو واحه على ذلك يحصل لها من التنزه
والتحلية والاستقامة والطمانينة ما هو المقصود بالرياضة والمجاهدة
فان اعتراه شيء مما ذكرناه رجعت عليه بالهم واحتاج من اجل
ذلك الى اعمل مدة الخالقة والرياضة الصعبة والى معاودة كل
مع تلافي ما فاته وفقد حال وفقه المريد شرعت فترته قال
الامام ابو القاسم القشيري الفرق بين الفترة والوقفة
ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة سكون عن السير
باستلاب الكسل وكل مريد وقف في ابتداء ارادته لا يجيء
منه شيء فيه ابتداءات الامور هي التي يجب ان يراعيها المريد

والله ولي التوفيق والتسديد ولا غنى للمريد في هذا القسم من
تحصيل ما يحتاج اليه من العلوم الشرعية علما بما ينبغي وعمله بالباطن
يرجع حاصله الى امر واحد وهو اخلاص التوحيد لله عز وجل
باعتقاد العبودية له وذلك بان يحمل نفسه على الاستسلام
لاحكام الله تعالى وترك المنازعة والتدبير والاختيار بين
يديه وهذا المعنى هو الذي صنف المؤلف رحمه الله كتابه التنوير
في اسقاط التدبير فليتعاهد المريد على ذكر به ولا يقصد برياضته
ومجاهدته التوصل الى شيء من الكرامات وخرق العوائد وانواع بيان فتنة
الاجابات فان ذلك فتنة وبلية قاطع عليه طريق العبودية
قال ابو عثمان المغربي من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي ان يكون
خاليا من جميع الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع الارادات
الا رضى ربه خاليا من مطالبة النفس من جميع الاسباب وان لم يكن
بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنة او بلية وقال الشيخ
ابو عبد الله القرشي رحمه الله من عمل ليجد او يرى لم ينفتح له بشي
حتى يكون قصده تحقيق العبودية والقيام بما يجب عليه من حقوق
الربوبية فالحاجة لنا بخوارق العادات فمن دخل الخلوة
معتلا في دخوله دخل الشياطين عليه وسول له انواع الطغيان
واضلالهم من الغرور والمحال وهم انه حصل على احسن الحال قال
وقد حلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها واشتغلوا
عن ذكر الاذكار وصنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين
والبراهمة والفلاسفة والوحدة في جمع الهم لها تاثير في صفاء
الباطن

الباطن مطلقا فكل ما كان من ذلك محفوفا بسياسة الشرع وصدق
المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتج تنوير القلب والزهد
في الدنيا وحلاوة الفكرة والمعاملة لله باخلاص في الخلوة
والتلاوة وغير ذلك وما كان من غير سياسة الشرع ومتابعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتج صفا في النفس تنفعات به على علوم
رياضية كما ينتفعون به الفلاسفة والدهريون وكلما كثر
من ذلك اشتد البعد من الله ولا يزال المقبل على ذلك تستغويه
الشياطين بما يلتبس من العلوم الرياضية وربما ينتزل اليه من
صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه كل الركون ويظن
انه قد فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان هذا الفتح
من الغاية غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليست
هي المقصودة من الخلوة لقول بعضهم كن طالب الاستقامة
ولا تكن طالب الكرامة وقد يفتح على الصادقين بشيء من خرق
العادات وصدق الفراسة وتبيين ما يحدث في المستقبل
وقد لا يفتح لهم عليهم من ذلك ولا يقدح في حالهم عدم ذلك وانما
يقدح في حالهم الانحراف عن محجة الاستقامة وما يفتح من ذلك
على الصادقين يصير مزيدا لانتفاعهم والداعي لهم الى صدق
المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق باخلاق
العبودية وربما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع
فيصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس
وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه
ويتكبر الحدود والاحكام والحلال والحرام ومقتضيات التعبد

من العباد اتخذ ذكر الله تعالى وترك متابعة الرسول ثم يتدرج
من ذلك الى التلحد والتزندق ونعوذ بالله من الضلال فقد
يلوح لاقوام خيالات يظنونها وقائع يسمونها بوقائع
المشائخ من غير علم بحقيقة ذلك انتهى كلامه رحمه الله
تعالى وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق فمهما دام العبد
على مثل هذه الاشياء التي ذكرناها فهذا من توفيق ربه
عز وجل وتأييده له فحصل له من الله تعالى مزية كبيرة وعند
ذلك يتطهر باطنه من جميع الآفات وخبائث الصفات وتتنور
سريرته بانواع المكاشفات والاطلاعات وقد عبر الامام
ابو القاسم القشيري عن طريق موت النفس بعبارات صحيحة
مليحة فقال قتل النفس في الحقيقة التبري من حولها وقوتها
او شهود شيء منها ورد طوارقها اليها وتشويش تدبيرها
عليها وتسليم الامور الى الحق سبحانه بجملتها وترك اختيارها من ذكرها
واختيارها وامتحاء آثار بشريتها عنها فاما بقاء الرسوم والهياكل
فلا خطر لها ولا عبرة انتهى فهذه هي السبيل الى موت النفس
المفضي الى حضرة القدس لكونها جارية على مقتضى الشريعة
والحقيقة اللتين بانوارهما يهتدي كل سالك ومريد ولابد
للمريد في هذه الطريقة من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ
من تاديب نفسه وتخلص من هواه فليسلم نفسه اليه وليلتزم
طاعته والانقياد اليه في كل ما يشير عليه من غير ارتياب ولا تاويل
ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقال ابو
الثقفي لو ان رجلا جمع العلوم وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ

الرجال

الرجال الا بالرياضة من شيخ او امام او مؤدب ناصح ومن لم
ياخذ ادبه من آمر له وناه يريه عيوب اعماله ورعونات
نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملة وقال سيدي
ابو مدين من لم ياخذ الادب من المتأدبين افسد من
يتبعه قال المؤلف رحمه الله في لطائف المنن انما يكون الاقتداء
بولي دلك الله عليه واطلعك على ما اودعه من الخصوصية
لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فالقيت
اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك رعونات نفسك
وكمائنها ودفائنها ويدلك على الجمع على الله عز وجل ويعلمك
الفرار عما سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل الى الله
يوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك
معرفة اساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون اليها ويفيدك
العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه
والدوام على ممر الساعات بين يديه قال فان قلت فاين
من هذا وصفه لقد دللتني على اعز من عنقاء مغرب فاعلم انه
لا يعوزك وجدان الدالين وانما يعوزك وجود الصدق
في طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك في آيتين من
كتاب الله تعالى قال سبحانه امن يجيب المضطر اذا دعاه وقال
سبحانه فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت الى من
يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف الى الامن لوجدت
ذلك اقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت الى الله اضطرار الام
لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت

طلبك

الوصول غير متعذر عليك والتوجه بتيسير ذلك عليك انتهى
وفي كلامه رحمه الله تنبيه على ان الشيخ من منح الله تعالى وهداياه
للعبد المريد اذا صدق في ارادته وبذل في مناصحة مولاه
جهد استطاعته لا على ما قد يتوهمه من لا علم عنده وعند ذلك
يوفقه الله لاستعمال الادب معه لما شهده منه اي من نسبته
ورفيع درجته قال سيدي ابو مدين قدس الله روحه
الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من
هذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار باطنك باشراقه
الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه وقال المؤلف في لطائف
المنن وليس شيخك من سمعت منه انما شيخك من اخذت عنه
وليس شيخك من واجهتك عبارته انما الشيخ الذي سرت فيك
اشارته وليس شيخك من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع
بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله انما شيخك
الذي نهض بك حاله شيخك الذي اخرجك من سجن الهوى
ودخل بك على المولى شيخك هو الذي مازال يجلوا مراة
قلبك حتى تجلت فيه انوار ربك نهض بك الى الله فنهضت
وسار بك حتى وصلت ولا زال محاذيا لك حتى القاك بين
يديه فزج بك في نور الحضرة وقال ها انت وربك انتهى
واداب المريد مع الشيخ كثيرة مذكورة في كتب ائمة الصوفية القوم
ومن اراد ذكرها وادخارها فكرها الامام ابو القاسم القشيري
قال رضي الله عنه شرط المريد ان لا يتنفس الا باذن شيخه ومن
خالف شيخه في نفسه سرا او جهرا فسوف يرى غبه عما اخفيه
سريعا ومخالفة الشيوخ فيما يشيرون به عليهم اشد ما يكابد به
بالجهد

بالجهد والشر لان هذا يلحق بالخيانة ومن خالف شيخه لا يشم
رائحة الصدق فان بدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار
والافصاح عما حصل حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه
شيخه الى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم
به عليه فاذا راجع المريد بالصدق وجب على شيخه جبران
تقصيره بهمته فان المريدين عيال الشيوخ فرض
عليهم ان ينفقوا من قوة احوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم
انتهى وقال الشيخ العارف محيي الدين ابو العباس البوني
نفعه الله برحمته واياك ان تحقر فعلا خطر لك ان لا
تلقيه للشيخ طاعة كان او معصية على اي نوع برز لك ولو
احتلم عليك الوهم في الساعة احتلف اليه الوساعة في الخاطر
ليعلمك الدواء الذي تزيحه به او يحملك بهمته قال
ولقد رايت تلميذا احد اصحاب شيخنا الامام تاج العارفين
ابي محمد عبد العزيز بن ابي بكر القرشي المهدوي رحمه الله
تعالى وكنت جالسا عنده فدخل عليه وفي يده باقلاة فقال
يا سيدي اني وجدت هذه الباقلاة فما اصنع بها فقال الذاكر لها
حتى تفطر عليها فقلت يا سيدي حتى الباقلاة يعلم بها فقال
يا ولدي لو خالفني في لحظة من خطراته لم يفلح ابدا فاذا احكم
بهذه الهمة بعد ما ت وقد تلت بهذه المقالات رجعت
عن مالوفاتها الدنية وعاداتها الردية ونزل عنها العز
والاستكبار وذلك لمولاها بالعبودية والافتقار والذلة
ايمانها وصفت احوالها وهذه هي خاصيتها التي خلقت لاجلها
ومزيتها التي شرفت من قبلها والنهاية لعين سوى هذه الهمة

الى شيخه

ت النفس

اصابها من الركون الى هذا العالم الادنى والانس بالشهوات
التي تزول وتغير حتى امتنع عليها ما خلقت لاجله من موجب
سعادتها وغاية شرفها وافادتها فلما تعالجت بما ذكرناه
عادت الى الصحة ورايت طبعها الاصلي فالفت العبودية والتذت بها
وصارت بذلك مطمئنة صالحة لان يقال لها يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي
جنتي قال الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز المهدوي النفس
المطمئنة هي التي تخلصت من السوى لم يبق بينها وبين السوى
نسبة وكانت مباديها في الاكتساب الايمان والرضا المكتسب
فلما صفت وتطهرت من جهة المخلوقات وزال الحجاب الذي
هو صفة الخلق سمعت النداء من مكان قريب فاجابت لعدم الحجاب
فخرجت المواهب والرضى الموصلي الموهبي الذي قال الله فيه
رضي الله عنهم ورضوا عنه فدخلت في رضا الله المطلق المرهون
وفي عباده وجنته لا في جنتها لوصف كسبها واعمالها انتهى
وعلامة وصول المريد الى هذا المقام الحميد ان يستوي عنده
الاحوال ولا يتاثر باطنه بما يواجه به من تغير الافعال والاقوال
لاستغراق قلبه في مطالعة حضرة المكمل الكمال قال ابو عثمان
الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في اربعة اشيا في المنع
والعطا والعز والذل وقال محمد بن خفيف قدم علينا بعض
اصحابنا فاعتل وكانت علة البطن فكنت اخدمه واخذ منه
الطست طول الليل فغفوت مرة فقال لي نمت لعنك الله
فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله فقال كقوله
رحمك الله وحكي عن ابرهيم بن ادهم انه قال ما سررت في الاسلام

الا مرات معدودات كنت في مركب يوما وكان به رجل يحكي
الحكايات المضحكة فيضحك منه الناس وكان يقول رايت
ونحن في معركة الترك علجا فعلت هكذا وكان ياخذ بلحيتي
ويمر بيده على حلقي هكذا والناس يضحكون منه ولم يكن في ذلك
المركب عنده احد اصغر مني ولا احقر فسررت بذلك ويوم
اخر كنت جالسا فجا انسان وصفعني من غير سبب ويوم
اخر جا انسان وبال علي وكان في وقت حاتم الاصم
رجل سيئ القول فيه وفي اصحابه ويواجههم بكل امر قبيح
فوقع جذع من السقف في بعض الايام فجا اصحاب القوم
بالسب والشتم فمات فقال الحمد لله عقيبه انه هذا خلانا من شره
فقال ما حمدت الله تعالى بموته بل حمدت الله اذ لم اسر
بذلك نعم هذا واشباهه من احوالهم معلوم ضرورة والمبالغ
من هذا كله محبة الموت وكراهة البقا في الدنيا شوقا الى لقاء
المولى جل وعلا وهكذا حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقا
الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حالة تكون المرا عليها
فاذا وجد المريد هذه العلامات في نفسه فقد خرج من
عالم جنسه ووصل الى حضرة قدسه وكان كما قال الشاعر
اكان الدهر لحوج والايام عبيد • فعش كل يوم من زمانك عيد
وكما قال سيدي ابو العباس بن العريف رضي الله عنه في هذا
المعنى هذا الكرسي الى اعتاب [illegible] التمامه • ولقد صلح كنت انت بلا ملامة ضياه
فانت حجاب القلب عن سر غيبه • ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنبت • عليه من الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه • شهي الينا نثره ونظامه

إذا سمعته النفس كان بغيتها • وزال عن القلب المعنّى غرامه
وانشد واني معناه ايضا قول الامامي الا فانعدي قد انجز
الاحباب لي موعدي • فقد كنت قبل اليوم مستانيسا منهم بحال تشفق
مسعدي • وان نسيم الوصل من كوهم هبّ فلي عندي لمكان ندى •
وحيث لا حتى لي اعلامهم • فليدي فقر الكثير شريدي • وان لم
يجدها في نفسه فليتهم سلوكه ومجاهداته ولا يغتر بما
يتراءى الصدق من حالاته فانه لم يجد بعد ولم يحظ له
من هوى نفسه فقد وليس طريق موت النفس بقطع جميع
الارفاق عنها وردها الى الاحتراز بالخشن من النخالة والمبالغة
في التقشف والتقلل مع قطع الفكر عن احوال القلب وهمه
وقصوده وارادته وترك الالتفات الى ما يحمد منها ويذم
فذلك كله غلط وبدعة وقد غلط في هذا الطريق من الناس
عملوا عليه في رياضاتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك
اخلاص العبودية لربهم فادّاهم ذلك الى اختلال عقولهم
وانحلال قوى ابدانهم ولم يحصلوا من امرهم على طائل
وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف هذه الامة جعلك
في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة
قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة تنطوي عليك اصداف
مكوناته خلق الله تعالى الانسان في احسن تقويم والتسوية
والتعديل وجعل بنيته متضمنة اسرار جميع الموجودات
علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار بذلك روحانيا جسمانيا
ارضيا سماويا والذي يقال له العالم المتوسط بين عالمي الملك
والملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة وعالم الملكوت
هو

الاصغر وهذا هو الذي يظهر في معنى جعله في العالم صح

هو عالم الغيب فلاجل ما كان الانسان بهذه المثابة من كونه
نخبة جميع الموجودات الجسمانيات والروحانيات كانت
الاكوان كلها باعتبار احاطتها به وحفظها له بمنزلة الغشاء
والصوان الذي يحفظ الشيء ويصونه وكان هو بمنزلة
الجوهرة النفيسة التي تحويها الصدفة والمقصود من هذا
ان يعرف الانسان جلالة قدره وفخامة امره فيعلو بهمته
الى المراتب السامية اللائقة به وذلك باخلاص العبودية
لربه عز وجل وقطع النظر عن كل ما سواه فيتحقق هذا المعنى
الى ما قال الشاعر • اذا كنت كرسيا وعرشا وجنة • ونارا وافلاكا
تدور واملاكا • وكنت من السر المصون سريرة • وادركت
هذا بالحقيقة ادراكا • فغيرك التالي في الحضيض هلاكا مقيما
مع الاسر كم حاجات اسراكا • قال الشيخ ابو العباس المرسي
الاكوان كلها عبيد مسخرات وانت عبد الحضرة فقد ورد
في بعض الكتب المنزلة يا ابن ادم انا بدّك اللازم فالزم
بدك وفي بعض الاخبار عن الله عز وجل يا ابن ادم خلقت الاشياء
كلها من اجلك وخلقتك من اجلي فلا تشتغل بما هو لك عمن
انت له وقال الواسطي في معنى قوله تعالى ولقد كرمنا بني
ادم بان سخرنا لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا في تسخير شيء
ويتفرغوا الى عبادة ربهم وسخر لك الكون من حيث جسمانيتك
ولم يسخرك من حيث ثبوت روحانيتك انما وسخر لك الكون
من حيث جسمانيتك لوجود المناسبة والمجانسة ووسعه لك باعتبار
ما ذكرنا انما هو باتصالك به وتعلقك بما عنه وتوقف احكامك
في منافع حاجاتك عليه ولا خاصية لك في هذا لك الانسان لا من حيث

فغيما

وخالقهم صح

احرمت ذلك وانما لم ينعكس حيث ثبتت روحانيتك العدمية
المناسبة فلا يسعك حينئذ ولا تبالي الا التعلق بالملكوت
وهذه هي خاصيتك التي بها سموك وعلوك ورفعة قدرك
فلم تهملها وتنحط منها الى اسفل سافلين وقال ابو عبد الله
بن الجلاء من علت همته عن الاكوان وصل الى مكونها ومن وقف
بهمته على شئ سوى الحق فاته الحق لانه اعز من ان يرضى معه
شريك وقيل لاحمد بن خضرويه اي الاعمال افضل فقال رعاية
السر عن الالتفات الى شئ سوى الله الكاين في الملكوت ومرتفع له
مبادي الغيوب محجوب بعجائبه ومحصور في هيكل ذاته
ملازم الملكوت وبقي معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له مبادي
الغيوب الملكوتية ولا خلص بسيره الى مشاهدة الوحدانية فضائح
فهو محجوب بعجائبه ومحصور في هيكل ذاته وهذه
في صفة اصحاب النار كما قال تعالى احاط بهم سرادقها وليس
جهنم عذاب اعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال تعالى
واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وما ذكرناه مكانا ح
هو حال من بقي مع نفسه وعمل على نيل حظه كما بينا ما كان وفي بعض
الاثار المروية عن الله تعالى يا عبدي اجعلني مكان همك افكك
كل همك ما كنت بك فانت في محل البعد وما كنت بي فانت في محل
القرب فاختر لنفسك انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون مما اردت
فاذا شهدته كانت الاكوان معك فرق ما بين كونك مع الاكوان مح
وكون الاكوان معك فان كونك مع الاكوان يقتضي تعبدك لها
واحتياجك اليها فانت عبد لكل ما انت هو خاذلك وما لم تحتاج الى
ما كلوت اليها وهذه همة خبيثة تقتضيها عدم شهودك للمكون
وكون

وكون الاكوان معك يقتضي ملكك لها واستغناءك عنها فانت
حينئذ حر عنها وهي محتاجة اليك وخادمة لك ومتبركة بك
حتى الجمادات والحيوانات قال الشبلي لمن تحكم الكون بباب
من عرف الملكوت وهذه حالة نفيسة يقتضيها شهودك للمكون
قال بعض المشايخ انا اذا دخل النور في الاشياء اشتاقت اليه
واتانا منها جميعها خبر وعن المزني الكبير قال كنت مع ابرهيم
الخواص في بعض اسفاره فاذا عقرب يسعى على فخذه فقمت لا
لاقتلها فمنعني وقال دعها كل شئ مفتقر الينا ولسنا مفتقرين
الى شئ وقال محمد بن المبارك الصوفي رحمه الله كنت مع ابرهيم
بن ادهم في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القايلة تحت
شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من اصل الرمان
يا ابا اسحق اكرمنا بان تاكل منا شيا فطاطا ابرهيم راسه
فقال ذلك ثلث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعنا اليه ليتناول
منا شيا فقلت يا ابا اسحق لقد سمعت فقام واخذ منها رمانتين
فاكل واحدة وناولني الاخرى فاكلتها وفي غير هذه الحكاية ان
الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامض وانها تطعم في كل عام مرة
فطالت وارتفعت وحلا ثمرها وصارت تطعم في كل عام مرتين
وكانت السباع تجي الى سهل بن عبد الله فيدخلهم بيته ويضيفهم
ويطعمهم اللحم وقال ابرهيم الخواص كنت في البادية فسرت
في وسط النهار فوصلت الى شجرة وبالقرب منها ما فنزلت فاذا انا
بسبع عظيم قد اقبل فلما قرب مني اذا هو يعرج وبرك بين يدي فحمحم
ووضع يده في حجري فنظرت فاذا يده منتفخة فيها قيح ودم فاخذت
خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح وشددت على يده خرقة فمضى

فإذا العبد سابحة جاء ومعه شيلات بيصصات رحمه الله
رغيفا وقال بعضهم أشرفت على إبراهيم بن أدهم وهو في بستان
يحفظه وقد أخذه النوم وإذا حية في فيها طاقة نرجس تروحه
بها وذكر عن أبي إسحق الصعلوكي رحمه الله قال خرجت
مرة إلى الحج فبينما أنا في البادية إذ تهت فلما جن علي الليل
وكانت ليلة قمراء سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا
إسحق قد انتظرتك من الغداة قال فدنوت منه فإذا هو
شاب نحيف أشرف على الموت ومعه رياحين كثيرة منها
ما عرفته ومنها ما لم أعرفه فقلت من أين أنت فقال من
مدينة شمشاط كنت في عز وثروة فطالبتني نفسي بالعزلة
فخرجت وقد أشرفت على الموت فسألت الله تعالى
أن يقيض لي وليا من أوليائه فأرجو أن تكون هو فقلت ألك
والدات قال نعم وأخوة وأخوات فقلت هل اشتقت إليهم
وإلى ذكرهم فقال لا إلا اليوم أردت أن أشم ريحهم فاحتوشني
السباع والبهائم وبكين معي وحملت إلي هذا الرياحين قال
فبينا أنا كذلك إذ رق عليه قلبي إذا الحية أقبلت في فيها
طاقة نرجس فقالت كفوا عنه فإن الله تعالى يغار على أوليائه
قال فغشي عليه فما أفقت حتى خرجت نفسه ثم وقع علي سبات
فانتبهت وأنا على الجادة قال فدخلت مدينة شمشاط بعد
ما حججت فاستقبلتني امرأة بيدها كوز فما رأيت أشبه بالشاب
منها فلما رأتني قالت يا أبا إسحق ليوم رأيت الشاب فإني انتظرتك
منذ ثلاث فذكرت لها القصة إلى أن قلت قال أردت أن أشم ريحهم
فصاحت وقالت آه بلغ الشم وخرجت نفسها فخرج أتراب لها
عليهن

عليهن المرقعات والعقود فتكفلن أمرها وتولين شأنها
رضي الله عنهم أجمعين فهكذا يكون حال من يكون
عالي الهمة شريف الإرادة والنية لا يساكن أحدا من
المخلوقات ولا يركن نفسه على شيء من المصنوعات فيكفيه
الله تعالى بأمره ويجعل الكون خادما له بأسره رزقنا
الله وإياكم ما رزقهم ووفقنا لما وفقهم بمنه
وكرمه لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف
البشرية إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار
ظهرت في الأفق وليست منه تارة تشرق شموس أوصافه
على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك
إلى حدودك فالنهار ليس منك إليك ولكنه وارد عليك
ثبوت الخصوصية للعبد لا يلزم منه عدم وصف البشرية لأن الوصف
البشري أمر ذاتي لازم للعبد والأمور الذاتية يستحيل
عدمها وانفكاكها والغالب اللازم من ذلك عدم غلبة أحكام
ذلك الوصف على العبد فقط لأجل الوارد الغالب فإن قدر
ذهاب هذا الوارد الغالب بقي وصف البشرية غالبا قاهرا
وكان العبد في يده أسيرا ومثال ذلك من المحسوسات إشراق
شمس النهار على الآفاق المظلمة ليزيل ظلمتها فإنما ظلمتها تستتر
بذلك وتشرق فإذا غابت الشمس رجعت إلى حالها من الظلمة
لأن النور ليس من ذاتها وهو معنى قوله وليست منه ومعنى
الخصوصية المذكورة هي ما يكشف الحق تعالى به أولياءه من ظهور
أوصافه العلية ونعوته القدسية عليهم ليغطي بذلك أوصاف

نفوسهم الوهمية الردية عنهم ليلا تظهر اثار كدوراتها
في صفاء وقاتهم كما تقدم من قوله اذا اراد ان يوصلك اليه
ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته فاذا اشرقت
الانوار ذلك على لبل وجودهم ذهبت ظلمات نفوسهم
وبقوا في نهار الوصلة والقربة من غير حول منهم ولا قوة
وهو معنى قوله فالنهار ليس منك اليك وان غابت عنهم
تلك الانوار المشرقة رجعوا الى اصلهم ولزموا
الوقوف عند حدهم وكانوا في ليل القطيعة والحجبة كما كانوا
قبل ذلك والغرض من هذا الرد على طوائف غلطت في الامر
وتغالت وزعمت ان القرب من الله تعالى والوصول اليه
انما يكون بعدم اوصاف البشرية وزوالها بالكلية واتصافه
بصفات الربوبية بدلا منها وفسرت بهذا ما عبر به المشايخ
الفنا والبقا فوقعوا من ذلك في ضلال وتزندق نعوذ
بالله من ذلك والمعنى الصحيح في ذلك انما هو ما ذكره المولف
رحمه الله تعالى ههنا دل بوجود اثاره على وجود اسمايه
وبوجود اسمايه على ثبوت اوصافه وبوجود اوصافه
على وجود ذاته اذ محال ان يقوم الوصف بنفسه
فارباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم
الى شهود صفاته ثم يردهم الى التعلق باسمايه
ثم يردهم الى شهود اثاره والسالكون على عكس هذا
فنهاية السالكين بداية المجذوبين وبداية السالكين
نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في
الطريق

الطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه عباد الله
المخصوصين بالقرب منه والوصول اليه ينقسمون الى
قسمين سالكين ومجذوبين فاما السالكين الاستدلال
بالاشيا عليه وهم الذين يقولون ما راينا شيا الا راينا
الله بعده وشان المجذوبين الاستدلال به على الاشياء
وهم الذين يقولون ما راينا شيا الا وراينا الله
قبله ولا شك ان الدليل ابدا اظهر من المدلول فاول
ما يظهر للسالكين الاثار وهي الافعال فيستدلون بها على
الاسما وبالاسما على الصفات وبالصفات على وجود الذات
فكان حالهم الترقي والصعود من اسفل الى اعلى واول
ما يظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقدسة ثم ردوا
منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق بالاسما ثم انزلوا
الى شهود الاثار فكان حالهم التدلي والتنزل من اعلى
الى اسفل فبداية الاهم والسالكون من شهود الاثار اليه
انتهى بالمجذوبين وما ابتدى به المجذوبون من كشف
حقيقة الذات اليه انتهى السالكون لكن لا بمعنى واحد فان مراد
السالكين شهود الاشيا لله والمراد بالمجذوبين شهود
الاشيا بالله فالسالكون عاملون على تحقيق الفنا والمجذوبون
سلوكهم طريق البقا والصحو وكما كان شان الفريقين
التنزل في تلك المنازل المذكورة لزم التقاوهما في طريق
سيرهما السالكين مترق والمجذوبين متدل ثم قد يكون
انوار القلوب والاسرار التي تحتجب بها كما لا يظهر

انوار القلوب والاسرار المشرقة عليها من سما التوحيد والمعرفة
لا يعرف قدرها الا في غيب الملكوت وهو عالم الاخرة وهنالك
يحصل لهم تمام هذه الانوار فمن آمن بالغيب كان له من ذلك
الحظ الاوفر كما ان انوار السما المشرقة على ظواهر الاجرام
لا تظهر الا في شهادة الملك وهو عالم الدنيا وذلك لحصول
المناسبة بين هذه الاشيا. **وجود ثمرة الطاعات عاجلا**
بشاير العاملين بوجود الجزا عليها آجلا ما يجده العاملون
بطاعة الله تعالى في اعمالهم عاجلا من مزيد الايمان واليقين
وتنسم روح الانس ولذيذ القرب ولطيف الوصل بشاير
من الله تعالى معجلة بوجود الجزا عليها من الدار الاخرة
بانها مقبولة عند الله تعالى وقد تقدم هذا المعنى عند قوله
من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول
كيف تطلب العوض على عمل هو متفضل به عليك ام كيف
تطلب الجزا على صدق هو مهديه اليك العمل الذي يجب لطلب
العوض والجزا عليه هو ما عملته لينتفع به غيرك ولم تحصل
لك بذلك منفعة ولم يندفع عنك بسببه مضرة والاعمال الدينية
المطلوبة منك ظاهرا وباطنا كل هذه كلها اذ هي مسلوبة
عنك منسوبة الى ربك خلقها واختراعها وعايد ثمرة ذلك ومنفعته
عليك في ظاهرك وباطنك وهو غني عنك وعنها ولذلك لم يكن
الا لمنفعتك وطلب العوض والجزا اذ ذاك على عمل هذا صفته في غاية
القبح والذي ذكره المؤلف رحمه الله في كلامه بكيف يحكي ما من ذلك
الوهم قال الواسطي مطالبة الاعواض على الطاعات من نسيان الفضل
وسئل ابو العباس ابن عطا اقرب شي الى مقت الله تعالى قال رؤية
النفس

متصدق صح

عبر عنها بالتصدق والا ... تنبيها على ان ذلك ...

النفس وافعالها واشد من ذلك مطالبة الاعواض على افعالها واستعمال
المؤلف رحمه الله لفظ الصدقة في الاعمال الظاهرة ولفظ الهدية
في الصدق وغيره من الاعمال الباطنة اشعار بتباين بينهما في الشرف
كتباين الصدقة والهدية **قوم تسبق انوارهم اذكارهم**
وقوم تسبق اذكارهم انوارهم الذاكر ذكر ليستنير قلبه
والذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا سبقية الاذكار للانوار
حال المريدين السالكين وذلك من شانهم المجاهدة والمكابدة
فهم ياتون بالاذكار في حال تخلو منهم وتعمل لتحصل لهم
بذلك زوايد الانوار والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وسبقية الانوار للاذكار
هو حال المرادين المجذوبين لانهم مغمورون في السهولة والخفة
فهم لما دهشوا بالانوار حصلت منهم الاذكار بلا تكلف ولا تعمل
قال في لطايف المنن حاكيا عن شيخه ابي العباس المرسي قال رضي الله
عنه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله الى طاعة الله
وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله قال الله سبحانه الله يجتبي اليه
من يشا ويهدي اليه من ينيب قال ومعنى كلام الشيخ هذا ان من
الناس من حركه الله تعالى لطلب الوصول فصار يطوي مهامه نفسه وبيداء
طبعه الى ان وصل الى حضرة ربه ويصدق على هذا قوله سبحانه والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من فاجاته عناية
من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله يختص برحمته
من يشا فالاول حال السالكين والثاني حال المجذوبين ومن كانت
مبداه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كانت مبداه المواصلة رجع
الى وجود المعاملة ولا تحسبن ان المجذوب لا طريق له بل له الطريق

ظهورها بعناية الله تعالى به فكلاهما سرعان الى الله تعالى عاجلا
وكثيرا ما تسمع عند مراجعات المنتسبين للطريق السالك
اتم من المجذوب لان السالك عرف طريقا بها يوصل اليه والمجذوب
ليس كذلك وهذا بناء على المجذوب لا طريق له وليس الامر كما زعموا
فان المجذوب طويت الطريق له ولم تطو عنه ومن طويت له الطريق
لم تفته ولم تغب عنه وانما فاته متاعبها وطول امدها فالمجذوب
كمن طويت له الطريق الى مكة والسالك كمن سار اليها على
كور المطايا انتهى ما ذكره في حال الجذب والسلوك وهو
حسن قل ان يوجد لغيره فلذلك اوردته هاهنا
بكماله **ما كان الظاهر ذكر الا عن باطن شهود وتفكر**
اعمال الظاهر تبع لما يكون في الباطن وقد تقدم هذا المعنى
عند قوله ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر
فالذكر الظاهر لا محالة ثمرة باطن الشهود والفكر ثم بين
هذا المعنى بقوله **اشهدك من قبل ان يستشهدك فنطقت
بالالهيته الظواهر وتحققت باحديته القلوب والسرائر**
كاشف الله القلوب والاسرار في غيب الغيب بحقائق وحدانيته
واحاطة قيوميته فلما اشهدها ذلك اضمحلت وتدكدكت وتلاشت
فتحققت بذلك الاحدية فلما اظهرها في عالم الشهادة متلبسة
بالاجسام والهياكل طلب منها الشهادة له بالالهية فشهدت بلسان
حالها ومقالها فكانت الشهادة منها لما شهدت تبعا للشهود
لما شهدت في الغيب حيث ستره بوصف الجمع ومن حيث ما شهدته
وجمعه بنعت الفرق ولا بد في هذا الطريق من وجود الجمع والفرق
وقد قالوا كل جمع بلا تفرقة فهو زندقة وكل تفرقة بلا جمع فهو تعطيل

وقال

وقال محمد الجنيد في معنى الجمع والفرق وتحققتك في سري فناجاك
لساني فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان ان يكن غيبك التعظيم
عن لحظ عياني فلقد صيرك الوجد من الاحشاء داني
**اكرمك كرامات ثلاث جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم
تكن اهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به
اذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته
عليك** اكرم الله تعالى عبده المومن كرامات جمع بها له المفاخر بثلاث
والمحامد اولها كونه ذاكرا له بان اجرى ذكره على قلبه
ولسانه ومن اين له ذلك وباي وسيلة نال هو لولا فضل الله
وكرمه وثانيها كونه مذكورا به فيقال هذا عبد الله ووليه
وصفيه ومختاره وذلك لما اكرمه به من تحقيق النسبة
لديه وهي اثبات الخصوصية وقد تقدم معنى الخصوصية
وثالثها كونه مذكورا عنده وهذه غاية الاكرام ومنتهى
الفضل والانعام قال الله تعالى ولذكر الله اكبر قيل معناه
ولذكر الله عبده اكبر من ذكر العبد لله وفي حديث ابي بن كعب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان
اقرا عليك القران قال فقلت يا رسول الله سماني لك ربك
قال نعم فقرا علي قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون وفي حديث ابي حية البدري قال لما نزلت
لم يكن الذين كفروا الى اخرها قال جبريل عليه السلام ان ربك
يامرك ان تقرئها ابيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان
جبريل عليه السلام امرني ان اقريك هذه السورة قال ابي اوذكرت
ثم يا رسول الله قال نعم فبكى ابي وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن
عبدي بي وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وان تقرب
مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه
باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وعن ابي هريرة رضي الله عنه
وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما شهدا انهما على النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه
الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم
فيمن عنده قال يحيى بن معاذ يا غفول يا جهول لو سمعت صرير
القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك لمت طربا رب عمر
اتسعت آماده وقلت امداده ورب عمر قليلة آماده
كثيرة امداده الامدادات الالهية التي يمد الحق تعالى
بها عباده المومنين زيادة في ايمانهم وتقوية لايقانهم
لا اثر فيها لطول العمر ولا قصره فلا تنتقص بكثرة ولا تزيد
به ولا تقل ولا تكثر وانما ترد عليهم من خزائن الفضل والكرم
بحسب قوة استعدادهم وكمال تأهلهم ويختلف هذا باختلاف
تراكيب خلقتهم وجبول فطرتهم ولا مدخل للزمان في هذا
الا بالعرض وبهذا فضلت هذه الامة سائر الامم مع قصر
اعمارها وطول اعمار غيرهم قال احمد بن ابي الحواري قلت
لابي سليمان الداراني رضي الله عنه لقد غبطت بني اسرائيل قال
باي شيء قلت بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية
وكالحنايا وكالاوتار قال ما ظننت الا وقد جئت بشيء والله
ما يريد الله منا ان تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا الا صدق

النية فيما عنده هذا اذا صدق في عشرة ايام نال ما نال ذلك
في عمره من بورك له في عمره ادرك في يسير من الزمن
من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة
ولا تلحقه الاشارة البركة في العمر ان يرزق العبد من الفطنة
واليقظة ما يحمله على اغتنام اوقاته وانتهاز فرصة امكانه
خشية فواته فيبادر الى الاعمال القلبية والبدنية ويستفرغ
في ذلك مجهوده بالكلية ومن اثناء ذلك يصل اليه من المنح الالهية
وتشرق عليه من الانوار [illegible] الربانية ما تعجز العبارة
عنه ولا تنتهي الاشارة اليه ويدرك ذلك في زمن يسير وعمر
قصير فيرتفع له في شهر منه ما لا يرتفع لغيره في الف شهر
قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر
وقال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه وكان يقول اوقاتنا
والحمد لله كلها ليلة القدر فهذا هو البركة في العمر الطويلة
وزيادة مدته وقيل هذا المعنى يتاول ما روي
في الخبر البر يزيد في العمر الخذلان كل الخذلان ان تتفرغ
من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل
اليه من الخذلان ان تصل لك العوائق والشواغل عن التوجه
الى الله تعالى والرحيل اليه بل الواجب عليك ان تبادر
الى ذلك وتطرح العوائق والشواغل خلف ظهرك كما قيل
سيروا الى الله عز وجل عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة
فان انتظار الصحة بطالة قال الله عز وجل انفروا خفافا
وثقالا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله احالتك الاعمال على
وجود الفراغ من رعونات النفس فان زالت شواغلك وقلت

عواقبك ثم قعدت عن التوبة والرحيل فهو الخذلان بعد الخذلان
اعاذنا الله منه قال الامام ابو القسم القشيري رحمه الله
فراغ القلب من الاشغال نعمة عظيمة فاذا كفر عبد هذه النعمة
بان فتح على نفسه باب الهوى وانجر في قياد الشهوات
شوش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجد من صفاء قلبه
الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار الفكرة التي امر بها
العبد وحض بها هو سير القلب في ميادين الاغيار وهي
مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته واما الفكر في ذات
الله فلا سبيل اليها يعتبر المتفكرون باياته ولا يتفكرون
في ماهية ذاته لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم راهم قوما فقال ما لكم فقالوا نتفكر في الخالق
تعالى فقال تفكروا في خلقه ولا تتفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون
قدره قال الامام ابو القسم القشيري التفكر نعت كل طالب
وثمرته الوصول بشرط العلم فاذا سلم الفكر عن الشوائب ورد
صاحبه على مناهل التحقيق ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة
وفائها لطلابها فيزدادون بالفكر زهدا فيها وفكر العابدين
في جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر
العارفين في الالاء والنعماء فيزدادون محبة للخالق سبحانه
وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان
التوحيد وفي بعض النسخ الفكرة سراج القلب في ميادين الاعتبار
ومعناه ما هو الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة
له القلب الخالي من الفكرة خال من النور فظلم لوجود الجهل والغرور
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل
بها

بها ميدان فكرة . الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان
وفكرة شهود وعيان فالاولى لارباب الاعتبار والثانية
لارباب الشهود والاستبصار تقدم الان ان الفكرة سير
القلب في ميادين الاعتبار وسيره على وجهين صعود ونزول
فالصعود لارباب الاعتبار وهي فكرة ناشئة عن التصديق
والايمان وهذا للسالكين وهو حال ترقيهم وهو نعت
المستدلين بالاثار وفكرهم على المؤثر والنزول لارباب الشهود
والاستبصار وفكرتهم ناشئة عن الشهود والعيان وهذا
للمجذوبين وهو حال تدليهم وهو وصف المستدلين
بالمؤثر على الاثار وقد تقدم هذا المعنى عند ذكر المجذوب والسالك
وقال رضي الله عنه في آخر كتابه لبعض اخوانه هذا الكتاب يتضمن
ذكر حال السالكين اول ابتداء سفره الى نهايته وحصوله
في مستقره وذكر اداب السلوك والوصول وقد اتى رحمه الله في
ذكره بعبارات صحيحة فصيحة واستعارات حسنة مليحة على كثرته
وعظمته اذا سمعها السامع طرب لها قلبه وهام فيها عقله ولبه
وما ذاك الا لما علق بها من انوار قلب المتكلم وقد قال فيما
تقدم كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز
اما معنى فانات البدايات مجلاة النهايات الجلاة محل
التجلي والظهور فالسالك في ابتداء سلوكه يتجلى له امر نهايته
ومن كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته هذا بيان
ما ذكره ومعنى كون بدايته بالله ان يكون مجاهداته ومكابداته
والنزاع رياضاته مصحوبة بالاستعانة بالله تعالى والاعتماد
عليه والانقطاع اليه فيبتدئ له وينفذ في توحيده وسلوكه كما تقدم

عند قوله ما توقف مطلب انت طالبه بربك ومعنى كون انتهايه
الى الله ان ينكشف له انفراد الله تعالى بالقيومية وتوحده بالديمومة
وانه هو الاول والاخر والظاهر والباطن انكشافا يظهر له به عدمية
ما سواه وتلاشيه وقد كان ذلك واضحا له قبل الا انه تعالى بان افرد
باكتساب السالك فيسمعه فاذا تحقق وكملت للمريد تلك
البداية بما ذكرنا وصل الى هذه النهاية وقد تقدم هذا المعنى
في قوله من علامة النجح في النهايات الرجوع الى الله في البدايات
والمشتغل به هو الذي احببته وسارعت اليه والمشتغل عنه
هو المؤثر عليه المشتغل به ايها المريد السالك انما هو عملك
على التقرب من ربك والتوصل اليه بالطاعة والعبودية له وهو
الذي احببته وسارعت الى اجابة دعوته فيحق عليك ان
لا تنتقل ذلك المشتغل به لكون فرحة عينك به والمشتغل عنه
انما هو متابعة حظوظك العاجلة ومرادات النفس الزايلة وهو
الذي يستحق الايثار عليه اذ هو فان مضمحل لا حقيقة له فالتحبب
عنه نفسا ولا تعمل فيه عقلا ولا روحا وهذا الكلام نصيحة للسالك
والنفاس لقوته وانها حسن المضمعه قال الشيخ ابو القاسم عبد
الرحمن الصقلي رضي الله عنه سمعت عبد الله بن اسحق الغافقي
يقول ما انتفعت الا بدعاء رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام
بالسحر فاذا برجل يسف التراب فقلت مجهود او مجنون ثم قلت
له يا هذا اتسف التراب قال فقال لي او تراب هو نظرنا وتنبهت
فاذا [illegible] هو سويق او قند [illegible]
[illegible] وجثوت بين ركبتيه وقلت ادع الله لي قال [illegible]
الله قدر ما [illegible] حتى يهون عليك ما تترك ومن شأن
ان

ان الله وطلبه صدق الطلب اليه وصف ما عزاه الامور بيد الله
الحكم بالتوكل عليه العبد مطلوب لربه عز وجل باقامة وظايف
العبودية له وذلك بما اختصه به من العقل والفهم وما رزقه
من المعرفة والعلم لثمرة ذلك الطلب عايدة الى العبد فلم
لا يصدق العبد في طلبه واجتهاده اذا ايقن بذلك والامور
كلها بيد الله تعالى ومن ذلك سعيه وكدحه فلم لا يتوكل عليه
في ذلك فيجمع همه ويستقيم امره اذا علم ذلك فالقسم الاول
قيام بمقتضى الشريعة والقسم الثاني وفا بحق الحقيقة ومن شأنه
لا بد لبنا هذا الوجود ان تتهدم دعائمه وان تسلب كرايمه
ذكر هذا المعنى تسلية للعبد عما يفوته في حال سلوكه من حظوظه
في شهواته لانه اذا علم ان هذه الاشياء لا بد ان تزال عنه او يزال
عنها ولو بعد حين وكل ما هو ات قريب لم يغتبط بما يكون مآل
امره الى ذلك ويكون طيب النفس بتركه والتهدم الدعائم
وسلب الكرايم من الاستعارات البديعة العاقل من كان
بما هو ابقى افرح منه بما هو يفنى قد اشرق نوره
وظهرت تباشيره فرح العبد بالاشيا الفانية هو موجب
للزيادة في همه وغمه اذا فقدها قال سهل بن عبد الله
رضي الله عنه من فرح بغير مفروح به اجتلب حزنا لا انقضاء له
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن
عليه فالعاقل لا يفرح بذلك ولا يحبه بل يكرهه ويبغضه وانما
يكون فرحه بالامور الباقية التي لا تفنى فاذا اشرق نور ذلك عليه
وظهرت تباشيره على وجهه واشرقت انوار [illegible]
نتايج الحقيقة في مقام الزهد قد رغب هذه الدار مغضيا

والمعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا ولا جعلها مسكنا
فلما كان العبد على هذا الوصف رغب عن هذه الدار الدنيا وبه
ايها لعنها مغضياً جفنيه ابتذ ايها من غير مبالات بذلك معرضا
عنها بوجه قلبه وقد ولاها دبره من غير التفات اليها وهذا
مبالغة في نبذها واطراحها فلم يوقفها نظاهره على سبيل التمتع
بها والاستيثار ولم يسالنها بباطنه على جهة المحبة لها والايثار بل نزلها
منزلة الجيف والمضيق ووطن نفسه فيها على تحمل ما يطيق وما لا
يطيق وهذه علامات على تحققه بالزهد في الامور الفانية التي
هي بغضية له فلما وصل الى ذلك حصل له من طهارة قلبه وصفائه
ما حمله على التعلق بمولاه الباقي الدائم فجعل دنياه معبرا يعبر
اليه كما سيقول المؤلف رحمه الله تعالى الان بل نهضوا لمحمه فيها
الى الله وصاروا فيها مستعينا به في الغد وعليه هذا ابتدا
سفره بقلبه الى الحضرة العلية وبدا بانقطاعه الهمة الى ربه
والاستعانة به في الغد وعليه وهو اساس امره كما تقدم
قال الشاعر • اذا لم يعنك الله فيما تريده •• فليس لمخلوق اليه سبيل •
• وان هو لم يرشدك في كل مسلك •• ضللت ولو ان السماء دليل •
قال ابو محمد الحريري من توهم ان عملا من اعماله يوصله الى
ما هو له الاعلي والادني فقد ضل عن طريقه لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لن ينجي احدا منكم عمله فما لا ينجي من المخوف كيف يوصل الى ما هو
ومنهج اعتماده على فضل الله فذلك الذي يرجى له الوصول
فما زالت همتهم ترحل بهم حتى اناخت بهم
الى ان اناخت بحضرة القدس وبساط الانس محل المفاتحة
والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة
فصارت

فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها ياوون وفيها
يسكنون هذه استعارات مليحة استعملها في سفر القلب الى
حضرة الرب وقد تقدم معنى ذلك عند قوله لولا ميادين
النفوس ما تحقق سير السائرين وحضرة القدس وبساط
الانس هما موضع حط الرحال وبلوغ الامال والامانى فيهما
الا السالك تمحي عنه رسوم بشريته وتبطل احكام انيته وتنكشف
له اذ ذاك اوصاف وصفات العلية كرائي العيد ويكون سره
مع الله بالاين فلما وصل الى هذه الحضرة العلية ونال هذه
المنقبة السنية فوبل بانواع من الكرامات والالطاف وفتوح
من تحف السادات والاشراف وهو معاني هذه الالفاظ السنية
التي ذكرها المؤلف رحمه الله ولا تعرف الا بالذوق كذلك
التفرقة بين معانيها تحتاج الى السائرين عين بصيرتهم
وجدوا عاقبة امرهم وصارت حضرة محبوبهم معشش
قلوبهم وسكونهم فيها بعد ما كابدوا ابالهم الجلايا وذلك
اذا لحالهم بعد ان هوّوه وهي دار المقامة فيها
يسكنون حيث برح بهم عن متعة دنياه وهنا
حصل لهم التحقق بمقام الفنا والمحو وهذا هو انتها عروجهم
بمعنى الصعود والترقي فان نزلوا الى سماء الحقوق
او ارض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين
فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الى الحظوظ
بالشهوة والمتعة بل دخلوا في ذلك بالله ولله ومن الله
والى الله هذا هو سفر الترقي والنزول وبه يتحققون
بمقام البقا والصحو فاذا انزلوا من سدرة منتهاهم الى سماء

الحقوق وهي حقوق الله عليهم لما امرهم به او نهاهم عنه
ليقوموا بذلك فعلا او تركا او الى ارض الحظوظ وهي حظوظ
نفوسهم التي تلذ بها وبحصولها الارتفاق بها فانما يكون
نزولهم الى ذلك بالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين
ومعنى ذلك ان يدخلوا في الاشيا بمراد الله تعالى لا بمراد
انفسهم ويجدون الاذن من الله تعالى بما يشرق في قلوبهم
من النور الذي جعله الله علما على ذلك وقد ذكر سيدي ابو الحسن
في بعض كلامه قال ومعنى الاذن في حق الولي نور ينبسط على
القلب يخلقه الله تعالى فيه وعليه ينبه ذلك النور على الشي الذي
يريده فيبدو له نور مع نور او ظلمة تحت ذلك النور فيجب
ان تاخذ ان تثبت او تتحرك او تختار او تتدبر او تعطي او تمنع
او تقوم او تجلس او تسافر او تقيم هذا باب المباح الماذون فيه
بالتخيير فاذا قارنه القول تاكد الفعل المباح بمراد الله تعالى.
فان قارنته نية صحيحة لفعل به زال عنه حكم المباح وصار مندوبا
وان ظهرت الظلمة تحت النور المعتمد من القلب فلا يخلو ذلك
ويخشه فانه من المكروه او يكاد ولا يقطع ذلك الا ببينة
من كتاب الله تعالى وسنة او اجماع او خلاف لمعظم قلدته مالك
والشافعي او غيرهما من العلماء الراسخين فاحكم اذ ذاك اصل صحيح
وان تلك الظلمة شبهة لا يتصدع معه القلب ولا يتفرغ به الوقت
فتباعد عنه فانه يكاد ان يكون مكروها ولا تحكم بفعله
فقد فات هنا خلق كثير ولا تفت احدا وان اقتفيت الورع
الورع حقه ولا تقف ما ليس لك به علم فان تادبت هنا فعن
قريب تاتيك البينة من ربك والشاهد يتلوها منه انتهى كلام
سيدي

ان يلوح عليه لائح الفقر الغضب بانقباض القلب فاحذره صح

سيدي ابي الحسن وهو مناسب لما ذكره المولف رحمه الله الا ان
ما فيه من التفصيل لم يتعرض له المولف رحمه الله الا ان ما فيه
بل ابقى الامر في ذلك مجملا كما تراه او تقريره فاذا نزلوا
الى الحقوق وتعلقوا فيها لم ينزلوا اليها بسوء الادب ولا غفلة
وهوات شهواتهم واتباعهم بعا من انفسهم او يطلبوا ثوابا
عليها من ربهم وان نزلوا الى الحظوظ لم ينزلوا اليها
بشهوة غالبة قاهرة لهم ولا متعة يقصرون الى نيلها
في دنياهم بل في ذلك بالله مستعينين ولله عابدين وعن دخلوا
الله آخذين والى الله متوسلين قد تولى تعالى ادخالهم
في الاشيا واخراجهم منها واوجدهم وعزل عنهم ملكية
نفوسهم لهم وصاروا احرارا اكراما وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق تكون لنفسي الحول
وقوله اذا ادخلتني وسلامي والقيا دي النكي
اذا اخرجتني المدخل والمخرج الادخال والاخراج وقيل
غيرها تبين العبارتين عن المعنيين المذكورين فالمدخل
هو عن الترقي لانه دخول على الله عز وجل وحال الغايه عن
رؤية غيره والمخرج هو عن التدلي لانه خروج الى الخليقة
لفائدة الارشاد والهداية في حال تفايد بربه وتحققه
في تعديد المقامين اعني مقام الفنا والبقا هو معنى صدقية
مدخله ومخرجه والذات ... الحصل به زهابه عن روية
نفسه في النسبة والوقوف مع الحظ ففي المدخل شاهد حول
الله تعالى وقوته فتنتفي عنه بذلك النسبة الى نفسه وفي المخرج
يسلم الربة وتبقا داليه فيتنفي عنه بذلك مراعات حظه

واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ينصرني
ولا ينصر علي ينصرني على شهود نفسي ويغنيني
عن دائرة حسي طلب من الله النصرة له ليستقيم امره وطلب
منه النصرة به ليستقيم حاله فالنصرة له هي ملاك ارباب
البدايات من السالكين اذ بذلك يتيسر عليهم قمع شهوات
النفس وجحود دواعي الهوى والحسد والنصرة به هي مقتضى
حال ارباب النهايات من المحققين لان بذلك تحصل لهم
مرتبة الامامة ومقام الارشاد والهداية وكمال واخص من
التمكين نصره على شهود النفس وغناه عن دائرة الحس واخراج
النصرة عليه من السوال والطلب لان ذلك من الخذلان وعدم
التوفيق وهو غاية احكام نفسه وبقائه مع دائرة حسه قال
رضي الله عنه مما كتب لبعض اخوانه ان كانت عين القلب
تنظر ان الله واحد في منته فالشريعة تقتضي انه لا بد من
شكر خليقته اذا اوصل الحق اليك نعمة على يد انسان سواء كانت
دينية او دنياوية فعليك في ذلك وظيفتان احداهما
ان تشهد انفراد الله تعالى بذلك فلا ترى النعمة الا منه
وحده ولا ترى من سواه ممن اجراها على يديه مقهورا مجبورا
على ذلك مسلطا عليه الدواعي والبواعث حتى لم يجد انفكاكا
عنه وهذا هو حق التوحيد والثانية ان تشكر من وصلت
اليك على يده بان تدعو له وتثني عليه امتثالا لامر الله تعالى
وعملا بما جاءت به الشريعة قال الله تعالى ان اشكر لي
ولوالديك وفي حديث النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر
الناس

الناس لم يشكر الله وفي حديث اسامة بن زيد رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر الناس لله اشكرهم
للناس ولان الله تعالى اختصه بان اقامه في ذلك واهله
له ومن نهايته تعالى الشكور فليتخلق العبد بذلك وهذا هو
حق الشرع والناس في ذلك على ثلاثة اقسام قال منهم من
هو في غفلة قويت دائرة حسه فانطمست حضرة قدسه
ينظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين
اما اعتقادا فشركه جلي واما استنادا فشركه خفي هذا
بيان احوال الناس بالنسبة الى مشاهدة التوحيد ورؤية
الوسائط والعبيد فبدا بذكر عامة الناس وهم الغافلون
المنهمكون في غفلتهم اصحاب الظواهر والرسوم الذين قويت
دائرة حسهم فغيبت عنهم وحجبت عنها النفوس حضرة
قدسهم فانطمست عنهم ولم يتحلوا بها فنظروا الاحسان من المخلوقين
فتعبدوا لهم وطمعوا فيهم ولم يشهدوه من رب العالمين
فكفروا نعمته واستوجبوا سخطه ونقمته ثم هم في ذلك على قسمين
احدهما ان يعتقدوا ذلك اعتقادا بقلوبهم انه منهم
ومن قبلهم وهذا هو الشرك الجلي الذي يخرج صاحبه عن
دائرة الاسلام ويوقعه في الكفر والعياذ بالله والثاني ان
يجحد ذلك عنهم استنادا اي اعتمادا على غير الله وسكونا الى سواه
مع سلامة عقدهم وهذا هو الشرك الخفي الذي يخرج صاحبه من حقائق
الايمان ويدخله في ابواب النفاق ونعوذ بالله من الشرك
جليه وخفيه وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك
الحق وفني عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب فهذا عبد

مطلب في معرفة الجمع والفرق والسكر والصحو والفنا والبقا والغيبة والحضور

مراده بالحقيقة لما مر عليه سابقا سالك الطريق فقد
استولى على سره ما غير انه غريق الانوار محسوس الآثار
قد غلبت سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على
بقائه وغيبته على حضوره هذا اهو حال الخاصة من ارباب
الحقائق وهم الذين غابوا عن الخلق بشهود الملك الحق
فلم يقع لهم شعور بهم ولا التفات اليهم وغابوا عن الاسباب
برؤية مسبب الاسباب فلم يروا لها فعلا ولا جعلا فهم مواجهون
بحقيقة الحق لما ظهر عليهم سناها اي نورها وضياها سائرون
طريق الحق قد استولى لوامعه اي وصلوا الى غاياتها الا انهم
غرقوا في بحار انوار التوحيد محجوبين عليهم آثار الوسائط
والعبيد اي يخفى عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلبت عليهم
سكرهم وهو عدم احساسهم بالاشياء على صحوهم وهو وجود
احساسهم بها وجمعهم وهو ثبوت الحق بلا خلق على فرقهم
وهو ثبوت وجود الخلق وفناؤهم وهو اضمحلالهم في شهود
الحق على بقائهم وهو شعورهم بالخلق وغيبتهم وهو ذهابهم
احوال الخلق عن نظرهم على حضورهم مع الخلق ومعاني هذه
الالفاظ كما ترى متقاربة وهي الفاظ تداولها الصوفية
المحققون فيما بينهم وعبروا بها في كتبهم ووضعوها لمعان
اختصوا بفهمها ليتعرف بعضهم من بعض ما يحبونه ولهم
الفاظ كثيرة غيرها وكان المؤلف رحمه الله اراد ان لا يخلو الكتاب
من ذكر شيء منها واما من غلب عليه شرب فازداد صحوا وغاب فازداد
حضورا وجمعه لم يحجبه عن فرقه وفرقه لم يحجبه عن جمعه ولا فناؤه
عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطي كل ذي حظ قسطه
ووفى

حال ذكر

ومن قام بحق حقه هذا هو حال الخاصة الذين جاوزوا
رتبة الكمالية وهم قوم شربوا كؤوس التوحيد فازداد ذلك
صحوهم وغابوا عن الاشياء فازداد حضورهم قد ملكوا
الاحوال وتمكنوا في مقامات الرجال فلم يغلبهم محو ولا يغيبهم
ولم يحجبهم شيء عن شيء وتوفوا حقوق جميع المراتب واعطوها
حالها منه فهو واجب وذلك لاتساع نظرهم ونفوذ بصرهم
وهذه صفة الصديق رضي الله عنه في القصة التي نذكرها الآن
وقد قال ابو بكر الصديق لعائشة رضي الله عنهما لما نزلت
براءتها من الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عائشة اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
والله ما اشكر الا الله فدلها ابو بكر رضي الله عنه على المقام
الاكمل مقام البقاء المقتضي لاثبات الآثار وقد قال
الله تعالى ان اشكر لي ولوالديك وقد قال صلى الله
عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس
وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها
غائبة عن الآثار فلم تشهد الا الواحد القهار

مطلب في براءة السيدة عائشة من الافك

هذه مثال هذين القسمين وقد ابهم المؤلف رحمه الله
الكلام فيه والمعنى في ذلك بين لا حاجة بنا الى مزيد
تنبيه الا قوله وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها
اي منقطعة عن شاهدها وهو حكم بشريتها متوفاة عن
احساسها بالكلية والاصطلام نعت الحيرة ومحل القهر
وصفة الدهشة وفي قوله وكانت هي في ذلك الوقت اشعار
بان ذلك لم يكن حالا لازما لها في جميع اوقاتها بل كانت تذكر

في وقت مخصوص وواقعة مخصوصة وذلك صحيح اذ حالها
رضي الله عنها هو حال الكمال في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعد وفاته كحال ابيها رضي الله عنهما وذلك معلوم
من اخبارها وسيرها وقال رضي الله عنه لما سئل عن قوله
صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة هل ذلك خاص به
او لغيره منه شرب ونصيب فاجاب ان قرة العين بالشهود على قدر العين
المعرفة بالمشهود فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس معرفة
كمعرفته فليس قرة عين كقرته وربما قلنا ان قرة عينه
في صلاته شهوده جلال مشهوده لانه قد اشار الى ذلك
بقوله في الصلوة ولم يقل بالصلوة اذ هو صلوات
الله عليه وسلامه لا تقر عينه بغير ربه وكيف وهو
يدل على هذا المقام ويامر به من سواه لقوله صلى
الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه ومحال ان يراه
ويشهد معه سواه فان قال القايل قد تكون قرة العين
بالصلوة لانها فضل من الله وبارزة من منة الله فكيف
لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال سبحانه
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فاعلم ان الاية قد
اومات بالجواب لمن تدبر سر الخطاب اذ قال فبذلك
فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم ليفرحوا
بالاحسان والتفضل وليكن فرحك انت بالمتفضل كما
في الاية الاخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
الصلاة هي اجل ما يتقرب الى الله به عباده ويتعبد به العبد وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما اوتي عبد في الدنيا خيرا
من

مطلب في قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة

من ان يوذن له في ركعتين يصليهما فيهما يحصل له الخلوة معه
والانفراد به والمجالسة له والانقطاع اليه وفيها ترتفع عن
قلوبهم الحجب والاستار وتتجلى فيها حقايق الاسرار وتشرق
فيها شوارق الانوار وفيها تكون المناجاة والمصافاة كما
تقدم وهي صلة بين العبد وبين ربه عز وجل قال محمد
بن علي الترمذي رضي الله عنه الصلاة عماد الدين واول
شي فرضه الله على المسلمين والصلاة اقبال من الله على العبيد
ليقبلوا اليه في صورة العبيد تذللا وتسليما وتبذلا وتخضعا
وتخشعا وترغبا وتملقا فالوقوف تذلل والتكبير تسليم
والثنا والتلاوة تبذل والركوع تخضع والسجود تخشع والجلوس
ترغب والتشهد تملق فاقبال العبيد الى الله بهذه الصورة
ليقبل الله عليهم بالترحم والتعطف والتفضل والتكرم
والتقرب فليس شي من امر الدين اعظم من هذا ولهذا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وقال في حديث
اخر الصلاة نور وقال لا يزال الله مقبلا على العبد بوجهه
ما دام في صلوته وان الله لينصب اليه وجهه ما دام مقبلا
عليه انتهى ولاجل هذه الفوايد كانت الصلوة مفزع ذوي
الفاقات والضرورات من ارباب القلوب فيغنيهم وجودها
عن كل مرغوب ويتسلون بها عن كل محبوب قال الله تعالى
وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا الاية
فرايت اذن ان تكون قرة عين عباد الله فيها وبها
وقرة العين عبارة عن الروح والراحة وكمال النعيم واللذة
التي تحصل من غاية الموافقة والملايمة الا انها تختلف باختلاف

مفزع

احوال الناس في مراتبهم ومقاماتهم فمن عظمت منزلته وعلت
مرتبته كانت ملاحظته وموافقته في شهود التوحيد وكمال التجريد
المشار اليه في قوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه اذ يمكن
ان يراه ويشهد معه سواه كما قال المولف رحمه الله تعالى وفيما
روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قوله لعروة بن الزبير
رضي الله عنهما انا كنا نتراءى الله بين اعيننا وكان هذا لما
خطب اليه عروة ابنته وهو في الطواف فلم يكلمه ابن عمر ولم
يرجع اليه شيئا ثم اعتذر له بعد ذلك بهذا الكلام فصاحب هذه الحال
تكون قرة عينه في الصلوة لانها لما تضمنته من التجلي التام والشهود
الحقيقي ومن كانت منزلته دون ذلك كانت ملاحظته وموافقته
في شهود النعم ووجود الفضل والكرم وكانت قرة عينه بها
لا بها لانها فضل من الله ومبرة من منة الله كما قال المولف رحمه
الله وكذلك ان معنى قرة العين في الوجه الاول احق وبه انسب
والبقا لان صاحبه فان عن نفسه باق بربه ومن كان على هذا الوصف
فهو من المخلصين لا سلطنة عليهم للعدو اللعين ومن تزالت
سلطنته عنه في صلوته لم يحتج الى مدافعته ومراجعته وكانت صلوته
ملزومة بالحضور والخضوع والدوام والخشوع وعند فقدان العبد
لحديث نفسه ووسوسة عدوه يحصل له غاية النعيم واللذة وتحقق
في حقه معنى قرة العين بخلاف الوجه الاخر فان صاحبه لم يفن عن
نفسه فغاية امره ان يرتقي الى درجة البقا مع ربه فلم ينقطع
عنه حديث النفس ولا وسواس العدو فيحتاج لا محالة الى مجاهدة
ومدافعته فيتشوش عليه نعيمه وتتكدر لذته فيضعف عنه قرة العين
قال الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز المهدوي وقرة العين لا تكون
لصاحب

لصاحب المجاهدة ولا لمن يدفع الشيطان عنه بل هي لمن استراح
من المجاهدة والدفع ولما كانت منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
عند ربه عز وجل اشرف المنازل ومرتبته في المعرفة
به ارفع المراتب بحيث لا يتصور ان يشاركه في ذلك غيره
او يحاذيها سواه كانت قرة عينه في صلوته على حسب ذلك فمن قال
ان ذلك خاص به لانفراده بالمرتبة العليا والخاصية الكبرى
فقوله صحيح وعليه يدل ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة
عيني في الصلاة بعد قوله حبب الي من دنياكم الطيب والنساء
ولا شك ان حبه لهذين الامرين ليس على ما يجده غيره
لهما وانما ذلك لوجود الخاصية التي اقتضت منه ذلك الا ترى
انه ابيح له ما لم يبح لغيره من عدد الحرائر وامتنع لاحد ذلك
من وقوع مضرة النسا عليه والتشاجر بسبب اجتماع الضرائر
وحبه صلى الله عليه وسلم الطيب وجه له انما هو للقاء به
للملائكة التي تناجيه والا فهو في ذاته غني عن الطيب وحيث انه
كما قال انس بن مالك رضي الله عنه ما مسست حريرا ولا خزا
الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت قط مسكا
ولا عنبرا اطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان
حاله في هذين الامرين على ما ذكرناه مع انه لم يكن له
فيهما سوى لغلبة الحب وحصامت لذات الدنيا فكيف تكون
حاله في الامر الثالث مع اثره فيه بقرة العين وهو غاية المحبة
وهو من اعمال الاخرة وقيل معنى قوله من دنياكم اي في الدنيا وان
كان لغيره منه شربا ونصيبا على المعنى الذي يليق بهذا
الغير فلقوله وجه وجواب المولف رحمه الله صحيح الفصل

الوجهين والله اعلم بما اراد منهما او من غيرهما وما رجى انه
مما لجميع به البعض اخوانه التاسع في ورود المنن على الناس
اخبار فرح بالمنن لامن حيث تجويبها وهنيتها ولكن لوجود
متعتها فيها فهذا من الغافلين فيه وعليه قوله حتى اذا
فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وفرح بالمنن من انه
شهد بها منتها من ارسلها ونعمة ممن وصلها بعد وعليه
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون وفرح بالله ما اشغله من المنن ظاهرهم متعتها
ولا باطن منتها بل شغله النظر الى الله عما سواه والجمع
عليه فلا يشهد الا اياه وعليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون تضمن هذا الفصل بيان ما يحمد من احوال
الناس وما يذم عند ورود النعم عليهم وحصول الفرح اذ ذاك
لهم وينبغي عليه ما يكون من ذلك شكرا لها وما لا يكون وقد
قسمهم المؤلف رحمه الله ثلاثة اقسام وجعلهم فريقين وواسطة
قسم في غاية الدناءة والخسة وهم الذين فرحوا بالنعم من حيث
فيها حظا لنفوسهم ونيلا لاغراضهم والتمتع بشهواتهم
فاحوالهم مذمومة جدا اشبه شيء بهم الانعام والبهايم وهذه
احوال اهل الطرد والبعد والاستدراج والمكر بهم اشار اليه
في الاية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله في هذا القسم وهذه
الاحوال البعيدة من الشكر منافية له وقسم في غاية الشرف والجلالة
وهم الذين فرحوا بالمنعم فقط ولم يلتفتوا الى ظواهر النعم لاجل
ان فيها متعتهم ولذتهم ولا الى بواطنها من حيث انها دالة على عناية الله
تعالى بهم حيث من بها عليهم فاحوالهم محمودة جدا لانهم غابوا
عن

غابوا عن الاغيار العدمية وتحققوا بالحقايق الوحدانية كما اشار
اليه في الاية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى في هذا القسم
وحالهم هو الشكر الحقيقي الخالص الخالي من المزج والشوب لان
الشاهد للمنعم فان عن حظوظ نفسه فهو بري من الاشياء كلها فلا
تفرقة عنده بين وجود ولا عدم ولا عطا ولا منع ولا يجري عليه من
التغيير والانقلاب لتغير الافعال والاسباب ما يجري على غيره
لفقد ذلك قال ابو محمد الجريري رضي الله عنه من رأى المنعم
بغيبة النعم فقد شكر وقال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي
كل من لم يشاهد المنعم في النعم كانت النعمة في حقه استدراجا
لانه يؤدي الى ان يتملك بها فاذا نزعت منه لزمه ان يتغير
عليها ومنهم من حصل له نصيب من الشرف والجلالة وخلص من الدناءة
والرذالة وهم الذين فرحوا بالنعم لكونها منة من الله تعالى عليهم
فهم من حيث شهودهم للمنة من ربهم شرفوا وجلت اقدارهم
وكانت احوالهم محمودة وهي شكر منهم له في حقهم ومن حيث نظرهم
لانفسهم وبقاؤهم مع ذلك لحظوظهم كان لهم نصيب من الدناءة والخسة
فانحطوا لهذا الوصف عن مراتب الاعلين وان تحققوا بالوصف
الاول عن احوال الاراذل فخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وهذه عامة المؤمنين
واوساطهم في الاية الكريمة التي ذكرها في هذا رحمه الله تعالى
في هذا القسم وقد ضربه الله تعالى في هذا القسم وقد ضرب الامام
ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب الشكر لهذه الاقسام
الثلاثة مثلا فقال الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس
على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة اوجه احدها
ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به وانه

مركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا الفرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحرا فاخذه لكان فرحه به مثل هذا الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من جهة ما يستدل به على عناية الملك وشفقته عليه والتفاته اليه حتى لو وجد هذا الفرس في صحرا او اعطاه له غير الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس واستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال منه رتبة القرب منه وربما يرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب بان لا ينعم الملك بشيء من ماله على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة ايضا الا مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس لفرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد من معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذه حال الصالحين الذين يعبدون الله تعالى ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله عز وجل من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه فهذه المرتبة العليا كما ان

ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد مهملج بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رحمه الله الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة ولذلك قال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها من تنحصر عنده اللذة في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في الصحة الا بذكر الله ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة حتى قيل ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فاذا بهذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم يكن له اهلا فعرضه وان لم يكن فهذا في الدرجة الثانية اما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكم فرق بين من يريد الله عز وجل لينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها اليه انتهى كلام ابي حامد الغزالي رحمه الله وهو في غاية البيان والوضوح وهو كالتفسير لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ولذلك اوردته هنا كما له وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين بي فليفرحوا وبذكري فليتنعموا بهذا تحققت صديقيتهم وعلى الانتفاع رتبتهم

عليه د ولغيره قبل ان عتبة الغلام دخل في بعض الايام على
رابعة العدوية وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته فقالت
ما خرج عن عادته فقالت له يا عتبة ما هذا التيه والعجب الذي
لم اره في شمايلك قبل اليوم فقال يا رابعة من اولى بهذا
التيه مني وقد اصبح لي مولى واصبحت له عبدا وقال بعضهم كنت
سائرا الى مكة فبينما انا امشي اذ رايت شيخا بيده مصحف
وهو ينظر فيه ويرقص فتقدمت اليه فقلت يا شيخ ما هذا الرقص
فقال لي دعني عنك فقلت في نفسي مجنون فقال لا ولكني تلوت ربي
منذ انا قاصدا فاستفزني الوجد فرقصت وانشدوا في المعنى
• قوم تخالجهم زهو بسيدهم • والعبد يزهو على مقدار مولاه • تاهوا
برؤيته عما سواه له • يا حسن رؤيتهم في حسن ما تاهوا •
ويجوز ان يكون المراد بقوله ويذكري فليتنبهوا الى ان ذكري
اياهم في الازل حيث لا وجود لهم الا فالذكر المنسوب اليهم
محل الافات والعلل وهم اجل رتبة من ان يكون نعيمهم
بشيء ملتبس بهم والله تعالى يجعل رضانا واياكم به والرضا
عنه وان لا يجعلنا من الغافلين وان يلحقنا بالمتقين
بمنه وكرمه هذا دعاء حسن موافق لمعنى ما تقدم وهو بين
ان لا يحتاج الى تنبيه عليه والله تعالى يحقق لنا ذلك بفضله
وقال رضي الله عنه الهي انا الفقير في غناي فكيف لا اكون
فقيرا في فقري الهي انا الجاهل في علمي فكيف لا اكون جهولا
في جهلي العبد موصوف بصفات النقص وهي ذاتية له والكمال
الحاصل له انما هو منسوب اليه على التحقيق ومن ثمرات ما ذكره
المؤلف رحمه الله من كونه فقيرا في غناه وجاهلا في علمه صحة تنقيتها
ويجانه

وكانه رحمه الله قصد بهذا الى الاعتراف بدوام الاضطرار
ولزوم الفاقة والافتقار وانه لا استغناء له عن مولاه
عز وجل ولا ينفك عن الاحتياج اليه والتعلق به والسؤال
والطلب منه في كل حال من احواله كما قال بعضهم اني الى الكريم
الانفاس محتاج • لو كان في مفرق الاكليل والتاج • وهذا
منه دليل على تحققه بهذه المعاني بعد بركة دعائه ومناجاته
في غاية الحسن قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه ما طلبت من الله
تعالى شيئا الا وقدمت اساءتي بين يدي رضي الله عنه وحتى لا يطلب امامي
من الله شيئا بوصف يستحق به العطا بل لا يكون طلبه وجود
فضله الا بفضله وقال ابو عثمان في قوله تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفية قال التضرع في الدعاء ان لا تقدم اليه افعالك
وطاعاتك وصيامك وقراءتك ثم تدعوا على اثره انما التضرع
ان تقدم اليه افتقارك وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة
حيلتك ثم تدعوا بلا علة ولا سبب فيرفع دعاءك وقال
الواسطي رضي الله عنه بذل العبودية وخلع الاستكانة وقال
سهل بن عبد الله ما اظهر عبد فقره الى الله تعالى في وقت الدعاء
في شيء يحل به الا قال الله لملائكته لولا انه لا يحتمل كلامي لاجبته
لبيك الهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول
مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء
واليأس منك في بلاء تلون الاحكام على العباد ان كانت
حالا سارة تكون فتنة عليها ولا تياسوا في حالة ضارة تنزل بهم
من وجود الراحة والنعيم وهذا محض تعلق بالله خروج
وهو نعت العارفين الهي منك ما يليق بكرمك ومني ما يليق

لؤم العبد الذي ركب عليه يقتضي منه مبارزة مولاه بالعظائم
والكبائر وكرم المولى الذي هو متصف به يقتضي منه التجاوز
والعفو عن عبده وقبول عذره وهذا الكلام من الطف وجوه
السؤال والرغبة وهو من آداب الدعاء ويحكى ان رجلا
قال لبعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قل لربك اخالفه
واعصيه وهو لا يعاقبني فاوحى الله تعالى الى ذلك النبي قل
لفلان لتعلم اني انا انا وانت انت. الهي وصفت نفسك
باللطف والرافة بي قبل وجود ضعفي افتمنعني منهما
بعد وجود ضعفي. اللطف والرحمة صفتان لله عز وجل اتصف
بهما في الازل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته وهما
مقتضيان لوجود اثارهما فيما لا يزال بعد وجود ذات
العبد وصفاته وهي اسباغ نعمه عليه وايصال احسانه
اليه فكيف يتصور اذ ذاك منعه اياهما. الهي ان ظهرت المحاسن
مني فبفضلك ولك المنة علي وان ظهرت المساوي مني فبعدلك
ولك الحجة علي. ظهور المحاسن من العبد وهي انواع الطاعات
والحسنات والصفات المحمودة فضل من الله تعالى والمنة له عليه
لعدم استحقاقه لذلك فظهور المساوي منه وهي ضروب المعاصي
والسيئات والاوصاف المذمومات عدل منه تعالى اذ له ان
يفعل بعبده ما يشاء والحجة له عليه لانه رب وهو عبد ومناجاة
العبد مولاه بهذا الكلام من احسن المناجاة وهو مقتض لوجود
اسعافه له وموالاة الطافه عليه لما فيها من الثناء على الله تعالى على
ما هو عليه من كمال صفاته العلية والتعلق بها والاعتراف له بالنعم
الظاهرة والباطنة وما فيها ايضا من رؤية ضعف النفس والاقرار
عليها

عليها بالنقص والقصور وانزالها منزلتها من الذلة والمهانة
وقد قال بعضهم تعلق شاب باستار الكعبة وقال لا لكثرة
[illegible] ولا زهد [illegible] ان اطعتك فبفضلك ولك الحمد وان
عصيتك فبجهلي ولك الحجة علي فبهاتين حجتك علي وانقطاع حجتي
لذلك الا غفرت لي فسمع هاتفا يقول الفتى معتق من النار
الهي كيف تكلني وقد توكلت لي وكيف اضام وانت الناصر
لي ام كيف اخيب وانت الحفي بي. الوكيل والناصر والحفي اسماء
الله تعالى وهي مقتضية لوجود اثارها من وجود الكفاية والنصرة
والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك ذلك عن
العبد عند وجود حاجته كما تقدم في اللطف
والرافة والحفي في اللغة معناه المستقصي وهو اللطف والحفي
هو اللطيف بعبده العالم بدقائق مصالحه وخفيات ما ربه
وايصال ذلك اليه برفق قال الله تعالى الله لطيف بعباده
ها انا اتوسل اليك بفقري اليك. التوسل التقرب والوسيلة
ما يتقرب به واعظم وسائل العبد الى مولاه هو تحققه بما
توجبه عبوديته وهو فقره اليه في كل حال من احواله فلا يرى
لنفسه شيئا يقتضي بها ثوابا ولا يدلي بحجة يستدفع بها
عن نفسه عقابا قال ابو يزيد نوديت في سري خزائننا
مملوءة من الخدمة فان اردتنا فعليك بالذلة والافتقار
وقيل لابي حفص بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير
ان يقدم به على ربه سوى فقره. وكيف اتوسل اليك بما هو
محال ان يصل اليك. بين المتوسل به والمتوسل اليه نسبة
تامة ووصلة حقيقية وهي التي اقتضت وجود التوسل ولا نسبة

ولا وصلة بين الفقر الذي هو نعت العبد وبين الرب الذي له الغنا الاكبر
وايضا ان توسل العبد بفقره يقتضي شهوده له واعتذاره واعتماده
عليه ورويته للعبد لاحواله وسكونه اليها علة فيها والاحوال
المعلولة لا تليق بالحضرة الالهية ولا توصل الى الله تعالى
بمعنى انه لا يرضاها ولا يقبلها فالفقر لا يصح التوسل به من
هذا الوجه ايضا والى هذا يشير ما حكى عن سيدى ابو الحسن الشاذلي
حين دخل على شيخه ابى محمد عبد السلام فقال له يا ابا الحسن
بماذا تلقى الله تعالى قال له بفقري قال له الشيخ والله لان
لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الاعظم ولا تصح حقيقة الفقر
الا بالغيبة عن الفقر والا كنت غنيا بفقرك فاذا لا وسيلة الى الله سواه
ام كيف اشكو اليك حالي وهو لا يخفى عليك الشكوى للحاضرة لا تصح الا لمن هي
غايبة عنه وهو غير عالم بها والله تعالى لا يخفى عليه شي وقد قال ابراهيم
الخليل عليه السلام حسبي من سوالي علمه بحالي ام كيف اترجم
لك بمقالي وهو منك برز اليك الترجمة بالمقال هي التعبير
باللسان عما في الضمير ليقع التفهيم بذلك للمترجم والله
تعالى هو الذي انطق اللسان والحالة بذلك فالترجمة من
الله تعالى برزت واليه مال امرها والعبد لا مدخل له في ذلك
فكيف تنسب اليه الترجمة ونسبة ذلك الى الله تعالى دليل على
احاطة علمه باحوال العبيد فكيف يصح في حقه معنى الترجمة
ام كيف تخيب امالي وهي قد وفدت اليك الامال الوافدة على كرم
الله تعالى لا تخيب من قبل انها نازلة اليه ومتعلقة به
ومتخصصة [illegible] الله تعالى [illegible] [illegible]
العبد بذلك [illegible] على يقين منه [illegible] الهي

ام كيف لا تحسن احوالي وبك قامت واليك من تحقق في المعرفة راى
احواله كلها حسنة لوجود قيامها بالله ورجوعها اليه وهذه
حلية الاولياء من التحقق بها المولف رحمه الله نفسه
فيما هو بصدده من سواله وحليه بسبب ترقيه في المعرفة التي
اوجبت له روية نقصه وقصوره في احواله الاول الهي
ما الطفك بي مع عظيم جهلي وما ارحمك بي مع قبيح فعلي
شهود العبد لهذا المعنى مزيد لطف عظيم يوجب له الحيا
والانكسار فتنجر منه حينئذ الاعتراف بالنعم فتعظم
الهي ما اقربك مني وما ابعدني عنك شهود المولف رحمه الله
تعالى شدة قرب الله تعالى منه لما راى من بعد الاشيا عنه ودفعها
اليه كما سياتي في قوله قد دفعتني العوايد الى الكرم وشهوده لبعده
من الله عز وجل من حيث اقيم في الطلب له والطلب للشي دليل
على فقد الطالب وبعده عنه فالمشاهدة الاولى اوجبت له ملازمة
باب مولاه والانقطاع بجمعه عن كل ما سواه والمشاهدة الثانية
اوجبت له التلطف في سوال التقريب والاستغنا عمن طلب القريب
ومن دعا سيدي ابي العباس المرسي يا قريبا انت القريب
وانا البعيد قربك ايسني من غيرك وبعدي عنك ردني
للطلب لك فكن لي بفضلك حتى تمحو الطلب بطلبك يا قوي يا عزيز
الهي ما ارافك بي فما الذي يحجبني عنك الرافة اشد الرحمة ومن شاهد
رافة ربه غاب بعد الشهود عن روية نفسه وصفاتها
فانكار الظهور له بسبب لوجود حجابه عنه الهي قد علمت باختلاف
الاثار وتنقلات الاطوار ان مرادك مني ان تتعرف الي
في كل شي حتى لا اجهلك في شي قال المولف رحمه الله تعالى

يقول اختلاف الاثار علي وتنقلات الاكوار من الصحة
الى المرض والغنا والفقر والعز والذل والقبض والبسط والفقر
والوجد وغير ذلك من مختلفات احوالي التي هي من
شونك التي تنزلها علمت منها ان ادتك هي ان تتعرف
الي في كل شي تعرفنا خاصا في حالة خاصة حتى اشاهد وجوا انيتك
وعظمتك وجمالك وكمالك بحيث لا يتصور معه جهل بما انا فيه
قابل المعرفة من جميع ذلك ولو كانت الامر على خلاف هذا والتزمت
حالة واحدة ارتضيها لنفسي واختارها لكانت معرفتي نا قصة
وشاهدي قاصره فانا الان انقلب في جنة معجلة اتشوق منها حيث
اشا فقد تعجز فيها انا فيه من عظيم النوال وخلق ذلك عن
الدعا والسوال وطلب الكون بما انقضيه من الاحوال فلك
الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة والخفية والجلية قال قال
بعضهم في الدنيا جنة من دخلها استحق جنة الاخرة ولا اي
شي وا بتوحش فيها وما هي قال معرفة الله تعالى وقال مالك
بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا اطيب الاشيا قيل
وما هو قال المعرفة قال ابن عرفان ذي الجلال المعرفة وضياء
وبهجة وسرور وعلى العارفين انهما بها وعليهم من المحبة
نور فهنيئا لمن عرفك الهي هو والله دهره مسرور وقد
روي انه راى صورة حكيمين من الحكماء يتعبدان في مسجد
واحد وفي يد احدهما رقعة فيها مكتوب اذا احسنت كل شي
فلا تظنن انك احسنت شيا حتى تعرف الله عز وجل وفي يد
الاخر مكتوب قيل ان تعرف الله عز وجل اشرب وانها حتى
انه معرفته رعيت بالاشرب قال في التنوير بعد كلام هو

ذكره

ذكره وانما قلنا ان الحالة زايلة عنك لا محالة فان مراده
ان يتعرف اليك في الاطوار ويتجلى عليك بالاثار ليتعرف اليك
بكل حالة خاصة بتعرف خاص فان اردت ان يبقيك
في حالة واحدة فقد اردت ان يسلك معك غير الكمال فكانه
يقول لك لا تجليني ان القيك في حالة واحدة فاني
لا افعل ذلك معك انت تريد ان تبقى في بيتي معطلة الاثار
ولكنت سلني ان استعملك للخير حيث ما اردتك وجنبك اقتدارك
حتى لا يا توني وتغيرني قال الله سبحانه يساله من في السموات
والارض كل يوم هو في شان اي يمنع ويعطي وينفع ويعطي
ويفقر ويغني ويعز ويذل الى غير ذلك من مختلفات الاثار
فكانه سبحانه يقول لك يا عبدي لا تاسف على شي ما دمت تعرف
تفرح بشي وانت انا لست كمثلنا العوض عما سواي وما سواي
لا يغنيك عني ولا تكن ممن يعبدني بالعلل فتكن ممن يعبد
الحروف بل اعبدني فاني كل حالة الغني من صرف وبدوام
لا انقطاع المعروف قال الله عز وجل ومن الناس من يعبد
الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب
على وجهه خسر الدنيا والاخرة لان الذي لحليم عز لنا عنه في دا م
له وصوفيا الطلبنا حتى يكون له ومن عبده بالحوال فهو عبد الحوال
ومن عبده لاجل جوده ونعمايه فهو عبد جوده ونعمايه لان من
احبهما فهو عبد ما احبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد
الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس
واذا شيك فلا انتقش كل عبد الله في كل شي عنا وسنا وعزا
وذلا وغنا وفقرا وقبضا وبسطا ونعما وجودا وشدة ورخا

وفنائه وبقاء العبد ذكر من مختلفات الآثار وتنقلات الاعتبار
انتهى كلامه رحمه الله وقد احسن فيه غاية الاحسان كما
يجزاه الله خيرا الهي كلما اخرسني لؤمي انطقني كرمك
وكلما آيستني اوصافي اطمعتني مننك لؤم العبد ومخالفته
وعصيانه تخرس لسانه عن السؤال والطلب وكرم المولى
وفضله واحسانه ينطقه بذلك واوصاف العبد الذميمة
التي اقتضتها طبيعته وجبلته توئسه من حصول الاستقامة
على طريقة الحق ومنن الله تعالى التي تملأت البر والفاجر تطمعه
في ذلك الهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه
مساوي ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون
دعاويه دعاوي وهذا مثل ما تقدم من ان الكمال المنسوب
الى العبد نقصان عند التحقيق فما ظنك بنقصانه الهي حكمك
النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا ولا لذي
حال حالا شهود هذا المعنى يوجب للعبد مقام الخوف والتحقق
فيه فاذا كان ذا قول سديد وحال حميد لا ينقطع بشهود ذلك
ولم يغتر بما هنالك لنفوذ حكم الحق تعالى وقهر مشيئته
الهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها
عدلك بل اقالني منها فضلك الطاعة صفة ظاهر العبد والحالة
صفة باطنه وتباؤه للطاعة هو اقامتها على وجه الامور به
من الوفا بجميع اركانها وشرائطها وما يتبعها ويتعلق بها من حقوق
وآداب وتشيده للحالة هو تنزيهها وتطهيرها وصيانتها عما يكدر
صفاها ويكشف ضياء نهارها لما فعل هذين لا مرهين راى انه

تحصن

تحصن بحصن واوى الى ركن متين لكن لما شهد عدل
الله تعالى هدم عليه ذلك لانه مقتضاه ان يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد ولا يبالي باعمال العاملين فلما شاهد
فضله وكرمه اقاله من ذلك بان جعل له من التعلق
به والاعتماد عليه بدلا منه وعوضا عنه ونعم البدل
والعوض فسبحان المتفضل المنان الهي انك تعلم وان
لم تدم الطاعة مني فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما
جعل عزمه على الطاعة ومحبته لها وان لم يدم عليها فعلا احد
وسائله وذلك صحيح وقد مر شيء من هذا والعبد فلم
يكن عنده عزم ولا فعل جزم الهي كيف اعزم وانت
القاهر وكيف لا اعزم وانت الآمر يشهد من نفسه
وقوع العزم منه وجعل مستند ذلك شهود الامر لانه
من شهد امره بادر الى امتثاله وتحرز من اغفاله واهماله
الهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني
عليك بخدمة توصلني اليك شكى الى مولاه عز وجل طول تردده
في الآثار وهي الاكوان واخبر انه يوجب له البعد المزار وهو
البعد عن شهود التوحيد وكمال المعرفة وقد تقدم هذا
المعنى عند قوله لا ترحل من كون الى كون ثم سال ربه وطلب منه
ان يختص له طريق سلوكه ويقربه عليه ويجمعه من مفترقات
الآثار بخدمة تظهر فيها عبوديته ويصل بها الى مولاه من غير
تردد ولا طول الهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده
مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون
هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى

وهذا تقسيم لاحوال المستدلين على زعمهم وبعض اصحاب
الفكر والاستدلال بالنسبة الى اهل المقام الاخر وهم
ارباب الشهود والعيان قال ابو بكر محمد بن علي الكتاني
من وجود العكاس الحق شهود الخلق باكتمال الحق دليلا على كل
شيء لا يكون شيء دونه دليلا عليه قال في لطائف المنن لمرابعه اهل
والبرهان عموم عند اهل الشهود والعيان قد نشوا الحق
من المحصور ان يحتاج الى دليل يدل عليه وكيف يحتاج الى الدليل
من نصب الدليل وكيف يكون معرفا به وهو المعرف له قال الشيخ
ابو الحسن رضي الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت
المعارف ام كيف يعرف بشيء من سبق وجوده وجود كل شيء وقال
مريد لشيخه يا استاذ اين الله فقال له اسحقك الله اتطلب مع
العين اين وقد تقدم من هذا المعنى عند قوله شتان بين من
يستدل به او يستدل عليه عميت عين لا تراك عليها رقيبا
الحكمة الرقيب فمن راى الله تعالى رقيبا عليه يعلم جميع احواله
ولا يخفى عليه منها شيء استحيا منه وهابه ان يراه على ما يكره منه
وتدقيق اذ عصيت من هو عاصمه بموضع لا يراك ومن لم يكن
على هذا الوصف وغفل عن نظر الله تعالى اليه عميت بصيرته
فبارز الله تعالى بانواع القبائح والفضائح من غير اكتراث
ولا مبالاة وقيل لبعضهم بما يستعين الرجل على حفظ بصره
من المحظورات قال بعلمه بان رؤية الحق سبحانه اسبق من نظره
الى تلك المحظورات وقال الله عز وجل وما تكون في شان وما
تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون
فيه قال الامام ابو القسم القشيري رضي الله عنه حق فهو يا عرفهم
من

من الملائكة عليهم في جميع احوالهم ورؤيته لما يستكنونه
من فنون اعمالهم والعلم بانه يراهم يوجب استحياهم منه وهذا
حال المراقبة فالعبد اذا علم ان مولاه يراه استحيى منه
وترك متابعة هواه ولا يكون حول ما نهاه عنه وفي حديث
عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
وسلم افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان
وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا حب الله
لعبده هو رحمته له وثناؤه عليه واحسانه اليه وحب العبد
لربه عز وجل طاعته وموافقته امره وتعظيمه وهيبته
والحب الغافل الى الكاف في قوله من حبك يحتمل ان يضاف الى
الفاعل والمفعول لان محبة الله تعالى لعبده اصل لمحبة العبد
له قال الله سبحانه يحبهم ويحبونه فمن اعطاه الله تعالى
من الحب المذكور نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز بقرب
الحبيب ومن حرمه ذلك فقد خسرت صفقته وبانت غبنته
وخيبته في بعض الكتب المنزلة على بعض الانبيا عليهم السلام
يا عبدي انا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وحكي عن بعضهم
انه قال اشتريت مملوكة صحبتها في شهر الليل وهي تقول
الهي بحبك اياي الا ما غفرت لي فقلت لها لا تقولي هكذا ولكن
قولي بحبي اياك فقالت يا سيدي بمحبته اياي من علي بالاسلام
وايقظني لعبادته وكثيرون عباده نيام قال زيد بن اسلم
ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول
له اصنع ما شئت فقد غفرت لك الهي امرتني بالرجوع
الى الاثار فارجعني اليها بكسوة الانوار وهداية

الاستبصار حتى ارجع اليك منها كما دخلت اليك منها مصون
السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها
انك على كل شي قدير الاثار امر العبد بالرجوع اليها
بعد وصوله الى حضرة المعرفة وخالص التوحيد هي المكونات
التي تلزمه اذا انكشف له حقا ويكون له فيها منفعة وحظ
فسأل الله ان يرجعه اليها على حالة ترفع مضادة الحالة
التي كان عليها قبل السلوك وهي كونه مكسوا بكسوة الانوار
وهي انوار اليقين وبهداية الاستبصار وهو
العلم الراسخ المتين فاذا رجع العبد الى الاثار على هذا
الاسلوب والمعيار لم يتأثر به ولم تأخذ منه كلما رجع بها
منها وكان رجوعه الى مولاه في مآل امره مثل دخوله فيها عكسه
في ابتداء امر سلوكه مصون السر عن النظر اليها بعين الاستحسان
مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها في نوال او احسان وقد تقدم
هذا المعنى في قوله فما نزلوا الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ
وقال رضي الله عنه الهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا
حالي لا يخفى عليك هذا تضارع منه على مولاه ومبالغة في بث
شكواه وتلطف في سؤال رجاه وبحث بعد تحقيق لاجابة الدعا
وتحقيقا قد جرت العطا وقد قالوا ابواب الملوك لا تقرع
الا بايدي الافتقار المحتاج وقال بعضهم قلت للشهرجوري
اجد في قلبي قسوة وقد شاورت فلانا فاشار علي بالصوم
فلم يزل وشاورت آخر فاشار بالسهر فلم يزل فقال الشهرجوري
الشهرجوري خذ طلبك احضر الملتزم اذا نام الناس فتضرع وقل
طلبك
تحيرت

تحيرت في امري فخذ بيدي ففعل وزالت القسوة قال
الشاعر وما رمت الدخول عليه حتى حللت محلة العبد الذليل
واغضيت الجفون على قذاها وصنت النفس عن قال وقيل وذل
العبد لمولاه غاية العز والفخر قال ذو النون المصري ما اعز
الله عبدا بعز هو اعز له من ان يدله على ذل نفسه وما اذل
الله عبدا بذل هو اذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه ومنك
اطلب الوصول اليك هذه همة العارفين المحققين
لا يتعلق ذكرهم الا بالله ولا يطلبون الا منه ولا يكون
مطلبهم الا الوصول اليه لا غير وبك استدل عليك لا بغيرك
لانك الظاهر قبل وجود كل شي فكان اظهر بك بظهوره وخفيت
المظاهر فيه قال بعض العارفين عرفت ربي فعرفت
ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقال ابو القاسم النصراباذي
الاشياء دالة ولا دليل عليه سواه وقال احمد بن ابي الحواري
لا دليل على الله سواه وانما العلم يطلب لاداب الخدمة
فاهدني بنورك اليك وهو نور الايمان واليقين واقمني
بصدق العبودية بين يديك حتى اكون ممتثلا للامر
متبتلا للعمل ثم اللهم علمني من علمك المخزون اضافة
العلم الى الله ههنا اضافة تشريف والعلم المخزون هو العلم اللدني
الذي اختزنه عنده فلم يؤته الا المصطفين من اوليائه
كما قال تعالى في شأن الخضر عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من العلم

كيفية المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره
الا اهل الغرة بالله قال بعضهم هي اسرار الله تعالى يبديها
الى امنائه واوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة
وهي من الاسرار التي لم يطلع عليها الا الخواص وقال ابو بكر
الواسطي في قوله تعالى والراسخون في العلم هم الذين رسخوا
بارواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم
وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من مذخور
الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب
النكر فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة وصف اهل
سرك المصون المصون المطلوب هو صيانته عن رؤية الاغيار
بما يتجلى لقلبه من سر الاسرار الهي حققني بحقائق اهل
القرب حقائق اهل القرب هو الفناء في التوحيد والتحقق
بالتجريد فينتفي في حقهم رؤية الاسباب ويزول عنهم حكم
[illegible] كل حجاب ستر وحجاب كما قال [illegible] ابو الحسن رضي الله
عنه في حزبه الكبير واقرب مني بفضلك قرباً تمحق به عني كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك
ولا لسؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوك وكيف لا يحجب عن
مضرة الاعداء من غيبته عن منفعة الاحباء كلا اني اسالك ان
تغيبني بقربك حتى لا ارى ولا احس بقرب شيء ولا ببعده عني انك
على كل شيء قدير واستحكم سالكا [illegible] اهل الجذب
اهل الجذب هم المجذوبون وسالكهم في غاية السهولة لا تعب عليهم فيها
بخلاف مشقة [illegible] المجذوبون اللذة والحلاوة في عالم الهمم وذلك من فضل الله

بقدرتك

ارحمهم

اخرجهم من نفوسهم وتولاهم بكلائته ورعايته من غير
مجاهدة منهم ولا مكابدة الهي اغنني بتدبيرك لي عن
تدبيري وباختيارك لي عن اختياري واوقفني على مراكز
اضطراري المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقتدار
هو الله عز وجل فمن كانت له دعوى في شيء من ذلك فقد نازع
الله تعالى في ربوبيته وخلع عن عنقه عبوديته فلذلك
سأله وكله عندما يغنيه عن تدبيره واختياره وان
يوقفه على مراكز اضطراره ليكون متحققاً بعبوديته
متعلقاً بصفات مولاه وقد تقدم هذا المعنى غير مرة
والمراكز مواضع الاستقرار والثبوت وهي استعارة
حسنة الهي اخرجني من ذل نفسي ذل النفس الذي طلبه
الاخراج منه هو ذلها لغير الله تعالى بالطمع والحرص وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله ما بسقت اغصان ذل الا على بذر الطمع
وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي الشك والشرك
هما باعثان وجود الطمع والحرص الموجبين لوقوع الذل
والهوان وهذه الاوصاف كلها مجانبة لحقائق الايمان
والتوحيد عافانا الله منها والشك ضيق الصدر عند احساس
مكروه النفس بامر يصيبها فاذا ضاق صدره بسبب ذلك اظلم
قلبه واحاطه من اجله الهم والحزن وانما ذلك منه انما يكون
لوجود ضلاله وهو اليقين فيه يتسع الصدر وينشرح
ويزول عنه الحرج والضيق وبقدر اختلاط القلب بنور

اليقين يكون انشراح الصدر واتساعه وعند ذلك يجد
القلب الروح والفرح بالله وبفضله وفي الحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الله بقسطه وعدله جعل الروح
والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في السخط والشك
والشك والشرك تعلق القلب بالأسباب عند غفلته عن
المسبب ونسيانه له لتعلق العبد بالشرك ويكون مصراً
ذلك بهيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشرك على القلب
فيجلوا له حينئذ الهوى فيفزع إذ ذاك إلى الأسباب
التي توصل بها إلى بغيته إذ لا يرى غيرها فيرتبك شرك جلي
ذلك في حبائل الشرك ولحظه رحمة منه بفضله ويعود نور التوحيد
الذي يقذفه الحق تعالى في قلبه لتطمئن بذلك نفسه
وتسكن عند الشره والطيش الذي أصابها وكلما قوي
نور التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك أكثر فتمحى منه
الأسباب ويثبت فيه خالص التوحيد فإذا تطهر العبد
من الشك والشرك تولاه الله تعالى بالهداية والتسديد
والمعونة والتأييد وفي أخبار داود عليه السلام أن
الله تعالى أوحى إليه يا داود هل تدري متى أتولاهم
إذا طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا من قلوبهم الشك
بك انتصر فانصرني وعليك التوكل فلا تكلني وإياك
أسأل فلا تخيبني وفي فضلك أرغب فلا تحرمني ولجنابك
انتسب فلا تبعدني وببابك أقف فلا تطردني

تعلق

تعلق بالله في كل مطلب من نفسه المطالب وأضرب عن
الوسائط والأسباب وذلك من تحققه بالتوحيد الذي
سأل من مولاه أن يحققه به بتطهيره من أضداده ومعاني
هذه الكلمات قريب بعضها من بعض قال أبو الحسن علي
بن هند الفارسي اجتهد في أن لا تفارق باب سيدك
بحال فإنه ملجأ الكل فمن فارق تلك السدة لا يرى
بعدها لقدميه قراراً ولا مقاماً إلهي تقدس رضاك
أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني رضى الله
تعالى صفة من صفاته وصفاته قديمة ولذلك امتنع
عليها حقيقة العلل والقديم لا يكون مسبوقاً بشيء وإذا
كانت صفاته العلية منزهة عن أن تكون لها علة منه فأبعد
أن تكون لها علة من غيره فرضا الله تعالى لا علة له ولا سبب
بل رضاه وسخطه هما سبب أعمال العاملين حسنها وسيئها رضي
عن قوم فاستعملهم بأعمال أهل الرضا وسخط على قوم
فاستعملهم بأعمال أهل السخط قال أبو بكر الواسطي رضي الله
عنه الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على
الأبد بما جريا في الأزل يظهران الرسمين على المقبولين
والمطرودين تظهرها عليهم فأنى تنفع من ذلك الألوان
المصفرة والأكمام المقصرة والأقدام المنتفخة أنت الغني
بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون
غنياً عني الكلام في الغني كالكلام في الرضى وكان المعنى

رحمه الله تعالى قصد في مناجاته بهذه الكلمات الى الاسترضا
والاستعطاف وطلب المسامحة والتجاوز عن اعماله المدخولة
واحواله المعلولة وذكر من احسن المقاصد للداعي الهي
ان القضا والقدر غلبني وان الهوى بوثائق الشهوة
اسرني فكن انت النصير لي حتى تنصرني وتنصر بي واغنني
بفضلك حتى استغني بك عن طلبي بعد اعتذار واعتراف
والله تعالى اكرم من ان يرد عذر من اعتذر اليه او يخيب
امل من اعترف بذنبه وافتقر لديه يقال ان العبد يبتهل
الى الله تعالى في الاعتذار الى الله سبحانه يقول له عبدي لو لم
اقبل عذرك لما وفقتك للاعتذار وقال الكتاني لم يفتح الله
لسان المؤمن بالمعذرة الا لفتح باب المغفرة فلا جرم انما
وثق بذلك وقوي رجاؤه فيه طلب منه النصرة له على اعدائه
ولم يقتصر على ذلك بل اضاف اليه طلب النصرة به لتكون تلك
النصرة بسببه وعلى يديه كما قال سيدي ابو الحسن واجعلنا سبب
الغناء لاوليائك وبرزخا بينهم وبين اعدائك ثم لم يقنع
بذلك حتى طلب منه ان يغنيه بما يستغني به عن الطلب منه وهو
ما يوليه من فضله العظيم وكرمه الجسيم وهذه هي غاية السعادة
كما قال سيدي ابو الحسن والسعيد حقا من اغنيته عن السؤال منك
انت الذي اشرقت الانوار في قلوب اوليائك حتى
عرفوك ووحدوك وانت الذي ازلت الاغيار عن قلوب
احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤوا الى غيرك انت المو
نس لهم حيث اوحشتهم العوالم بسبب ابتهاج العوالم لهم ما هي
عليه

عليه من الفاقة والافتقار والحاجة والاضطرار فكان واجب
شهادة لنفسه بما له تعالى من كمال نعته ووصف تحقيقه وان الله
تعالى غني حميد عزيز مجيد وهو مع ذلك لطيف بعباده عطوف
عليهم متودد اليهم رؤوف بهم فلما شهدوا هذا الجلال مشاهدة
يقين ومعاينة باشتهاده اياهم لم يتمالكوا ان احبوه ووادوا
اليه وقصروا هممهم عليه وجعلوه معتمدهم وبه لا منه انسهم
فحصلوا اذ ذاك على غاية النعيم وفازوا بالحظ العظيم قال
ذو النون المصري بينما انا اسير في بعض البوادي اذ لقيتني
امراة فقالت من انت فقلت رجل غريب فقالت وهل توجد
مع الله احزان الغربة وكتب مطرف بن عبد الله بن الشخير الى عمر
بن عبد العزيز رضي الله عنهم وليكن انسك بالله وانقطاعك
اليه فان لله عبادا استانسوا بالله فكانوا في وحدتهم
اشد استيناسا منهم الناس في كثرتهم واوحش ما يكون
الناس انس ما يكونون وانس ما يكون الناس اوحش ما يكونون
وانت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم لما تولى
الله تعالى هدايتهم الى طريق التوحيد والمعرفة والايمان بما
ذكرت ودلائله فعند نظرهم في تلك العلامات والادلة شرحت
صدورهم بانوار الايمان واليقين فلم يتداخلهم شك ولا لحقهم
ريب والمعالم جمع معلم وكانه عرض في هذه الكلمات بالمطالب التي
تحصل له ليستغني عن الطلب وهو اشراق الانوار في قلبه وازالة
الاغيار عن سره والايناس له وهدايته اياه وهذه اربع
مطالب متضمنة لاسنى الرغائب ماذا وجد من فقدك وما الذي

فقد من وجدك قد تقدم من تفسير ما مره ان شهود الله تعالى
عدم وظلمة وان الوجود الحق والنور المحقق انما هو الله
عز وجل فاذا كان الامر على هذا صح ما قاله المؤلف رحمه الله ههنا
وكان حقا لا مرية فيه قال ابو علي الروذباري سالني ابو بكر
الدقاق رحمه الله فقال يا ابا علي لم ترك الفقرا اخذ البلغة
في وقت الحاجة فقلت لانهم مستغنون بالمعطي عن العطا فقال
نعم ولكن وقع لي شي اخر فقلت هات افدني ما وقع لك فقال
لانهم قوم لا ينفعهم الوجود اذا اراد الله فاقتهم ولا تضرهم
الفاقة اذا اراد الله وجودهم وكان ابو حمزة البغدادي رضي الله
عنه يقول في مناجاته اللهم انك تعلم اني من افقر خلقك فان كنت
تعلم ان فقري اليك بمعنى هو غيرك فلا تسد فقري لقد خاب
من رضي دونك بدلا ولقد خسر من بغى عنك متحولا هذا بين
وهو مبني على ما تقدم من الكلام وروي الشبلي في المنام
بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبراهين
على الدعاوي الا على شي واحد قلت يوما لا خسارة اعظم من
خسارة الجنة ودخول النار فقال واي خسارة اعظم من
خسران لقائي وفي معناه انشدوا سهر العيون لغير
وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضايع وقال بعضهم
كان عندنا رجل فمكث عندنا ثلث عشرة سنة يصلي كل يوم الف
ركعة حتى اقعد من رجليه فاذا حاله العجب واستقبل القبلة
ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا بل عجبت للخليقة
كيف

سد بمعنى

وليلة

كيف استانست بسواك ثم يسلك الى المغرب كيف يرجى
سواك وانت ما قطعت الاحسان وكيف يطلب من
غيرك وانت ما بدلت عادة الامتنان هذا تعجب ممن
كان على هذا الوصف وهو اعجب من كل عجب والمعنى في ذلك بين
يا من اذاق احباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه
متملقين التملق هو التكلف التلطف في التودد وتربية
على ذوقهم بحلاوة مؤانسته بين يديه ويا من البس اولياءه
ملابس هيبته فقاموا بين يديه بعزته متعززين
متعززين بعزته هو رفع همتهم عن تعلقها بغير الله
تنزها وتانفا عليها وثقة منهم به وذكر عن البسطامي ملا يس
هيبته حتى لم يرها بواحد غيره ولتعلقه قلوبهم الى سواه
ولذلك قالوا المعرفة حقير الا قدر الرسول قدره ومحو الاذكار
سوى ذكره وقال بعض المشايخ اذا عظم الرب في القلب صغر
الخلق في العين وقيل في معنى قوله تعالى تعز من تشا قال بان
يكون ذكرك معك بين يديك انت الذاكر من قبل الذاكرين
وانت البادي بالاحسان قبل توجه العابدين وانت
الجواد بالعطا قبل طلب الطالبين وانت الوهاب
ثم انت لما وهبت لنا من المستقرضين الحق تعالى له الاولية فيما
ذكرنا ما ذكر قال ابو يزيد غلطت في ابتدا امري في اربعة
اشيا توهمت اني اذكره واعرفه واحبه واطلبه فلما انتهيت
رايت ذكره سبق ذكري ومعرفته تقدمت معرفتي ومحبته

اتى من محبته وكليه لى او لأجل طلبته فاذا كانت له الاولية فى ذلك لم يبق للعبد وسيلة يتوسل بها سوى فضله وكرمه وهذا يوافق ما ذكره المولف رحمه الله ما حكى عن الجنيد رضى الله عنه فى مناجاته يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ويا بادى العارفين بما به عرفوه ويا موفق العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذى يشفع عندك الا باذنك ومن ذا الذى يذكرك الا بفضلك واقتراض الرب من عبده ما وهبه له غاية فى ترفيعه لقدره وابانة لشرفه ووعده مع ذلك جزيل الثواب عليه فانه نهاية فى اكرامه وتفضله عليه قال بعضهم ملكك ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبته ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض اضعافا بين فيه ان نعمه وعطاياه بعيدتان ان تكونا مشوبتين بالعلل الهى اطلبنى برحمتك حتى اصل اليك واجذبنى بمنتك حتى اقبل عليك لا سبيل للعبد الى وصوله الى الله تعالى الا برحمته فلذلك طلب منه ان يطلبه بها ولا يتأتى له الاقبال اليه الا بمنته فلذلك طلب منه ان يجذبه اليه بها وذلك لتحقق الاولية التى ذكرناها قبل الهى ان رجائى لا ينقطع عنك وان عصيتك كما ان خوفى لا يزايلنى وان اطعتك الخوف والرجاء لازمان يتعاقبان على قلب العبد ولا عبرة بهما والمعتبر انما هو المطلوب سواء كان العبد فى طاعة او فى معصية وتمثيلها ذلك بكفتى الميزان وجناحى الطائر وهذا من اعلى مشاهدة العارفين والاوليا وذلك لان

مشاهدها

مشاهدها عندهم انما هو شهود الصفات المخوفة والمرجوة وصفات الله تعالى لا تفاوت فيها فكذلك مشاهدتهم لها لا تفاوت فيها فان وقع فيها تفاوت كانت مشاهدته ناقصة واحواله معلولة فلذلك يتصور وجود حال الخوف مع عمل العبد بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكابه للمعصية كما وصف به المولف رحمه الله نفسه قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الاعمال لانى اجدنى فى الاعمال اعتمد على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالافة معروف واجدنى فى الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقد تقدم من كلام المولف رحمه الله من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل ومن دعا سيدى ابى العباس رضى الله عنه الهى معصيتك نادتنى بالطاعة وطاعتك نادتنى بالمعصية ففى ايهما اخافك وفى ايهما ارجوك ان قلت بالمعصية قابلتنى بفضلك فلم تدع لى خوفا وان قلت بالطاعة قابلتنى بعدلك فلم تدع لى رجاء فليت شعرى كيف ارى احسانى مع احسانك وكيف اجهل فضلك مع عصيانى ومن كلام سيدى ابى الحسن رضى الله عنه العامة اذا خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا قال فى لطائف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة واقفون مع ظواهر الامر فاذا خوفوا

خافوا الذين لهم نفوذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم
كاهل الله واهل الله اذا خوفوا رجوا واما الذين ان من
وراء خوفهم وما به خوفوا اوصاف المرجو الذي لا ينبغي
ان يقنط من رحمته ولا ان يؤمن مكره فاحتاطوا لو اعلى اوصاف
كرمه علما منهم انه ما خوفهم الا ليحمدهم عليه وليردهم
به كله اليه واذا رجوا الخائفون عند خشيته الذي من وراء
رجائهم وخافوا ان يكون ما كان من الرجاء اختبارا العفو
هل تتوسع كاهل الرجاء تتعدى الى خوف ما يجد من مشيئته
فلذلك استثار الرجاء خوفهم الهي قد دفعتني العوالم
اليك انما دفعته العوالم اليه لما تضمنته من السمات الموحشة
كما تقدم من الغير حيث لا يتحقق الا وحشة مع الله ولا راحة
مع غير الله وفي هذا المعنى انشدوا يا قرة العين سل عيني هل
اكتحلت بمنظر حسن مذ غبت عن عيني وقد اوقفني علمي
بكرمك ... اذا الكريمة تتخطاه امال المؤملين
ولا يتوجه بحرواه لجليات الكاملين الهي كيف اخيب
وانت املي ام كيف اهان وعليك متكلي لما تعلق
بالله وتوكل عليه استبعد ان يخيب امله وبناله هوان
برده الهي كيف استعز وفي الذلة اركزتني ام كيف
لا استعز واليك نسبتني الهي كيف لا افتقر وانت
الذي في الفقر اقمتني ام كيف افتقر وانت الذي بجودك اغنيتني
تلونه في هذه الاوصاف المتضادة لما يغلب عليه من مشاهدة
ما

ما يوجبها والذلة المثبتة فيها هي سر الخصوصية والاتصاف
بمعنى الذلة والاستغناء مثل العزة قال بعضهم رايت
ذل كل ذي ذل فزاد ذلي على ذلهم ونظرت في عز كل
ذي عز فزاد عزي على عزهم وقال الشبلي
لقد ذللت حتى ذل في ذلتي كل ذل وعززت حتى
ما تعزز احد الا بي ولحق به تعززت انت الذي
لا اله غيرك تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وانت
الذي تعرفت الي في كل شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء
فانت الظاهر لكل شيء هذا الكلام قد تقدم معناه ولفظه
من كلام المؤلف في غاية الكمال والتمام الحاصل منه
ان الظهور التام لله تعالى بكل اعتبار ثم انه عبر
هنا عن ذلك بعبارة لم يذكرها فيما تقدم وهو قوله
يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش
غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه
اشار بهذا المعنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى
وقوله تعالى ثم استوى على العرش الرحمن ورحمانية
الله تعالى كونه رحمانا والرحمن اسم لله تعالى يقتضي
وجود كل موجود وهو مشتق من الرحمة والرحمة هنا هي
الرحمة العامة التي وسعت كل شيء كما وسع علمه كل شيء في قوله
تعالى مخبرا عن حملة العرش اذ قالوا ربنا وسعت كل شيء
رحمة وعلما ولذلك دخل تحت مقتضى اسم الرحمن جميع

اسمايه تعالى الايجاديه ومفهومت معنى الاستوا القهر
والغلبة ومقتضاهما في حق الله تعالى ان لا يكون لغيره
وجود مع وجوده ولا ظهور مع ظهوره فلا جرم لما كانت
الحق سبحانه مستوياً برحمانيته على عرشه الذي العوالم
كلها في طيه فلا ظهور اذن للعرش والعوالم دونه
الظهور التام لله عز وجل **محقت الاثار بالاثار**
عما بين العوالم الى العرش ومحوت الاغيار بمحيطات
افلاك الانوار عما بين العرش والرحانية ومحيطات
افلاك الانوار هي اسماء الله تعالى الحسنى والله اعلم

يا من احتجب في سرادقات عزه عن ان تدركه
الابصار عزة الله تعالى اقتضت كون كل ما سواه محجوباً
عن رويته الله عز وجل فان العزيز معناه المنيع الذي
لا يوصل اليه يقال حصن عزيز اذا امتنع الوصول
اليه وقيل العزيز الذي لا يرتقي اليه وهم ولا فهم في
تقديره ولا يسمو الى صمديته فهم قصد الى تصويره
وقيل العزيز من ضلت العقول في بحار تعظيمه وحارت
الالباب دون ادراك نعته وكلت الالسن عن استقصاء
مدح جلاله ووصف جماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وذكر السرادقات
مضافة الى عزة واحتجابه بها مجاز حسن **يا من تجلى**
بكمال بهايه فتحققت عظمته الاسرار كمال بهايه هو محاسن
صفاته وجمالها فبظهور ذلك وتجليه بها تحققت عظمته
اسرار

اسرار العارفين **كيف تخفى وانت الظاهر ام كيف تغيب**
وانت الحاضر والله اعلم الموفق وبه نستعين هذا
كله بين لا اشكال فيه وقد تقدم معناه بغير ما مرة
من كلام المولف رحمه الله تعالى وقد نجز بحمد الله
ما اردناه وبلغنا الغرض الذي قصدناه ولا حول لنا
في ذلك الا بالله وبذلك تبيين ما ندعي في سابق الكتاب
والله تعالى الهادي الى الصواب وقد تقدم في اول
هذا التنبيه اني اقصد فيه الا هذا المعنى ولا ليلتزم
كون ما ذكرناه فيه صحيح المنزع حتى يحتاج الى النصب الادلة
والبراهين على ما ادعيناه فيه وانما قصدنا ذكر مجرد
حكاية مذهب من المذاهب ولا يحكي له ذلك ان يصححه
او يبطله انا وما وقع فيه من نوع لجت الا وعلى
طلب من المطالب ... في ذلك متسع فان صح ذلك
الدليل فهو المطلوب وان بطل لم يلزم من بطلانه
بطلان المدلول وبقي المذهب قابلاً للتصحيح والابطال
من غير ان تتوجه على حكاية بذلك والذي حملني على
سلوك هذا السبيل فيه من وجدان الملامة لحسن الخطر
الذي يتعرض له كل من يتكلم على طريق التصوف بمن
لا تحقق له فيه ويدعي صحة ما ينكره بعقله وفهمه ويسب
ذلك الى القوم ولقد رايناً من ذلك ما لا يحتمه فيكون
بذلك مفتتر كذا باغلوهم فيه من الادب معهم

والتقدم بين ايديهم ما لا يقوم له شيء وعند ذلك يكون
للخرس والبكم وذهاب الحس والحركة اولى به واحمد
عاقبة له لتخلصه بذلك من شر لسانه وبنانه ثمرات
ما قصدنا من ذكره لا يمنع حصول الفائدة لمن
اراده الله تعالى بها ووفقه لها فعلى العبد ان يعمل
على خلاص نفسه ولا يلزمه ابتغاء مرضات غيره فقد
قيل رضا الناس غاية لا تدرك ونحن نرغب الى من وقع
بيده هذا التاليف وظهر فيه خطأ او تحريف ان يصلح
منه ما الفاه مختلا وان ينتهج من الاعتذار منهج الطريقة
المثلى وان تكون له اليه ينفع في ذكرنا لها يتضمن
تنبيها وتعريفا فذلكة المذاهب التي ترضي وما لم
يزل من شان من قد مضى ونحن نستغفر الله تعالى
مما يعلمه منا من التعدي والجراءة فيما تعرضنا له من
بيان كلام الاولياء الراسخين من العلماء وتقريب
عبارتهم واخبارهم من غير اطلاع منا على كنهها
ولا بصيرة فيها ونستغفره ايضا مما اقدمنا عليه من
اظهار ما ستروه واعلان ما اسروه ونستغفره
ايضا مما وقع منا فيه من ذكر احوال الاولياء
ومقاماتهم وتحريضنا على سلوك طريقتهم المستقيم
مع افلاسنا من جميع ذلك وعدم اتصافنا بنائبه وشاكله
مع ذلك ان لا يؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا والنية

ما وقع

سرايرنا

سرايرنا من انواع القبائح والمعايب التي يعلمها
منا ولا نعلمها ولا تسمح نفوسنا بالتنقي منها
والتنزه عنها اغترارا منا بحلمه وحنانه ننظر
وعلمه ونرغب اليه جل وعلا ان يمن بتوبة يمحو
عنا كل حوبة واليه المرجع والمآب وهو الكريم
الوهاب وكان الفراغ من هذه النسخة
الكريمة نهار الجمعة من شهر سنة
ثمانين وثمانيه من الهجرة النبوية
على يد الفقير الحقير الذليل الراجي
عفو ربه الفرد الصمد الفقير احمد
بن الحوراني الحنبلي اسكن بوصيد
ببيت الفقرا غفر الله له ولوالديه
ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه اجمعين صلاة وسلاما
دائمين الى يوم الدين

علينا

من شهر ذي القعدة

يا من غدا ناظرا فيما كتبت وقد فيما كتبت يكدر النكد
سالتك الله ان عما يريك خطا فاستر عليه فخير الناس من ستر

اللهم صلي علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حتى

هذه النقيصة كما تلك الدعا بـ تنقلب اعداؤنا عنا خائبين خاشعين
داخرين صاغرين لم ينالوا من معنى تحقيق ارادتهم فينا
مطلبا ولم يبلغوا مع عدم اسعافه ايانا بما طلبناه منه
مأربا وان يشمل متعنا في ذلك كل من امّن على هذا الدعا
ممن سمعه ودعا لنا بمثله من اخواننا المسلمين ونتوسل
اليه في بلوغ هذا الامل والوصول الى المبتغى الاجل بمن صرفنا
به عن محل تعالى كل جحود وكفور واخرجنا على يديه من
الظلمات الى النور سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وامام
المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى
آله الطيبين الطاهرين واصحابه البررة
الاكرمين وتابعيهم باحسان
الى يوم الدين وسلم
تسليما كثيرا والحمد
لله رب العالمين
امين